

الأساليب

وأثرها في كُتب التفسير

تأليف

الدكتور مزي نعاقة

دكتوراة في التفسير والحديث من جامعة الأزهر
مدرس في كلية الشريعة بعمارة

نشر وتوزيع

دار القلم و دار الضياء
بيروت

الطبعة الاولى

١٣٩٠ هـ

١٩٧٠ م

حقوق الطبع محفوظة

الأسرة النبوية
وأشرفها في كتب التفسير

نال هذا البحث درجة الدكتوراة في التفسير والحديث من كلية أصول الدين
بجامعة الأزهر وحاز على تقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الثانية

تقديم

بقلم سماحة الأستاذ الشيخ عبد الحميد السائح
وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية في المملكة الأردنية الهاشمية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ، ومن سار على هديه إلى يوم الدين . وبعد : فإن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة ، والكتاب المقدس الوحيد ، الذي وصل إلينا بنفسه بالروايات المتواترة ، التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، تنزيل من حكيم حميد ، وقد تكفل الله بحفظه وصيافته من العبث والتغيير والتبديل بقوله سبحانه : (إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له حافظون) .

ولعل من إعجاز هذا القرآن أنه رغم مضي أربعة عشر قرناً على نزوله ، وانكباب فطاحل العلماء في كل عصر على تفسيره ، وبيان مجمله ، وشرح غوامضه ، فإنه لا يوجد تفسير واحد يغني قارئه عن الرجوع لما سواه ، نظراً لما احتوته معظم كتب التفسير من أمور شتى ، أبعدت القارئ عن هداية القرآن ومقاصد القرآن ، ولكن أخطر تلك الأمور الاسرائ依ليات ، التي وُضعت في ثنايا التفسير ، لتوضيح بعض الآيات القرآنية ، وهي دخيلة على الاسلام ومنافية لتعاليمه ، ومصادمة لبعض قواعده ، وسمو أهدافه .

ولا يوجد كتاب ينبه المسلمين إلى ذلك الخطر ، ويضع المخطط الواضح ، الذي يكشف عن ذلك ، وقد اطلعت على النهج الذي سلكه الأستاذ رمزي محمد كمال نغاعة في رسالته « الاسرائ依ليات وأثرها في كتب التفسير » التي أعدها للحصول على الدكتوراة في التفسير ، ومنه يتبين أنه هدف إلى خدمة

كتاب الله تعالى بيان ما أحاط معظم كتب التفسير من الاسرائيليات ، التي عملت على إفساد عقائد بعض المسلمين ، وأوجدت الفرصة للمتشككين والمتصيدين ، للهجوم على الاسلام ، كأن تلك الاسرائيليات جزء من القرآن أو بعض تعاليم الاسلام ؛ مع أنها مدسوسة على ذلك ، ولأنك أن الجهود التي بذلها الأستاذ في رسالته جهود مضيئة ، ولكنها تهون في سبيل الهدف العظيم الذي قصد إليه .

ولما كان كتاب الله تعالى هو دستور المسلمين ، ومرجعهم الأول في العقيدة والتشريع ، ولما كان خطر الاسرائيليات أمراً لا يترتاب فيه ، فإن الجهود التي تبذل في تنقية كتب التفسير من تلك الاسرائيليات ، وتوضيح أهدافها وآثارها ، والتحذير من شرها جديرة بكل تقدير ، لذلك فإن هذه الرسالة تقدم للمكتبة الاسلامية خدمة كبيرة ، وثمره عظيمة ، يجدر بالعلماء والمتعلمين ، ورواد الحق وطلاب الحقيقة أن يحرصوا على اقتنائها ، ويعملوا على الإفادة منها حتى يكونوا على بينة من أمرهم حين يطلعون على كتب التفسير ، ويروا فيها تلك الصوارف عن هدايته ، والحواجز عن الوصول إلى مقاصده ، والتضارب في الآراء ، والانشغال بما لا طائل تحته ، من بحوث وتفصيل ، لم يكلفنا الاسلام بها ، وليس في إضاعة الوقت بها فائدة اللهم إلا العمل على إبطالها ، وعدم التعويل عليها .

وأرجو الله سبحانه أن يجزي العاملين على خدمة كتاب الله ، وتيسير وسائل فهمه ، والاسترشاد بهدايته ، ما هم به جديرون ، والله ولي التوفيق .



خطب الكتاب

الحمد لله رب العالمين ، بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين .

والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه والتابعين .

وبعد فإن الله جلت حكمته أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم معجزة كبرى وهداية عظيمة ، فتلقته الأمة بكل عناية ورعاية ، وبذل العلماء أقصى جهودهم في حفظه وتفسيره ، ليسهل على المسلمين فهمه وتطبيقه .

سعد المسلمون بهذا الكتاب الكريم الذي جعل الله فيه الهدى والنور ، ومنه طب الانسانية وشفاء ما في الصدور ، وظلوا يفهمونه على حقيقته وصفائه ، ويعملون به على بينة من هديه وضيائه ، ثم جدت أمور وحدثت أحداث ؛ دخل بسببها في التفسير دخيل كثير ، وقد جاهد العلماء في تنقية تفسير كتاب الله من الدخيل جهاد الأبطال من الوقت الذي بذرت فيه بذور الكذب والاختلاق والدس إلى اليوم ، فلم يخل عصر من علماء يذبون عن الدين ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين .

ولقد كانت من آثار ضعف الاشتغال بالسنة وعلومها ، وتساهل بعض المفسرين والاختباريين في نقل الروايات الدخيلة على الاسلام في كتبهم ، أن راجت سوق الاسرائيليات وانتشرت في كتب العلوم : كالتفسير والوعظ والتصوف والأخلاق وغيرها ، كما انتشرت على ألسنة الناس وتلقوها بالقبول وشغلوا بها وأذاعوها ، فكانت بلاءً على الاسلام والمسلمين ، وحجاباً على فهم كتاب رب العالمين ، ومثاراً للإرجاف والتشكيك من قبل المارقين والملحدين .

فلما رأيت هذا الخلط الذي سودت به صفحات أكثر كتب التفسير ،
وذلك الدس الذي قصد من ورائه تشويه وجه الاسلام ، والاساءة إلى سمعة
المسلمين ، عزمت الرأي أن يكون موضوع رسالتي التي أتقدم بها للحصول على
الدكتوراة في التفسير هو : (الاسرائيليات وأثرها في كتب التفسير) .

ولقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع ثلاثة عوامل :

العامل الأول : هو أنني وجدت أن المفسرين جميعاً من عهد ابن جرير
الطبري إلى عهد السيد محمد رشيد رضا قد وقعوا في رواية الاسرائيليات ، ولكن
على تفاوت بينهم في ذلك قلة وكثرة ، وسكوتاً عنها وتعتيماً عليها .

والعامل الثاني : هو أنني قصدت أن أخدم كتاب ربي عن طريق المساهمة
في تنقية كتب التفسير من الروايات الدخيلة التي اشتملت عليها ودست فيها .

والعامل الثالث : هو أنني لم أجد من سبق إلى الكتابة في هذا الموضوع
كتابة جامعة لأطرافه ، متناولة لكل ما يتصل به ، اللهم إلا تنقاً يسيرة هنا
وهناك ، مبعثرة في كتب القدماء والمحدثين .

وفي سبيل الوصول إلى جمع الموضوع من أطرافه ، وإخراجه للمكتبة
الاسلامية وافياً متقناً ، أجهدت نفسي بالرجوع إلى كل ما أمكنني الرجوع إليه
من المصادر التي حوت حول هذا الموضوع المخطوط منها والمطبوع .

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن أعالجه في مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة :

أما المقدمة فتشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : في نشأة التفسير وتطوره .

والمبحث الثاني : في علاقة القرآن الكريم بالكتب السماوية ومنزله منها .

والمبحث الثالث : في بيان ما طرأ على التوراة والانجيل من تحريف وتبديل .

وأما الباب الأول : فيشتمل على فصلين :

الفصل الأول : تعريف الاسرائيليات ، وبيان أقسامها وحكم روايتها .
 الفصل الثاني : في بيان كيفية امتزاج الثقافة الاسرائيلية بالثقافة
 الاسلامية وكيفية تسربها إلى تفسير القرآن الكريم .
 وأما الباب الثاني : فقد قسّمته إلى فصلين أيضاً .
 الفصل الأول : الاسرائيليات في دور الرواية .
 الفصل الثاني : الاسرائيليات في دور التدوين .
 وأما الباب الثالث : - وهو أطول أبواب الرسالة وأهمها - فقد خصصته
 للكلام عن الاسرائيليات في كتب التفسير .
 وأما الباب الرابع : فقد رتبته على فصلين :
 الفصل الأول : موازنة بين الاسرائيليات في كتب التفسير ومصادرها
 في أسفار أهل الكتاب .
 الفصل الثاني : المستشرقون والاسرائيليات .
 وأما الخاتمة : فقد اشتملت على أربع نقاط :
 النقطة الأولى : آثار الاسرائيليات على الاسلام وعقائد المسلمين .
 النقطة الثانية : مسؤولية المفسرين الذين رووا الاسرائيليات .
 النقطة الثالثة : واجب المفسرين إزاء هذه الاسرائيليات .
 النقطة الرابعة : مقترحات في بيان سبل الخلاص من الاسرائيليات
 وآثارها السيئة .
 وأخيراً .. فإن واجب عرفان الجميل يقتضي أن أتوجه بالشكر إلى كل
 من أسدى إليّ عوناً وسهلاً لي صعباً ، وأخص بالذكر المشرفين على هذه الرسالة
 الأستاذين الجليلين : فضيلة الشيخ محمد علي أبو الروس (عميد كلية أصول الدين
 بجامعة الأزهر) ، وفضيلة الشيخ محمد حسين الذهبي .

كما أخص بالذكر وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية في الأردن ، فقد أوفدتني إلى الأزهر الشريف على نفقتها ، وأتاحت لي فرصة التفرغ لاعداد هذه الرسالة .

والله أسأل أن يوفقني دائماً لخدمة كتابه الحكيم ، وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم ، إنه ولي التوفيق ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

القاهرة

١٣٨٨/١١/١٦ هـ - ١٩٦٩/٢/٣ م

رمزي نعناعة



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

وتشتمل على ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : في نشأة التفسير وتطوره .
- المبحث الثاني : في علاقة القرآن الكريم بالكتب السماوية الأخرى ومنزلته منها .
- المبحث الثالث : في بيان ما طرأ على التوراة والانجيل من تحريف وتبديل .

المبحث الأول

نشأة التفسير وتطوره

أولاً : التفسير في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد أصحابه :

أرسل الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم للعالمين بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. أرسله على حين فترة من الرسل ، خل فيها الناس

الطريق إلى الله ، وكانوا بأمر الحاجة إلى من يقودهم إلى سواء السبيل ، ويأخذ بأيديهم إلى مافيه خير الدنيا وسعادة الآخرة .

وكان محمد صلى الله عليه وسلم لهذه الإنسانية السادرة في غياها ، المتخطبة في ضلالها؛ الهادي الذي لا يضل ، والمنقذ الذي سلك بها طريق النجاة والفلاح ، ووصلها بالله رب العالمين . وكان القرآن الكريم الذي أيد الله به نبيه عليه الصلاة والسلام هو النور الذي بدد ظلمات الجهالة ، والدستور الذي رسم للإنسانية معالم حياة سعيدة ، بما اشتمل عليه من تشريعات سامية ، وتوجيهات حكيمة .

ولقد عرف المسلمون حق المعرفة قيمة القرآن الكريم ومبلغ مافيه من هداية ونور ، وأيقنوا أنه جبل الله المتين ، من تمسك به سلم ، ومن عمل به غنم ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم . عرف المسلمون هذا ، فاتخذوا القرآن الكريم إمامهم ، وكانت لهم به عناية بالغة ، تظهر بوضوح وجلالة في مبلغ اهتمامهم بحفظه وعنايتهم بتفهم معانيه وأسراره ، والوقوف على حكمه وأحكامه .

وفي القرآن معان يدق فهمها على بعض الناس ، وأحكام لا يدركها إلا من حباهم الله عقلاً ذكياً وقلباً واعياً .

والناس على اختلاف عصورهم متفاوتون في الفهم والإدراك ، فمن كان منهم ذا بصيرة نيرة وذهن لمّاح ، أمكنه أن يقف على كثير من الأمور التي يعجز عن إدراكها من حرموا سعة الفهم وقوة الإدراك .

وفي القرآن الكريم من المعاني والأسرار والحكم والأحكام مالا قبل لأحد بفهمه وإدراكه إلا بتوقيف من صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم .

وأمام هذا التفاوت في فهم معاني القرآن الكريم ، نستطيع أن نقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو المرجع الأول لفهم ما غمض على أصحابه من معاني القرآن الكريم ، فقد أنزله الله عليه ، وضمن له حفظه ، وتعهده له ببيانه ،

وذلك حيث يقول جل شأنه : (إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ . فَإِذَا قَرَأَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ . ثُمَّ إِنَّا عَلَيْنَا بَيَانَهُ)^(١) وهو في الوقت نفسه مكلف من قبل الله عز وجل ببيان ما يخفى على الناس من معانيه ، كما جاء ذلك صريحاً في قوله تعالى : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ كَثْرًا لِّتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)^(٢) وقوله تعالى : (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ)^(٣) .

فالسنة إذن تبين القرآن من ناحية عموميه وخصوصيه ، ومطلقه ومقيده ، وناسخه ومنسوخه ، ومنطوقه ومفهومه ، ومحكمه ومتشابهه ، وغير ذلك مما أفاض فيه علماء أصول الفقه .

ولقد أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم تفسيرات لبعض ما خفي من معاني القرآن الكريم على بعض أصحابه ، فمن ذلك مثلاً ما تضمنته الروايات التالية من تفسيرات :

أخرج الإمام أحمد والترمذي وغيرهما عن عدي بن حاتم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمْ هُمُ الْيَهُودُ ، وَإِنَّ الضَّالِّينَ هُمُ النَّصَارَى »^(٤) .

وأخرج الإمام أحمد والشيخان وغيرهم عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : لما نزلت هذه الآية (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ... الآية)^(٥) شق ذلك على الناس ، فقالوا : يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه ؟ قال : « إِنَّهُ لَيْسَ

(١) الآيات ١٧ ، ١٨ ، ١٩ من سورة القيامة .

(٢) من الآية ٤٤ من سورة النحل .

(٣) الآية ١٥١ من سورة البقرة .

(٤) الاتفاق للسيوطي (٢ - ١٩١)

(٥) من الآية ٨٢ من سورة الأنعام .

الذي تعنون ، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح : (إن الشرك لظلم عظيم) إنما هو الشرك »^(١) .

وفسر صلى الله عليه وسلم الحساب اليسير بالعرض ، فقد أخرج الامام أحمد والشيخان وغيرهم عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من نُوقِشَ الحسابُ مُعَذَّبٌ » قلت : أليس يقول الله (فسوف يُحَاسَبُ حساباً يسيراً) قال : « ليس ذلك بالحساب ، ولكن ذلك العرض »^(٢) .

وروي أنه لما نزل قوله تعالى : (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود الآية)^(٣) عمد عدي بن حاتم رضي الله عنه إلى عقال أبيض وآخر أسود ، ووضعها تحت الوسادة ، وأكل وشرب حتى ميز بينها على ضوء النهار ، وذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فبين له معنى الخيط الأبيض والخيط الأسود بقوله صلى الله عليه وسلم : « لابل هو سواد الليل وبياض النهار »^(٤) .

وغير هذا كثير مما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولقد كان الصحابة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أقدر الناس على فهم القرآن الكريم لأنه نزل بلغتهم ، ولأنهم شاهدوا الظروف والأحوال التي نزل فيها ، ومع هذا فقد كانوا - رضوان الله عليهم - متفاوتين في العلم بمعاني

(١) الاتقان (٢ - ١٩٣) .

(٢) المصدر السابق (٢ - ٢٠٣) .

(٣) من الآية ١٨٧ من سورة البقرة .

(٤) ونص الحديث كما رواه البخاري في باب التفسير (٦ - ٣١) : « أخذ عدي عقالاً أبيض وعقالاً أسود ، حتى كان بعض الليل ، نظر فلم يستبين ، فلما أصبح قال : يا رسول الله ، جعلت تحت وسادتي عقالين ، قال « إن وسادتك إذا لعريض ، إن كان الخيط الأبيض والأسود تحت وسادتك » . وفي رواية أخرى عنه قال : قلت يا رسول الله ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، أمها الخيطان ؟ قال : « إنك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين » ثم قال : « لا بل هو سواد الليل وبياض النهار » .

القرآن^(١) حتى لقد توقف بعضهم في فهم معاني غريب القرآن كما وقع ذلك من عمر رضي الله عنه : فقد روي أن عمر كان على المنبر فقرأ (أو يأخذهم على تخوف)^(٢) ثم سأل عن معنى (التخوف) ، فقال له رجل من هذيل : التخوف عندنا التقصص ، ثم أنشده :

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَأْمِيكاً قَرِداً كما تَخَوَّفَ عَوْدَ النِّبْعَةِ السَّفْنِ^(٣)

وأخرج أبو عبيد من طريق مجاهد عن ابن عباس قال : كنت لا أدري ما فاطر السموات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتهما ، يقول أنا ابتدأتهما^(٤).

فإذا كان عمر بن الخطاب يخفى عليه معنى التخوف وابن عباس - وهو ترجمان القرآن - لا يظهر له معنى فاطر إلا بعد سماعها من غيره ، فكيف شأن غيرهما من الصحابة؟^(٥)

ولقد دقت بعض إشارات القرآن الكريم على كثير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلحظها إلا عبد الله بن عباس وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، فقد روى البخاري من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكان بعضهم وجد في نفسه ، وقال : لم

(١) روى البخاري في صحيحه في باب فضل الجهاد والسير بسنده إلى أبي جحيفة رضي الله عنه أنه قال : قلت لعلي رضي الله عنه : هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله ؟ قال : لا والذي خلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن .

(٢) من الآية ٤٧ من سورة النحل .

(٣) الموافقات للشاطبي (٢ : ١٥٠) ط تونس سنة ١٣٠٢ هـ . والتامك : السنام ، والقرد : الذي تجعد شعره فكان كأنه وقاية للسنام ، والنبعة : شجر للقسي والسهام ، والسفن : كل ما ينحت به غيره .

(٤) الاتفاق (١ : ١١٣) .

(٥) انظر التفسير والمفسرون (١ : ٣٥) .

تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه من قد علمتم . فدعاه ذات يوم فأدخله معهم ، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريم ، قال : ماتقولون في قول الله تعالى (إذا جاء نصر الله والفتح) فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم ولم يقل شيئاً ، فقال لي : أ كذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا . قال فما تقول ؟ قلت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له ، قال : (إذا جاء نصر الله والفتح) وذلك علامة أجلك — فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً) فقال عمر : ما أعلم منها إلا ماتقول^(١).

ومن ذلك ما روي من أن الصحابة فرحوا حينما نزل قول الله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم ... الآية)^(٢) لظنهم أنها مجرد إخبار وبشرى بكمال الدين ، ولكن عمر بكى وقال : « ما بعد الكمال إلا التقصان » مستشعراً نعي النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وقد كان مصيباً في ذلك إذ لم يعيش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها إلا واحداً وثمانين يوماً^(٣).

وبما يشهد على أن الصحابة — رضوان الله عليهم — كانوا يتفاوتون في القدرة على فهم معاني القرآن الكريم قول مسروق : « لقد جالست أصحاب محمد ﷺ ، فوجدتهم كالإخاذا ، فالإخاذا يروي الرجل ، والإخاذا يروي الرجلين ، والإخاذا يروي العشرة ، والإخاذا يروي المائة ، والإخاذا لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم ، فوجدت عبد الله بن مسعود من ذلك الإخاذا »^(٤).

ثانياً : التفسير في عهد التابعين :

وفي عصر التابعين وجدنا جماعة كثيرة تصدر لتفسير كتاب الله تعالى ،

(١) صحيح البخاري — باب التفسير .

(٢) من الآية ٣ من سورة المائدة .

(٣) الموافقات للشاطبي (٣ : ٢٠٥)

(٤) طبقات ابن سعد (٢ : ٣٤٣) طبعة بيروت ، والإخاذا : مجتمع الماء .

وتشرح لمن تتلمذوا لهم ما يخفى عليهم من معانيه ، وأشهرهم : سعيد بن جبير المتوفى سنة ٩٥ هـ ، ومجاهد بن جبر المتوفى سنة ١٠٣ هـ ، وعكرمة مولى ابن عباس المتوفى سنة ١٠٥ هـ ، وطاووس بن كيسان اليافى المتوفى سنة ١٠٦ هـ ، وعطاء بن أبي رباح المتوفى سنة ١١٤ هـ ، وقد كانت هؤلاء أعلم الناس بالتفسير لأنهم أخذوه عن ترجمان القرآن ابن عباس - رضي الله عنها - بمكة .

ووجدنا أيضاً أصحاب ابن مسعود في الكوفة ، وأشهرهم : مسروق بن الأجدع الكوفي المتوفى سنة ٦٣ هـ ، والأسود بن يزيد المتوفى سنة ٧٥ هـ ، وعلقمة بن قيس المتوفى سنة ٦٣ هـ ، وعامر الشعبي المتوفى سنة ١٠٥ هـ ، وقتادة بن دعامة السدوسي البصري المتوفى سنة ١١٧ هـ ، وأبو سعيد الحسن البصري المتوفى سنة ١١٠ هـ .

وكذلك وجدنا بالمدينة زيد بن أسلم العدوي المدني المتوفى سنة ١٣٦ هـ ، وعنه أخذ ابنه عبد الرحمن بن زيد المتوفى سنة ١٨٢ هـ ، ومالك بن أنس المتوفى سنة ١٧٩ هـ ، وعبد الله بن وهب المتوفى سنة ١٩٧ هـ وغيرهم (١) .

قال ابن تيمية : وأما التفسير ، فأعلم الناس به أهل مكة ، لأنهم أصحاب ابن عباس . كمجاهد ، وعطاء بن أبي رباح ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وغيرهم من أصحاب ابن عباس : كطاووس ، وأبي الشعثاء ، وسعيد بن جبير ، وأمثالهم ، وكذلك أهل الكوفة أصحاب ابن مسعود ، ومن ذلك ما تميزوا به على غيرهم . وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم الذي أخذ عنه مالك التفسير ، وأخذ عنه أيضاً ابنه عبد الرحمن وعبد الله بن وهب (٢) .

وقد اعتمد المفسرون من التابعين في فهمهم لكتاب الله على ما جاء في الكتاب نفسه ، وعلى ما رووه عن الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى ما رووه

(١) أنظر تفسير المراهقي (١ : ٧ - ٨) وكشف الظنون لحاجي خليفة (١ : ٤٣٠) .

(٢) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ٢٣ - ٢٤ .

عن الصحابة من تفسيرهم أنفسهم ، وعلى ما أخذوه عن أهل الكتاب بما جاء في كتبهم ، وعلى ما يفتح الله به عليهم من طريق الاجتهاد والنظر في كتاب الله .

ويمتاز التفسير في عهد التابعين بمميزات تشير الطعن فيه وتوجه النقد إليه ، منها :

١ - خلط التفسير بالاسرائيليات ، وذلك لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الاسلام وكان لا يزال عالماً بأذهانهم من الأخبار مالا يتصل بالأحكام الشرعية ، كأخبار بدء الخليقة ، وأسرار الوجود ، وبدء الكائنات ، وكثير من القصص ، وكانت النفوس ميالة إلى سماع التفاصيل عما يشير إليه القرآن من أحداث يهودية أو نصرانية؛ فتساهل التابعون ، فزجوا في التفسير بكثير من الاسرائيليات بدون تحرير ونقد .

وأكثر من روي عنه في ذلك من مسلمي أهل الكتاب كعبد الأحمبار ووهب بن منبه . ولا شك أن الرجوع إلى هذه الاسرائيليات أمر مأخوذ على التابعين كما هو مأخوذ على من جاء بعدهم .

٢ - ومنها أنه تطرق إليه الوضع ، فالعباسيون نسبوا إلى ابن عباس ما لم يصح عنه ، وشيعة علي كذلك نسبوا إليه ما لم يقله ... وهكذا .

٣ - ومنها ظهور نواة الخلاف المذهبي وكثرة الخلاف بين التابعين في التفسير عما كان بين الصحابة رضوان الله عليهم ، وإن كان اختلافاً قليلاً بالنسبة لما وقع بعد ذلك من متأخري المفسرين^(١) .

ثالثاً : التفسير في عصور التدوين :

وتبدأ هذه المرحلة من نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني ، وفيها خطا التفسير خطوات متعددة ، لكل منها سماتها ومميزاتها :

(١) مناهل العرفان للزرقاني (١ : ٤٩٠) ، وانظر التفسير والمفسرون (١ : ١٣٠ - ١٣١) .

فأول خطوة بدأت كانت مع ابتداء التدوين لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت أبواب الحديث متنوعة، وكان التفسير باباً من هذه الأبواب ، ولم يفرد له تأليف خاص يفسر القرآن سورة سورة ، وآية آية ، بل وجد من العلماء من طوّف في الأمصار المختلفة ليجمع الحديث ، فجمع بجزائر ذلك ما روي في الأمصار من تفسير منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى الصحابة ، أو إلى التابعين . ومن هؤلاء : يزيد بن هارون السلمي المتوفى سنة ٢٠٦ هـ ، وشعبة بن الحجاج المتوفى سنة ١٦٠ هـ ، وسفيان بن عيينة المتوفى سنة ١٩٨ هـ ... وهؤلاء جميعاً كانوا من أئمة الحديث ، وكان جمعهم للتفسير جمعاً لباب من أبواب الحديث ، ولم يكن جمعاً للتفسير على أنه علم مستقل قائم بذاته .

ثم جاءت الخطوة الثانية ، وفيها انفصل التفسير عن الحديث وأصبح علماً قائماً بنفسه ، فوضع التفسير لكل آية من القرآن ورتب ذلك على حسب ترتيب المصحف ، وتم هذا العمل على أيدي جماعة من العلماء منهم : ابن ماجه المتوفى سنة ٢٧٣ هـ ، وابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ ، وابن أبي حاتم المتوفى سنة ٣٢٧ هـ .

وكل هذه التفاسير مروية بالإسناد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وليس فيها شيء من التفسير أكثر من التفسير المأثور ، اللهم إلا تفسير ابن جرير الطبري فإنه ذكر فيه الأقوال ، ثم وجهها ، ورجع بعضها على بعض ، وزاد على ذلك الأعراب إن دعت إليه الحاجة ، واستنبط بعض الأحكام التي يمكن أن تؤخذ من النص القرآني .

ثم جاءت الخطوة الثالثة ، وفيها لم يخرج التفسير عن حدود التفسير بالمأثور ، ولكنه خرج عن طابعه المألوف من قبل ، وهو تدوين المأثورات بأسانيد ، فوجدنا من العلماء من اختصروا الأسانيد ، ونقلوا الأقوال المأثورة عن المفسرين من أسلافهم دون أن يسندوها لقائلها ، فدخل الوضع في التفسير ، والتبس

الصحيح بالعليل ، وكان هذا مبدءاً ظهور الوضع في التفسير وتطرق الروايات الاسرائيلية إليه .

ثم جاءت الخطوة الرابعة ، وهي أوسع الخطأ وأفسحها .. امتدت من العصر العباسي إلى يومنا الحاضر .. فبعد أن كان التفسير مقصوراً على رواية ما نقل عن سلف هذه الأمة ، وجدناه يتجاوز بهذه الخطوة إلى تدوين تفاسير اختلط فيها الفهم العقلي بالتفسير النقلي ، وكان ذلك على تدرج ملحوظ ، (فقد بدأ أولاً على هيئة محاولات فهم شخصي وترجيح لبعض الأقوال على بعض ، وكان هذا أمراً مقبولاً ما دام يرجع الجانب العقلي منه إلى حدود اللغة ودلالة الكلمات المتبعين القرآنية) .. ثم ظلت محاولات هذا الفهم الشخصي تزداد وتتضخم متأثرة بالمعارف المختلفة ، والعلوم المتنوعة ، والآراء المتشعبة ، والعقائد المتباينة ، حتى وجد من كتب التفسير ما يجمع أشياء كثيرة لا تكاد تتصل بالتفسير إلا عن بعد عظيم .

دونت علوم اللغة ، ودون النحو والصرف ، وترجمت كتب كثيرة من كتب الفلاسفة ، وتشعبت مذاهب الخلاف الفقهي والعقدي ودون فيها من الكتب ما شاء الله أن يدون ، وظهر التعصب المذهبي قائماً على قدمه وساقه في العصر العباسي ، وقامت الفرق الاسلامية بنشر مذاهبها والدعوة لها ، وكان من نتيجة ذلك كله أن امتزجت كل هذه العلوم وما يتعلق بها من أبحاث بالتفسير حتى طغت عليه ، وغلب الجانب العقلي على الجانب النقلي وصار أظهر شيء في هذه الكتب هو الناحية العقلية ، وإن كانت لا تخلو مع ذلك من منقول متصل بأسباب النزول أو بغير ذلك من المأثور ، كما كان من نتيجته - أيضاً - تحكم المعتقدات المذهبية في عبارات القرآن تحكما كثيراً ما يخرج بالنص القرآني عن معناه المراد ... وأخيراً وجدنا كل من برع في فن من الفنون يغلب على تفسيره - بصورة واضحة - فنه الذي برع فيه . فالنحوي أكبر همه الاعراب وسرد مسائل النحو وفروعه ، كآبي حيان في تفسيره (البحر المحيط) وصاحب العلوم العقلية ، جل عنايته بأقوال الحكماء والفلاسفة وذكر شبههم والرد عليها ، كالنحوي

الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب) . والفقيه مبلغ همه واهتمامه مسائل الفقه وتقرعاتها وذكر أدلتها ، كالجصاص ، وأبي بكر بن العربي . وصاحب التاريخ يكثر من ذكر القصص وأخبار من سلف ، وكثيراً ما يخلط الصحيح منها بالأساطير والخرافات كما في تفسير الثعلبي والحازن . وأصحاب المذاهب الدينية والمواجد الصوفية ركزوا في تفاسيرهم على ما يهمهم من تأييد المذهب أو لمحات التصوف . وهكذا فسر كل صاحب فن أو مذهب بما يتناسب مع فنه أو يشهد لمذهبه .

وقد استمرت هذه النزعة العلمية العقلية وراجت في بعض العصور رواجاً عظيماً ، كما راجت في عصرنا الحاضر تفسيرات يريد أهلها من ورائها ، أن يحتملوا آيات القرآن كل العلوم ما ظهر منها وما لم يظهر ، كأن هذا - فيما يبدو - وجه من وجوه إعجاز القرآن وصلاحيته لأن يتمشى مع الزمن ، وفي الحق إن هذا غاو منهم وإسراف يخرج القرآن عن مقصده الذي نزل من أجله ويحيد به عن هدفه الذي يرمي إليه ^(١) .

وخلاصة القول : ما إن انقضى عصر الصحابة والتابعين حتى ابتدأت تمييز مناهج مختلفة في تناول المعنى القرآني : منها ما يرجع إلى الجانب العقلي ، ومنها ما يرجع إلى الجانب العقلي ، واتخذت هذه المناهج والاتجاهات سبيلها في تدرج ظاهر وتطور ملحوظ على مدى تاريخ التفسير للقرآن الكريم .

وندع الكلام عن هذه المناهج والاتجاهات مخافة التطويل ونقص حديثنا فيما يلي على منهج التفسير بالمأثور وما تطرق إليه من عوامل الضعف ، وذلك لصلته بموضوع هذه الرسالة .

منهج التفسير بالمأثور :

ونعني بالتفسير بالمأثور : ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة أو

(١) التفسير والمفسرون (١ : ١٤٠ - ١٤٨)

التابعين بياناً لمراد الله تعالى من كتابه^(١) ، ويعتبر منهج التفسير بالمأثور من أقدم المناهج التفسيرية ، ويمثله (جامع البيان) لمحمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ ، فتفسيره هذا يعتبر من ناحية ذروة التفسير بالمأثور؛ كما يعتبر من ناحية أخرى نقطة البدء وحجر الأساس لمنهج التفسير بالرأي ، إذ أنه يضم بين جوانحه بذور الاتجاهات التي أدت إلى التفسير الزائد على مجرد الرواية والتي فتحت الباب لإعمال الرأي وبدء المرحلة الثانية في تطور التفسير .

وبجانب تفسير الطبري وجدنا تفاسير تمثل هذا المنهج ، نذكر منها - على اختلاف عصورها - تفسير سفيان الثوري المتوفى سنة ١٦١ هـ وقد طبع أخيراً في الهند ، وتفسير عبد الرزاق بن همام الصنعائي المتوفى سنة ٢١١ هـ ومنه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية وهي نسخة وحيدة في العالم ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ ، والدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ ، وكلاهما مطبوع ومتداول بين أهل العلم .

ضعف الرواية بالمأثور وأسبابه :

علمنا أن الرواية بالمأثور تتناول ما كان تفسيراً للقرآن بالقرآن ، وما كان تفسيراً للقرآن بالسنة ، وما كان تفسيراً للقرآن بالموقوف على الصحابة أو التابعين . أما تفسير القرآن بالقرآن فلا خلاف في وجاهته وقبوله ، وأما تفسير القرآن بما يعزى إلى الصحابة أو التابعين ، فذلك ينظر فيه ، فما صح منه قبلناه ، وما لم يصح رفضناه ولا نلتفت إليه . ولقد وجدنا الكثير مما يروى في التفسير منسوباً إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى بعض الصحابة أو التابعين يعتريه الضعف ويتطرق إليه الفساد من وجوه :

أولها : مادسته أعداء الاسلام مثل زنادقة اليهود والفرس ، فقد أرادوا

(١) ويرى بعض العلماء أن ما كان من التفسير موقوفاً على التابعين لا يعد من قبيل التفسير بالمأثور .

هدم هذا الدين المتين عن طريق الدس والوضع حينما أعيتهم الحيل في النيل منه عن طريق الحرب والقوة ، وعن طريق الدليل والحجة .

ثانيهما : مالفقه أصحاب المذاهب المتطرفة ، ترويحاً لمذاهبهم كشيعية علي ابن أبي طالب المتطرفين الذين نسبوا إليه ما هو بريء منه ، وكالمترلفين الذين حطبوا في حبل العباسيين فنسبوا إلى ابن عباس ما لم تصح نسبته إليه تملقاً لهم واستدراجاً لدينامهم .

ثالثهما : حذف الاسناد ، فقد نقل الكثير من الأقوال في التفسير معزواً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى الصحابة والتابعين من غير إسناد ؛ بما أدى إلى اختلاط الصحيح بالعليل والتباس الحق بالباطل .

رابعهما : الأخذ عن أهل الكتاب وقد أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن نتوقف فيما يروونه وسكت عنه شرعنا ، فلا نصدقهم لاحتمال كونه كذباً ، ولا نكذبهم لاحتمال كونه صدقاً كما جاء ذلك صريحاً في قوله عليه الصلاة والسلام : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا (آمنا بالله وما أنزل إلينا) الآية »^(١).

ولكن على الرغم من هذا التحذير نجد كثيراً من المفسرين - على مدى مراحل التفسير المختلفة - ينقلون ويتقبلون عن أهل الكتاب ما حدثوا به على ما في أكثر هذه الأخبار من مناكير لا يقبلها العقل ولا يقرها النقل الصحيح ، وذلك على اختلاف بينهم في دوافع هذا النقل ، ومدى تقبلهم وتصديقهم لما ينقلون كما سنوضح ذلك فيما بعد .

(١) أورده البخاري في صحيحه في باب التفسير عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا (آمنا بالله وما أنزل إلينا) الآية - صحيح البخاري (٦ : ٢٥) ط مطابع الشعب .

ولما كانت أهم الدوافع للرواية عن أهل الكتاب هي الرغبة في معرفة ما طواه القرآن من جزئيات الحوادث التي عرض لها ، وجاء عرضها بتفصيل أكثر في التوراة أو الانجيل . نرى أن نعرض لعلاقة القرآن الكريم بالكتب السماوية ومنزلته منها ؛ وهذا ما سنبينه في المبحث التالي .



المبحث الثاني

علاقته لقرآن الكريم بالكتب السماوية الأخرى ومنزلة منها

إذا أخذنا كلمة الاسلام بمفهومها القرآني ، نجدها لا تدع مجالاً لهذا السؤال : ما هي العلاقة بين الاسلام وسائر الأديان السماوية ؟ فالاسلام في لغة القرآن ليس اسماً لدين خاص ، وإنما هو اسم للدين المشترك الذي هتف به كل الأنبياء ، وانتسب إليه كل أتباعهم . فإننا - كما يقص علينا القرآن الكريم - نرى نوحاً عليه السلام يقول لقومه : « وأمرت أن أكون من المسلمين »^(١) . ويعقوب يوصي بنيهِ : « فلا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون »^(٢) وأبناء يعقوب يجيبون أباهم : « نعبدُ إلهك وإله آبائِكَ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحقَ إلهاً واحداً ونحنُ له مسلمون »^(٣) وموسى عليه السلام يقول لقومه : « يا قوم إن كنتم آمنتم باللهِ فعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مسلمين »^(٤) والحواريون يقولون لعيسى عليه السلام : « آمَنَّا باللهِ واشهدْ بأننا مسلمون »^(٥) .

بل إن فريقاً من أهل الكتاب حين سمعوا القرآن قالوا : « آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مسلمين »^(٦) .

-
- (١) من الآية ٧٢ من سورة يونس .
 - (٢) من الآية ١٣٢ من سورة البقرة .
 - (٣) من الآية ١٣٣ من سورة البقرة .
 - (٤) من الآية ٨٤ من سورة يونس .
 - (٥) من الآية ٥٢ من سورة آل عمران .
 - (٦) من الآية ٥٣ من سورة القصص .

وبالجملة نرى اسم الاسلام شعاراً عاماً يدور في القرآن على السنة الأنبياء وأتباعهم منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصر النبوة المحمدية ، ثم نرى القرآن يجمع هذه القضايا كلها في قضية واحدة يوجهها إلى قوم محمد صلى الله عليه وسلم ، ويبين لهم فيها أنه لم يشرع لهم ديناً جديداً ، وإنما هو دين الأنبياء الذين سبقوا محمداً عليه الصلاة والسلام « شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ »^(١) .

فالقرآن على وفاق مع الكتب السماوية الأخرى في الدعوة إلى التوحيد وأصول الأخلاق والآداب وما يتعلق بصالح البشرية .

ونظراً لهذه الصلة التي بين القرآن الكريم وغيره من الكتب السماوية ، ولما طرأ على ما وصل إلينا منها - غير القرآن - من التحريف والتبديل ، نرى أن نتكلم أولاً عن علاقة القرآن الكريم بالكتب السماوية السابقة وهي على حالتها الأولى لم تبعد عن منبعها ولم يتغير فيها شيء بفعل الزمان ولا بيد الانسان ، ثم عن علاقته بها وهي على حالتها الثانية، بعد أن طال عليها الأمد، وطرأ عليها ما طرأ من تبديل وتحريف، فنقول وبالله التوفيق .

١ - علاقة القرآن بالكتب السماوية السابقة وهي على حالتها الأولى :

يخبرنا القرآن الكريم أن كل رسول أرسل وكل كتاب أنزل قد جاء مصداقاً ومؤكداً لما قبله : فالانجيل مصدق ومؤيد للتوراة ، والقرآن مصدق ومؤيد للانجيل والتوراة ولكل ما بين يديه من الكتب ، « وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ »^(٢) .

(١) من الآية ١٣ من سورة الشورى .

(٢) الآية ٤٦ من سورة المائدة .

« وهذا كتاب أنزلناه مبارك مُصَدَّقٌ الذي بين يديه ... الآية »^(١)
« والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مُصَدَّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ... الآية »^(٢) .

« ... فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدَّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ... الآية »^(٣) .

« ... إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدَّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ... الآية »^(٤) .

وقد يرد هنا سؤال يحق لسائل أن يسأله : أليست قضية هذا التصادق الكلي بين الكتب السماوية أن تكون الكتب المتأخرة إنما هي تجديد للمتقدمة وتذكير بها فلا تبدل فيها معنى ولا تغير حكماً ، وإلا فكيف يقال إنها تصدق ، بينما هي تبدل أو تعدل ؟

أو إذا كان من قضية التصادق الكلي بين الكتب ألا يغير التأخر منها شيئاً من المتقدم . فهل ذلك هو الواقع ؟ .

والجواب ليس ذلك هو الواقع ؛ فهناك أصول العقيدة ، وهذه تتفق عليها جميع الكتب السماوية ، وتدعو إليها - على سواء - جميع الرسالات من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم النبيين والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، مصداق هذا قول الله تعالى « شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ »^(٥) .

(١) من الآية ٩٢ من سورة الأنعام .

(٢) من الآية ٣١ من سورة فاطر .

(٣) من الآية ٩٧ من سورة البقرة .

(٤) من الآية ٣٠ من سورة الاحقاف .

(٥) من الآية ١٣ من سورة الشورى .

أما جانب الأحكام والتشريعات العملية ، فهو الجانب الذي يطراً عليه التبدل أو التعديل ، فالانجيل مثلاً جاء بتعديل بعض أحكام التوراة ، إذ أعلن عيسى عليه السلام أنه جاء ليُحِلَّ لبني إسرائيل بعض الذي حُرِّم عليهم « ومُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَأَحْلَلْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ... الْآيَةُ »^(١).

والقرآن - باعتباره آخر الكتب السماوية - جاء يؤكد الجانب العقدي في الكتب السابقة ، ويقرر أو يبدل أو يعدل الجانب التشريعي والعملي فيها ، يشهد لذلك قوله تعالى « وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمِناً عَلَيْهِ ... الْآيَةُ »^(٢)، وقوله « .. الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ »^(٣).

هكذا كانت الشرائع السماوية خطوات متصاعدة ، ولبنات متراكبة في بنيان الدين والأخلاق وسياسة المجتمع ، وكانت مهمة اللبنة الأخيرة منها ، أنها أكملت البنيان وملأت ما كان فيه من فراغ ، وأنها في الوقت نفسه كانت بمثابة حجر الزاوية الذي يمسك أركان البناء ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صور الرسالات السماوية في جملتها أحسن تصوير بقوله « إِنْ مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتاً فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ : هَلَّا وَضَعْتَ هَذِهِ اللَّبْنَةَ . قَالَ : فَأَنَا اللَّبْنَةُ ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ »^(٤).

(١) من الآية ٥٠ من سورة آل عمران .

(٢) من الآية ٤٨ من سورة المائدة .

(٣) من الآية ١٥٧ من سورة الأعراف .

(٤) رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري - كتاب بدء الخلق - باب خاتم

النبيين (٤ : ٢٢٥ - ٢٢٦) .

٢ - علاقة القرآن الكريم بالكتب السماوية السابقة وهي على حالتها الثانية حالة التبديل والتحريف .

عرفنا أن القرآن الكريم أعلن عن نفسه أنه جاء مصداقاً لما بين يديه من الكتاب - يعني جنس الكتب السماوية - ثم أضاف إلى هذه الصفة صفة أخرى، إذ أعلن أنه جاء أيضاً مُهِمِّناً على تلك الكتب بقوله « ومهِمناً عليه » أي حارساً أميناً عليها ، ومن قضية الحراسة الأمانة ألا يكفي بتأييد ما خلّده التاريخ فيها من حق وخير ، بل عليه فوق ذلك أن يحمّيها من الدخيل الذي عساه أن يضاف إليها ، وأن يبرز ما تمس إليه الحاجة من الحقائق التي عساها أن تكون قد أخفيت منها .

وهكذا كانت مهمة القرآن الكريم أن ينفي عنها الزوائد وأن يتحدّى من يدعي وجودها في تلك الكتب « قُلْ قَاتِلُوا بِالْتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنَّكُمْ صَادِقِينَ »^(١) كما كانت مهمته أن يبين ما ينبغي تبيانها بما كتّمه منها « يا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ »^(٢) . فهيمنة القرآن على ما سبقه من الكتب السماوية ، هيمنة عامة ، ورقابته رقابة تامة ، تشمل جانب العقيدة منها وجانب الشريعة أيضاً .

قال العلامة أبو السعود في تفسيره المسمى « إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم » مانصه : « ومهِمناً عليه : أي رقيباً على سائر الكتب المحفوظة من التغيير ، لأنه يشهد لها بالصحة والثبات ، ويقرر أصول شرائعها وما يتأبّد من فروعها ، ويعيّن أحكامها المنسوخة ببيان انتهاء مشروعيتها الاستفادة من تلك الكتب وانقضاء وقت العمل بها ، ولا ريب في أن تمييز أحكامها الباقية على

(١) من الآية ٩٣ من سورة آل عمران .

(٢) من الآية ١٥ من سورة المائدة .

المشروعية أبداً عما انتهى وقت مشروعيته وخرج عنها ، من أحكام كونه
مهيئاً عليه « (١) .

وجملة القول : إن علاقة القرآن الكريم بالكتب السماوية السابقة في حالتها
الأولى ، هي علاقة تصديق وتأيد كلي ، وإن علاقته بها في حالتها الثانية : علاقة
تصديق لما بقي منها على أصله وتصحيح لما طرأ عليها من تحريف وتبديل .

وبما أن التوراة والانجيل هما الكتابان الباقيان إلى يومنا هذا ، وظاهرة
التحريف والتبديل فيها واضحة جلية ، وهما في الوقت ذاته أهم المصادر التي
يستقى منها القصص الاسرائيلي في تفسير القرآن الكريم ، نرى أن نعرض بشيء
من التفصيل لظاهرة التحريف والتبديل فيها ، وذلك ما نعرض له في المبحث التالي.



(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود (٢ : ٣٣)
المطبعة المصرية .

المبحث الثالث

بيان ما طرأ على التوراة والإنجيل من تحريف وتبديل

ولناخذ أولاً التوراة ، وهنا نتناول هذه الأمور بالبحث .

- أ - تعريفها
- ب - محتوياتها
- ج - تأليفها
- د - مصادرها
- هـ - تحريفها .

أ - تعريف التوراة :

التوراة كلمة عبرانية ، ومعناها : الشريعة أو الناموس ، وهي في عرف القرآن: ما أنزله الله تعالى من الوحي على موسى عليه الصلاة والسلام^(١)، وفي عرف اليهود : مجموعة الأسفار الخمسة المنزلة على موسى عليه الصلاة والسلام .

وتطلق التوراة أحياناً على جميع أسفار العهد القديم ، وذلك من باب التغليب لأهمية التوراة ونسبتها إلى موسى عليه السلام .

وقد اعتمد اليهود تسعة وثلاثين سيفراً أطلق عليها اسم العهد القديم للتفرقة بينها وبين ما اعتمدته النصارى من أسفارهم (أناجيلهم) التي أطلقوا عليها اسم العهد الجديد .

(١) تفسير المنار (٣ : ١٥٥ - ١٥٦)

وجرت العادة أن يطلق على أسفار العهد القديم وأسفار العهد الجديد اسم الكتاب المقدس .

والعهد القديم يشتمل على كتب اليهود الإلهية، ويقسمونه إلى أربعة أقسام:

القسم الأول : التوراة أو « كتب موسى » أو « الأسفار الخمسة » .

القسم الثاني : الأسفار التاريخية^(١) .

القسم الثالث : أسفار الأناشيد^(٢) .

القسم الرابع : أسفار الأنبياء^(٣) .

(١) وهي اثنا عشر سفرًا ، تعرض لتاريخ بني إسرائيل بعد استيلائهم على أرض الكنعانيين وبعد استقرارهم في فلسطين ، وتفسر تاريخ قضائهم وملوكهم والحوادث البارزة في شؤونهم ، وهي أسفار يوشع ، والقضاة ، وراعوث ، وصموئيل ، والملوك ، وأخبار الأيام ، وعزرا ، ونحميا ، وأستير .

(٢) وهي عبارة عن أناشيد ومواعظ مؤلفة تأليفاً شعرياً وعددها خمسة أسفار ، وهي : سفر أيوب ، ومزامير داود ، وأمثال سليمان ، والجامع من كلام سليمان ، ونشيد الانشاد .

(٣) وعددها سبعة عشر سفرًا :

يعرض كل منها لتاريخ نبي من أنبياء بني إسرائيل الذين أرسلوا إليهم بعد موسى وهارون ، وهذه الأسفار هي :

أشعيا ، وأرميا ، ومراثي أرميا ، وحزقيال ، ودانيال ، وهوشع ، ويوئيل ، وعاموس ، وعوبديا ، ويونس (يونان) ، وميخا ، وناحوم ، وحبقوق ، وصفنيا ، وحجي ، وزكريا ، وملاخي .

هذا ولليهود عدا هذه الأسفار كتاب يسمونه « التلمود » ومعناها « التعاليم » وهو عبارة عن روايات شفوية تناقلها الحاخامات عن موسى عليه السلام من جيل إلى جيل وقد جمعوها في كتاب سموه (المشنا) وبعد ذلك أدخل حاخامات فلسطين وبابل عليها كثيرًا من الزيادات والشروح والحواشي وسميت هذه الزيادات باسم (جمارا) =

= ومن المشنا والجمارا يتكون التلمود ، ويقسم إلى قسمين :
فلسطيني وبابلي .

ويعتبر أكثر اليهود التلمود كتاباً منزلاً ، ويضعونه بمنزلة التوراة ، وبعضهم يضعه بمنزلة أسى من منزلة التوراة .

ومن محتويات هذا التلمود الذي تحدثنا عنه مايلي :

أولاً - يروي التلمود أن الله ندم لما أنزله باليهود وبالهيكل فقد جاء فيه مانصه :

« تبا لي لأني صرحت بخراب بيتي وإحراق الهيكل ونهب أولادي » .

وليست العصمة من صفات الله في رأي التلمود « لأنه غضب مرة على بني اسرائيل فحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية ولكنه ندم على ذلك بعد أن هدأ غضبه ولم ينفذ قسمه ، لأنه عرف أنه فعل فعلاً ضد العدالة » .

ويرى التلمود : أن النهار اثنتا عشرة ساعة ، في الثلاث الأولى منها يجلس الله ويطلع الشريعة ، وفي الثلاث الثانية يحكم ، وفي الثلاث الثالثة يطعم العالم ، وفي الثلاث الأخيرة يجلس ويلعب مع الخوت ملك الأسماك .

ثانياً - تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله ، كما أن الابن جزء من أبيه . والاسرائيلي أيأ كان معتبر عند الله أفضل من الملائكة . فإذا ضرب أممي إسرائيلياً فكأنما ضرب العزة الإلهية .

والفرق بين درجة الانسان والحيوان هو بقدر الفرق بين اليهود وغير اليهود ، وللإهودي في الأعياد أن يطعم الكلب وليس له أن يطعم غير اليهود . والشعب المختار من اليهود فقط ، أما باقي الشعوب فهم حيوانات .

ثالثاً - ومن إسرائيليات التلمود في خلق آدم وحواء : أن الله تعالى أخذ تراباً من جميع بقاع الأرض وكونه كتلة وخلقها جسماً ذا وجهين ، ثم شطوه نصفين ، فصار أحدهما آدم والثاني حواء ، وكان آدم طويلاً جداً فكانت رجلاه في الأرض ورأسه في السماء ، وإذا نام كانت رأسه في المشرق ورجلاه في المغرب ، وصنع الله لآدم طاقة يرى منها الدنيا من أولها إلى آخرها ، فلما عصى آدم نقص طولهُ حتى صار كباقي الناس .

= ومن أكاذيب التلمود أيضاً :

ب - محتويات التوراة :

عرفنا بما تقدم أن التوراة هي كتاب موسى أو الأسفار الخمسة وهي :

- ١ - سفر التكوين .
- ٢ - سفر الخروج .
- ٣ - سفر التثنية .
- ٤ - سفر اللاويين .
- ٥ - سفر العدد .

أما سفر التكوين : فقد سمي بذلك لاشتراكه على قصة خلق العالم ، فهو يقص تاريخ العالم من تكوين السموات والأرض إلى استقرار أولاد يعقوب عليه السلام في أرض مصر ، مع تفصيل قصص آدم وحواء ونوح ... الخ .

= أن الملك عوج بن عنق الذي ذكر اسمه في التوراة قد نجا من الغرق في زمان الطوفان لأنه سار بجانب سفينة نوح وكان هذا الملك يتغذى بالفيثور ومثلها من الطيور ويشرب ألف صاع من الماء تقريباً .

وذكروا في التلمود :

أن أحد حاخاماتهم وجد مرة ساق ميت فسار بجوارها ثلاث ساعات ولم ينته إلى آخرها ، وكانت هذه عظمة ساق الملك عوج بن عنق ، وما يحكى عن الملك عوج : أنه خلع منه ضرس فاتخذة إبراهيم سريراً ينام عليه ... الخ

رابعاً - وينص التلمود :

على أنه من العدل أن يقتل اليهودي كل أممي لأنه بذلك يقرب قربانا إلى الله .

ويبيح التلمود لليهودي أن يستعمل الربا مع غير اليهود ، والغش والكذب والسرقة ، لأنهم يعتبرون أن الأموال كلها ملك لله وبما أن اليهود أجزاء من الله فإن اليهود يعتبرون مالكين لكل ما في الأرض من ثراء بالنيابة عن الله ... الخ - انظر الكنز المرصود في قواعد التلمود ، للدكتور روهلنيج ، ترجمة الدكتور يوسف نصر الله ص ٢٩ - ٣٠ ، ٣٢ - ٣٣ ، ٣٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، والتلمود شريعة إسرائيل ص ٤ - ٦ - ١١ وما بعدها ومهجية التعاليم الصهيونية للأستاذ بولس حنا سعد ص ١٦ ، ٢٤ ، ٢٥ ومقارنة الأدیان (اليهودية) للدكتور أحمد شلبي ص ٢٤٣ - ٢٤٨ و (من التلمود) ص ٢٥ وما بعدها .

وأما سفر الخروج : فقد سمي بذلك لتناوله خروج بني إسرائيل من مصر وتاريخهم في أثناء مرحلة « التيه » التي قضاها في صحراء سيناء واستغرقت أربعين عاماً . وهي التي يشير إليها القرآن الكريم إذ يقول : « قال فإنها مُحَرَّمَةٌ عليهم أربعين سنةً يَتِيمُونَ فِي الْأَرْضِ »^(١) . وبجانب هذا يشتمل سفر الخروج أيضاً على طائفة من أحكام الشريعة اليهودية في العبادات والمعاملات والعقوبات وما إلى ذلك .

وأما سفر التثنية : أو تثنية الشريعة - أي إعادتها مرة ثانية - فقد سمي بذلك لأنه يعيد ذكر التعاليم التي تلقاها موسى عن ربه وأمر بتدوينها لبني إسرائيل والتي ورد ذكرها في سفر الخروج ولكنه يعرضها عرضاً جديداً .

وأما سفر اللاويين : نسبة إلى أسرة تنتمي إلى لاوي أو لفي أحد أبناء يعقوب عليه السلام ومنهم موسى وهارون ، ونسب هذا السفر إليهم لأنهم سَدَنَةُ الهيكل وحَفَظَةُ الشريعة ، ومعظمه يدور حول ما يشرفون عليه من عبادات ومعاملات كما يتناول الطقوس الدينية الخاصة بتقديم القرابين عن هارون وأبنائه .

وأما سفر العدد : فمعظمه يدور حول تقسيم بني إسرائيل وبيان تعداد أسباطهم ، وجيوشهم وأموالهم ، وذكورهم ، وإناثهم ، وبجانب هذا فيه بعض الأحكام التي تتعلق بالعبادات والمعاملات .

ج - تأليف التوراة :

يزعم اليهود أن التوراة التي بأيديهم اليوم هي التوراة الحقيقية التي أنزلها الله على موسى عليه السلام ، وربما زعموا خداعاً وتقميماً : أنها التي نوه عنها القرآن الكريم بقوله : « إنا أنزلنا التوراة فيها هُدىً ونورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا الَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ... الآية »^(٢) .

(١) من الآية ٢٦ من سورة المائدة .

(٢) من الآية ٤٤ من سورة المائدة .

والحق أن ما بأيدي اليهود وغيرهم مما يزعمون أنه التوراة ليس هو الكتاب السماوي الذي أنزل الله على موسى ، فمن يقرأ التوراة المتداولة اليوم يجد ثلاثة أرباعها حروباً ، ومعارك دامية ، وسفك دماء ، ومجازر رهيبة من حرق وإبادة وتمثيل وقتل بالفؤوس ونشر للخصوم بالمناشير ، وهتك للأعراض وغير ذلك مما يتعرض له خصومهم الغرباء ، وكذا ما يتعرض له اليهود أنفسهم في حروب الإبادة التي وقعت بينهم . أما الربع الأخير منها ، فنصفه مجون واستهتار وغزل وتحدث بالزنى والدعارة ، ووصف لجسد المرأة والرجل ، وقصص أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة عن الزنى بالمحارم ودور الأنبياء ورجالهم المقربين في ذلك ؛ مما تنتزه الكتب السماوية الصحيحة عن ذكر شيء منه وتدفع قارئ التوراة إلى الحكم عليها بالوضع والتحريف والتبديل .

والتوراة المتداولة ليس لها سند متصل إلى موسى عليه السلام^(١) وتكاد

(١) عدم وجود سند متصل بتلك الكتب يستوي فيه اليهود والنصارى: أما بالنسبة إلى التوراة فقد صرحت كتبهم بما يدل على قطع السند إذ أن موسى عليه السلام كتب التوراة - كما يقولون - وسلمها لأحبار اليهود وأوصام بوضعها في صندوق الشهادة وأمرهم ألا يخرجوها إلا كل سبع سنين في يوم العيد ، فكانت الطبقة الأولى على وصيته ، ثم حدثت الانقلابات التي سبقت عهد داود والتي كانت سبباً في ضياع التوراة؛ إذ حين فتح سليمان الصندوق لم يجد فيه سوى اللوحين اللذين كان يوجد فيها الوصايا العشرة فقط . - انظر الملوك الأول : ٨ - ٩ - ثم وقعت عدة حوادث لليهود ارتد فيها بعض ملوكهم ونهب بيت المقدس مرتين ، ثم جاءت حوادث بختنصر الذي هدم بيت المقدس وأعدم جميع كتب العهد القديم ، ثم جاء « عزرا » بعد فقدان تلك الكتب وكتب نسخة للتوراة ، وبعده جاء أحد ملوك الفرنجة المدعو « انيتوكس » واستولى على أورشليم وأمر بقتل كل من يؤدي شرائع الدين اليهودي أو يوجد عنده نسخة من كتب العهد القديم ، وقد أعدمت في تلك الحادثة جميع الكتب التي كتبها « عزرا » (انظر اظهار الحق ١ : ١٨٨ - ١٩١) وكانت تلك الحادثة قبل مجيء المسيح بمائة وإحدى وستين سنة .

وأما بالنسبة إلى أناجيل النصارى فقد سئل بعض القسس من النصارى - وكان في محفل المناظرة - عن سنده متصل فاعتذر بأن سبب فقدان السند عندهم ما وقع من المصائب والفتن على المسيحيين مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة . انظر اظهار الحق (١ : ٣٣) =

تكون خالية من أي خبر يشتم منه أنها هي التوراة التي أنزلت عليه ؛ بل على العكس من ذلك فإن فيها أدلة عديدة على أنها كتبت بعد عهد موسى بأزمان مختلفة وبأيدي متعددة على غير النحو الذي أنزلت عليه من عند الله على موسى عليه السلام ومن هذه الأدلة :

أولاً : ما جاء في الآية السادسة من الاصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية بخصوص وفاة موسى عليه السلام : (ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم) . وما جاء في الآية العاشرة من نفس الاصحاح : (لم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى) .

ومن الواضح أن مثل هذه العبارة والتي سبقتها لا تقال إلا بعد موت موسى عليه السلام .

ثانياً : هناك كثير من التناقض بين أسفار التوراة مما يدل على أنها ليست

= فإذا أضفنا أن تلك الأناجيل لم تكتب بين يدي المسيح وإنما كتبت بعد مدة طويلة من رفعه جزمنا بفقد سند تلك الكتب .

والاسناد في أصله خصيصه فاضلة لهذه الأمة الاسلامية ، ليست لغيرها من الأمم . قال الامام ابن حزم « نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم مع الاتصال خص الله به المسلمين دون سائر الملل . وأما مع الارسال والاعضال فيوجد في كثير من اليهود ، ولكن لا يقربون فيه من موسى عليه السلام قربنا من محمد صلى الله عليه وسلم بل يقفون بحيث يكون بينهم وبين موسى أكثر من ثلاثين عسراً وإنما يبلغون إلى شعون ونحوه . وكذا الحال عند النصارى ليس عندهم إسناد متصل إلا ما قيل في تحريم الطلاق فقط .

وأما النقل بالطريق المشتبهة على كذاب أو مجهول العين فكثير في نقل اليهود والنصارى .

قال : وأما قول الصحابة والتابعين فلا يمكن اليهود أن يبلغوا إلى صاحب نبي أصلاً ، ولا إلى تابع له ، ولا يمكن النصارى أن يصلوا إلى أعلى من شعون وبولس . (من المصباح على مقدمة ابن الصلاح ص ٢١٥ لمحمد راغب الطباخ) .

من تأليف شخص واحد ، وإنما هي وليدة عصور مختلفة ، ونتاج عقول متعددة ، وقد استقيت من مصادر شتى ^(١) ، وإليك بعض النماذج التي تشهد بصحة ما نقول :

أ - الآية الثانية عشرة من الاصحاح السابع من سفر التكوين تنص على أن الطوفان دام أربعين يوماً وأربعين ليلة ، بينما تنص الآية الرابعة والعشرون من الاصحاح السابع في نفس السفر على أنه دام مائة وخمسين يوماً .

ب - ورد في أسفار التوراة ما يقرر أن الأبناء يؤخذون بذنب الآباء حتى الجيل الثالث والرابع بل والعاشر ، فمثلاً جاء في سفر الخروج (٧ : ٣٤) ما نصه : (مفقّد إثم الآباء في الأبناء وفي أبناء الأبناء في الجيل الثالث والرابع) ^(٢) وجاء في سفر التثنية (٢٣ : ٢) ما نصه : (لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب حتى الجيل العاشر) وهذا يناقض ما صرح به حزقيال (١٨ : ٢٠) ونصه : (النفس التي تخطئ تموت ، الابن لا يحمل من إثم الأب ، والأب لا يحمل من

(١) ليس بمستغرب حدوث مثل هذا التناقض بين أسفار التوراة إذا علمنا أن العهد القديم كتب في فترة طويلة جداً قدرت بألف سنة وتطلب جمعه قروناً عديدة ، ولا بد أن يكون هذا الزمن الطويل قد أخضع العهد القديم لمؤثرات أجنبية خارجية نتيجة لكلف اليهود بتقليد غيرهم من الأمم القوية الغالبة آنذاك كالمصريين والبابليين الذين كانوا على اتصال بهم . يقول الدكتور فؤاد حسنين في كتابه (التوراة : عرض وتحليل) ص ١٦ ما نصه : (الواقع كما أن وضع العهد القديم استدعى زمناً امتد نحو ألف سنة كذلك جمعه تطلب قروناً عديدة وكانت النتيجة المحتمومة لامتداد زمن التأليف وطول عصر الجمع أن خضعت بعض الأسفار لمؤثرات عملت فيها زيادة وحذف ، وإلى اليوم فالنزاع ما زال قائماً بين رجال اللاهوت حول سفرَي الجامعة ونشيد الأناشيد مثلاً : أما من أسفار العهد القديم أم دخیلان عليه ؟ والتفاوت العظيم بين عقليات اليهود المختلفة ومعتقداتهم جعل يهود مصر يبيحون لأنفسهم في ترجمتهم السبعينية إقصاء بعض الأسفار التي لم تكن قد ألفت حتى باللغة العبرية بل باليونانية في العهد القديم .

(٢) وقد وردت نصوص مماثلة في سفر الخروج (٢٠ : ٥) وفي سفر التثنية (٩ : ٥) وفي سفر العدد (١٤ : ١٨) :

إثم الابن ، وبر البار عليه يكون ، وشر الشرير عليه يكون (١) وذلك هو الحق الذي يقره القرآن الكريم ، فقد قال تعالى : (ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ... الآية (٢)) وأما كون الزاني يعذب الله أبناءه إلى الجيل العاشر فذلك لا يمكن أن يكون وحياً إلهياً .

ج - وقع في الفقرة الثامنة والعشرين من الزبور في النسخة العبرانية العبارة التالية : (ولم يعصوا كلامه) وفي النسخة اليونانية جاءت هذه العبارة هكذا : (وقد عصوا كلامه) وإحداهما خطأ يقيناً ، وقد اعترف بذلك مفسرو العهد القديم من الغربيين (٣) .

(١) وقد ورد نص بهذا المعنى في سفر التثنية (٢٤ : ١٦) .

(٢) انظر الآيات : ١٦٤ من سورة الانعام ، ١٥ من سورة الاسراء ، ١٨ من سورة فاطر ، ٧ من سورة الزمر .

(٣) انظر كتاب (إظهار الحق) (١ : ١٢٦) وما بعدها ، وكتاب اليهودية للدكتور أحمد شلبي ص ٢٤٠ . وقد اعتذر بعض علماء أهل الكتاب عن هذا التناقض وبينوا أن من أسبابه : تعدد الترجمة للكتاب المقدس وجل بعض المترجمين وعدم إتقانهم للغة المكتوبة بها نصوص التوراة : (انظر كتاب نظام التعليم في علم اللاهوت القديم (١ : ٨٢ - ٨٣) وكتاب في الفكر اليهودي (٧٢ - ٧٣) .

وبصد الأخطاء الناتجة عن ترجمة التوراة تقول مجلة (لايف) الأمريكية في تحقيق لها عن تاريخ الكتاب المقدس ما نصه : (هذا الكتاب أوسع الكتب انتشاراً ولكن أغلب كلماتها كتبها أشخاص لا يعرف أحد من م ولا يمكن معرفتهم في يوم من الأيام . لقد ظل الوحي الإلهي إلى الانسان - يقصد عيسى عليه السلام - ينتقل من الأب إلى الابن ألف سنة تقريباً بعد إبراهيم من غير أن يكتب ، وبعد ذلك فقط بدأ اليهود في تدوينه وكان ذلك قبل ألف سنة تقريباً من ميلاد المسيح فأخذوا يسجلون القصص والقصائد القديمة وأضافوا إليها قصصاً وقصائد أخرى جديدة . وقد استلزم الأمر أن تعاد كتابة لفائفهم عدة مرات وأن تنقل وتنسخ ، مما أوجد فرصاً عديدة لا تحصى لتغيرات كثيرة لا حد لها بعضها مقصود والبعض الآخر غير مقصود ، ولما بدأت المسيحية تنتشر بسرعة ازدادت الحاجة إلى عمل نسخ جديدة لاسيما « العهد الجديد » وأخذ كثير من المؤمنين يصنعون نسخاً لأنفسهم بأنفسهم ، أو كان أحدهم يقرأ بصوت مرتفع في (النسخ) بينما =

د - تختلف الأحكام اختلافاً واضحاً وصريحاً من سفر إلى آخر، فقد يقرر سفر في حادث ما حكماً ويجيء سفر آخر ويقرر في الحادث نفسه حكماً آخر، فمن ذلك مثلاً: أن سفري الخروج والثنية يقرران أن الاسرائيلي الذي يبيع نفسه بيعاً اختيارياً في حالة عوزه وحاجته إلى المال لا يدوم رقه إلا ست سنين^(١)، على حين أن سفر اللاويين يقرر أن رقه لا ينتهي إلا بحلول اليوبيل الاسرائيلي (وهو العيد الذي يجيء كل خمسين سنة) أيا كانت المدة التي قضاها في الرق قبل ذلك^(٢).

ومن أجل ما أورناه على التوراة من مأخذ لم تسلم نسبتها إلى موسى من الشك والانكار لدى علماء اللاهوت الغربيين أنفسهم، فنشطت حركة النقد للكتاب المقدس بزعماء كثير من رباني اليهود. وفي أواخر القرن الخامس عشر ظهر أمثال العالم اللاهوتي (أندرياس) فالف كتابه المشهور (الأسفار الشرعية) وفي عام ١٦٧٠ كتب شنيوزا نقده المرفوع في كتابه (أبحاث لاهوتية سياسية) وقدره عليه عام ١٦٨٥ (ريشارد سيمون) بكتابه (تاريخ نقدي للعهد القديم) . واستمر النقد والبحث حتى توصل النقاد إلى أن التوراة التي بأيدينا ليست من تأليف شخص واحد بعينه في عصر واحد، وإنما هي من تأليف أشخاص عديدين في عصور مختلفة، وقد استغلت في سبيل وضعها مصادر عديدة. وقد اعتمدوا في إثبات ذلك على الأدلة اللغوية والمعارضات التاريخية والتناقض في الطقوس الدينية^(٣).

= كان يتلقى عنه ما يقرب من اثني عشر ناسخاً وهذا ما مهد الطريق لأخطاء أكثر فأكثر، لذلك فإنه لا يوجد أي نص (أصلي) لأي جزء من (الكتاب) وربما حوى (العهد الجديد) تغييرات أكثر وأبلغ من (العهد القديم) مجلة الوعي الاسلامي - العدد الرابع عشر - السنة الثانية صفر ١٣٨٦ هـ - ٢١ مايو ١٩٦٦ م. من مقال تحت عنوان (قصة تاريخ التوراة والانجيل) ترجمة الدكتور أمير رضا .

(١) سفر الخروج : (٢١ : ٢) وسفر الثنية : (١٥ : ١٢) .

(٢) سفر اللاويين : (٢٥ : ٤٠) وقارن أيضاً سفر العدد اصحاح ٢٨ و ٢٩ بسفر حزقيال اصحاح ٤٥ و ٤٦ .

(٣) انظر (التوراة : عرض وتحليل ص ٢٣ - ٣٠)

ويتحدث الدكتور علي عبد الواحد وافي عن الأزمنة التي كتبت فيها الأسفار المنسوبة إلى موسى عليه السلام فيقول : (ظهر للمُحدّثين من الباحثين ملاحظة اللغات والأساليب التي كتبت بها هذه الأسفار وماتشتمل عليه من موضوعات وأحكام وتشاريع ، والبيئات الاجتماعية والسياسية التي تنعكس فيها ، ظهر لهم من ملاحظة هذا كله : أنها قد ألفت في عصور لاحقة لعصر موسى بأمَد غير قصير ، (وعصر موسى يقع على الأرجح حوالي القرن الرابع عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد) وأن معظم سفرَي التكوين والخروج قد ألفت حوالي القرن التاسع قبل الميلاد ، وأن سفر التثنية قد ألفت في أواخر القرن السابع قبل الميلاد ، وأن سفر العدد واللاويين قد ألفتا في القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد أي بعد النفي البابلي ، وأنها جميعا مكتوبة بأقلام اليهود ويمثل فيها عقائد وشرائع مختلفة تعكس الأفكار والنظم المتعددة التي كانت سائدة لديهم في مختلف أدوار تاريخهم الطويل ، فهي إذن تختلف كل الاختلاف عن التوراة التي يذكر القرآن أنها كتاب سماوي مقدس أنزله الله على موسى عليه السلام ، وإلى هذا يشير القرآن الكريم فيقول : (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ^(١)) .

د - مصادر التوراة :

يتحدث ولد^٢ د^٣ يورانت^٤ عن مصادر التوراة فيقول : (وكانت أساطير الجزيرة ^(٢) هي المعين الغزير الذي أخذت منه « التوراة » قصص الخلق والغواية والطوفان التي يرجع عهدها في تلك البلاد إلى ثلاثة آلاف سنة أو نحوها قبل الميلاد ، ولعل اليهود قد أخذوا بعضها من الأدب البابلي في أثناء أسرهم ، ولكن

(١) الآية ٧٩ من سورة البقرة ، وأنظر الأسفار المقدسة في الأدبانية السابقة للإسلام
للأستاذ علي عبد الواحد وافي (ص ١٦ - ١٧) .

(٢) هي جزيرة الفرات الواقعة بين الفرات ودجلة

أرجح من هذا أنهم أخذوها قبل ذلك العهد بزمان طويل من مصادر سامية وسومرية قديمة كانت منتشرة في جميع بلاد الشرق الأدنى (١) .

ومن المصادر المهمة للأسفار قرارات المحافل اليهودية : فعلى مر التاريخ كان زعماء اليهود يدفعون بقراراتهم لتصير جزءاً من الأسفار المقدسة (٢) وعندما اتخذت الأسفار المقدسة وضعها النهائي قيل الميلاد لم يتوقف زعماء اليهود عن محاولاتهم تجاه تقديس قراراتهم ، فدفعوا بها إلى التمود ثم بعد ذلك إلى قرارات حكماء صهيون ، وليس هذا وذاك بأقل عندهم من العهد القديم قداسة وجلالة (٣) .

ويعد الفكر المصري أيضاً مصدراً رئيسياً لأسفار العهد القديم وقد وضع ذلك أحد العلماء الغربيين في بحث عنوانه (مصدر مصري لأمثال سليمان) ، كما لاحظ كثير من الباحثين أن المعاني التي ذكرها أخناتون في قصيدته عن الشمس تكررت كذلك في أسفار العهد القديم (٤) .

ومن مصادر العهد القديم الرئيسية كذلك الفكر البابلي ، وقد عثر القائلون بالحفائر الحديثة على نصوص بابلية تروي كلاً من قصتي الخليقة والطوفان ؛ ومن ثم فإن نقاد الكتاب المقدس يقولون بأن اليهود استولوا في أثناء أسره على هذه النصوص . ومن المصادر البابلية التي عثر عليها أيضاً نصوص تعد مرجعاً هاماً لقصة (شمشون ودليلة) وسواها من قصص العهد القديم (٥) .

يقول الأستاذ العقاد عن المأثورات البابلية والفارسية في الفكر اليهودي مايلي :

(١) قصة الحضارة : ول ديورانت الجزء الثاني من المجلد الأول (ص ٣٦٨) ترجمة محمد بدران .

(٢) انظر الصهيونية والماسونية : عبد الرحمن سامي (ص ٦١) .

(٣) انظر اليهودية : أحمد شلي (ص ٢٣٥)

(٤) انظر محنة التوراة على أيدي اليهود : عصام الدين جفني (ص ٥٧) .

(٥) المرجع السابق ، وانظر اليهودية (ص ٢٣٦) .

« قصة الخليقة في العقائد الاسرائيلية الأولى تشابه قصة الخليقة في ألواح بابل ،
وعقيدة (المخلص) المنتظر موجودة في الديانة الفارسية وموجودة في الديانة
الاسرائيلية الخ » (١) .

وينهب البعض من الباحثين إلى أن أهم مصدرا اعتمدت عليه أسفار العهد القديم
هو **تشرع حورابي** ويقولون إن القوانين الاسرائيلية مأخوذة مباشرة منه (٢) .

هـ - تحريف التوراة :

نستخلص مما قدمناه في تأليف التوراة حقيقة لاشك فيها ، وهي أن التوراة
قد تطرق إليها التحريف والتبديل ، وهذه الحقيقة قد قررها القرآن في غير موضع ،
وأخبرنا في جملة آيات في عدة سور بأن اليهود قد امتدت أيديهم الأثيمة إلى التوراة
فحرفوها وبدلوها وأخفوا منها ما لا يتفق وأهواءهم وشهواتهم ، قال الله تعالى :

« مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعَيْنَا لِيَا بِلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا
وَأَسْمَعُ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ
إِلَّا قَلِيلًا » (٣) .

أي من الذين هادوا قوم يحرفون التوراة ويميلون بالكلام عن مواضعه
التي وضعه الله فيها يازالته عنها وإثبات غيره ، أو يؤولونه على ما يشتهون
فيميلون عما أنزل الله منه ، وعنى بالكلم هنا (التوراة) على ما قال مجاهد
— رحمه الله (٤) —

(١) الله : عباس العقاد (ص ١١٧) .

(٢) انظر اليهودية (ص ٢٣٧ - ٢٣٨)

(٣) الآية ٤٦ من سورة النساء

(٤) تفسير الطبري (٨ : ٤٣٢) .

قال الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده: « التحريف يطلق على معنيين : أحدهما تأويل القول بجملة على غير معناه الذي وضع له ، وهو المتبادر ، لأنه هو الذي حملهم على مجاهدة النبي صلى الله عليه وسلم وإنكار نبوته وهم يعلمون ، إذ أولوا ولا يزالون يؤولون البشارات به إلى اليوم ، كما يؤولون ماورد في المسيح ويحملونه على شخص آخر لا يزالون ينتظرونه ، ويطلق على هذا القسم التحريف المعنوي .

ثانيها : أخذ كلمة أو طائفة من الكلم من موضع من الكتاب ووضعها في موضع آخر . وقد حصل مثل هذا التشويش في كتب اليهود ، خلطوا فيما يؤثر على موسى عليه السلام ما كتب بعده بزمان طويل ، وكذلك وقع في كلام غيره من الأنبياء ، وقد اعترف بهذا بعض المتأخرين من أهل الكتاب (١) .

وقال تعالى أيضاً في الآية (٩١) من سورة الأنعام : « وما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا) .

فقد ونجهم الله تعالى على سوء جهلهم بالتوراة وذهمهم على تجزئتها بإبداء بعض ما انتخبوه وكتبوه في ورقات متفرقات وإخفاء بعض لا يشتمونه ، فكان الجبر منهم ، إذا استفتي في مسألة له هوى في إظهار حكم الله فيها كتب ذلك الحكم في قرطاس - وهو ما يكتب فيه من ورق أو جلد أو غيرهما - فأظهره للمستفتي وإلا أخفاه إذا كان له هوى في إخفائه (٢) .

وقال تعالى : (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب

(١) تفسير المنار (٥ : ١٤٠) .

(٢) تفسير البضاوي (ص ٢٦٩) - وانظر تفسير المنار (٧ : ٦١٧) .

سماعون لقوم آخرين لم يأتوك بحرفون الكلم عن مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم^(١) .

نزلت هذه الآية في اليهوديين اللذين زنيا ، وكان اليهود قد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم من الأمر برجم من أحسن منهم فحرفوه، وأصلحوا فياينهم على الجلد مائة جلدة والتحميم، فقد أخرج أحمد وأبو داود ومسلم – واللفظ له – وغيرهم عن البراء بن عازب قال: «مر على النبي صلى الله عليه وسلم يهودي محمماً (مسوِّداً وجهه) مجلوداً فدعاهم صلى الله عليه وسلم ، فقال : « هكذا تجدون حد الزنى في كتابكم ؟ » قالوا : نعم ، فدعا رجلاً من علمائهم ، « فقال أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزنى في كتابكم ؟ » قال : لا ، ولولا أنك نشدني بهذا لم أخبرك . نجده الرجم ، ولكنه كثير في أشرفنا ، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد ، فقلنا تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه » فأمر به فرُجم ، فأنزل الله عز وجل : (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) إلى قوله إن أوتيتم هذا فخذوه^(٢)

وقال تعالى : (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين^(٣)) .
قوله يحرفون الكلم عن مواضعه : إمالة الشيء عن موضعه إلى

(١) الآية ٤١ من سورة المائدة .

(٢) الآية ٤١ من سورة المائدة . وانظر تفسير ابن كثير (٥٨:٢) .

(٣) الآية ١٣ من سورة المائدة .

أي جانب من جوانب ذلك الموضع، وتحريف الكلم عن مواضعه يصدق بتحريف الألفاظ بالتقديم والتأخير والحذف والزيادة والنقصان ، وبتحريف المعاني بمحمل الألفاظ على غير ما وضعت له . والتحريف اللفظي والمعنوي كلاهما واقع في أسفار اليهود، وقد أضاع اليهود كتابهم عندما أحرق البابليون هيكلهم وخربوا عاصمتهم ، وسبوا من أبقى السيف منهم ، فلما عادت إليهم الحرية في الجملة جمعوا ما كانوا حفظوه من التوراة ووعوه بالعمل به ونسوا الباقي بسبب فقد الكتاب كما ذكرنا وعدم حفظهم له كله في الصدور .

ثم إن الذي أوتوه منه وبقي لهم ؛ ما كانوا يعملون به كما يجب ، ولا يقيمون ما يعملون به كما ينبغي ، بل كانوا يحرفونه عن مواضعه باللسي والتأويل ، على أنه وصل إليهم مُحَرَّفًا لفظه لأنه نقل من قراطيس أو صحف لا ثقة بأهلها ولا بضبط ما فيها^(١).

وقال تعالى في الآية (١٥) من سورة المائدة (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) .

أي يبين ما بدلوه وحرفوه وأولوه وافترخوا على الله فيه ويسكت عن كثير مما غيروه ولا فائدة في بيانه^(٢)، واليهود والنصارى في هذا سواء .

وقال أيضاً : (وإن منهم لفريقاً يلوئون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون^(٣)) .

(١) تفسير المنار (٦ : ٢٨٢-٢٨٤ - ٣٨٩) .

(٢) تفسير ابن كثير (٣٤ : ٢) .

(٣) آية (٧٨) من سورة آل عمران .

يعني يحرفون الكلام حتى تظنوا أن الذي يحرفونه من كلامهم من كتاب الله وتنزيله^(١) إلى غير ذلك من الآيات .

شواهد من التوراة على تحريفها :

وإذا كان القرآن قد قرر وأكد تحريف التوراة وتبديلها فإن التوراة نفسها تقر وتؤكد هذه الحقيقة أيضاً ، فمن واقع التوراة المتداولة نستطيع أن نثبت ما قرره القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وذلك :

أولاً : كانت الديانة اليهودية في أصلها - كما ينبئنا القرآن الكريم - ديانة توحيد تتصف فيها الذات العلية بصفات الوحدة والكمال والتجرد من جميع مظاهر النقص والمخالفة للحوادث في كل شيء كما هو الشأن في الدين الاسلامي ، ولكن من التأمل في توراتهم المزعومة نجد أن فكرة الألوهية لديهم كانت قد انتكست في عصر تدوينهم لهذه الأسفار؛ فصوروا الله سبحانه وتعالى في صور مجسمة ووصفوه بكثير من قصص هذه الأسفار . ومن ذلك مثلاً : ما يرويه سفر التكوين في قصة آدم وحواء وإخراجها من الجنة إذ يذكر : أن الله تعالى قد نهاهما عن الأكل من الشجرة كي يبقيا جاهلين حتى لا يشاركانه في صفة من أخص صفاته ، وبما أنها قد أكلا من شجرة المعرفة فقد أصبحا في ذلك في مستوى الألوهية لتمييزهما بين الخير والشر ، ومن ثم فقد أصبح لزاماً أن يطرد الانسان من الجنة حتى لا تمتد يده إلى شجرة أخرى هي (شجرة الخلد) فيكفل لنفسه أرقى صفات الإله وهي البقاء^(٢) .

ومن ذلك أيضاً ما يرويه سفر التكوين في قصة إهلاك قوم لوط وتدمير

(١) تفسير الطبري (٦: ٥٣٥) طبعة دار المعارف بمصر .

(٢) سفر التكوين ٣ : ٢٢ - ٢٣ .

قريتي سدوم وعمورة ، إذ يذكر أن ثلاثة رجال - الله وملكاه معه - قد قدموا على إبراهيم وهو جالس أمام خيمته وأن إبراهيم قد عرف الله من بينهم ورجاه ومن معه أن يستريحوا عنده قليلاً من وعشاء سفرهم وقدم إليهم ماء لشرابهم وغسل أرجلهم وفطائر وعجلاً حنيذاً لطعامهم فاتحى ثلاثتهم تحت ظل شجرة وأخذوا ياكلون مما قدمه إليهم وإبراهيم جالس على مقربة منهم (١) ... الخ .

وقد ذكر القرآن الكريم هذه القصة على حقيقتها، فيبين أن الذين وفدوا على إبراهيم كانوا ملائكة مشكلين في صورة آدميين، فقدم إليهم طعاماً، فلم تصل أيديهم إليه لأن الملائكة لا يأكلون . وفي هذا يقول القرآن الكريم : (ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلاماً فما لبث أن جاء بعجل حنيذ ، فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكبرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط (٢)) .

ومن ذلك أيضاً ما يقرره سفر التكوين من أن الله تعالى بعد أن خلق السموات والأرض في ستة أيام استراح في اليوم السابع وكان يوم سبت وأن الله قد بارك هذا اليوم من أجل ذلك فحرم فيه العمل (٣) .

ولقد بين القرآن الكريم أن الله تعالى خلق السموات دون أن يناله نصب . . . » (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب (٤)) .

ويصور لنا الأستاذ العقاد عقيدة اليهود في الإله بقوله : (بدأت بتطور الإله على صورة إنسان يأكل ويشرب ويتعب ويستريح ويغار من منافسيه ويخص قبيلته وحدها بالبركة والتشريع ... وظلوا إلى ما بعد أيام موسى عليه السلام

(١) سفر التكوين إصحاح ١٨ .

(٢) الآيات ٦٩ - ٧٠ من سورة هود .

(٣) سفر التكوين ٢ : ١ - ٣ .

(٤) الآية ٣٨ من سورة (ق) .

ينسبون إلى الإله أعمال الإنسان وحركاته، فذكروا أنه كان يتمشى في الجنة وأنه كان يصارع ويأكل ويشرب ويغشى مركبات الجبال ، وأنه دفن موسى حينما مات في مؤاب ^(١) .

ثانياً : تنسب أسفارهم لبعض الأنبياء أعمالاً قبيحة تتنافى مع وضعهم الديني والاجتماعي ، بل تتناقض مع العصمة التي منحها الله تعالى لهم ، ولا يتصور صدورها إلا من سفلة الناس .

فمن ذلك : ما جاء في سفر التكوين الاصحاح التاسع عشر من أن لوطاً عليه السلام قد زنى بابنتيه وحملتا منه وتولد لهما ابنان هما : مؤاب أبو المؤابيين ، وعمتي أبو العمونيين ^(٢) .

وما جاء في الاصحاح الثاني والثلاثين من سفر الخروج من أن هارون عليه السلام قد يسر لبني إسرائيل سبيل الشرك ودفعهم إلى الوثنية وعبادة الأصنام ، فصنع لهم بيديه في سيناء عجلاً من ذهب يعبدونه من دون الله ، مع أن القرآن الكريم يصرح بأن الذي صنع العجل لبني إسرائيل هو السامري .

(. . . قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقذفناها وكذلك ألقى السامري . فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوارق فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي . ^(٣)) .

وما جاء في الاصحاح التاسع من سفر التكوين من أن حام بن نوح عليه السلام قد رأى أباه وهو سكران مكشوف العورة ، فلما أفاق نوح من سكره وعلم ما كان من ابنه حام دعا على ذريته وهم الكنعانيون بأن يكونوا عبيداً لعبيد

(١) « الله » للعقاد (ص ١١٤ ، ١١٦) .

(٢) سفر التكوين ١٩ : ٣٠ - ٣٨ .

(٣) الآيتان ٨٧ - ٨٨ من سورة طه .

أبناء ولديه الآخرين سام ويافث^(١) .

ثالثا : ما شملت عليه بعض الأسفار من غزل شهواني صريح ومن تعبير ماجن خليع يجعل العاقل يحزم بأن هذه الأسفار من المحال أن تكون منزلة من السماء . وفي سفر نشيد الانشاد كثير من هذا اللون الماجن من الغزل :

ففي الاصحاح الثالث منه مانصه : « في الليل على فراشي طلبت من تحب نفسي فأمسكته ولم أتر كه حتى أدخلته بيت أُمِّي وحجرة من حبلت بي »

وقد تحدث صاحب قصة الحضارة عما يشيع في الأسفار من عبارات الجنس فقال : « وفي هذه الكتابات الغرامية العجيبة مجال واسع للحدس والتخمين ، فقد تكون مجموعة من الأغاني البابلية الأصل تشيد بذكر أشتار وتموز^(٢) ، وقد تكون من وضع جماعة من شعراء الغزل العبرانيين ، واسنا ندرى كيف غفل - أو تغافل - رجال الدين عما في هذه الأغاني من عواطف شهوانية فأجازوا وضعها بين أقوال أسعياء والخطباء^(٣) »

(١) وهذه القصة تقوم على خلاف العدل وعلى التفرقة العنصرية ومن ثم يستحيل أن تكون وحيا إلهيا وقد علق عليها صاحب كتاب إظهار الحق (١ : ١٦٧) بقوله والعجب أن المذنب بالنظر إلى عورة أبيه هو حام أبو كنعان والذي عوقب باللعنة ابنه كنعان وأخذ الابن بذنب الأب خلاف العدل .

وعلق عليها أيضا صاحب كتاب الاسفار المقدسة ص ٣٢ ، ٤٧ بقوله : « يقصد الذين حرفوا هذه القصة إلى هذا الوضع الغريب أن يبرروا الأوضاع الشاذة الظالة التي كان يسير عليها بنو إسرائيل حيال الكنعانيين إذ يقتلون رجالهم ويسبون نساءهم وأطفالهم ويتخذون منهم عبيدا وإماء زاعمين أنهم بذلك يحققون دعوة نوح عليهم ويرجعونهم إلى الوضع الذي كتب عليهم من الأزل أن يكونوا عليه .

وأقول : المشهور أن ذرية حام هم سود البشرة بينما كان الكنعانيون في فلسطين بيض البشرة .

(٢) اشتار وتموز من آلهة البابليين .

(٣) قصة الحضارة ول ديورانت « ج ٢ م ١ ص ٣٨٣ » .

ثم ساق أمثلة كثيرة من هذا اللون الغزلي الماخن .

شهادات علماء المسلمين على تحريف التوراة :

وقد تناول كثير من علماء المسلمين التوراة بالنقد وبينوا ما فيها من تناقض وتحريف وتبديل نذكر منهم : الامام ابن حزم في كتابه « الإفصل في الملل والأهواء والنحل »^(١) والامام القرافي المالكي في كتابه « الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة »^(٢) والامام المحقق ابن القيم في كتابه « هداية الحيارى من اليهود والنصارى »^(٣) والعلامة رحمة الله الهندي في كتابه « إظهار الحق »^(٤) الذي ألفه إثر مناظرة بينه وبين أحد قساوسة الانكليز في الهند ، وذكر فيه شواهد عديدة من التوراة تدل على التحريف اللفظي والمعنوي ، والباحث التركي عبد الرحمن باجه جي زاده في كتابه « الفارق بين المخلوق والخالق »^(٥) والأستاذ الامام الشيخ محمد عبده وتلميذه الشيخ رشيد رضا في تفسير المنار . والدكتور فؤاد حسنين علي في كتابه « التوراة : عرض وتحليل » وغيرهم .

هذا ولا خلاف بين العلماء في وقوع التحريف المعنوي وإنما الخلاف في التحريف اللفظي : فقد نقل البخاري في أواخر صحيحه^(٦) في باب قوله تعالى « بل هو قرآن مجيد . في لوح محفوظ » عن ابن عباس : يحرفون يزيلون وليس أحد يزيل لفظ كتاب من كتب الله عز وجل ولكنهم يحرفونه يتأولونه على غير تأويله .

(١) انظر « ج ١ : ١١٦ ، ١٨٦ - ١٩٩ » .

(٢) انظر على سبيل المثال « ص ٢١٢ ، ٢١٤ » من كتاب الأجوبة الفاخرة في هامش كتاب الفارق بين المخلوق والخالق .

(٣) انظر مثلاً « ص ٤٥ ، ٤٧ » .

(٤) انظر الباب الثاني في اثبات التحريف « ج ١ : ١٢٦ » وما بعدها .

(٥) انظر « ص ٩ - ١٠ »

(٦) « ٩ : ١٩٥ » .

قال الحافظ ابن حجر في شرحه ^(١) : (قال شيخنا ابن الملقن في شرحه : هذا الذي قاله ، أحد القولين في تفسير هذه الآية ، وهو مختاره — أي البخاري — وقد صرح كثير من أصحابنا بأن اليهود والنصارى بدلوا التوراة والانجيل ، وفرعوا على ذلك جواز امتحان أوراقهما وهو يخالف ما قاله البخاري هنا) .

ثم قال ابن حجر : (قال بعض الشراح المتأخرين : اختلف في هذه المسألة على أقوال :

أحدها : أنها بدلت كلها ، وهو مقتضى القول المحكي بجواز الامتحان وهو إفراط ، وينبغي حمل إطلاق من أطلقه على الأكثر ، وإلا فهي مكابرة ، والآيات والأخبار كثيرة في أنه بقي منها أشياء كثيرة لم تبدل ؛ من ذلك قوله تعالى : (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل الآية) .

ومن ذلك قصة رجم اليهوديين وفيه وجود آية الرجم ، ويؤيده قوله تعالى ('قل' فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين) .

ثانيها : أن التبديل وقع ولكن في معظمها وأدلتها كثيرة وينبغي حمل الأول عليه .

ثالثها : وقع في اليسير منها ومعظمها باقٍ على حاله ، ونصره الشيخ تقي الدين بن تيمية في كتابه « الرد الصحيح على من بدل دين المسيح » .
رابعها : إنما وقع التبديل والتغيير في المعاني لا في الألفاظ ، وهو المذكور هنا .

قال ابن حزم : وبلغنا عن قوم من المسلمين ينكرون أن التوراة والانجيل اللتين بأيدي اليهود والنصارى محرفان ، والحامل لهم على ذلك قلة مبالاتهم بنصوص

(١) فتح الباري (١٧ : ٣٠٧ - ٣٠٨) .

القرآن والسنة ، وقد استملا على أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ، ويلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون ..

ويقال لهؤلاء المنكرين : قد قال الله تعالى في صفة الصحابة : ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزراع أخرج شطأه ... إلى آخر السورة . وليس بأيدي اليهود والنصارى شيء من هذا . ويقال لمن ادعى أن نقلهم نقل متواتر : قد اتفقوا على أن لا ذكر لمحمد ﷺ في الكتابين ، فإن صدقتموهم فيما زعموه أن لا ذكر لمحمد ﷺ ولا لأصحابه ؛ وإلا فلا يجوز تصديق بعض وتكذيب بعض مع مجيئها مجيئاً واحداً أه .

وقال الشيخ بدر الدين الزركشي : اعترف بعض المتأخرين بهذا - أي بما قال البخاري - فقال إن في تحريف التوراة خلافاً ، هل هو في اللفظ والمعنى ؟ أو في المعنى فقط ؟ ومال إلى الثاني ، ورأى جواز مطالعتها ، وهو قول باطل ولا خلاف أنهم حرفوا وبدلوا (١) .

وقال السيد رشيد رضا في هذا الصدد : ما وقع من التحريف والنقصان فيها قد كان قبل الاسلام وأما بعده فجل ما وقع من التحريف هو المعنوي بجمل اللفظ على غير ما وضع له ، واختلاف الترجمة ، وقد كان مثل البخاري من جهابذة المنقول ومثل الفخر الرازي من جهابذة المعقول يظنان أن جميع تحريف أهل الكتاب معنوي ، لأن تغيير أهل الملة لكتابتها الديني غير معقول إذ لا بد أن يكون بالتواطؤ وإجماع الأمة ، وسبب هذا ، أن هؤلاء العلماء لم يكونوا يعلمون أن اليهود لم يكن عندهم من التوراة في الصدر الأول من تاريخهم إلا النسخة التي وضعها موسى عليه السلام في صندوق العهد - التابوت - وأنها فقدت بعد ذلك ، ولم يكونوا يحفظونها وأن ما عندهم الآن يرجع إلى ما كتبه لهم « عزرا » بعد السبي . ولذلك

(١) نقلا عن فتح الباري (١٧ : ٣٠٨) .

تكثر فيه الألفاظ البابلية ، وهم يزعمون أنه إلهم الصواب فيما كتب إلهاما ، مع أن ما فيها من الأغلاط المخالفة للواقع ومن ذكر الحوادث التي وقعت بعد موسى ، ومن ذكر موت موسى وعدم ظهور أحد بعده مثله ، الخ . . . ما ينقض دعوى الإلهام المذكور (١) .

وقصارى القول : إن التوراة الحالية — إلا فقرات قليلة منها — كالوصايا العشر ليست هي التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام — كما ذكرنا سابقاً — وإنما هي مجموعة من الأسفار كتبت بعد موسى عليه السلام بأزمان متفاوتة ، وبأيدي متنوعة ، وبأفكار مختلفة ، وإن اليهود كتبوها انعكاساً لأخلاقهم وتاريخهم وآلامهم ، وكان مقصدهم الأول من وراء ذلك إظهارهم الشعب الإسرائيلي بظهر الشعب المقرب عند الله والمفضل على غيره ، ولكثرة الأشخاص الذين اشتروا في كتابتها امتلأت بالأخطاء والمفتريات والمتناقضات .



(١) مجلة المنار ج ١ ، ٢٦ ، ٢٩ رمضان سنة ١٣٤٣ هـ — ٢٣ أبريل سنة

ثانياً

الإنجيل

أ - تعريفه

د - تحريفه

ب - تأليفه

هـ - مصادره

ج - محتوياته

أ - تعريف الإنجيل :

ذكرنا فيما سبق أن الكتاب المقدس يشمل عند إطلاقه أسفار العهد القديم والعهد الجديد ، وبعبارة أخرى يشمل التوراة والإنجيل معاً ، وقد استقر رأي النصارى في أوائل القرن الخامس الميلادي على اعتماد سبعة وعشرين سفرًا من أسفارهم قرروا أنها هي وحدها الأسفار المقدسة ، أي الموحى بها ، ويقصدون أنه موحى لأصحابها بمعانيها لا بالفاظها ، وأطلقوا عليها اسم (العهد الجديد) للمقابلة بينها وبين ما اعتمد من أسفار اليهود المقدسة التي أطلقوا عليها اسم (العهد القديم) ^(١) .

وترجع أسفار العهد الجديد إلى ثلاث مجموعات وسفرين :

فالمجموعات هي :

١ - مجموعة الأناجيل وعددها أربعة : إنجيل متى ، وإنجيل مرقس ، وإنجيل لوقا ، وإنجيل يوحنا

(١) الأسفار المقدسة للدكتور وا في (ص ٦٣)

٢ - مجموعة رسائل بولس ^(١) ، وعددها أربع عشرة رسالة .

(١) بولس : وهو في الحقيقة مؤسس النصرانية الحالية وواضعها ، ولذلك نتكلم عنه بشيء من التفصيل .

ولد بولس في طرسوس في كيليكية بآسيا الصغرى من أبوين يهوديين . جاء في الفقرة الثالثة من الاصحاح الثاني والعشرين من سفر أعمال الرسل حكاية عنه (أنا رجل يهودي ولدت في طرسوس كيليكية ، ولكن ربيت في هذه المدينة (أورشليم) .

وجاء في الفقرة السادسة من الاصحاح الثالث والعشرين من السفر نفسه (ولما علم بولس أن قسما منهم صدوقيون والآخر فريسيون - وهما فرقتان من فرق اليهود - صرح في الجمع : أيها الرجال الاخوة - أنا فريسي ابن فريسي .

وقد دخل بولس النصرانية وأصبح معلماً لها، وكان لبولس تلاميذ ، منهم : لوقا : الذي أخلص له الود وقد كتب رسالة أعمال الرسل لكننا في الحقيقة قصة حياة بولس ، وكلها وصف لأعماله وإشادة بمعجزاته .

ولم يقيد بولس نفسه بما تلقاه سواء عن عيسى بل راح يقول بصراحة : انه الوحيد الذي أؤمن على المسيحية الصحيحة ، وإن كل ما يخالف ما يقول به من تعاليم كلام دنس يخالف للعلم ، يتظاهر به قوم زاغوا عن الايمان ، ولهذا يجب الاعراض عن مثل هذا الكلام ؟

وراح بولس يعلن ديانة استمد لها عناصر من الثقافات الأجنبية التي كان على علم واسع بها ، يقول ويلز : « وقد أوتي بولس قوة عقلية عظيمة ؛ كما كان شديداً لاهتمام بحركات زمانه الدينية ، فتراه على علم عظيم باليهودية وغيرها من الديانات التي كانت تعتنقها الاسكندرية ، فنقل الى المسيحية كثيراً من أفكاره ومصطلحات تعبيرهم .

ويقول بري : « وكان عيسى يهودياً وقد ظل كذلك أبداً ولكن بولس كون المسيحية على حساب عيسى ، فبولس في الحقيقة مؤسس المسيحية ، وقد أدخل على ديانته بعض تعاليم اليهود ليجذب له العامة منهم ، كما أدخل صورا من فلسفة الاغريق ليجذب أتباعاً له من اليونان ، فبدأ يذيع أن عيسى منقذ ومخلص وسيد استطاع الجنس البشري بواسطته أن ينال النجاح .

وهذه الاصطلاحات التي قال بها بولس كانت شهيرة عند كثير من الفرق فانحاز أتباع هذه الفرق الى ديانة بولس ، وعمد كذلك - ليرضي المثقفين من اليونان - فاستعار من فلاسفة اليونان وبخاصة الفيلسوف « فيلو » فكرة اتصال الاله بالأرض عن =

٣ - مجموعة الرسائل الكاثوليكية وعددها سبع رسائل^(١) .

وأما السفران فهما : سفر أعمال الرسل للوقا^(٢) وسفر رؤيا يوحنا^(٣) .

ويطلق اسم (إنجيل) عرفا على تلك القصص التي وجدت بعد زمان المسيح
تقص أحواله وأعماله وأقواله التي وعظ بها ومعجزاته وخوارق العادات التي
أجراها الله على يديه .

ب - تأليف الانجيل :

ذكرنا فيما سبق أن الانجيل ليس واحداً عند النصارى ، وإنما هو أربعة
إنجيل ، وتمثل هذه الأنجيل الأربعة المعتمدة أهم مجموعات العهد الجديد وإليك أسماء
مؤلفيها وتاريخ تأليفها .

أما إنجيل متى فمؤلفه متى بن حلقى وهو أحد الحواريين الاثني عشر ، كان

= طريق الكلمة أو ابن الاله أو روح القدس » (المسيحية : الدكتور أحمد شليبي ص ٥٩ -
٦٠ ، ٧٥ - ٧٦) .

(١) الرسائل الكاثوليكية : لا تستأثر هذه الرسائل كلها في العهد الجديد إلا بحيز
يسير وتعرض هذه الرسائل لبعض نواح من عقائد الديانة المسيحية وشرائعها وعباداتها
وأخلاقها . ولم تعتمد الكنيسة الرسائل جميعاً إلا في سنة ٣٦٤ م أما قبل ذلك فكان
كثير منها موضع شك في صحة محتوياتها وصحة نسبتها الى أصحابها عند كثير من النصارى
(الاسفار المقدسة ص ٩٣ - ٩٤) .

(٢) ينسب هذا السفر للقديس لوقا صاحب الانجيل الثالث وموضوعه تاريخ
حياة الحواريين وتاريخ طائفة من كان لهم أثر كبير في النصرانية من التلاميذ والتابعين ،
وقد عني لوقا بوجه خاص في كتابه هذا بتاريخ حياة بولس وجهاده في سبيل نشر
النصرانية وما ظهر على يديه من معجزات حتى لقد وقف عليه وحده نصف
صفحات كتابه .

(٣) وقد كتبه يوحنا صاحب الانجيل الرابع عن رؤيا رآها وأوحى اليه فيها
بكثير من الديانة النصرانية وأحداث المستقبل . (الاسفار المقدسة ص ٩٣ - ٩٤) .

متى قبل اتباعه المسيح من جباة العشور للدولة الرومانية في كفو ناحوم
بفلسطين وقد مات في بلاد الحبشة سنة ٦٢ م أو سنة ٧٠ م . ويعتبر إنجيل
متى من أقدم الأنجيل جميعاً إذ يرجع تاريخ تأليفه إلى سنة ٦٠ م على
أرجح الأقوال (١) .

وأما إنجيل مرقس فمؤلفه القديس مرقس بن أرسطوبولس ولم يكن من
التلاميذ الاثني عشر ، وأصله من اليهود ، وقد قيل إن بطرس أرسله إلى مصر
ليبشر بالمسيحية ، وكان خاتمة أمره فيها أن حبسه الوثنيون وعذبه عذاباً شديداً
حتى مات متأثراً بجراحه (٢) .

كتب مرقس إنجيله باليونانية واختلفوا في تاريخ كتابته ، فقال هورن :
« ألف الانجيل الثاني - يعني إنجيل مرقس - سنة ٥٦ وما بعدها إلى سنة ٦٥ .
والأغلب أنه ألف سنة ٦٣ م (٣) .

وأما إنجيل لوقا (٤) : فمؤلفه القديس لوقا وقد اختلفوا في مولده وأصله

(١) انظر كتاب مرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين (ج ٢ ص ٢١٢ -
٢١٣) ، وانظر الأسفار المقدسة (ص ٦٤) ، وكتاب خلاصة تاريخ المسيحية
في مصر (ص ٥٢) .

(٢) انظر قاموس الكتاب المقدس للدكتور بوست « لفظ مرقس » وكتاب
مرشد الطالبين (ص ٢١٣ - ٢١٤) وخلاصة تاريخ المسيحية في مصر (ص ٦١ ، ٦٣) .
(٣) انظر اظهار الحق (ج ١ ص ٤٤) .

(٤) يعلم من كلام لوقا في مطلع إنجيله أنه ما كان ملهماً ولا صاحب وحي كما يزعمون
- وأنه كان يكتب لصديق له يسمى « ثاوفيلس » أموراً وصلت اليه عن الذين كانوا
معانين وخداماً للكلمة . وهناك عبارته ، اذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة بالأمور
المتيقنة عندنا كما سلمها اليها الذين كانوا منذ البدء معانين وخداماً للكلمة رأيت أنا أيضاً
اذ قد تتبعته كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي اليك أيها العزيز « ثاوفيلس »
آه . وما ينبغي أن يلاحظ أن لوقا لم يفصح في كتابه عن نقل عنهم ليعلم حالهم وانما
أبهم بقوله « كما سلمها اليها الذين كانوا .. الخ » وهذا يوجب القدر فإ نقله والطعن في
دعواه التحري والتدقيق .

واتفقوا على أنه ليس من تلاميذ المسيح ولا تلاميذ حواريه ، كما اتفقوا على أنه كان تلميذاً لبولس ورفيقاً له في أسفاره ، ثم قيل إنه قتل في عهد نيرون الملك الروماني وقيل مات في مدينة بتراس ببلاد اليونان^(١) سنة ٧٠ م . وكما اختلفوا في مولده وأصله كذلك اختلفوا في السنة التي كتب بها إنجيله ، قال هورن : « ألف الإنجيل الثالث – يعني إنجيل لوقا – سنة ٥٣ م أو سنة ٦٣ م أو سنة ٦٤ م »^(٢) .

وقال الدكتور بوست في قاموسه : وقد كتب هذا الإنجيل قبل خراب أورشليم ويرجح أنه كتب في قيصرية في فلسطين مدة أسر بولس سنة ٥٨ إلى سنة ٦٠ م غير أن البعض يظنون أنه كتب قبل ذلك .

وأما إنجيل يوحنا : فقد ألفه الحواري يوحنا بن زبدي الصياد وكان تأليفه إياه حوالي سنة ٩٠ م على أرجح الأقوال ؛ فهو لذلك أحدث الأناجيل جميعاً ، وليس عند النصارى سند صحيح يثبتون به صحة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحواري ، وإنما يقولون في ذلك بالظن الحالي عن الدليل ؛ ولذلك أنكر المحققون من علماءهم قديماً وحديثاً صحة هذه النسبة^(٣) .

وكان لدى النصارى في القرنين الأول والثاني أناجيل قديمة غير الأربعة السابق ذكرها ، وقد قيل إنها بلغت مائة إنجيل ونيقاً ، منها : إنجيل برنابا الذي يتفق في أكثر مسائله مع القرآن – وبخاصة مسألة صلب المسيح – ويزيل الهوة التي ابتدعها بولس ، والتي أبعدت المسيحية عن الأديان السماوية ، ومنها إنجيل الأيوينين ، وإنجيل ميلاد مريم ، وإنجيل توما الاسرائيلي ، وإنجيل الطفولة ،

(١) انظر الفارق بين المخلوق والخالق ص ٣٢٥-٣٢٦ وتفسير المنار (٦: ٢٩٤)

(٢) إظهار الحق (١ : ٤٤) .

(٣) انظر إظهار الحق (١: ٤٤) والفارق بين المخلوق والخالق (ص ٣٤٢) وقصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار (ص ٣٩٩) وما بعدها ، والأسفار المقدسة (ص ٦٤) وما بعدها ، وتفسير المنار (٦: ٢٩٢) وما بعدها .

وإنجيل نيكوديم ، وإنجيل مرسيون ، وإنجيل جاك الأصغر ... الخ^(١) .

وقد أرادت الكنيسة النصرانية في أواخر القرن الثاني الميلادي أن تستبعد الأنجيل غير المعتمدة في نظرها وتحكم بطلانها ، فاختارت الأنجيل الأربعة السابق ذكرها من بين الأنجيل الكثيرة التي كانت رائجة حينئذ ، وقررت أنها هي وحدها الأنجيل الصادقة في حقائقها وفي صحة نسبتها إلى أصحابها ، وأن ماعداها من الأنجيل أنجيل موضوعة ، وحملت النصارى على قبولها ورفض ماعداها وتم لها ما أرادت ، ولم تكتوئ الكنيسة لما بين مضامين هذه الأنجيل الأربعة من التناقض والتخالف مادام ذلك لا يخالف المنزع العام الذي قصده ، وهو التثليث ، وكون عيسى ابن الله ، وأنه صلب ليكفر خطايا البشر^(٢) .

ج - محتويات الانجيل :

ترجع أهم الأمور التي تشتمل عليها هذه الأنجيل إلى أربعة موضوعات وهي القصص ، والعقيدة ، والشريعة ، والأخلاق .

أما القصص فيشغل أكبر حيز من هذه الأنجيل ويعرض لقصة مريم ، وحملها بالمسيح وولادته ، ودعوته إلى دينه ، واجتباؤه للحواريين والتلاميذ ، وصلبه ، ورفعته إلى السماء .

وأما العقائد التي تشتمل عليها هذه الأنجيل فتدور كلها حول المسيح وتقرر ألوهيته ونبوته للأب ، وأن المسيح قد صلب ليكفر بذلك الخطيئة التي ارتكبتها آدم - إذ عصى ربه وأكل من الشجرة - التي انتقلت بالوراثة إلى جميع نسله وكانت ستعلق بهم إلى يوم يبعثون ، لولا أن اقتداهم المسيح بدمه ، وأن المسيح

(١) انظر دائرة معارف القرن العشرين (١٢ ص ٦٥٩) تحت كلمة الانجيل .

(٢) قصص الأنبياء (ص ٣٩٩) ومحاضرات في النصرانية لأبي زهرة (ص ٩٩) .
وانظر الأمفار المقدسة ص ١٠٢ وما بعدها .

قد قام من قبره بعد صلبه بثلاثة أيام وظل مع حواريه وأنصاره أربعين يوماً . ثم رفع إلى السماء حيث جلس إلى يمين أبيه يصرف شؤون العالم ، وسيتولى هو يوم القيامة حساب الناس على ما فعلوه في الحياة الدنيا .

وأما ما يتعلق بشؤون الشريعة ، فإنه يفهم من هذه الأناجيل أن المسيحية قد أقرت شريعة اليهود المقررة في العهد القديم ، ولم تستثن من ذلك إلا ماورد عن المسيح نص بنسخه أو تعديله .

وأما فيما يتعلق بأخلاق الأناجيل فإنها بمعنة كل الامعان في مثاليها وحريصة كل الحرص على أن تقوم العلاقات بين الناس على أساس التسامح والعفو^(١) .

شواهد تحريف الانجيل :

يزعم النصارى أن أسفار الكتاب المقدس سواء العهد القديم منها أو العهد الجديد قد كتبت كلها بالالهام أي بالوحي عن طريق الالهام .

ولو عرضنا محتويات هذه الأناجيل على كتابنا الكريم الذي أنزله الله مهيماً على غيره من الكتب ؛ لخرجنا بشواهد كثيرة من التناقض والكذب والتبديل والعبث والتغيير الذي أصاب هذه الأناجيل ، وقد تعرض للكلام على ذلك كثير من الباحثين كابن حزم في كتابه « الفصل في الملل والأهواء والنحل » ، وكالشيخ شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي المعروف بالقرافي في كتابه المشهور (الأجوبة الفاخرة على الاسئلة الفاجرة) وكشيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه (الجواب الصحيح على من بدل دين المسيح) وكالامام المحقق ابن القيم في كتابه (هداية الحيارى من اليهود والنصارى) وكالأستاذ رحمة الله الهندي في كتابه (إظهار الحق) وغير هؤلاء ممن ذكروا أمثلة كثيرة من التناقض الذي يكاد يستغرق أناجيلهم بحيث لم يبق منها باب خالص من المتناقضات الصريحة .

(١) الأسفار المقدسة ص ٦٨ - ٧٣ .

وها نحن أولاء نكتفي بذكر أمثلة للتدليل والاقناع :

١ - المسيح الذي يحدثنا عنه القرآن غير المسيح الذي يحدثنا عنه إنجيلهم ، فالمسيح في القرآن إنسان من البشر اصطفاه الله كما اصطفى غيره من الرسل ، وكل ما بينه وبين غيره من البشر من خلاف هو أنه قد ولد بدون أب وليس ذلك بعزير على الله ، فقد خلق الله تعالى آدم من قبل دون أب ولا أم (إِنْ مَثَلٌ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ^(١)) .
أما مسيح هذه الأنجيل المحرّفة فهو كائن غريب ، هو إله ، وابن لئله ، وأقنوم من هذه الأقانيم المكونة لله .

والقرآن يذكر أن المسيح لم يقتل ولم يصلب ولكن شبه لهم ، وأن آدم قد أناب إلى الله واستغفر من خطيئته التي ارتكبها إذ أكل من الشجرة فغفرها الله له وأن الخطيئة لا يحمل وزرها غير مقترفها ، فلا تزر وازرة وزر أخرى ، بينما تذكر هذه الأنجيل أن من أهم الأغراض التي ظهر من أجلها المسيح ابن الله هو أن يكفّر بدمه الخطيئة التي ارتكبها آدم والتي انتقلت بطريق الوراثة إلى جميع نسله ، وأنه قد صلب بالفعل فحقق بذلك أهم غرض ظهر من أجله .

والقرآن يذكر أن الديانة التي جاء بها المسيح ديانة توحيد تدعو إلى عبادة الله وحده ، وفي ذلك يقول الله تعالى على لسان المسيح مجيباً على سؤال من ربه (مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَادِمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ^(٢)) .

بينما نرى أن الديانة التي تقرها هذه الأنجيل هي ديانة شرك تقوم على

(١) الآية ٥٩ من سورة آل عمران .

(٢) الآية ١١٧ من سورة المائدة .

الاعتقاد بالتثليث ، وقد نعى القرآن الكريم في أكثر من آية على النصارى تحريفهم لكتاب الله في أسفارهم المزعومة ، وتغييرهم لطبيعة المسيح وزعمهم أنه ابن الله بقوله : (...) وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْسَى يَوْمَ فَكُون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون (١) .

وقوله (يا أهل الكتاب لا تغلظوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة) ، انتبهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً (٢) .

والقرآن يذكر أن الحواريين كانوا أنصار الله ومن الداعين إلى عقيدة التوحيد (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله ، قال الحواريون نحن أنصار الله ، فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدتنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين (٣) .

وقال (وإذا أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون (٤)) .

على حين أن هذه الأنجيل ينسب تدوينها لبعض حواربي السيد المسيح وتلاميذه وتابعيه مع اشتغالها على تقرير عقيدة الشرك ؛ فيما أن يكون الأشخاص الذين تنسب إليهم الأنجيل هم غير الحواريين والأنصار الذين يحدثنا عنهم القرآن ،

(١) الآيتان ٣٠ - ٣١ من سورة التوبة .

(٢) الآية ١٧١ من سورة النساء .

(٣) الآية ١٤ من سورة الصف . وظاهرين غالبين .

(٤) الآية ١١١ من سورة المائدة .

وأما أن يكونوا هم الذين يحدثنا عنهم القرآن ويدكر أنهم أنصار الله وتكون هذه الكتب من تأليف أناس آخرين ونسبت إليهم بهتاناً وزوراً .

٢ - قال تعالى في شأن القرآن الكريم (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ^(١)) . جعل سبحانه عدم وجود اختلاف في القرآن دليلاً على كونه من عنده عز شأنه ، وبالتالي يكون وجود الاختلاف في أي كتاب دليلاً على كونه من عند غير الله ، وهاك بعض الأمثلة من اختلافات مصنفي العهد الجديد .

المثال الأول :

اختلاف متى ولوقا في نسب المسيح عليه السلام من وجوه ستة ، ذكرها الشيخ برحمة الله الهندي في كتابه إظهار الحق ^(٢) وهذا الاختلاف الذي يعترف به علماء النصارى ^(٣) ولا يجحدون مناصاً من الاقرار به يدل على أمرين :

أحدهما : أن أحداً الانجيليين لم يكتب بالالهام بيقين ؛ إذا فرضنا أن أحدهما صادق والآخر كاذب ؛ فالكاذب لا شك لم يكن بالالهام ، وإلا كانت الاله الذي أوحى به كاذباً وذلك لا يليق بحسب بداهة العقل ، ولما كان الصحيح منهما غير متعين فالشك يرد على الاثنين حتى يثبت الصحيح ويقوم الدليل على صدقه دون الآخر ، ومع هذا الشك لا يمكن الاعتقاد بأن ثمة إلهاماً ، فإن الشك إن اعتري الأصل زال الاعتقاد .

(١) من الآية ٨٢ من سورة النساء .

(٢) انظر اظهر الحق (١ : ٥٥) ، والفارق بين المخلوق والخالق (ص ٢٤ - ٢٥) وكتاب محاضرات في النصرانية (ص ٨٣ - ٨٤) وقارن بين إنجيل متى (١٦ : ١٥) و (١٦ : ١) و (١٢ : ١) و (١ : ١٦) وإنجيل لوقا (٣ : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٣٤) .

(٣) أمثال اكهارن وكيسر وهيس وديوث ووتر وغيرهم - انظر إظهار الحق ١ : ٥٥ .

ثانيها : أن إنجيل متى لم يكن معروفاً للوقا ولو كان لوقا يعرفه لراجعه ولما وقع في الخطأ الذي وقع فيه ، أو على الأقل ما خالفه ، وهذا يدل على أنه لم يكن موجوداً قط ^(١).

المثال الثاني :

نقل يوحنا عن عيسى عليه السلام في الاصحاح الخامس آية ٣١ من إنجيله مانصه « إن كنتُ أشهدُ لنفسي فشهادتي ليست حقاً » ونقل في الاصحاح الثامن آية ١٤ من الانجيل نفسه أنه قال : « إن كنتُ أشهدُ لنفسي فشهادتي حق » .

المثال الثالث :

اختلاف متى ولوقا في شأن اللصين الذين صلبا مع المسيح ؛ فعلى رواية متى أنها كانا كافرين ، وعلى رواية لوقا : أن أحدهما مؤمن والآخر كافر ^(٢).

المثال الرابع :

وقد اشتملت بعض هذه الأناجيل على أخبار لو صحت لكانت معلومة مشهورة في التاريخ يعرفها الخاص والعام، ولدونها كتب التاريخ على أنها حوادث مفردة عجيبة في الدهر، ولكن لم يرد لها ذكر في التاريخ ولم يعرف الناس أمرها إلا من تلك الكتب ، فمن هذه الأخبار :

أ - ماجاء في إنجيل متى في الباب السابع والعشرين آية ٥١ - ٥٣ بصدد صلب المسيح وقيامته : (فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى قسمين من فوق إلى أسفل ، والأرض تزلزلت ، والصخور تشققت ، والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ، ودخلوا المدينة المقدسة، وظهروا لكثيرين ، وأما قائد المائة

(١) محاضرات في النصرانية محمد أبو زهرة (ص ٨٤ - ٨٥) .

(٢) انظر انجيل متى ٢٧ : ٣٨ - ٤٤ ، وانجيل لوقا ٢٣ : ٣٩ - ٤٣ .

الذين يحرسون يسوع ، فلما رأوا الزلزلة وما كان خافوا جداً وقالوا ؟ حقاً كان هذا ابن الله .

وقد علق الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة على هذا بقوله : « وهذه حادثة عظيمة لو صحت لدونها التاريخ العام ولو صحت أيضاً لآمن الرومان واليهود ، ولكن لم ترد أخبار ييمان أحد من اليهود على إثر تلك الينبات الباهرات ، ولقد جزم العلامة المسيحي نورتن بكذب هذه الحكاية ، وقال في تكذيبها : هذه الحكاية كاذبة ، والغالب أن أمثال هذه الحكايات كانت رائجة في اليهود بعد خراب أورشليم ، ففعل أحداً كتب هذه الحكاية في حاشية النسخة العبرانية ، وأدخلها الكتاب في المتن ، وهذا المتن وقع في يد المترجم فترجمها كما وجدها^(١) . وما يدل على كذب هذه الحادثة أيضاً أن يوحنا - وكان معاصراً لمتى - لم يذكرها في إنجيله ، ولوقا لم يذكرها إلا انشقاق الحجاب مع أنه كان متبعاً كل شيء من الأول بتدقيق كما ذكر ذلك في أول إنجيله .

ب - وما جاء في إنجيل متى في الاصحاح السادس عشر آية ٢٧ - ٢٨ من قوله حكاية عن المسيح (فإن ابن الانسان - يعني نفسه - سوف يأتي في مجده أبيه مع ملائكته وحشند مجازي كل واحد حسب عمله . الحق أقول لكم : إن من القيام هنا قوم لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الانسان آتياً في ملكوته) أه . وهذا كذب فإن كل القائلين هناك ذاقوا الموت ومضى على موتهم مئات السنين ، ولم ير أحد منهم ابن الانسان - عيسى - آتياً في ملكوته في مجده مع الملائكة مجازياً كل إنسان حسب عمله .

ج - وما جاء في إنجيل متى أيضاً في الاصحاح الرابع والعشرين (٢٩ - ٣٤) حكاية عن المسيح : « ولوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس ،

(١) محاضرات في النصرانية ص ٨٧ - ٨٨ ، وانظر اظهر الحق ١ : ٨٨ .

والقمر لا يعطي ضوءه ، والنجوم تسقط من السماء ، وحينئذ تظهر علامة ابن
الانسان في السماء . . . الحق أقول لكم : لا يبقي هذا الجيل حتى يكون
هذا كله ، أها

فهذا كله كذب لأنه قد مضى الجيل المذكور ولم يحصل شيء مما ذكر ،
وهذه القصة ذكرت في إنجيل مرقس (١٣ : ٢٤ - ٣١) وفي إنجيل لوقا
(٢١ : ٢٥ - ٣٣) مع اختلاف في الألفاظ ومع زيادة ونقصان .

المثال الخامس :

لم تختلف الأنجيل الأربعة في مسألة من المسائل كاختلافها في مسألة القبض
على المسيح وحبه ثم محاكمته ، وصلبه فلا تكاد جزئية من الجزئيات في أحدها
تتحد مع الجزئية نفسها في إنجيل آخر .

ولما كانت هذه الأنجيل من تأليف قوم يدعي النصارى لهم الالهام ويعتقدون
خلوها من الخطأ ، كان ينبغي أن تكون كتابتهم في هذه الحادثة المهمة التي هي
مناط النجاة ودعابة الايمان في نظريهم متطابقة متوافقة بحيث لا يكون فيها اختلاف
أصلاً ، ولا أريد أن أورد أمثلة مخافة التطويل وإنما أجيل القارئ إلى كتاب قصص
الأنبياء^(١) للشيخ عبد الوهاب النجار ليطلع بنفسه عليها .

ويعجبي مقال الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه القيم (محاضرات في النصرانية)
ص ٨٦ - ٨٧ ، فقد قال مانصه : « وفي الحق أن من تراجع الأنجيل في خبرها عن
القبض على المسيح وحبه ، ثم محاكمته وصلبه ، ثم قيامته من قبره ، يجد الاختلاف في
أخبارها اختلافاً بيناً ، ولو كان بعض هذا الاختلاف في شهادة اثنين يشهدان في درهم
مأبثت بشهادتهما دعوى ولا انتصر بهما حق ، ولتراجع الأنجيل في هذا المقام لتعرف
مقدار الصحة في خبرها ولتعرف مقدار ما في دعوى الالهام لكاتبها عند كتابتها من

(١) ص ٤٣٤ - ٤٥٢ .

حق ، فلا شك أن ذلك الاختلاف الذي لا يمكن التوفيق بين متناقضه يؤدي إلى أن تلك الإنجيل يأتيها الشك من كل جانب ، يأتيها من بين يديها ومن خلفها فلا يمكن أن تكون إلهاماً من حكيم حميد ، وأن ذلك الاختلاف فيما أحاط بمسألة الصلب - فوق أنه يفقد الثقة بالإنجيل - هو أيضا يجعل خبر الصلب عند القاريء الخالي الذهن الذي لم يكن في ذهنه قبل القراءة ما ينفيه أو يثبت موضوع الشك يرجع فيه الرد على القبول والتكذيب على التصديق أهـ .

مصادر الانجيل :

قام الدكتور أحمد شلي في كتابه (المسيحية) بدراسة موضوعية بين فيها المصادر الحقيقية للمعتقدات المسيحية وقد انتفع في بحثه هذا بثلاثة مراجع أجنبية باللغة الأهمية ذكر أسماءها في كتابه المذكور .

وندع الدكتور شلي يتحدثنا عن هذه المراجع وما اقتبسه منها ومن غيرها فيقول :

« أما المرجع الأول فقد عقد فصلاً خاصاً لمناقشة المقارنة بين البوذية والمسيحية ويتضح من هذا الفصل أن المسيحية استعارت كثيراً من معتقداتها وشعائرها من البوذية ؛ فالتثليث ، والأقانيم ، وقصة الصلب للتكفير عن خطيئة البشر ، والزهد والتخلص من المال للدخول في ملكوت السموات ، والرهبانية ، وتعذيب الجسم . . . كلها مستعارة من البوذية .

وأما المرجع الثاني فدراسة واسعة مستفيضة حول الأصول التي انحدرت منها عقائد المسيحية وشعائرها ، وهذا المرجع يصور المسيحية ثوباً مهلهلاً تكون من مجموعة كبيرة من الرقاع ، جاءت كل رقعة منها من واد ، فبعض المعتقدات انحدرت من الأديان الوثنية ، وبعضها من البوذية ، وبعضها من الفلسفة الإغريقية ، وبعضها من الحرافات التي يدين بها البدائيون . . وهكذا .

وأما المرجع الثالث ، فإن عنوانه (المسيحية الوثنية) خير دليل على اتجاه مباحثه .

وبجانب هذه المراجع هناك مراجع أخرى سلكت هذا السبيل ، وفيما يلي صورة سريعة مستقاة من هذه الكتب توضح لنا بدقّة خطأ الادعاء الذي يرى أن هذه العقائد مستمدة من الأنجيل أو من أقوال عيسى ، فقد وجدت هذه الاتجاهات قبل عيسى وقبل الأنجيل بمئات السنين . وأول ما نوردّه اقتباس من الأستاذ عباس محمود العقاد يربط بين عقائد المسيحية وعقائد البدائيين ، يقول سيادته : (لما كشفت أمريكا الوسطى وجد الأسبان فيها أقواماً يتعبدون على أديان لا يعرفونها فخفف القساوسة والمبشرون إلى البلاد الجديدة ليجثوا في أديانها ويحولوا أقوامها إلى العقيدة المسيحية فأدهشهم بعد قليل من الدراسة أن يروا أن لهم شعائر على شيء من الشبه بنظائرهما في الديانة المسيحية ، وذلك كالتكفير عن الخطيئة والخلّاص وغيرها من المناسك) أهـ . كلام العقاد (وقد ظهرت البوذية قبل المسيحية بأكثر من خمسة قرون ويلاحظ غوستاف لوبون تشابهاً واضحاً بين الديانتين من ناحية الشكل ومن ناحية الموضوع وتقتبس منه قوله : (إنك تلاحظ تماثلاً عجباً من كل وجه بين صيام عيسى في البرية حيث حاول الشيطان أن يغويه ثلاث مرات ، وصيام بوذا في الأجسام حيث حاول الشيطان أن يغويه ثلاث مرات أيضاً ، ويذكرنا ما حدث لهذا الحكيم الهندوسي مع المرأة التي طلب منها أن تسقيه وهي من الطبقة الدنيا بما حدث لعيسى مع السامرية وما قاله لها ، وكلتا الديانتين أمرت بالإحسان والزهّد ، وكلتاها ناطت الخطيئة بالنيات كما تناط بالأعمال ، وكلتاها ابتدعت الرهبانية ، ولم تكونا سوى وجهين لحادث مهم واحد في تاريخ العالم ، ويختم غوستاف لوبون هذه المقارنة بقوله : وليس مما نبالي به كثيراً أن تكون إحداها مدينة للأخرى فلا ندرس هذا الأمر في هذا الكتاب . .) أهـ كلام غوستاف لوبون .

أما نحن فإننا ندرس هذا الأمر في هذا الكتاب ولذلك نقرر أن مسيحية

بولس استعارت هذا وسواه من البوذية فطبيعة اللاحق أن يستعير من السابق
ولا يمكن للعكس أن يكون ؛ وبخاصة أن هذه الاتجاهات دونت قبل ظهور
عيسى ^(١) « أ ه .



(١) المسيحية الدكتور أحمد شلبي ص ١٣٠ - ١٣٢ .

الباب الأول

الفصل الأول

- ١ - معنى الاسرائيليات .
- ٢ - بيان أقسامها .
- ٣ - حكم روايتها .

معنى الاسرائيليات

لفظ الاسرائيليات ، جمع مفردة اسرائيلية ، وهي قصة أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيلي . والنسبة فيها إلى إسرائيل ، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم أبو الأسباط الاثني عشر^(١) .

وقد ذكر اليهود في القرآن الكريم منسوبين إلى أبيهم إسرائيل^(٢) في

(١) الاسرائيليات في التفسير والحديث للأستاذ محمد حسين الذهبي نسخة مقدمة لجمع البحوث الاسلامية بالأزهر « ص ١٢ » .

(٢) من أشهر أسماء بني إسرائيل ، العبريون ، والاسرائيليون ، ويهود ، وقد قيل إنهم سموا بالعبرانيين نسبة لابراهيم الذي ذكر في سفر التكوين باسم « إبراهيم العبراني » =

مواضع كثيرة كقوله تعالى (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإني فارهون^(١)). وإسرائيل كلمة عبرانية مركبة من (إسرئ) بمعنى عبد أو صفوة . ومن (إيل) وهو الله ، فيكون معنى الكلمة عبد الله وصفوته من خلقه^(٢) .

قال الدكتور (جورج بوست) في قاموس الكتاب المقدس : (إسرائيل لقب يعقوب ، وهي تقييد معنى الأمير المجاهد مع الله ؛ ثم اطلق هذا اللقب على جميع ذرية يعقوب إلى حين انفصال العشرة أسباط عن بيت داود^(٣) .

والمقصود من الاسرائيليات أو المعنى الاصطلاحي لها لم يتحدث عنه

= لأنه عبر نهر الفرات وأنهاراً أخرى .

وأما سبب تسميتهم اليهود ، فقد قيل إنهم سموا بذلك حين تابوا عن عبادة العجل ، وقالوا : إنا هدنا اليك - أي تبنا ورجعنا - قال صاحب لسان العرب : (اليهود - التوبة ، هاد يهود هوداً ، وتهود تاب ورجع إلى الحق . فهو هائد .. وفي التنزيل العزيز : (إنا هدنا اليك) أي تبنا اليك ، وقيل نسبة إلى قبيلة يهوذا « وعرب بقلب الذال دالاً » وقوله تعالى « وعلى الذين هادوا حزمنا كل ذي ظفر » معناه دخلوا اليهودية . . قاله سيويو : وفي الحديث : ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه . «رواه البخاري في كتاب التفسير ج ٦ ص ١٤٣» معناه أنهم يعلمانه دين اليهودية والنصرانية ويدخلانه فيه أهـ « لسان العرب ج ٤ ص ٤٥٠ - ٤٥٢ » .

ويذكر الكتاب المقدس قصة خرافية عن سبب تسمية إسرائيل بذلك ، فقد جاء في سفر التكوين الاصحاح الثاني والثلاثين مائنه (وصارعه - يقصد يعقوب عليه السلام - انسان حتى طلوع الفجر ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه ، فالتخلع حتى فخذ يعقوب في مصارعته معه وقال : اطلقني لأنه قد طلع الفجر ، فقال : لا أطلقك إن لم تباركني ، فقال له : ما اسمك ؟ فقال : يعقوب ، فقال : لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل ، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت) أهـ .

(١) الآية ٤٠ من سورة البقرة .

(٢) انظر دائرة معارف القرن العشرين (١٢ ص ٢٨٠) تحت كلمة « إسرائيل » .

(٣) قاموس الكتاب المقدس مجلد أول تحت كلمة « إسرائيل » .

المقدمون وإنما تحدث عنه عدد من الباحثين المحدثين ، فمنهم من قال : (لفظ الاسرائيليات وإن كان يدل بظاهرة على اللون اليهودي للتفسير ، وما كان للثقافة اليهودية من أثر ظاهر فيه ، إلا أنا نريد به ما هو أوسع من ذلك وأشم ، فنريد به ما يعم اللون اليهودي واللون النصراني للتفسير ، وما تأثر به التفسير من الثقافتين اليهودية والنصرانية ، وإنما أطلقنا على جميع ذلك لفظ الاسرائيليات من باب التغليب للجانب اليهودي على الجانب النصراني ، فإن الجانب اليهودي هو الذي اشتهر أمره ، فكثر النقل عنه ، وذلك لكثرة أهله وظهور أمرهم ، وشدة اختلاطهم بالمسلمين من مبدأ ظهور الاسلام إلى أن بسط رواقه على كثير من بلاد العالم ، ودخل الناس في دين الله أفواجا (١) .

ومنهم من قال : (هذه الكلمة يهودية الأصل ، وقد غلبت على كل ما نقل من اليهودية إلى الاسلام وما نقل عن الأديان الأخرى إليه أيضا .. ولكنها خصت بهذا الاسم لأن أغلب ما نقل عن اليهودية والأديان الأخرى كان طريقه أولئك الاسرائيليون (٢)) .

ومنهم من قال : (يطلق علماء المسلمين كلمة إسرائيليات على جميع العقائد غير الاسلامية ولا سيما تلك العقائد والأساطير التي دسها اليهود والنصارى في الدين الاسلامي منذ القرن الأول الهجري (٣)) .

ومنهم من قال : (الاسرائيليات اصطلاح أطلقه المدققون من علماء الاسلام على القصص والأخبار اليهودية ، والنصرانية التي تسربت إلى المجتمع الاسلامي ، بعد دخول جمع من اليهود والنصارى إلى الاسلام أو تظاهرهم بالدخول فيه (٤) .

(١) التفسير والمفسرون (١: ١٦٥) .

(٢) نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن للدكتور السيد أحمد خليل ص ٣٧

(٣) السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية - فان فلوطن -

ص ١٠٩ ترجمة وتعليق الدكتور حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم .

(٤) (الألوسي مفسراً « رسالة مخطوطة بجامعة القاهرة » محسن عبد الحميد ص ٣١٩

ويلاحظ أن هذه الآراء متقاربة المعنى ؛ وإنما تفاوتت من حيث الشمول وعدمه .

والنهج الذي سنسير عليه في بحثنا هذا هو أخذ هذا اللفظ بمفهومه الواسع بحيث يشمل كل دخیل على التفسير ، وبخاصة ما فيه مبالغة ودس وكذب وتخريف ولو كان مروياً عن غير إسرائيليين ، أو متعلقاً بقصص غير إسرائيلي ، لأننا لاحظنا أن كثيراً من كتب التفسير بالمأثور تورد بيانات مسبهة حول القصص والشخصيات والأعلام والأحداث القرآنية معزوة إلى بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعيهم من غير مسلمي أهل الكتاب ، وفيها كثير من الإغراب والخيال والمبالغة ، ومن هذه البيانات ما هو حول قصص وشخصيات ليست واردة في أسفار أهل الكتاب مثل قصة هود وقومه عاد ، وصالح وقومه ثمود ، وشعيب وقومه ، وأصحاب الايكة ، وأهل الرس ، ولقمان وغير ذلك ، بما هو عزي أو غير إسرائيلي ، ومنها ما رواه بصيغة أحاديث نبوية غير واردة في كتب الأحاديث المعتبرة بحيث يكون إطلاقنا على هذه البيانات - عند ما نتعرض إليها - اسم الاسرائيليات ليس على جهة الحقيقة ، وإنما هو من قبيل التغليب .

يقول الاستاذ أمين الحولي : « وكان اليهود في ماضيهم الطويل قد شرفوا راحلين من مصر ومعهم آثار حياتهم قيا معهم ، ثم أبعدوا مشرقين إلى بابل في أسرهم .. وقد حملوا من أقصى المشرق في بابل وأقصى المغرب في مصر ما حملوا ، وجاء البيئة العربية الاسلامية من كل هذا المزيج ما جاء ، إلى جانب ما بعث إليها الديانات الأخرى التي دخلت تلك الجزيرة ، وألقت إلى أهلها ما ألقت من خبر أو قصص ديني ، وكل أولئك قد تردد على آذان قارئ القرآن ، ومتفهميه ، قبلما خرجوا إلى ما حول جزيرتهم شرقاً وغرباً فاتحين ، ثم ملأ آذانهم حين خالطوا أصحاب تلك البلاد التي نزلوها وعاشوا بها ، وإن كان الذي اشتهر من ذلك هو

اليهودي ، لكثرة أهله ، وظهور أمرهم فدعيت تلك التزييدات التي اتصلت بمرويات التفسير النقلي باسم الاسرائيليات ^(١) .



(١) دائرة المعارف الاسلامية المجلد الخامس ص ٣٥١ تعليق الاستاذ أمين الخولي
تحت مادة « تفسير » .

اقسام الاسرائيليات

تنقسم الاسرائيليات إلى اقسام متعددة باعتبارات مختلفة :

فتنقسم أولاً باعتبار السند إلى ما يلي :

أ - صحيح من ناحية سنده ومتنه ، ومثاله : ما رواه البخاري في صحيحه قال : حدثنا عبد الله بن سلمة حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال بن أبي هلال عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن هذه الآية التي في القرآن (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ^(١)) قال : في التوراة : (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ، وحرزاً للأمين ، أنت عبيد ورسولي سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ، فيفتح به أعينا عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً ^(٢)) .

ب - ضعيف من ناحية سنده أو متنه :

فمثال الأول : ما رواه ابن جرير في تفسيره قال : (حدثنا القاسم قال : حدثنا الحسين قال حدثنا حجاج عن ابن جريج عن وهب بن سليمان عن شعيب

(١) من الآية ٤٥ من سورة الأحزاب .

(٢) صحيح البخاري كتاب التفسير (٦ : ١٦٩ - ١٧٠) ، وانظر تفسير ابن كثير ٢ : ٢٥٣ وقد ذكر نحو هذا عن عبد الله بن سلام وكعب الأحبار ، انظر كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ١ : ١٩ .

الجبائي قال : في كتاب الله : الملائكة حملة العرش لكل ملك منهم وجه إنسان
وثور وأسد ، فإذا حركوا أجنحتهم فهو البرق (١) . أه .

وشعيب الجبائي : يماي يروي من أساطير أهل الكتاب ؛ قال صاحب لسان
الميزان في ترجمته : (أخباري متروك) ثم ذكر شيئاً مما لا يقبله العقل من كلامه (٢) .

ومثال الثاني : ما ذكره ابن كثير في تفسيره قال : قال عبد الرزاق في
تفسيره عن الثوري عن موسى بن عقبة ، عن سالم عن ابن عمر عن كعب الأخبار
قال : ذكرت الملائكة أعمال بني آدم وما يأتون من الذنوب ، فقبل لهم اختاروا
منكم اثنين ، فاختاروا هاروت وماروت ، فقال لهما : إني أرسل إلى بني آدم رسلاً
وليس بيني وبينكم رسول ؛ انزلا لا تشركاني شيئاً ، ولا ترنيا ، ولا تشربا الخمر . قال
كعب : فوالله ما أمسيا من يومها الذي اهبطا فيه حتى استكملا جميع ما نهيا عنه .
وقد علق ابن كثير على هذا الإسناد بقوله :

(وهذا أصح وأثبت إلى عبد الله بن عمر من الاسنادين المتقدمين (٣)) .

ثم ذكر ابن كثير رواية أخرى عن ابن جرير قال : حدثنا المثنى حدثنا
الحجاج أخبرنا حماد عن خالد الخذاء عن عمير بن سعد ، قال سمعت علياً رضي الله

(١) تفسير الطبري « ١ : ٣٤٤ » طبعة دار المعارف .

(٢) لسان الميزان لابن حجر « ٣ : ١٥٠ » .

(٣) تفسير ابن كثير « ١ : ١٣٨ » ، ويقصد بالاسنادين ما قاله الامام أحمد رحمه الله
أخبرنا يحيى بن بكير حدثنا زهير بن محمد عن موسى بن جبير عن عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما ، مرفوعاً ، ثم ذكر الحديث ، وما قاله ابن مردويه : حدثنا دعلج بن أحمد
حدثنا هشام بن علي بن هشام حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا سعيد بن سلمة حدثنا موسى بن
مرجس عن نافع عن ابن عمر « مرفوعاً » وقد علق الشيخ أحمد شاكر على كلام ابن
كثير بقوله : « وإن من رفعه قد أخطأ ووم لأن الذين رووه من قصص كعب الأخبار
أحفظ وأوثق من رووه مرفوعاً . وهو تعليل دقيق من امام حافظ جليل (مسند الامام
أحمد ٩ : ٣٥ - ٤٠) .

عنه يقول : كانت الزهرة امرأة جميلة من أهل فارس . . . الخ القصة) ، وعلق ابن كثير بقوله : (وهذا الاسناد رجاله ثقات وهو غريب جداً ^(١)) .

وقد نقد متن الحديث الامام فخر الدين الرازي بقوله : واعلم أن هذه الرواية فاسدة مردودة غير مقبولة ^(٢) ، ثم بين أوجه فسادها من ناحية متنها .

وقال الشيخ أحمد شاكر : (مخالفته - أي الحديث - واضحة للعقل لا من جهة عصمة الملائكة القطعية بل من ناحية أن الكوكب الذي نراه صغيراً في عين الناظر قد يكون حجمه أضعاف حجم الكرة الأرضية بالآلاف المولفة من الأضعاف فأنى يكون جسم المرأة الصغير ^(٣) إلى هذه الأجرام الفلكية الهائلة ^(٤)) .

ج - موضوع : وهو ما كان مختلفاً مصنوعاً ومثاله : ما رواه ابن جرير عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن بني إسرائيل لما اعتدوا وعلوا وقتلوا الأنبياء بعث الله عليهم ملك فارس مختصر ، وكان الله ملكه سبعائة سنة ، فسار إليهم حتى دخل بيت المقدس فحاصرها وقتلها وقتل على دم زكريا سبعين ألفاً ثم سبى أهلها . . . وسلب حلي بيت المقدس واستخرج منها سبعين ألفاً ومائة ألف عجلة من حلي حتى أورده بابل . قال حذيفة : فقلت : يا رسول الله لقد كان بيت المقدس عظيماً عند الله ؟ ، قال : أجل بناء سليمان بن داود من ذهب ودر وياقوت وزبرجد ، وكان بلاطه : بلاطة من ذهب وبلاطة من فضة ، وعمده ذهباً . . . الخ ^(٥)) .

(١) تفسير ابن كثير «١: ١٣٦» .

(٢) تفسير الرازي «٣: ٢١٩-٢٢٠» .

(٣) تذكر الرواية الموقوفة على علي كرم الله وجهه والتي ذكرها ابن كثير : ان المرأة قد ارتفعت الى السماء ومسخت كوكبا وهو كوكب الزهرة .

(٤) عمدة التفسير اختصار وتحقيق الشيخ أحمد شاكر رحمه الله «١: ١٩٦، ١٩٧» .

(٥) تفسير الطبري «١٥: ١٧» ط بولاق .

وقد علق الحافظ ابن كثير على هذا بقوله : وقد روى ابن جرير في هذا المكان حديثاً أسنده عن حذيفة مرفوعاً مطولاً وهو حديث موضوع لا محالة لا يستريب في ذلك من عنده أدنى معرفة بالحديث ، والعجب كل العجب كيف راج عليه مع جلالة قدره وإمامته . وقد صرح شيخنا الحافظ العلامة أبو الحجاج المزي : بأنه موضوع مكذوب وكتب ذلك على حاشية الكتاب (١).

وتنقسم ثانياً باعتبار موضوع الخبر الاسرائيلي إلى ما يلي :

أ - ما يتعلق بالعقائد ومثاله : ما رواه البخاري في كتاب التفسير عن عبد الله بن مسعود قال : جاء خبر من الأخبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أحمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع فيقول : أنا الملك ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الخبر ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وما قدروا الله حق قدره ... الآية (٢)).

ب - ما يتعلق بالأحكام ومثاله : ما رواه البخاري في كتاب التفسير عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن اليهود جاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم برجل منهم وامرأة قد زنيا ، فقال لهم : « كيف تفعلون بمن زنى منكم ؟ » قالوا : نحممها ونضربها ، فقال : « لا تجدون في التوراة الرجم ؟ » فقالوا : لا نجد فيها

(١) تفسير ابن كثير (٣ : ٢٥) .

(٢) الآية ٦٧ من سورة الزمر ، قال الحافظ بن حجر في شرحه للحديث : قال ابن التين : تكلف الخطابي في تأويل الإصبع وبالغ حتى جعل ضحكاً صلى الله عليه وسلم تعجباً وإنكاراً لما قال الخبر ورد ما وقع في الرواية الأخرى (فضحك صلى الله عليه وسلم تعجباً وتصديقاً) بأنه على قدر ما فهم الراوي ، قال النووي : وظاهر السياق أنه ضحك تصديقاً له بدليل قراءته الآية التي تدل على صدق ما قال الخبر ، وقال ابن حجر معلقاً : والأولى في هذه الأشياء الكف عن التأويل مع اعتقاد التنزيه . فتح الباري « ١٠ : ١٧١ » .

شيئاً ، فقال لهم عبد الله بن سلام : كذبتكم ، فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ، فوضع مدراسها الذي يدرسها منهم كفه على آية الرجم ، فطقق يقرأ ما دون يده وما وراءها ولا يقرأ آية الرجم ، فنزع يده عن آية الرجم ، فقال : ماهذه ؟ فلما رأوا ذلك قالوا : هي آية الرجم ، فأمر بها فرجما قريباً من حيث موضع الجنائز عند المسجد فرأيت صاحبها يحنأ^(١) عليها يقبها الحجارة^(٢) .

ومنه ما رواه السيوطي في الدر عن ابن عباس في قوله تعالى (كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه^(٣)) قال : العرق ، أخذه عرق النساء فكان يبيت له رقاء - صياح - فجعل الله عليه إن شفاه أن لا يأكل لحماً فيه عروق ، فحرمت اليهود^(٤) .

ومنه أيضاً ما رواه الامام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عباس قال : حضرت عصابة من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنها لا يعلمن إلا نبي ، فكان فيما سأله : أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه قبل أن تنزل التوراة ؟ قال : « فأنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل - يعقوب عليه السلام - مرض مرضاً شديداً ، فطال سقمه ، فنذر الله نذراً لئن شفاه الله من سقمه ليحرم من أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه ، فكان أحب الطعام إليه لحنان الابل ، وأحب الشراب إليه ألبانها » فقالوا : اللهم نعم^(٥) .

ج - ما يتعلق بالمواعظ وتفصيل بعض الجزئيات مما ليس له صلة

«١» ميل عليها وينعطف .

«٢» صحيح البخاري كتاب التفسير ٤٦: ٤٧ - ٤٧ .

«٣» الآية ٩٣ من سورة آل عمران .

«٤» الدر المنثور للسيوطي « ٥١ : ٢ » .

«٥» المسند « ٤ : ١٥٦ - ١٥٧ - ١٦١ - ١٦٢ » .

بالقسامين السابقين ، ومن أمثلته ما ذكره بعض المفسرين ومنهم مقاتل بن سليمان عند قوله تعالى « وإني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون »^(١) .

يقول مقاتل في وصف هذه الهدية : (فأرسلت بهدية مع الوفد عليهم المنذر ابن عمرو . والهدية مائة وصيف ووصيفة ، وجعلت للجارية قصة أمامها وقصة خلفها ، وجعلت للغلام قصة أمامه وذؤابة وسط رأسه ، والبستهم لباساً واحداً ، وبعثت بحقة فيها جوهرتان إحداهما مثقوبة والأخرى غير مثقوبة ، وقالت للوفد : إن كان نبياً فسيميز بين الجواري والغلمان ويخبر بما في الحقة .. فلما انتهت إلى سليمان ميز بين الوصفاء والوصائف ، وحرك الحقة وجاء جبريل وأخبره بما فيها ، فقليل له : أدخل في المثقوبة خطأً من غير حيلة إنس ولا جان ، واثقب الأخرى من غير حيلة إنس ولا جان ، وكانت الجوهرة المثقوبة معوجة الثقب فأتته دودة تكون في الفيصفة^(٢) - وهي الرطبة - فربط في مؤخرتها خطأً ، فدخلت الجوهرة حتى أنفذت الحيط بالجانب الآخر ، فجعل رزقها في الفيصفة ، فجاءت الأرض فقالت لسليمان : اجعل رزقي في الحشب والسقوف والبيوت ، قال : نعم ، فثقتب الجوهرة ، وهذه حيلة من غير إنس ولا جان ، وسألوه ماء لم ينزل من السماء ولم يخرج من الأرض فأمر بالحيل فأجريت حتى عرقت ، فجمع العرق في شيء حتى صفا وجعل في قداح الزجاج ، فعجب الوفد من عمله ، وجاء جبريل عليه السلام فأخبره بما في الحقة فأخبرهم سليمان بما فيها ، ثم رد سليمان الهدية وقال للوفد : أتمدوني بما آتاني الله خير مما آتاكم^(٣)) .

وما ذكره الحافظ ابن كثير عن قصة جريج العابد فقال :

(إن جريجاً اتهمته امرأة بغى بنفسها ، وادعت أن حملها منه ، ورفعت

(١) الآية ٣٥ من سورة النمل .

(٢) نبات تأكله الدواب .

(٣) الآية ٣٦ من سورة النمل ، وانظر تفسير مقاتل « ١٠٥٧ : ٣ - ١٠٥٨ »

أمرها إلى ولي الأمر ، فأمر فانزل من صومعته وخربت صومعته وهو يقول :
مالكم ! مالكم ! قالوا : يا عدو الله ، فعلت بهذه المرأة كذا وكذا ، فقال
جريج : اصبروا ، ثم أخذ ابنها وهو صغير جداً ، ثم قال : يا غلام من أبوك ؟ قال :
أبي الراعي - وكانت قد أمكنته من نفسها فحملت منه - ولما رأى بنو إسرائيل
ذلك عظموه كلهم تعظيماً بليغاً وقالوا : نعيد صومعتك من ذهب ، قال : لا بل
أعيدوها من طين كما كانت ^(١).

وتنقسم ثالثاً باعتبار الموافقة لما في شريعتنا والمخالفة لها إلى ما يلي :

١ - موافق لما في شريعتنا ومثاله . مارواه مسلم من طريق فاطمة بنت
قيس - وكانت من المهاجرات الأول - قالت : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم - بعد أن جمع الناس - « إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ؛ ولكن
جمعتكم لأن تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً فجاء فبايع وأسلم ، وحدثني حديثاً
وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال ... الخ ^(٢) » .

وروى الشيخان عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : « تكون الأرض يوم القيامة خبزة نزل لأهل الجنة » فأتى رجل من اليهود فقال :
بارك الله عليك يا أبا القاسم ، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة ، قال : بلى .
قال : تكون الأرض خبزة ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ثم نظر النبي صلى الله
عليه وسلم ثم ضحك حتى بدت نواجذه ^(٣).

٢ - مخالف لما في شريعتنا ومثاله :

ما أخرجه النسائي وابن جرير وابن أبي حاتم بسند قوي عن ابن عباس
رضي الله عنهما ، قال : أراد سليمان أن يدخل الخلاه فأعطى الجراد خاتمه - وكانت

(١) تفسير ابن كثير « ٤ : ٣٤١ » .

(٢) صحيح مسلم كتاب الفتن وأشرط الساعة باب قصة الجساسة « ٤ : ٢٢٦١ » .

(٣) صحيح البخاري كتاب الرقاق .

جرادة امرأته وكانت أحب نسائه إليه — فجاء الشيطان في صورة سليمان، فقال لها هاتي خاتمي فأعطته . فلما لبسه دانت له الجن والانس والشياطين ، فلما خرج سليمان عليه السلام من الحلاء قال لها : هاتي خاتمي ، فقالت : قد أعطيته سليمان ، قال : أنا سليمان ، قالت : كذبت ، لست سليمان ، فجعل لا يأتي أحداً ، يقول أنا سليمان إلا كذبه ، حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة ، فلما رأى ذلك عرف أنه من أمر الله عز وجل وقام الشيطان يحكم بين الناس . فلما أراد الله تعالى أن يرد على سليمان سلطانه ألقى في قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان، فأرسلوا إلى نساء سليمان عليه السلام فقالوا لهن : أياكم من سليمان شيء ، قلن : نعم ، إنه يأتينا ونحن حيض ، وما كان يأتينا قبل ذلك ، فلما رأى الشيطان أنه قد فطن له ، ظن أن أمره قد انفضح، فكتبوا^(١) كتباً فيها سحر ومكر ، فدفنوها تحت كرسي سليمان ثم أثاروها وقرؤوها على الناس قالوا : بهذا كان يظهر سليمان على الناس ويغلبهم ، فأكفر الناس سليمان فلم يزالوا يكفرونه ، وبعث ذلك الشيطان الخاتم فطرحه في البحر فتلقته سمكة فأخذته ، وكان سليمان عليه السلام يعمل على شاطئ البحر بالأجر ، وجاء رجل فاشترى سمكاً فيه تلك السمكة التي بها الخاتم فدعا سليمان عليه السلام وقال : تحمل لي هذا السمك ثم انطلق إلى منزله ولما انتهى الرجل إلى باب داره ، أعطاه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم ، فأخذها سليمان فشق بطنها فإذا الخاتم في جوفها ، فأخذها فلبسه ، فلما لبسه دانت له الانس والجن والشياطين وعاد إلى حاله ، وهرب الشيطان حتى لحق بمجزيرة من جزائر البحر ، فأرسل سليمان في طلبه — وكان شيطاناً مريداً — يقبضونه ولا يقدرّون عليه حتى وجدوه يوماً ثامناً فجاءوا فبنوا عليه بنياناً من رصاص فاستيقظ فوثب فجعل لا يثبت في مكان من البيت إلا دار معه الرصاص ، فأخذوه وأوثقوه وجاؤوا به إلى سليمان عليه السلام ، فأمر به فنقر له في رخام ثم أدخل في جوفه ثم سد بالنحاس ، ثم أمر به

(١) أي الشياطين .

فطرح في البحر وذلك قوله : (ولقد فتنا سليمان وألقيناعلى كرسيه جسداً . . .)
يعني الشيطان الذي كان قد تسلط عليه^(١).

٣ - مسكوت عنه وليس في شريعتنا ما يؤيده ولا ما ينقضه . مثاله :

ما جاء في تفسير مقاتل للآية ٢٥٨ من سورة البقرة وهي « ألم تر إلى الذي
حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال
أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب
فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين » . (بهت غمرود الجبار فلم يدر
ما يرد على إبراهيم ، ثم إن الله عز وجل سلط على غمرود بعوضة بعدما أنجى الله
إبراهيم من النار ، فعضت شفته ، فأهوى إليها فطارت في منخره ، فذهب ليأخذها
ويستخرجها ، فدخلت في خياشيمه ، فذهب ليستخرجها فدخلت دماغه ، فعذبه
الله بها أربعين يوماً ، ثم مات منها ، وكان يضرب رأسه بالمطرقة ، فإذا ضرب
سكنت البعوضة ، وإذا رفع عنها تحركت ، فقال الله سبحانه : وعزتي وجلالي
لا تقوم الساعة حتى آتي بها - يعني الشمس - (من قبل المغرب) فيعلم من يرى
ذلك أني أنا الله قادر على أن أفعل ما شئت^(٢) .

هذا وما هو ملحوظ أن هذه التقسيمات الثلاثة إنما هي بالاعتبارات

(١) الدر المنثور ، وقد نبه الخافظ ابن الجوزي ووافقه السيوطي على وضع
هذه القصة ، والصحيح المتعين في تفسير الفتنة هو ما جاء في الصحيحين ولفظ البخاري
عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة على
سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارساً يجاهد في سبيل الله - ولم يستثن ولو استثنى لكان -
فطاف على السبعين امرأة فلم تحمل امرأة إلا امرأة واحدة حملت بشق إنسان . انظر الدر
المنثور للسيوطي (٣١١ : ٥) وانظر أيضاً قصة داود وأوربا في المرجع السابق عند قوله
تعالى (وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب) .

(٢) تفسير مقاتل « ١ : ١٢٣ - ١٢٤ » .

المذكورة وواضح كل الوضوح انها متداخلة يمكن إرجاع بعضها إلى بعض
ويمكن أن ندخلها كلها تحت هذه الأقسام الثلاثة :

- ١ - مقبول .
- ٢ - مردود .
- ٣ - ومتوقف فيه ^(١) .



(١) انظر : الاسرائيليات وأثرها في التفسير والحديث في هذه الرسالة .

حكم رواية الإسرائيليات

ورد في هذه المسألة عدد من الأحاديث والآثار توهم التعارض ، بعضها يميز وبعضها الآخر يمنع ، ونرى أن نعرض لذكر هذه الأحاديث والآثار بادئين بأحاديث المنع ، ثم نثني بأحاديث الجواز ، ثم نوفق بين هذه وتلك على قدر ما يفتح الله به . فنقول :

أولاً : أدلة المنع :

١ - أخرج الامام أحمد والبخاري - واللفظ له - عن جابر رضي الله عنه قال : نسخ عمر كتاباً من التوراة بالعربية ، فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقرأ ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغير ، فقال له رجل من الأنصار : ويحك يا ابن الخطاب ألا ترى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، وإنكم إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل ، والله لو كان موسى بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني ^(١) » .

٢ - وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا [آمنا بالله وما أنزل إلينا ... الآية] » ^(٢) .

(١) فتح الباري « ١٧ : ٢٠٩ » .

(٢) صحيح البخاري كتاب التفسير « ٦ : ٢٥ » .

٣ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : (يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيّه أحدث الأخبار بالله تقرؤونه لم يشب ، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب ، فقالوا : [هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً] ، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساوئهم ؟ ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم ^(١)) .

٤ - وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهى كعب الأخبار عن التحديث وأوعده بالنفي إلى بلاده ، وقال له : لتوكن الحديث عن الأول أو لالحقتك بأرض القردة ^(٢) .

ثانياً : أدلة الجواز :

قال تعالى مخاطباً أشرف خلقه صلى الله عليه وسلم : (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ^(٣)) وقد فعلها صلى الله عليه وسلم - كما بيناه فيما سبق - واقتدى بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الصحابة رضوان الله عليهم لاعتقادهم أن ذلك سنة ؛ فاحتجوا عليهم بكتابهم بما يؤيد ديننا وبين ضلالهم . يقول الامام البقاعي - بعد أن أورد قصة رجم اليهوديين - اللذين زنيا - : « يعلم من هذا أن الأحسن في باب النظر أن يرد على الانسان بما يعتقد صحته ؛ ولأجل ذلك أرشد

(١) صحيح البخاري كتاب الشهادات (٣ : ٢٣٧) وقوله : وكتابكم ... أي القرآن . أحدث الأخبار بالله ، أي أقربها نزولاً إليكم من عند الله عز وجل ، فالحديث بالنسبة الى المنزل اليهم وهو في نفسه قديم ، لم يشب ، أي لم يخط ، فلا والله ما رأينا رجلاً منهم يسألكم : فيه تأكيد الخبر بالقسم ، وكأنه يقول : لا يسألونكم عن شيء مع علمهم أن كتابكم لا تحريف فيه فكيف تسألونهم وقد علمتم أن كتابهم محرف . انظر فتح الباري « ٦ : ٢٢٠ ، ٧ : ٢٨٠ » والأقوال القوية للبقاعي ورقة ١٩ مخطوطة .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير « ٨ : ١٠٨ » . والمراد بأرض القردة أرض اليمن .

(٣) الآية ٩٣ من سورة آل عمران .

سبحانه إليه ، فإنه لو استدل عليهم بكتابنا ما افتضحوا عند غير المسلمين مثل هذه الفضيحة العامة عند كل ذي عقل (١) .

ويقول العلامة الألوسي : (وما يدل على حل الرجوع إليها - أي التوراة - في الجملة قوله تعالى (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين) وقد كان المؤمنون من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار ينقلون منها ما ينقلون من الأخبار ، ولم ينكر ذلك ولا سماعه أحد من أساطين الاسلام ، ولا فرق بين سماع ما ينقلونه منه وبين قراءته فيها وأخذه منها ، وقد رجع إليها غير واحد من العلماء في إلزام اليهود والاحتجاج عليهم ببعض عباراتها في إثبات حقيقة بعثته صلى الله عليه وسلم (٢) .

٢ - ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل كنيسة لليهود وسمع قراءة التوراة حتى أتوا على صفته : فقد روى الامام أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : إن الله عز وجل ابتعث نبيه بإدخال رجل الجنة ، فدخل الكنيسة ، فإذا يهودي يقرأ عليهم التوراة فلما أتوا على صفة النبي صلى الله عليه وسلم أمسكوا وفي ناحيته رجل مريض ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما لكم أمسكتم ؟ » فقال المريض إنهم أتوا على صفة نبي فأمسكوا ، ثم جاء المريض يحبو حتى أخذ التوراة فقرأ حتى أتى على صفة النبي صلى الله عليه وسلم وأمه ، فقال : هذه صفتك وصفة أمتك ، أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله . ثم مات ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « لو أخاكم (٣) » .

(١) الأقوال القوية في حكم النقل من الكتب القديمة للبعاي مخطوطة ورقة ١٥ .

(٢) روح المعاني « ٨٥ : ٢٠ » .

(٣) المسند « ٦ : ٢٣ - ٢٤ » حديث رقم ٣٩٥١ ، وانظر تفسير القاسمي « ١ : ٤٣ » وقوله « لو أخاكم » . هو فعل أمر من « ولي يلي » يأمرم بتولي أمره من غسل وصلاة ودفن لأنه مات مسلماً .

٣ - وروى مسلم من طريق فاطمة بنت قيس قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - بعد أن جمع الناس - : إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ؛ ولكن جمعتكم لأن تيمموا الداري كان رجلاً نصرانياً وأسلم ، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال ... الخ^(١).

٤ - وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن ثلاثة في بني إسرائيل : أبرص ، وأقرع ، وأعمى بدا الله أن يبتليهم ، فبعث إليهم ملكاً ، فأتى الأبرص ، فقال أي شيء أحب إليك ؟ قال : لون حسن وجلد حسن ، قد قذرتني الناس ، قال : فمسحه فذهب عنه ، فأعطني لوناً حسناً وجلداً حسناً ، فقال : أي المال أحب إليك ؟ قال : الابل ، أو قال : البقر - هو شك في ذلك أن الأبرص والأقرع قال أحدهما ، الابل وقال الآخر : البقر - فأعطني ناقة عشراء فقال يبارك لك فيها . وأتى الأقرع فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : شعر حسن ويذهب عني هذا قد قذرتني الناس ، فقال فمسحه فذهب وأعطني شعر أحسن قال : فأي المال أحب إليك ؟ قال : البقر ، قال فأعطاه بقرة حاملاً وقال يبارك لك فيها ، وأتى الأعمى فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال يرد الله إليّ بصري فأبصر به الناس ، قال فمسحه فرد الله إليه بصره ، قال : فأي المال أحب إليك ؟ قال : الغنم ، فأعطاه شاة والدأ ، فأنجج هذان وولّد هذا ، فكان لهذا واد من ابل ، ولهذا واد من بقر ، ولهذا واد من الغنم ، ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال : رجل مسكين تقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي أعطاك اللوت الحسن والجلد الحسن والمال ، بغيراً أتبلغ عليه في سفري ، فقال له : إن الحقوق كثيرة . فقال له : كأنني أعرفك : ألم تكن أبرص يقذرك الناس ، فقيراً فأعطاك الله ، فقال : لقد ورثت لكبر عن كبر ، فقال : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت ، وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له : مثل ما قال لهذا ، فرد عليه

(١) صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأثرها الساعات باب قصة الجساسة « ٤ : ٢٢٦١ » .

مثمارد عليه هذا، فقال : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت ، وأتى الأعمى في صورته ، وقال رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت بي الحبال في سفري ؛ فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أبلغ بها في سفري ، فقال : قد كنت أعمى فرد الله بصري وفقيراً فقد أغنانني ، فخذ ماشئت فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته الله ، فقال : أمسك مالك فإنما ابتليتم ، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك^(١) .

٥ - وروى البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار^(٢) » .

٦ - وقد اقتنى بعض الصحابة أسفار أهل الكتاب وأدمن مطالعتها :
روى الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة عبد الله بن عمرو بن العاص أنه أصاب جملة من كتب أهل الكتاب وأدمن النظر فيها ورأى فيها عجائب^(٣) .

وروى أيضاً في ترجمة عبد الله بن سلام أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : إني قرأت القرآن والتوراة . فقال : « اقرأ هذا ليلة وهذا ليلة » .
وعلق الذهبي بقوله : فهذا - إن صح - ففيه الرخصة في تكرير التوراة وتدبرها^(٤) أه . أي ليعلم المحرّف فيها من سياق القرآن الكريم ، ويتبصر فيما تقوم به الحجة على حملة أسفارها ، وليزداد معرفة بمجادلتهم من معتقدهم ، ولغير ذلك .

(١) صحيح البخاري كتاب بدء الخلق ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل

« ٢٠٨ : ٤ » .

(٢) المرجع السابق ، كتاب احاديث الأنبياء .

(٣ و ٤) تذكرة الحفاظ للذهبي « ٤١٠ : ٢٧ » .

وذكر الحافظ ابن كثير حديثاً مرفوعاً عن عبد الله بن عمرو بن العاص ثم شك في صحة رفع هذا الحديث؛ فعلق عليه بقوله : وفي صحة الحديث نظر ولعله من كلام عبد الله بن عمرو من زاملته اللتين وجدهما يوم اليرموك ^(١) .

وقال أيضاً في مقدمة تفسيره : غالب ما يرويه إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير في تفسيره عن هذين الرجلين (ابن مسعود، وابن عباس) ولكن في بعض الأحيان ينقل عنهم ما يحكونه من أقاويل أهل الكتاب التي أباحها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : « بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .

وروى الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة أبي هريرة : عنه أنه لقي كعباً فجعل يحدثه، ويسأله فقال كعب : ما رأيت أحداً لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبي هريرة ^(٢) .

٣ - التوفيق بين الأدلة :

هذه أدلة المنع وأدلة الجواز، ووجه التوفيق بين هذه الأحاديث التي تفيد النهي عن سؤال أهل الكتاب وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص الذي يجيز التحديث عنهم؛ يتبين لنا من شرح معنى حديث عبد الله بن عمرو ، فإن معنى قوله صلى الله عليه وسلم « وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج » أن حدثوا عنهم بما تعلمون صدقه وهو ما يوافق القرآن أو السنة الصحيحة لما في الحديث عنهم من العظة والاعتبار، ولا يجوز أن يكون المعنى حدثوا عنهم بكل حديث حق أو باطل إذ

(١) تفسير ابن كثير « ١٠٢:٣ » والحديث (نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشمس حين غابت فقال : في نار الله الحامية لولا ما يزعها من أمر الله لأحرق ما على الأرض) والزاملة البعير الذي يحمل عليه المتاع .

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي « ٢٩:١ » .

من المعلوم ضرورة أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يجيز التحديث بالكذب ، كما لا يجوز أن يكون المعنى حدثوا عنهم بما تعلمون كذبه .

قال الامام الشافعي : من المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يجيز التحديث بالكذب ؛ فالمعنى حدثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كذبه ، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم بالتحدث به عنهم ، وهو نظير قوله : « إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقهم ولا تكذبوهم »^(١) . وقوله : (ولا حرج) أي لا ضيق عليكم في الحديث عنهم ، لأنه كان قد تقدم منه صلى الله عليه وسلم الزجر عن الأخذ عنهم ، والنظر في كتبهم ، ثم حصل التوسع في ذلك ، لا لكل أحد ، ولكن لمن رسخ في علوم الشريعة وتمكن من معرفة أصريها ، فصار لديه من قوة النظر ما به يستطيع أن يميز بين الحق والباطل والصواب والخطأ كما فعل عبد الله ابن عمرو بن العاص حين أصاب يوم اليرموك زاملتين من علوم أهل الكتاب ، وكان يحدث منهما بما أذن به الشارع لا بكل ما فيها^(٢) .

قال الحافظ ابن حجر : وكان النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة ، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار^(٣) . أه .

ويجاب عن حديث ابن عباس رضي الله عنه (كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيه أحدث الأخبار بالله ... الخ) بأن هذا من قول ابن عباس وقد علمنا أنه كان يسمع ممن أسلم من أهل الكتاب .

وقوله (... ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذي أنزل

(١) فتح الباري كتاب أحاديث الأنبياء (٦: ٣٨٨)

(٢) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص ٤٥)

(٣) فتح الباري كتاب أحاديث الأنبياء (٦: ٣٨٨) .

عليكم) يدل على أن كلامه في أهل الكتاب الذين لم يسلموا ، فأما الذين أسلموا
فعمل ابن عباس يقتضي أنه لا بأس للعالم المحقق مثله أن يسأل أحدهم .

يقول الحافظ ابن حجر : وأما قوله تعالى (فاسأل الذين يقرؤون الكتاب
من قبلك ^(١)) فالمراد به من آمن منهم والنهي إنما هو عن سؤال من لم يؤمن منهم ^(٢) .

وأما حديث جابر : نسخ عمر كتاباً من التوراة فجاء به إلى النبي صلى الله
عليه وسلم ، فجعل يقرأ ووجه رسول الله يتغير . فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ... الحديث » .

فالنهي الوارد فيه كان في مبدأ الاسلام وقبل استقرار الأحكام خشية الفتنة ،
والإباحة بعد أن عرفت الأحكام واستقرت وذهب خوف الاختلاط كما مر بنا .

قال الحافظ ابن حجر في شرح الحديث ... (والذي يظهر أن كراهية
ذلك للتنزيه لا للتحريم ، والأولى في هذه المسألة التفرقة بين من لم يتمكن ويصر
من الراسخين في الإيمان فلا يجوز له النظر في شيء من ذلك ؛ بخلاف الراسخ فيجوز له
ولا سيما عند الاحتياج إلى الرد على المخالف ، ويدل على ذلك نقل الأئمة قديماً
وحديثاً من التوراة وإلزامهم اليهود بالتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم بما
يستخرجونه من كتابهم ، ولولا اعتقادهم جواز النظر فيه لما فعلوه وتواردوا عليه ^(٣) .

وقد نقل ابن بطال عن المهلب أنه قال : (هذا النهي إنما هو في سؤالهم
عما لا نص فيه ، لأن شرعنا مكثف بنفسه ، فإذا لم يوجد فيه نص ففي النظر
والاستدلال غنى عن سؤالهم ، ولا يدخل في النهي سؤالهم عن الأخبار المصدقة
لشرعنا والأخبار عن الأمم السالفة ^(٤) .

(١) الآية ٩٤ من سورة يونس .

(٢) فتح الباري (١٧: ١٠٠) كتاب التوحيد .

(٣) المرجع السابق (١٧: ٣٠٩) .

(٤) فتح الباري (١٧: ١٠٠) .

وقال البقاعي : (وهذه الاحاديث الناهية في إثبات حكم في شرعنا دليل عليه حتى يكون هداية لنا بمن أضل نفسه إلى شيء لم يهدنا شـرعنا إليه ، وحتى يكون اتباعاً لموسى عليه السلام وتركاً لنبينا صلى الله عليه وسلم ، وحتى يكون زيادة فيما عندنا لم تكن في شرعنا قبل ذلك ، وحتى يكون تهو كآ - أي تحيراً - كما في بعض طرق حديث جابر رضي الله عنه ليلزم عنه أن شرعنا ناقص ومحتاج إلى غيره^(١)) .

وقال الآلوسي - بعد أن أورد حديث جابر - (وأجيب بأن غضبه صلى الله عليه وسلم من ذلك لما أن التوراة التي بأيدي اليهود إذ ذاك كانت محرقة ، وفيها الزيادة والنقص وليست عين التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام ، وكان الناس حديثي عهد بكفر ، فلو فتح باب المراجعة إلى التوراة ومطالعتها في ذلك الزمان لأدى إلى فساد عظيم^(٢)) .

وأما من استدل بالتحريم بما ورد في حديث جابر المتقدم من غضبه صلى الله عليه وسلم^(٣) ، فهو معترض بأنه قد يغضب من فعل المكروه ، ومن فعل ما هو خلاف الأولى إذا صدر ممن لا يليق منه ذلك ، ومن ذلك غضبه من تطويل معاذ صلاة الصبح بالقراءة ، وقد يغضب ممن يقع منه تقصير في فهم الأمر الواضح مثل الذي سأل عن لقطة الابل^(٤) .

(١) الأقوال القوية ورقة ٣٣ .

(٢) روح المعاني (٢٠: ٨٤) .

(٣) يقصد الشيخ بدر الدين الزركشي، وقد استدل بحديث جابر الآنف الذكر على عدم الجواز وادعى الاجماع فيه وإليك نص عبارته : ... والاشتغال بنظرها وكتابتها - يقصد التوراة - لا يجوز بالاجماع وقد غضب صلى الله عليه وسلم حين رأى مع عمر صحيفة فيها شيء من التوراة ، وقال : « لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي » ولولا أنه معصية ما غضب منه . أهـ (فتح الباري ١٧: ٣٠٨)

(٤) والحديث كما جاء في باب الغضب في الموعدة والتعليم إذا رأى ما يكره : عن زيد بن خالد الجهني أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل رجل عن اللقطة فقال : « اعرف وكاهها - أو قال وعامها - وعفاصها ثم عرفها ، ثم استمتع بها ، فإن جاء ربها فادها إليه =

أما قوله عليه الصلاة والسلام : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به » .

فقد بين أن العلة هي خشية التكذيب بحق أو التصديق بباطل ، والعالم المتمكن من معرفة الحق من الباطل بآمن من هذه الخشية ، يوضح ذلك أن عمر - وهو صاحب القصة - كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم يسمع من مسامي أهل الكتاب وربما سألهم ، وشاركه جماعة من الصحابة ، ولم ينكر ذلك أحد .

وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه : كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام ... الخ . فإن دلالة هذا الحديث على الجواز أقرب من دلالة على المنع فلم يقل النبي صلى الله عليه وسلم : لاتسمعوا منهم ، ولا قال : ولا تنقلوا عنهم ، وإنما نهى عن التصديق والتكذيب ، ولا ريب أن المنهي عنه هو التصديق المبني على حسن الظن بصحفتهم والتكذيب المبني على غير حجة ولو قامت حجة صحيحة وجب العمل بها .

قال الحافظ ابن حجر عند شرحه لهذا الحديث « لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم » أي إذا كان ما يخبرونكم به محتملاً لئلا يكون في نفس الأمر صدقاً فتكذبوه أو كذباً فتصدقوه فتقعوا في الحرج ، ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه ، به على ذلك الشافعي رحمه الله وعلى هذا يحمل ما جاء عن السلف من ذلك (١) .

وقال ابن كثير : (إذا تقرر جواز الرواية عنهم فهو محمول على ما يمكن

= قال : فضالة الابل ، فغضب حتى احمرت وجنتاه - أو قال : احمر وجهه - فقال : وما لك وما لها ؟ معها سقاؤها وحذاؤها ، ترد الماء وترعى الشجر ، فذرها حتى يلقاها ربها . قال : فضالة الغنم . قال : لك أو لأخيك أو للذئب أه فتح الباري (١ : ١٩٦ - ١٩٧) .

(١) فتح الباري كتاب التفسير (٨ : ١٣٨) .

أن يكون صحيحاً ، فأما ما يعلم أو يظن بطلانه بمخالفته الحق الذي بأيدينا الذي هو عن المعصوم ، فذلك متروك مردود لا يعرج عليه (١) .

وقال السيد رشيد رضا في تفسيره : (والمراد من النهي عن سؤالهم ، النهي عن سؤال الاهتداء وتلقي ما يروونه بالقبول لأجل العلم بالشرائع الماضية وأخبار الأنبياء لزيادة العلم أو لتفصيل بعض ما أجمله القرآن ، وسببه ما هو ظاهر من السياق وهو أنهم لنسيانهم بعض ما أنزل إليهم ، وتحريفهم لبعضه بطلت الثقة بروايتهم ؛ فالمصدق لها عرصة لتصديق الباطل ، والمكذب لها عرصة لتكذيب الحق ، إذ لا يتيسر لنا أن نميز فيما عندهم بين المحفوظ السالم من التحريف وغيره ، فالاحتياط أن لا نصدقهم ولا نكذبهم إلا إذا رووا شيئاً يصدقه القرآن أو يكذبه فإننا نصدق ما صدقه ونكذب ما كذبه ، لأنه مهيم على تلك الكتب وشهيد عليها (٢) .

وأما سر نهى عمر كعباً عن التحديث وتهديده إياه بالنفي ، وقوله له أيضاً : إن كنت تعلم أنها التوراة التي أنزل الله على موسى فاقرأها آتاء الليل والنهار (٣) ، فهو خشية عمر على عامة الناس عندما يسمعون أحاديث كعب فلا يميزون بين الحق والباطل منها فتشوش عليهم عقائدهم ، ويرى أن مدارس القرآن والحديث أهم من هذه الاسرائيليات التي يرويها كعب .

ومن هنا نستطيع التوفيق بين منع ابن مسعود وابن عباس عن سؤال أهل الكتاب والنظر في كتبهم ، ثم ما كان منها من الأخذ عن كعب وغيره من

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١٣٣:٢) .

(٢) تفسير المنار (١٢:٦) ط الثالثة سنة ١٣٧٥ هـ مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر .

(٣) روى الامام ابن حزم عن عمر رضي الله عنه أنه أتاه كعب الخبر بسفر وقال له : هذه التوراة أفأقرأها ؟ فقال له عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إن كنت تعلم أنها التي أنزل الله على موسى فاقرأها آتاء الليل والنهار . الفصل (١: ٣١٧) .

مسلمى أهل الكتاب ، وذلك لكونها متمكنين من التمييز بين حقها وباطلها ، فها بأمن من هذه الحشية .

وجملة القول : إن حكم رواية الاسرائيليات هو الجواز المقيد ضمن دائرة محدودة بينها السنة وأقوال الصحابة وعملهم ؛ فكل رواية من هذه الروايات الاسرائيلية إن صدقها الشارع فهي مقبولة يقيناً ، وإن كذبها فهي مردودة يقيناً ، وإن كان الشارع ساكتاً عن التصديق والتكذيب لها فنسكت عنها فلا نصدق ولا نكذب ، وهذا منهج سديد لا تخشى منه غائلة الاسرائيليات لأن من ذكرها إنما ذكرها على أنها إسراييليات خاضعة لذلك المعيار السديد . فإذا لا كعب ولا غيره من رواة الاسرائيليات أثروا ولا يستطيعون أن يؤثروا على عقائد الاسلام وما شرعه من أحكام أصلاً ، ما دامت روايتهم تعرض على ذلك المحك الدقيق^(١) .

ولكن ينبغي أن يلاحظ أن إباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليل على صدقه أو كذبه شيء ، وذكر ذلك في تفسير القرآن وجعله قولاً أو رواية في معنى الآيات أو في تعيين مالم يعين فيها ، أو في تفصيل ما أجل فيها شيء آخر ، لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله ما يؤهم أن هذا الذي لا نعرف صدقه ولا كذبه مبين لمعنى قول الله ومفصل لما أجل فيه ، وحاشا لله ولكتابه من ذلك ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أذن بالتحدث عنهم ؛ أمرنا أن لا نصدقهم ولا نكذبهم . فأي تصديق لروايتهم وأقاويلهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله ، ونضعها منه موضع التفسير أو البيان ؟ !^(٢)

(١) مقالات الكوثري « ص ٣٤ » .

(٢) عمدة التفسير تعليق أحمد شاكر « ١ : ١٥ » .

آراء بعض العلماء في رواية الاسرائيليات

تناول هذه المسألة عدد من العلماء ، أهمهم شيخ الاسلام ابن تيمية ،
والحافظ ابن كثير ، والامام البقاعي . وفيما يلي نقل نص أقوالهم مبتدئين بشيخ
الاسلام ابن تيمية :

اولا — رأي ابن تيمية :

يقسم ابن تيمية أخبار مسلمة أهل الكتاب إلى ثلاثة أقسام : صحيح ،
وموضوع ، ومسكوت عنه . فيقول في مقدمته في أصول التفسير ما نصه :
(ولكن هذه الأحاديث الاسرائيلية تذكر للاستشهاد ، لا للاعتقاد فإنها
على ثلاثة أقسام :

أحدها : ما علمنا صحته بما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح .

والثاني : ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه .

والثالث : ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل ،
فلا نؤمن به ولا نكذبه ، وتجاوز حكايته لما تقدم — يقصد حديث : بلغوا عني
ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج — ، وغالب ذلك بما لا فائدة فيه تعود
إلى أمر ديني ، ولهذا تختلف أقوال علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيرا ،
ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك ، كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب
الكهف ولون كلهم وعدتهم ، وعصا موسى من أي الشجر كانت؟ وأسماء الطيور

التي أحياءها الله لإبراهيم ، وتعيين البعض الذي ضرب به المقتول من البقرة ، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى عليه السلام .. إلى غير ذلك ، مما أهمه الله في القرآن بما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دينهم ولا دينهم^(١) .

وقال في موضع آخر : من المرجع السابق — عند كلامه عن الاختلاف في التفسير فيما كان مستنده النقل فقط ما نصه :

(الاختلاف في التفسير على نوعين : منه ما مستنده النقل فقط ، ومنه ما يعلم بغير ذلك ، إذ العلم إما نقل مصدق ، وإما استدلال بحقق ، والمنقول إما عن المعصوم وإما عن غير المعصوم — فالمنقول عن المعصوم يمكن معرفة الصحيح منه والضعيف ، وأما المنقول عن غير المعصوم — وهو ما لا طريق لنا إلى الجزم بالصدق منه ، فالبحت عنه بما لا فائدة فيه ، والكلام فيه من فضول الكلام . وأما ما يحتاج المسلمون إلى معرفته فإن الله نصب على الحق فيه دليلاً ، فنال ما لا يفيد ولا دليل على الصحيح منه : اختلافهم في أحوال أصحاب الكهف ، وفي البعض الذي ضرب به موسى من البقرة ، وفي مقدار سفينة نوح ، وما كان خشبها ؟ وفي اسم الغلام الذي قتله الخضر ، ونحو ذلك . فهذه الأمور طريق العلم بها النقل ، فما كان من هذا منقولاً نقلاً صحيحاً عن النبي صلى الله عليه وسلم كاسم صاحب موسى أنه الخضر فهذا معلوم ، وما لم يكن كذلك بل كان مما يؤخذ عن أهل الكتاب كالمناقول عن كعب ووهب ومحمد بن إسحاق وغيرهم ممن يأخذ عن أهل الكتاب ، فهذا لا يجوز تصديقه ولا تكذيبه إلا بحجة كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، فإما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه ، وإما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه » وكذلك ما نقل عن بعض التابعين وإن لم يذكر أنه أخذه عن أهل الكتاب ، فمتى اختلف التابعون ، لم يكن بعض أقوالهم حجة على بعض ، وما نقل في ذلك عن

(١) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص ٤٥ - ٤٦) .

بعض الصحابة نقلاً صحيحاً ، فالنفس إليه أسكن مما نقل عن بعض التابعين لأن احتمال أن يكون سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم أو من بعض من سمعه منهم ، أقوى من نقل التابعي ، ومع جزم صاحب فيما يقوله كيف يقال إنه أخذه عن أهل الكتاب ، وقد نهوا عن تصديقهم ؟ فالمقصود أن المنقولات التي يحتاج إليها في الدين ، قد نصب الله الأدلة على بيان ما فيها من صحيح وغيره ، ومعلوم أن المنقول في التفسير أكثره كالمقول في المغازي ، والملاحم ، ولهذا قال الإمام أحمد « ثلاثة أمور ليس لها إسناد : التفسير ، والملاحم ، والمغازي » وروى : ليس لها أصل ، أي إسناد لأن الغالب عليها المراسيل ^(١) .

ثانياً — رأي ابن كثير :

للحافظ ابن كثير كلمات قوية في شأن الاسرائيليات وروايتها ، وقد رسم في بعضها خطته نحوها ، وقد وجدناه يقسم الاسرائيليات — تبعاً لشيخه ابن تيمية — إلى ثلاثة أقسام ، يقول في مقدمة تفسيره — بعد أن ذكر حديث « بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج . . ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » — ولكن هذه الأحاديث تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد فإنها على ثلاثة أقسام :

أحدها : ما علمنا صحته بما بأيدينا بما يشهد له بالصدق فذلك صحيح .

والثاني : ما علمنا كذبه بما عندنا بما يخالفه .

والثالث : ما هو مسكوت عنه لا من هذا القليل ولا من هذا القليل ، فلا نؤمن به ولا نكذبه ويجوز حكايته لما تقدم ^(٢) .

(١) مقدمة في أصول التفسير (ص ١٧ - ٢٠) .

(٢) هلق الشيخ أحمد شاكر رحمه الله على هذا بقوله : (. . إن إباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليل على صدقه ولا كذبه ، شيء ، وذكر ذلك في تفسير القرآن ، =

وغالب ذلك بما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني ، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في هذا كثيراً، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك؛ كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف ولون كلهم وعددهم ، وعصا موسى من أي الشجر كانت ؟ وأسماء الطيور التي أحياها الله لابراهيم ، وتعين البعض الذي ضرب به القيتل من البقرة ، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى .. إلى غير ذلك مما أهبه الله تعالى في القرآن مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دينهم ولا دنياهم^(١) .

وقال في موضع آخر من تفسيره : (.. وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله : « حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج » فيما قد يجوز العقل ، فأماما تحيله العقول ، ويحكم فيه بالبطلان ، ويغلب على الظنون كذبه فليس من هذا القبيل ،

= وجعله قولاً أو رواية في معنى الآيات، أو في تعيين مالم يعين فيها، أو في تفصيل ما أجل منها شيء آخر ، لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله ما يوم أن هذا الذي لانعرف صدقه ولا كذبه مبين لمعنى قول الله سبحانه ، ومفصل لما أجل فيه ، وحاشا الله وكتابه من ذلك ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أذن بالتحدث عنهم أمرنا أن لانصدقهم ولا نكذبهم ، فأني تصديق لرواياتهم وأقوايلهم أقوى من أن نقرتها بكتاب الله ونضعها منه موضع التفسير أو البيان؟! .. اللهم غفرا) (عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير - اختصار وتحقيق أحمد شاكر (١ : ١٥)

وقد علق أيضاً صاحب كتاب محاسن التأويل على هذا بقوله : (فحيث جازت حكايته ، على ما قاله ، فالأولى رواية ما كان من القسم الأول أو الثالث من نص كتبهم ، كما هو مذهب عبد الله بن عمرو رضي الله عنه ، كما نقله ابن كثير هنا ، والذهبي والسيوطي كما تقدم . وإنما كان الأولى في رواية الإسرائيليات ما ذكرنا دفعاً لمناقشة بعضهم على الإسرائيليات المتداولة في التفاسير بأنها لم ترد في كتب الحديث المشهورة حتى تكون المرجع ولم تؤخذ من أسفارهم حتى تتطابق معها ، فارتأي النقل عنها لذلك ، لا اعتقاداً بسلامتها من التحريف المحقق ، كلا بل توسعا في باب الأخبار للاستشهاد والاعتبار ، قياما بالحجة على الخصم من معتقده ، وناهيك بذلك . محاسن التأويل للقاسمي (١ : ٤٤ - ٤٥)

(١) تفسير ابن كثير (٤ : ١) .

والله أعلم . وقد أكثر كثير من السلف والمفسرين و كذا طائفة كثيرة من الخلف من الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن المجيد ، وليس بهم احتياج إلى أخبارهم والله الحمد والمنة (١) .

وقال في مطلع كتابه البداية والنهاية : (ولستأ نذكر من الاسرائيليات إلا ما أذن الشارع في نقله بما لا يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهو القسم الذي لا يصدق ولا يكذب بما فيه بسط لمختصر عندنا ، أو تسمية لمهم ورد به شرعنا بما لا فائدة في تعيينه لنا ، فنذكره على سبيل التحلي به ، لا على سبيل الاحتياج إليه (٢)) والاعتماد عليه ، وقد قص الله على نبيه صلى الله عليه وسلم خبر ما مضى من خلق المخلوقات وذكر الأمم الماضية ، وبين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمة بيانا شافيا ، فأخبرنا بما نحتاج إليه من ذلك وترك ما لا فائدة فيه مما قد يتراحم على علمه طوائف من علماء أهل الكتاب ، وقد يستوعب نقله طائفة من علمائنا ، ولستأ نخذو حذوهم ؛ ولا ننحو نحوهم ، ولا نذكر منها إلا القليل على سبيل الاختصار ونبين ما فيه حق بما وافق ما عندنا ، وما خالفه فوقع فيه الإنكار ، فأما الحديث الذي رواه البخاري رحمه الله في صحيحه عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج » فهو محمول على الاسرائيليات المسكوت عنها عندنا ، فليس عندنا ما يصدقها ولا ما يكذبها ، ويجوز روايتها للاعتبار ، فأما ما شهد له شرعنا بالصدق فلا حاجة بنا إليه استغناء بما عندنا ، وما شهد له شرعنا بالبطالان فذاك مردود لا تجوز حكايته إلا على سبيل الإنكار والابطال (٣) .

(١) المرجع السابق (٤: ٢٢١) .

(٢) لئن سألنا ذلك على سبيل التحلي - كما يقول - في كتب التاريخ؛ فلا تراو سائعا في كتب التفسير لأنه كثيرا ما يحتمل ذلك على أنه بيان ما أحمله الله في كتابه .

(٣) البداية والنهاية (٦: ١) .

وقال عند تفسير قوله تعالى : (ولقد آتينا إبراهيم رسده من قبل وكنّا به عالمين إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ^(١)) .

وما قصه كثير من المفسرين وغيرهم ، فعلمتها أحاديث بني إسرائيل ، فما وافق منها الحق بما بأيدينا عن المعصوم قبلناه لموافقة الصحيح ، وما خالف منها شيئاً من ذلك ردّدناه ، وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة لا نصدقه ولا نكذبه ، بل نجعله وقفاً ، وما كان من هذا الضرب منها فقد رخص كثير من السلف في روايته ، وكثير من ذلك بما لافائدة فيه ولا حاصل له بما ينتفع به في الدين ، ولو كانت فائدته تعود على المكلفين في دينهم لينته الشريعة الكاملة الشاملة . والذي نسلكه في هذا التفسير الاعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية لما فيها من تضييع الزمان ، ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم ، فإنهم لا تفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمها كما حرره الأئمة الحفاظ المقنون من هذه الأمة ^(٢) .

ثانياً — رأي الامام البقاعي :

حقق الامام البقاعي هذا البحث وأشبع القول فيه وذلك في كتابيه (المناسبات) و (الأقوال القويمة) ، فهو يرى أن النقل من الكتب القديمة جائز ويستشهد على صحة ذلك بمجاذة الرجم ، ويذكر عدة أحداث من استشهاد النبي صلى الله عليه وسلم بالتوراة على صحة ما يدعيه ، وكل ذلك يذكره البقاعي تمهيداً للرأي المقبول عنده في جواز النقل من الكتب القديمة ، فيقول في كتابه (الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة — ورقة ٣٤ « مخطوطة ») ما نصه : (حكم النقل عن بني إسرائيل ولو كان فيما لا يصدقه كتابنا ولا يكذبه

(١) الآية ٥١ من سورة الأنبياء .

(٢) تفسير ابن كثير (٣ : ١٨١ - ١٨٢) .

الجواز وإن لم يثبت ذلك المنقول ، وكذا ما نقل عن غيرهم من أهل الأدب الباطلة ، لأن المقصود الاستئناس لا الاعتماد ، بخلاف ما يستدل به في شرعنا ، فإنه العمدة في الاحتجاج للدين ، فلا بد من ثبوته ، فالذي عندنا من الأدلة ثلاثة أقسام : موضوعات ، وضعا ، وغير ذلك ؛ فالذي ليس بموضوع ولا ضعيف مطلق ضعف ، يورد للحجة ، والضعيف المتأسك للترغيب ، والموضوع يذكر لبيان التحذير منه بأنه كذب ، فإذا أوزنت ما ينقله أئمتنا من أهل ديننا للاستدلال لشرعنا بما ينقله الأئمة عن أهل الكتاب ، سقط من هذه الأقسام الثلاثة في النقل عنهم ما هو للحجة فإنه لا ينقل عنهم ما يثبت به حكم من أحكامنا .

ويبقى ما يصدقه كتابنا فيجوز نقله ، وإن لم يكن في حيز ما يثبت ؛ لأنه في حكم الموعظة لنا . وأما ما كذبه كتابنا فهو كالموضوع لا يجوز نقله إلا مقروناً ببيان حاله ^(١) .

وقال في كتابه « المناسبات » عند تفسير قوله تعالى : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ... الآية » ^(٢) « ما نصه (فإن أنكر منكراً الاستشهاد بالتوراة أو بالإنجيل ، وعمي عن أن الأحسن في باب النظر أن يرد على الإنسان بما يعتقد ، تلوت عليه قول الله تعالى استشهداً على كذب اليهود (قل فاتوا بالتوراة فاتواها إن كنتم صادقين) ، وقوله تعالى (وأنزلنا إليك الكتاب مصداقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه) في آيات من أمثال ذلك كثيرة ، وذكرته باستشهاد النبي صلى الله عليه وسلم بالتوراة في قصة الزاني كما سيأتي في سورة المائدة مستوفى . وروى الشيخان عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تكون الأرض يوم القيامة خبزة نزل لأهل الجنة ، فأنى رجل من اليهود فقال :

(١) والفرق واضح بين رأي ابن كثير والباقى ، فالأول لم ينظر إلى الرواية وإنما نظر إلى طبيعة المنقول والمنقول إليه من حيث الموافقة والمخالفة أما الثاني فنظر إلى السند وإلى طبيعة المنقول والمنقول إليه .

(٢) الآية ٢٤ من سورة البقرة .

بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة ؟ قال : بلى ، قال : تكون الأرض خبزة ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه « وقريب من ذلك حديث الجساسة في أشباهه ، هذا فيما يصدقه كتابنا ، وأما مالا يصدقه ولا يكذبه ، فقد روى البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج » رواه مسلم والترمذي والنسائي عن أبي سعيد رضي الله عنه ، وهو معنى ما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم » فإن دلالة هذا على سنية ذكر مثل ذلك أقرب من الدلالة على غيرها ، ولذا أخذ كثير من الصحابة رضي الله عنهم عن أهل الكتاب . فإن فهم أحد من الشافعية منع أئمتهم من قراءة شيء من الكتب القديمة مستنداً إلى قول الامام أبي القاسم الرافعي في شرحه : (وكتب التوراة والانجيل بما لا يحل الانتفاع به لأنهم بدلوا وغيروا ، وكذا قال غيره من الأصحاب) قيل له : هذا مخصوص بما علم تبديله ؛ بدليل أن كل من قال ذلك علل بالتبديل فدار الحكم معه ^(١) .



(١) تفسير البقاعي (نظم الدرر ص ٨٩ - ٩٠) .

الفصل الثاني

امتزاج الثقافتين الإسرائيلية والثقافة الإسلامية وتسربها إلى تفسير القرآن

كان في جزيرة العرب بينات يهودية خالصة ، يسكن بعضها في المدينة وضواحيها كبني قينقاع ، وبني النضير ، وبني قريظة ، ويسكن البعض الآخر بعيداً عن المدينة كيهود خيبر وتيما وفدك ووادي القرى .

وكان اليهود الذين يسكنون هذه البقاع يحملون معهم تراث أسلافهم ، فهم يهود ديناً وعادات وأخلاقاً .

وقد اختلف المؤرخون في الوقت الذي هاجر فيه اليهود إلى جزيرة العرب ، فبعضهم يرى أن هجرتهم إليها كانت في عهد داود عليه السلام ، والبعض الآخر يرى أنها كانت في عهد الملك « حزقيال » الذي حكم بلاد يهودا من سنة ٧١٧ إلى سنة ٦٩٠ ق . م .

إلا أن هذين الرأيين ليس لهما سند ثابت من التاريخ ولذا لم يعتمدهما المحققون من المؤرخين ، والذي ارتضاه بعض المؤرخين هو الرأي القائل بأن الهجرة الكبرى لليهود إلى جزيرة العرب حدثت ما بين القرن الأول والثاني بعد الميلاد ، على أثر تشكيل « تيطس » الروماني بهم سنة ٧٠ م ، وهذا لا يمنع أنه كان يوجد

عدد قليل من اليهود توطنوا الجزيرة العربية قبل هذا التاريخ^(١).

وقد كانت لليهود مواضع يقيمون فيها عباداتهم وشعائر دينهم، ويتدارسون فيها أحكام شريعتهم وأيامهم الماضية وأخبارهم الخاصة برسلمهم وأنبيائهم وكتبهم وغير ذلك، عرفت بين الجاهليين بـ « المدراس » و « بيت المدراس »^(٢).

ولم يكن المدراس في الواقع موضع عبادة وصلوات وتدريس فحسب ، بل كان إلى جانب ذلك المكان الذي يتجمع فيه اليهود لتبادل المشورة في سائر أحوالهم الدينية والدنيوية، وهو المكان الذي كان يقصده غيرهم حين يريد الاستفسار عن أخبار اليهود أو عن شيء يريد الوقوف عليه . والذين كانوا يقومون بمهمة تعليم اليهود أمور دينهم هم علماءهم وأخبارهم .. وقد ذكر المؤرخون أنه كان في مقدمة هؤلاء الأخبار - زمن النبوة - عبد الله بن سلام رضي الله عنه الذي أعلن إسلامه بعد لقائه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي مقدمتهم أيضاً عبد الله بن صوريا الذي قيل عنه : إنه لم يكن بالحجاز في زمانه من هو أعلم بالتوراة منه^(٣).

وقد جاءت الأخبار الصحيحة بأن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة كان يذهب إلى اليهود في « مدراسهم » ليدعوهم إلى الإسلام ويحذرهم من الكفر به^(٤) ، وبعض الصحابة أيضاً كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما كانا يذهبان

(١) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم للأستاذ محمد عزة دروزة « ١ : ١٢ » و « ٣ : ٥٤٨ » وما بعدها وانظر تاريخ اليهود في بلاد العرب لاسرائيل ولقتسون « ص ٩ » وتاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي « ٦ : ٩ ، ١٠ ، ١٦ ، ٢٤ » .

(٢) انظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي « ٢ : ١٢٠ » .

(٣) تاريخ العرب قبل الاسلام « ٦ : ٩٩ ، ١٠١ » .

(٤) روى البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة « ٩ : ١٣١ - ١٣٢ » عن أبي هريرة قال : بينا نحن في المسجد نخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انطلقوا إلى يهود فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم فنادهم فقال يا معشر يهود أسلموا تسلموا فقالوا يا أبا القاسم ، فقال لهم =

إلى مدراسهم ويستمعان إلى علمائهم ويأمرانهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم الذي كانوا يستفتجون به على غيرهم ، والذي يعرفون صدقه فيما يبلغه عن ربه كما يعرفون أبناءهم .

وقد حكى القرآن الكريم كثيراً من المجادلات الدينية والأسئلة المتعنتة التي كان اليهود يقومون بتوجيهها إلى النبي صلى الله عليه وسلم بقصد إحراجه .

روى ابن كثير في تفسيره عن ابن عباس قال « بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة ، فقالوا لهم سلوهم عن محمد ووصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجوا حتى أتيا المدينة فسألا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفا لهم أمره وبعض قوله وقالوا : « إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا . قال : فقالوا لهم : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإلا فرجل متقول فتروا فيه رأيكم : سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم فإنهم قد كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه ، وسلوه عن الروح ما هو ؟ ... الخ (١) » .

وروى ابن إسحق قال « حدثت عن سعيد بن جبير أنه قال : أتى رهط من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ، هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ قال : فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه — أي تغير — ثم ساورهم — أي باطشهم — غضباً لربه ، قال : فجاءه جبريل — عليه السلام —

= رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أريد أسلموا تسلموا فقالوا قد بلغت يا أبا القاسم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أريد ثم قالها الثالثة فقال أعلموا إنما الأرض لله ورسوله وإني أريد أن أجليكم من هذه الأرض فمن وجد منكم بماله شيئاً فليبعه وإلا فاعلموا إنما الأرض لله ورسوله .

(١) تفسير ابن كثير « ٣ : ٧١ - ٧٢ » .

فسكنه ، فقال : خفف عليك يا محمد ، وجاءه من الله تعالى بجواب مأسأله عنه :
« قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد » . قال :
فلما تلاها عليهم ، قالوا : فصف لنا يا محمد كيف خلقه ؟ كيف ذراعه ؟ كيف
عضده ؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد من غضبه الأول ، وساورهم ،
فأتاه جبريل - عليه السلام - فقال له مثل ما قال له أول مرة ، وجاءه من الله
تعالى بجواب مأسأله ؛ يقول الله تعالى « وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً
قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون »^(١) .

وقد تسربت ثقافة اليهود إلى العرب قبل الاسلام وبعده ، وقد كان العرب
قبل الاسلام يتصلون بجيرانهم اليهود ويسمرون معهم ويتلقون عنهم بعض الأحداث
التي كان لهم بها علم سابق ، وكان هذا أمراً طبيعياً فقد كانت العرب أمة أمية كما
أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أحاديثه^(٢) ، وكما قرره القرآن
الكريم في أكثر من آية^(٣) ؛ في حين كان أهل الكتاب وبخاصة اليهود منهم يقرؤون
ويكتبون ، وبأيديهم كتب وأسفار دينية كثيرة ، وكانوا بالإضافة إلى ذلك
يعيشون في بيئات متحضرة يساهمون في مختلف مجال حياتها جيلاً بعد جيل ؛ يشهد
بذلك ما جاء في الحديث عن ابن عباس « كان هذا الحمي من الأنصار وهم أهل وثن
مع هذا الحمي من اليهود وهم أهل كتاب ، فكانوا يروون لهم فضلاً عليهم في العلم
وكانوا يقتدون بكثير من فعلهم »^(٤) .

ويروون عن وهب بن منبه أنه كان يقول « لقد رأيت اثنين وتسعين

(١) سيرة ابن هشام « ٢ : ٢٢٠ » .

(٢) جاء في الحديث « بعثت إلى أمة أمية » وجاء في حديث آخر « نحن أمة
أمية لا نحسب ولا نكتب الشهر هكذا وهكذا » . صحيح البخاري كتاب الصوم
وجامع الترمذي كتاب أبواب القراءات .

(٣) كقوله تعالى : « هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم ... الآية » .

(٤) أخرجه أبو داود وانظر تفسير ابن كثير « ١ : ٢٦١ » .

كتاباً كلها من السماء : اثنان وسبعون منها في الكنائس وفي أيدي الناس ،
وعشرون لا يعلمها إلا قليل ^(١) .

ولما جاء الاسلام دخلت فيه طائفة من أحبار اليهود مثل عبد الله بن سلام
وكعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهم، وكان بعض المسلمين يسألهم عن جزئيات
الأحداث والقصص والشخصيات والأعلام القرآنية ، ومن ذلك مثلاً ما رواه
المفسرون في سياق تفسيرهم لآيات ذي القرنين من سورة الكهف عن خلاف وقع
بين ابن عباس ومعاوية -- رضي الله عنها -- في قراءة جملة « عين حمئة » ^(٢) حيث
كان معاوية يقرأها « عين حامية » بمعنى نبع ماء حار ، وكان ابن عباس يقرأها
« عين حمئة » بمعنى طينة سوداء ، فاتفقا على تحكيم كعب الأحبار، فسألاه كيف
تجد الشمس في التوراة ؟ فقال لها : في طينة سوداء فوافق جوابه كلام
ابن عباس ^(٣) .

وعن طريق هذه الأجوبة تسرب الكثير من الاسرائيليات إلى المسلمين .

ويرى الأستاذ محمد عزة دروزة : أن جل ما روي عن مسامة أهل الكتاب
كان على هذه الصورة ، أي أجوبة على أسئلة من المسلمين عن جزئيات الأحداث
والشخصيات والمسائل القرآنية منها ما كان يأتي مسبباً ومنها ما كان يأتي مقتضباً ،
وأنهم كانوا يعززون أجوبتهم إلى ما في أيديهم من الأسفار ^(٤) .

كذلك تسرب كثير من الاسرائيليات عن طريق نفر من المسلمين أنفسهم

(١) طبقات ابن سعد (٥٤٣:٥) .

(٢) الآية ٨٦ من سورة الكهف .

(٣) تفسير الطبري (٩:٦ - ١٠) وانظر مثل هذه الأسئلة (١٠:١٧ و

٣١ : ٢٧) وانظر تفسير ابن كثير « ١٠٢:٣ » .

(٤) من مقال له بعنوان (حول الاسرائيليات في كتب التفسير) مجلة الوعي

الاسلامي - الكويت - السنة الثانية - العدد التاسع عشر - رجب ١٣٨٦ هـ .

أمثال عبد الله بن عمرو بن العاص فقد روى أنه لأصحاب زاملتين من كتب أهل الكتاب يوم اليرموك فكان يحدث الناس ببعض ما فيها اعتماداً على حديث مروى^(١).

وإذا كان عبد الله بن عمرو يحدث من كتب أهل الكتاب بما أذن به الشارع فقد ظهرت - فيما بعد - جماعة من القصاص الذين اشتهروا بتفسير القرآن، فأرادوا أن يشرحوا ما أيهمه القرآن الكريم بما لا فائدة في العلم به بما تعلموه من اتصا لهم باليهود والنصارى ، وأكملوا من ابتداع خيالهم ما وجدوه من نقص فيما تعلموه ووضعوا ذلك كله تفسيراً للقرآن الكريم ، ولم يكلفهم ذلك عناء ولا ترددوا في أن يصوغوا ما ربطوه بالقرآن من صور خيالهم على وجه جدير بالتصديق بواسطة إسنادهم هذه الحيات إلى رجال ثقات معتد بهم ، وفي كتب التفسير من ذلك شيء كثير .

وعن هؤلاء المفسرين الذين لا يتورعون عن تفسير القرآن بمثل هذه الحيات والأوهام ، يقول النظام : (لا تسترسلوا إلى كثير من المفسرين وإن نصبوا أنفسهم للعامة وأجابوا في كل مسألة ، فإن كثيراً منهم يقول بغير رواية إلى غير أساس ، وكلما كان المفسر أغرب عندهم كان أحب إليهم ، وليكن عندهم عكرمة والكلي والسدي والضحاك ومقاتل بن سليمان وأبو بكر الأصم في سبيل واحدة ، فكيف أتق بتفسيرهم وأسكن إلى صوابهم^(٢)) .

ولعل من أهم العوامل التي ساعدت على تأثر التفسير بقصص التوراة والإنجيل هو أن القرآن الكريم يتفق مع التوراة والإنجيل في إيراد بعض المسائل وبخاصة قصص الأنبياء ، ولكن للقرآن الكريم منحي يخالف منحي التوراة .

فإنه يقتصر على مواضع العظة ولا يتعرض لتفصيل جزئيات المسائل ، فهو

(١) وهو قوله صلى الله عليه وسلم: بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج... الحديث .

(٢) الحيوان للجاحظ (١: ٣٤٣ - ٣٤٦)

لا يذكّر - غالباً - تاريخ الوقائع ، ولا أسماء البلدان التي حصلت فيها ، ولا أسماء الأشخاص الذين جرت على يدهم بعض الحوادث ، وإنما يتخير ما يمس جوهر الموضوع ، ويعرض عما لا فائدة لنا في العلم به . وإذا نحن تتبعنا هذه الموضوعات التي اتفق في ذكرها القرآن والتوراة ، أو القرآن والإنجيل ، ثم أخذنا موضوعاً منها وقارنا بين ما جاء في الكتابين وجدنا اختلاف المسلك ظاهراً جلياً . فمثلاً قصة آدم عليه السلام قد ورد ذكرها في القرآن الكريم ، كما ورد ذكرها في التوراة ، بيد أن القرآن لم يتعرض لمكان الجنة ولا لنوع الشجرة التي نهي آدم عن الأكل منها ، ولا لبيان الحيوان الذي تقمصه الشيطان ليزلها ، ولا ما كاث من تفصيل الحوار بين الله تعالى وآدم ، ولا للبقعة التي هبط إليها آدم بعد خروجه من الجنة ، ولكن التوراة تعرضت لكل ذلك وأكثر منه ، فأبانت أن الجنة في عدن شرقاً ، وأن الشجرة التي نهيها عنها كانت في وسط الجنة وأنها شجرة الحياة ، وذكرت ما انتقم الله به من الحية التي أغوتها بأن جعلها تسعى على بطنها وتأكل التراب ، وانتقم من حواء بتعيبها هي ونسلها في حبلها ... الخ^(١) .

ونقرأ تفسير الطبري وتفسير مقاتل بن سليمان في هذه القصة فيتجلى لنا بوضوح أنها أخذت ما جاء في التوراة وشروحها من تفصيل لهذه القصة . ووضعوه تفسيراً لآيات القرآن الكريم ، وهم يروون ذلك عن وهب بن منبه تارة ، وعن اسرائيل عن أسباط عن السدّي تارة أخرى^(٢) . ومثلاً نجد القرآن الكريم قد اشتمل على موضوعات وردت في الإنجيل كقصة ولادة عيسى بن مريم ومعجزاته

(١) أنظر العهد القديم الاصحاح الأول من سفر التكوين (ص ٤-٥) .

(٢) انظر تفسير مقاتل (١٨٠:١-٢١) وتفسير الطبري (١٨٦:١) وما بعدها . وقد روى الجاحظ في كتابه (الحيوان) عن كعب الأحبار أنه قال : مكتوب في التوراة أن حواء عوقبت بعشر خصال وأن آدم عوقب بعشر خصال وأن الحية عوقبت بعشر خصال ثم ذكرها الجاحظ وشك فيها لأنها ليست مذكورة في التوراة وعلق بقوله : إن صحت الرواية عن كعب فإنه إما كان يعني كتب اليهود جميعها - (الحيوان: ٦٤:٤) .

عليه السلام^(١) . فجاء المفسرون ينقلون عن مسلمة اليهود والنصارى شروحا لهذه الآيات^(٢) .

ولم يقتصر تأثير الإسرائيليات على كتب التفسير فحسب ، بل تعداها إلى العلوم الإسلامية الأخرى . فقد عني بغض المسلمين بنقل تاريخ بني إسرائيل وأنبيائهم ، كما فعل ابن إسحاق والطبري في تاريخيهما ، وكما فعل ابن قتيبة في كتابه المعارف ، وقد أثبت العلم أن كثيراً مما نقل من تاريخ بني إسرائيل غير صحيح ، مما يدل على أن الروايات التي نقلت كان كثيراً منها ينقل عن العوام وأشباههم ، ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين ؛ كان من الطبيعي لمعرفة الرسالة وسيرة الرسول دراسة أحوال الرسل والأنبياء الذين جاؤوا من قبله ، ونوع رسالتهم والأقوام الذين اتبعوا الرسالة أو رفضوها ؛ فتوسع مجال التاريخ وبالتالي مجال الرجوع إلى كتب أهل الكتاب .

كذلك كان لليهود أثر غير قليل في بعض المذاهب الكلامية ، فابن الأثير يروي عند الكلام على أحمد بن أبي دؤاد : أنه كان داعية إلى القول بخلق القرآن وغيره من مذاهب المعتزلة ، وأخذ ذلك عن بشر المريسي ، وأخذ بشر عن الجهم بن صفوان ، وأخذ الجهم عن الجعد بن درهم ، وأخذ الجعد عن أبان بن سميان ، وأخذ أبان عن طالوت بن أخت ليبد بن الأعصم وختمه ، وأخذ طالوت عن ختمه ليبد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان ليبد يقول بخلق التوراة ، وأول من صنف في ذلك طالوت ، وكان زنديقاً فافشى الزندقة^(٣) .

وروى صاحب العقد الفريد عن الشعبي أنه قال لما لك بن معاوية : (أخذوك الأهواء المضلة ، وشرها الواقعة ، فإنها يهود هذه الأمة ، يبغضون الإسلام كما

(١) انظر العهد الجديد إنجيل متى الإصحاح الأول وإنجيل مرقس الإصحاح الثاني.

(٢) انظر تفسير الطبري (٣: ١٩٠) .

(٣) الكامل لابن الأثير (٧: ٢٦) .

يبغض اليهود النصرانية ، ولم يدخلوا في الاسلام رغبة ولا رهبة من الله؛ ولكن مقتاً بأهل الاسلام ، وبغياً عليهم ، وقد حرقهم علي بن أبي طالب ... وذلك أن حجة الرافضة حجة اليهود. قالت اليهود : لا يكون الملك إلا في آل داود ، وقالت الرافضة : لا يكون إلا في آل علي بن أبي طالب ، وقالت اليهود : لا يكون جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح المنتظر وينادي مناد من السماء ، وقالت الرافضة : لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي وينزل بسبب من السماء ، واليهود يؤخرون صلاة المغرب حتى تشتبك النجوم ، وكذلك الرافضة . واليهود لا ترى الطلاق الثلاث شيئاً وكذا الرافضة ، واليهود لا ترى على النساء عدة وكذا الرافضة ، واليهود تستحل دم كل مسلم ، وكذلك الرافضة . واليهود حرفوا التوراة ، وكذا الرافضة حرفت القرآن . واليهود تنتقص جبريل وتقول هو عدونا من الملائكة ، وكذا الرافضة تقول : غلط جبريل في الوحي إلى محمد بترك علي بن أبي طالب ، واليهود لا تأكل لحم الجوز وكذلك الرافضة .. الخ (١) .

وقد عالج اليهود كثيراً من المسائل الكلامية واختلفوا فيها ، فتكلموا في التشبيه لأنهم وجدوا التوراة مملوءة بألفاظ تشعر بالشبيه ، وتعرضوا للرجعة ، وقد حكى هذه الأقوال وغيرها عن اليهود الشهرستاني في كتابه (الملل والنحل) ، وهذه الأقوال والخلافات تسرب الكثير منها إلى المسلمين عن أسلم من اليهود؛ فرأينا من المسلمين جماعة من غلاة الشيعة والمشبهة يقولون إنه يجوز على الله تعالى الانتقال والنزول والصعود والاستقرار ... الخ ، فخذوا في ذلك حذو اليهود في اختلافهم . يقول الشهرستاني - في الكلام عن المشبهة - : (إنهم أجروا الأحاديث الواردة في ذلك على ما يتعارف في صفات الأجسام ، وزادوا في الأخبار أكاذيب وضعوها ، ونسبوها إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، وأكثرها مقتبس من اليهود ، فإن التشبيه فيهم طباع ، حتى قالوا في الله تعالى : اشتكت عيناه فعداته الملائكة ،

(١) العقد الفريد (١: ٢٦٩) .

وبكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه .. الخ^(١) ، وقالت الشيعة في الرجعة على نحو مقال اليهود، قد كان عند اليهود أن النبي إلباس صعد إلى السماء وسيعود فيعيد الدين والقانون ، فقال ابن سبأ اليهودي - كما حكى ابن خزم - لما قتل علي : لو أتيتمونا بدماعه ألف مرة ماصدقنا موته ، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً . ونمت هذه الفكرة عند الشيعة فنشأت عنها عقيدتهم في المهدي المنتظر .

بما تقدم نرى أن كثيراً من المسائل الكلامية وغيرها كان منبعها اليهود، وأنها قيلت على مثال ما قالوا . وصدق رسول الله ﷺ حيث قال : (لتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم ، قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : فمن^(٢)) .

ونرى بعد هذا أن نذكر مقالة ابن خلدون في مقدمته ، ليتبين لنا كيف تسربت الاسرائيليات إلى المسلمين، وأسباب استكثارهم من روايتها، وإقحامها على تفسير القرآن الكريم ، فإنه خير من كتب في هذا الموضوع ، وإليك نص مقالته :

قال رحمه الله : « وقد جمع المتقدمون في ذلك - يعني التفسير النقلي - وأوعوا؛ إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين، والمقبول والمردود، والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم ، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية ، وإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات، وبده الخليقة، وأسرار الوجود ، فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى.

(١) الملل والنحل للشهرستاني « ص ٣٧ ، ٣٨ » وانظر ضحى الاسلام للأستاذ أحمد أمين « ١ : ٣٣٤ - ٣٣٧ »

(٢) صحيح البخاري « ٩ : ١٢٦ - ١٢٧ »

وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ باذية مثلهم ، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب ، ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية ، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاجون لها مثل أخبار بدء الخليقة ، وما يرجع إلى الخلدان والملاحم وأمثال ذلك ، وهؤلاء مثل كعب الأخبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم ، فامتلات التفاسير من المنقولات عنهم وفي أمثال هذه الأغراض ، أخبار موقوفة عليهم ، وليست مما يرجع إلى الأحكام فيتحرى فيها الصحة التي يجب بها العمل ، وتساهل المفسرون في مثل ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات ، وأصلها - كما قلنا - عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية ، ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك ، إلا أنهم بعد صينهم ، وعظمت أقدارهم ، لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة ، فتلفت بالقبول من يومئذ ... (١) .

وسواء أكانت هذه هي كل الأسباب أم كانت وراءها أسباب دعت إلى الإكثار من رواية هذه الإسرائيليات ، فقد اتسعت على كل حال نقول التفسير لمثل هذه المرويات التي يسن البحث أنها شملت مزيجاً متنوعاً من مخلفات الأديان المختلفة التي ترامت إلى علم العرب (٢) .



(١) مقدمة ابن خلدون «٩٩٧:٣ - ٩٩٨» مطبعة لجنة البيان العربي .

(٢) انظر (التفسير معالم حياته - منهجه اليوم) للأستاذ أمين الخولي «ص ٢٨» .
وانظر التفسير والمفسرون «٩٧٨:١» .

الباب الثاني

الفصل الأول

الإسرائيليات في دور الرواية

أولاً : موقف الصحابة من الإسرائيليات

أشار القرآن الكريم إلى كثير من تاريخ الأمم الغابرة التي حلّ بها العذاب على ما اجتاحت من الآثام ، وإلى بدء الخلق وتكوين الأرض والسموات ، ولم يكن لدى العرب من المعرفة ما يستطيعون به شرح هذه الجملات التي أشار إليها القرآن ، إذ كانوا أمة أمية في صحراء نائية عن مناهل العلم والمعرفة. والانسان بطبعه حريص على استكناه المجهول ، واستيضاح ما عزت عليه معرفته ، فألجأهم الحاجة إلى الاستفسار من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، ولا سيما مسلمتهم ، كعبد الله بن سلام ، وكعب الأجار ، فكان بعض الصحابة يسألهم عن بعض جزئيات الحوادث ، وعن تفصيل بجملات القصص ، بقدر ما يرون أنه موضح للقصة ومبين لما أجمله القرآن منها ، من غير أن يخرجوا عن دائرة الجواز التي حددها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » ، وبقوله : « لاتصدقوا

أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا : آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم ... الآية .

وعلى هذا فإن الصحابة إذا أخذوا عن أهل الكتاب، كانوا يصدقونهم فيما يتفق مع شريعتنا، وكانوا يكذبونهم فيما لا يتفق معها، وكانوا يتوقفون فيما يحتمل الصدق والكذب ، فلا يقطعون بصدقه لاحتمال أن يكون كذبا ، ولا يقطعون بكذبه لاحتمال أن يكون صدقا . كما كانوا لا يسألون عن الأشياء التي يشبه أن يكون السؤال عنها نوع من اللهو والعبث ، كالسؤال عن لون كلب أهل الكهف ، وبعض البقرة الذي ضرب به قتل بني إسرائيل ، ومقدار سفينة نوح ، ونوع خشبها ، واسم الغلام الذي قتله الخضر ، وغير ذلك مما يعد السؤال عنه قبيحا، ومن قبيل تضييع الوقت في غير فائدة ، ولهذا قال الدهلوي - بعد أن بين أن السؤال عن مثل هذا تكلف ما لا يعني - (وكانت الصحابة - رضي الله عنهم - يعدون مثل ذلك قبيحا من قبيل تضييع الأوقات ^(١)) .

كذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم لا يسألون أهل الكتاب عن شيء مما يتعلق بالعقيدة أو يتصل بالأحكام ، اللهم إلا إذا كان على جهة الاستشهاد والتأييد لشرعنا، للاحتجاج عليهم من معتقدهم .

ولا ينبغي أن يجعل من تلقي الاسرائيليات على هذا الوجه ذريعة للطعن في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم كانوا يزنونها بالميزان الشرعي - كما أسلفنا - وكان ذلك منهم بعد استقرار أصول الشريعة ، وإرساء قواعدها - وكان ما يروونه من ذلك ، مما يتعلق بالأخبار والقصص، لا بالعقائد والأحكام ، فلم تكن رواية هذه الأخبار بالتالي تزلزل عقائدهم أو تشوش أفكارهم - ومنزلتهم معروفة في العلم والدين -- كما لا ينبغي أن يتخذ من رواية هذه الاسرائيليات

(١) الفوز الكبير في أصول التفسير « ص ٣٥ » وانظر التفسير والمفسرون

وسيلة للطعن في روايتها من أمثال كعب وهب ممن أثنى عليهم الصحابة وزكاهم أهل البصر بالتعديل والتجريح - كما سنين ذلك فيما بعد - وذلك لأنهم حكواها عن كتب غير مصدقين لها على الإطلاق ، بل كانت عقيدتهم فيها كعقيدة الصحابة ؛ ما جاء على وفق شرعنا صدقوه ، وما خالفه كذبوه ، وما لم يوافق أو يخالف شرعنا ردوا فيه العلم إلى الله عز وجل ، وما مثلهم فيما ينقلون ويحكمون إلا كمثل رجل أمين أراد أن يطلعك على مؤلف بغير لسانك ، فترجمه إلى لغة تفهمها لتعرف ما فيه إن صدقاً أو كذباً ، وليس أمثال ابن مسعود وابن عباس وأبي هريرة وعبدالله بن عمرو بالقاصرين عن تمييز الحيث من الطيب ، حتى يقال : إن نقلها إليهم يشوش على أفكارهم وعقائدهم^(١).

ولقد حاول بعض المستشرقين تصوير الصحابة في صورة مغفلين خرافيين يصدقون كل ما يلقى إليهم من كعب وغيره من مسامي أهل الكتاب ، وتبعهم في هذه الفرية السيد رشيد رضا ، والأستاذ أحمد أمين ، وأبو رية . وإليك نص كلامهم :

قال السيد رشيد رضا في مجلة « المنار الجزء الأول - المجلد ٢٦ ص ٦١٥) : (ونحن نعلم أن أبا هريرة روى عن كعب وكان يصدقه ... ومثل هذا كان يقال في ابن عباس وغيره ممن روى عن كعب ، وكان يصدقه) . وقال في موضع آخر من نفس المجلد (ص ٧٨٣) : (... ولا يهولنه^(٢)) . انخداع بعض الصحابة والتابعين بما بثاه - يقصد كعباً وهباً - هما وغيرهما من هذه الأخبار فإذا صدق بعض الصحابة كعب الأخبار في بعض مقترباته التي كان يؤمهم أنه أخذها من التوراة أو غيرها من كتب أنبياء بني إسرائيل ، وهو من أجباهم ، أو في غير ذلك ، فلا يستلزم هذا إساءة الظن فيهم) .

(١) الحديث والمحدثون « ص ١٨٦ - ١٨٧ » للشيخ محمد أبو زهو .

(٢) يقصد الأستاذ عبد الرحمن الجمجوني ، وكان بينه وبين صاحب المنار مساجلة علمية على صفحات المنار .

وقال الأستاذ أحمد أمين في كتابه فجر الاسلام ص ٢٠١ : (ولم يتخرج حتى كبار الصحابة مثل ابن عباس من أخذ قولهم . روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » ولكن العمل كان على غير ذلك ، وأنهم كانوا يصدقونهم وينقلون عنهم) .

وقال أبو رية في كتابه « أضواء على السنة المحمدية ص ١١٠ » (وتلقى الصحابة ومن تبعهم كل ما يلقيه هؤلاء الدهاة - يقصد عبد الله بن سلام وكعب الأبحار ووهب بن منبه - بغير نقد أو تمحيص معتبرين أنه صحيح لا ريب فيه) . وقال أيضاً في (ص ١٢٥ - ١٢٦) : (كان من أثر وثوق الصحابة بمسألة أهل الكتاب واغترارهم بهم أن صدقوهم فيما يقولون ، ويروون عنهم ما يفترون ... وكان أبو هريرة أكثر الصحابة وثوقاً بهم وأخذاً عنهم وانقياداً لهم) . أهـ

والحق أن هذا الزعم الذي سقنا لك أقوال أصحابه آنفاً مخالف للواقع ومجانِب للصواب ، فقد علم الصحابة رضوان الله عليهم من كتاب الله عز وجل أن أهل الكتاب غيروا في كتبهم وبدلوا ؛ فامتزج الحق فيها بالباطل والصدق بالكذب ، وروا عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله : « لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم » ونهى بعضهم عن الأخذ عنهم^(١) ، وكان عند عبد الله بن عمرو بن العاص صحيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يسميها « الصادقة » تمييزاً لها عن صف كانت عنده من أهل الكتاب .

وروت لنا كتب الصحاح وغيرها من الكتب المعتبرة : أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا إذا سألوا أهل الكتاب عن شيء ، فأجابوا عنه خطأ كذبوهم وردوا عليهم خطأهم وبينوا لهم وجه الصواب فيه .

فمن ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى

(١) كما جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس (كيف نسألون أهل الكتاب عن شيء ... الحديث) .

الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال : « فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه » (١) .

فقد اختلف السلف في تعيين هذه الساعة ، وهل هي باقية أو رفعت ؟ وإذا كانت باقية فهل هي في جمعة واحدة في السنة أو في كل جمعة منها ؟ فنجد أبا هريرة رضي الله عنه يسأل كعب الأبحار عن ذلك ، فيجيبه كعب الأبحار بأنها في جمعة واحدة من السنة ، فيرد عليه أبو هريرة قوله هذا ، ويبين له : إنها في كل جمعة ، فيرجع كعب إلى التوراة فيرى الصواب مع أبي هريرة فيرجع إليه .

وروى ابن جرير عن عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن عباس أنه قال : (المفدي إسماعيل وزعمت اليهود أنه إسحق وكذبت اليهود (٢)) .

وبلغ ابن عباس أن نوقاً البكالي - وهو ربيب كعب - يزعم أن موسى صاحب الخضر غير موسى بن عمران ، فقال ابن عباس : كذب عدو الله (٣) .

وروى البخاري في كتاب الاعتصام من صحيحه عن معاوية أنه ذكر كعباً ، وقال : (إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين عن أهل الكتاب ، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب (٤)) .

وروى ابن كثير في تفسيره أن معاوية بن أبي سفيان قال لكعب منكراً (أنت تقول أن ذا القرنين كان يربط خيله بالثريا !) وعلق ابن كثير على ذلك بقوله : وهذا الذي أنكره معاوية على كعب هو الصواب ، والحق مع معاوية في ذلك الإنكار (٥) .

(١) القسطلاني « ١٩٠: ٢ » وانظر صحيح البخاري في باب الجمعة « ١٣: ٢ » وانظر سنن النسائي (كتاب الجمعة) والتفسير المفسرون « ١٧٠: ١ » .

(٢) تفسير ابن جرير « ٥٣: ٢٣ » .

(٣) تفسير ابن كثير « ١٩٢: ٣ » .

(٤) سنتكلم عن تأويل هذا الحديث عندما نترجم لكعب .

(٥) تفسير ابن كثير « ١٠١: ٣ » .

يتبين مما تقدم أن الصحابة - رضوان الله عليهم - لم يكونوا مغفلين
مخدوعين يصدقون كل ما يلقي إليهم - كما اتهموا - كما تبين أنهم ما كانوا مسلمون
لكعب ولا لغيره من مسلمي أهل الكتاب كل ما يروونه من إسرائيليّات ، وأما
ما كان من رجوع عبدالله بن عمرو وابن عباس وأبي هريرة إلى كعب وغيره ،
فقد كان خاضعاً للقاعدة القاضية بتصديق ما صدقه الشرع الإسلامي ، وتكذيب
ما كذبه ، والتوقف فيما سوى ذلك ، وهي التي أشار إليها قوله عليه الصلاة والسلام :
« لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقلوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل
إليكم وإلّنا وإلّكم واحد ونحن له مسلمون » .



من أشهر رواة الإسرايليات من الصحابة

يتصفح الإنسان كتب التفسير بالمأثور ، فلا يلبث أن يلحظ أن غالب ما يروى فيها من إسرائيليات عن الصحابة معزو إلى عبد الله بن عباس ، وأبي هريرة ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن سلام ، وتميم الداري ، وغيرهم ، وسأكتفي بالترجمة لهؤلاء الخمسة مبدئاً موقف كل منهم على حدة ، بعد أن بينت موقف الصحابة من هذه الإسرائيليات بإجمال .

أ — ابن عباس :

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولد والنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالشعب بمكة ، وعندما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له رضي الله عنه من العمر ثلاث عشرة سنة ، وقد عاش حتى توفي بالطائف سنة ٦٨ هـ .

وهو ترجمان القرآن ، وجبر الأمة ، ورأس المفسرين . دعا له النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ^(١) » .

(١) الاستيعاب لابن عبد البر « ٩٣٥:٣ » . وروي لابن عباس « ١٦٦٠ » حديثاً ، أخرجه الشيخان منها « ٢٣٤ » حديثاً ، اتفقا على « ٧٥ » حديثاً ، منها وإفرد البخاري بـ « ١١٠ » أحاديث ومسلم بـ « ٤٩ » حديثاً ، وأحاديثه في الكتب الستة وكتب السنن . انظر السنة قبل التدوين « ص ٧٧ » ، للدكتور محمد عجاج الخطيب .

وقد روي عنه في التفسير ما لا يحصى كثرة بطرق ليس معظمها بصحيح ، ومن ذلك التفسير المنسوب إليه ، وهو الذي طبع باسم (تنوير المقياس من تفسير ابن عباس) رواية الفيروزبادي صاحب القاموس المحيطة . فإن نسبته إليه لا تصح ؛ وحسبنا في التدليل على هذا ما روي منسوباً إلى الإمام الشافعي - رضي الله عنه - من قوله : (لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شيء بمائة حديث ^(١)) . مع أن هذا التنوير المنسوب إليه مطبوع في نحو أربعمائة صفحة من القطع الكبير .

وقد ساعد ابن عباس على تضلعه في التفسير وقوته فيه ؛ نشأته في بيت النبوة وملازمته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم لأكابر الصحابة بعد وفاة الرسول ، ثم حفظه للعربية ومعرفته لغربها وآدابها وخصائصها ، وأساليبها شعراً ونثراً ، وبلوغه مرتبة الاجتهاد ، وعدم تخرجه من التفسير ، وقد وهبه الله عقلاً راجحاً ، ورأياً صائباً ، وقريحة وقادة ، و يقيناً وإيماناً ، قال عمر رضي الله عنه : (ابن عباس فتى الكهول ، له لسان قنول ، وقلب عقول ^(٢)) وقال علي كرم الله وجهه يثني عليه في تفسيره (كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق) .

وكان ابن عباس شيخ المفسرين بمكة ، وصاحب مدرسة التفسير بها . قال ابن تيمية : (وأما التفسير فأعلم الناس به أهل مكة ، لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء وعكرمة ... الخ ^(٣)) .

أشهر الطرق عن ابن عباس :

١ - طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة المتوفى سنة ١٤٣ هـ عن ابن عباس ، وهذه أجود الطرق عنه . قال الإمام أحمد : (وإن في مصر

(١) الاتفاق « ٢ : ٢٢٤ » .

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ترجمة ابن عباس .

(٣) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ١٥ .

صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة ، لو دخل رجل فيها إلى مصر قاصداً ما كان كثيراً) وقد اعتمد عليها البخاري في صحيحه .

٢ - طريق قيس بن مسلم الكوفي المتوفى سنة ١٢٠ هـ عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . وهذه الطريق صحيحة على شرط الشيخين .

٣ - طريق ابن إسحق صاحب السيرة عن محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس . وهي طريق جيدة وإشنادها حسن .

٤ - طريق إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير ، ثاوة عن أبي مالك ، وثاوة عن أبي صالح عن ابن عباس . والسدي الكبير مختلف فيه .

٥ - طريق عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج عن ابن عباس ، وابن جريج لم يقصد الصحة فيما جمع ، وإنه روى فيه تفسير كل آية من الصحيح والسقيم .

٦ - طريق الضحاك بن مزاحم الهلالي عن ابن عباس . وهي غير مرضية .

٧ - طريق عطية العوفي عن ابن عباس . وهي غير مرضية أيضاً .

٨ - طريق مقاتل بن سليمان الأزدي الحراساني ، وقد جرحه رجال الحديث وقالوا : إنه يروي عن مجاهد وعن الضحاك ولم يسمع منها ، وقد كذبه غير واحد ، ولم يوثقه أحد ، وأشهر عنه التجسيم والتشبيه .

٩ - طريق محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ١٤٦ هـ عن أبي صالح عن ابن عباس . وهذه أوهى الطرق ، فالكلبي - وإن وجد من قال : رضوه في التفسير - متروك الحديث ليس بثقة عند جميع أهل الحديث ، وإذا انضم إلى طريق الكلبي رواية محمد بن مروان السدي الصغير فهي سلسلة الكذب (١) .

(١) الاقنات « ١٨٩ : ٢ » - وانظر التفسير والمفسرون « ١ : ٧٧ - ٨١ »

لفضيلة أستاذنا الدكتور محمد حسين الذهبي ، وكشف الظنون « ٣٠٠ : ١ » ، ومقدمة تفسير أحمد مصطفى المراغي .

رجوع ابن عباس إلى أهل الكتاب :

لم يجد عبد الله بن عباس غضاظة في الأخذ عن أسلم من أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وكعب الأحبار ، وإن كان قد حذر ونهى من لا علم له عن الأخذ عنهم مخافة التشويش على عقائدهم .

وكان رضي الله عنه يرجع إلى أهل الكتاب بحكم اتفاق القرآن مع التوراة والإنجيل في كثير من المواضع التي أجملت في القرآن وفصلت فيها .

وقد قلنا فيما سبق : إنه كان يرجع إلى أهل الكتاب في دائرة محدودة ضيقة تتفق مع القرآن وتشهد له ، أماما ذلك مما يتنافى مع القرآن ولا يتفق مع الشريعة الإسلامية ، فكان ابن عباس - كغيره من الصحابة - لا يقبله ولا يأخذ به .

اتهم ابن عباس بالتوسع في الأخذ عن أهل الكتاب :

يتهم المستشرق اليهودي جولد زيهير ابن عباس رضي الله عنه بتوسعه في الأخذ عن أهل الكتاب ، فيقول في كتابه (مذاهب التفسير الاسلامي) في (ص ٨٥ - ٨٨) : « وأجدر من ذلك بالتصديق الأخبار التي تفيد أن ابن عباس كان لا يرى غضاظة أن يرجع في الأحوال التي يخامر الشك إلى من يرجو عنده علمها ، وكثيراً ما ذكر أنه كان يرجع في تفسير معاني الألفاظ إلى من يدعى أبا الجلد^(١) » ثم يقول : « وكثيراً ما تجد بين مصادر العلم المفضلة لدى ابن عباس اليهوديين اللذين اعتنقا الاسلام : كعب الأحبار وعبد الله بن سلام ... ولم يعد ابن عباس أولئك الكتابيين حججاً فقط في الاسرائيليات وأخبار الكتب السابقة ... بل كان يسأل أيضاً كعب الأحبار مثلاً عن التفسير الصحيح للتعبيرين القرآنيين (أم الكتاب) و (المرجان) .

(١) هو غيلان بن فروة الأزدي ، يقول فيه العسكري في كتاب (التصحيف والتحريف) : هو صاحب كتب وجماع لأخبار الملاحم .

وقد رأى الناس في هؤلاء اليهود أن عندهم أحسن الفهم — على العموم — في القرآن وفي كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وما فيها من المعاني الدينية، ورجعوا إليهم سائلين عن هذه المسائل بالرغم من التحذير الشديد من كل جهة من سؤا لهم^(١).
وتقول دائرة المعارف الإسلامية (٢٠ : ١) تحت « مادة ابن عباس » (أخذ ابن عباس كثيراً من القصص من الذين أسلموا — لاسيما كعب — وصاغها صياغة جديدة حتى تطابق القرآن^(٢)) .

والحق أن هذا غلو في الرأي وبعد عن الصواب، فابن عباس قد دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بتأويل القرآن والتفقه في الدين فكان — بفضل هذه الدعوة المستجابة — ترجمان القرآن وكان لا يضارعه أحد في التفسير ، وكان يرجع إليه الصحابة في ذلك ، فبعيد أن يكثر من الرجوع — وهو ترجمان القرآن — إلى أهل الكتاب ، وبخاصة إذا كان رجوعه إليهم للكشف عن معاني بعض ألفاظ القرآن الكريم ، فالقرآن كتاب عربي نزل بلغة العرب وبلاغتهم ، ولم ينزل بلغة أهل الكتاب ، فابن عباس — وهو عربي محض — أعلم بلا شك من كعب وأضرابه .
ثم كيف يستيحي ابن عباس رضي الله عنه لنفسه أن يحدث عن بني إسرائيل بمثل هذا التوسع الذي زعموه ، وهو نفسه كان أشد الناس نكيراً على من يفعل ذلك؟ فقد أخرج البخاري في ثلاثة مواضع من صحيحه عن ابن عباس قوله : (يامعشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب ، وكتابكم الذي أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله ، تقرؤونه لم يشب ، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتبه الله ، وغيروا بأيديهم الكتاب ، فقالوا : هو من عند الله ، ليشتروا به ثمنًا قليلاً ، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساوئهم ، ولا والله

(١) انظر أيضاً مذاهب التفسير لجولك زهير تعريب الدكتور علي حسن عبد القادر « ص ٦٥ - ٦٧ » .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربية (مادة ابن عباس) .

مارأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم ^(١)).

وعلى الرغم مما جاء في تفسير الطبري من روايات ظاهرها يفيد توسع ابن عباس في سؤاله لكعب الأحبار ، فإنني لا أستطيع أن أسلم بصحة جميع هذه الروايات ، وأعتقد أن أغلبها موضوع عليه ، ومعروف لدى جميع العلماء أن ابن جرير لم يلتزم في تفسيره صحة كل ما يرويه ، فلم لا يكون بعض ما ينسب إلى ابن عباس من روايته عن كعب وغيره مكذوباً عليه ؟ ! وسأفصل ذلك عند الكلام عن الوضع على ابن عباس .

الوضع على ابن عباس وأسبابه :

ويبدو أن السر في كثرة الوضع على ابن عباس هو مكانته في التفسير ، وأنه كان من بيت النبوة ، والوضع عليه يكسب الموضوع ثقة وقوة ورواجاً أكثر مما لو وضع على غيره ، أضف إلى ذلك أن ابن عباس كان من نسله الخلفاء العباسيون ، وكان من الناس من يتولف إليهم ويتقرب منهم بما يرويه لهم عن جدهم ابن عباس ، كذلك نجد من أسباب كثرة الوضع على ابن عباس في التفسير ما قصده أعداء الإسلام من اليهود والنصارى الذين اندسوا بين أبنائه متظاهرين بالإسلام ، ثم عمدوا إلى الدس والوضع في التفسير بعد أن عجزوا عن أن يناوئوا هذا الدين عن طريق الحرب والقوة ، أو عن طريق البرهان والحجة .

نقد بعض الروايات التي رويت عن ابن عباس في كتب التفسير :

١ - روى ابن كثير في تفسيره نقلاً عن السيوطي في الأسماء والصفات عن طويك شريك بن عبد الله التميمي ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس في قوله تعالى (في الآية ١٢ من سورة الطلاق) (الله الذي خلق سبع

(١) صحيح البخاري - كتاب التفسير « ٢٥:٦ » .

سموات ومن الأرض مثلهم ... الآية) قال : سبع أرضين في كل أرض نبي كنيسكم ، وآدم كآدم ، ونوح كنوح ، وإبراهيم كإبراهيم ، وعيسى كعيسى^(١) .
وقد علّق أبو حيان على الحديث بقوله : (هذا حديث لا شك في وضعه وهو من رواية الواقدي الكذاب^(٢)) .

وسند الحديث أيضاً ضعيف لأن (شريك) مخطيء ، وقد تغير حفظه منذ ولي القضاء في الكوفة ، وعطاء بن السائب اختلط قبل موته^(٣) .

٢ - وروى ابن جرير عن ابن عباس في تعيين الذبيح روايتين مختلفتين : الأولى مرفوعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومفيدة أن الذبيح هو إسحاق .
والثانية : موقوفة على ابن عباس ومفيدة أن الذبيح هو إسحاق أيضاً^(٤) . ولو أننا عرضنا هاتين الروايتين على قواعد المحققين في نقد الرواية والترجيح ؛ لتبين لنا بكل وضوح أن الرواية القائلة بأن الذبيح هو إسماعيل أصح من غيرها وأرجح بما يخالفها ، لأنها مؤيدة بأدلة كثيرة يطول ذكرها ، وأيضاً فإن الرواية التي يذكرها ابن جرير مرفوعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومفيدة أن الذبيح هو إسحاق في سندها علي بن زيد والحسن بن دينار ، وعلي بن زيد منكر الحديث ، والحسن ابن دينار متروك ، كما ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره^(٥) ، ثم روى ابن جرير رواية ثالثة على لسان ابن عباس نفسه ؛ يصرح فيها بتفويض الروايتين السابقتين ويكذب اليهود في زعمهم أن الذبيح هو إسحاق ، قال ابن جرير : (حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال أخبرني عمر بن قيس ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن

(١) تفسير ابن كثير « ٣٨٥ : ٤ » ، وانظر الآلوسي « ١٤٢ : ٢٨ - ١٤٣ » .

(٢) البحر المحيط « ٢٨٧ : ٨ » وانظر الآلوسي « ١٤٣ : ٢٨ » .

(٣) تقريب التهذيب « ٣٥١ : ١ ، ٢٢ : ٢ » .

(٤) تفسير ابن جرير « ٥١ : ٢٣ » .

(٥) تفسير ابن كثير « ١٧ : ٤ » .

عبد الله بن عباس أنه قال : المَقْدِي إسماعيل ، وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود^(١) ، وهذا الأثر صحيح عن ابن عباس وإسناده على شرط الصحيح ، وهو كما ترى صريح في تكذيب اليهود فيما زعموه ؛ وهو يقضي على كل أثر بخلافه^(٢) .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤ : ١٧) بعد ما ساق الروايات التي تزعم أن الديسح هو إسحاق : (وهذه الأقوال - والله أعلم - كلها مأخوذة عن كعب الأحبار ؛ فإنه لما أسلم في الدولة العمرية ، جعل يحدث عمر رضي الله عنه عن كتبه قديماً ، فربما استمع له عمر رضي الله عنه ، فترخص الناس في استماع ما عنده ونقلوا ما عنده عنه ، غشاً وسمينها ، وليس لهذه الأمة - والله أعلم - حاجة إلى حرق واحد مما عنده) .

٣- وما يدلنا أيضاً على الوضع على ابن عباس رضي الله عنه ما نسبته الإمام البغوي إلى ابن عباس في تفسير قوله تعالى : (وتحفي في نفسك ما الله مبديه ...)^(٣) . قال : أي حب زينب وهي في عصمة زيد ...!!^(٤) ، وقد كانت المنتظر من البغوي ألا يروي خرافة حب النبي صلى الله عليه وسلم لزينب ؛ بعد تزويجه إياها لزيد عن مسلم مطلقاً ، فضلاً عن ابن عباس ، وقد حكى البغوي مثل هذه الرواية عن قتادة أيضاً ، وهي لا تصح بحال وقد دسها في التفسير يوحنا الدمشقي في العهد الأموي^(٥) .

وقبل أن ندع ابن عباس إلى غيره ، نرى أنه لا بد لنا أن ننبه إلى حقيقة

(١) تفسير ابن جرير « ٥٣ : ٢٣ » .

(٢) انظر التفسير والمفسرون « ١٦٢ : ١ - ١٦٣ » .

(٣) من الآية ٣٧ من سورة الأحزاب .

(٤) تفسير البغوي على هامش تفسير الخازن « ٥ : ٢١٥ » .

(٥) انظر مناهج التفسير لأبي زهرة « ص ٥٠٢ » (مقال في مجلة لواء الاسلام

- العدد الثامن من السنة الخامسة - ربيع الثاني سنة ١٣٧١ هـ - يناير ١٩٥٢ م .

ننصف بها ذلك الخبر ، ترجمان القرآن ، من ظلم كثير وقع عليه وأسيء به إليه ؛ فضلاً عما فيه من تأويل لآيات القرآن الكريم بما لا تحتمله مجال ، وبما هي منه براء ، ولا يمكن ولا يعقل أن يكون قد قاله ذلك الصحابي الجليل الذي دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم ، بأن يعلمه الله التأويل ويفقهه في الدين . !

إن كتب التفسير - بصفة عامة - تهتم كثيراً بما قاله ابن عباس في تفسير القرآن الكريم ، وقد أساء الرواة الضعاف والوضاعون والمدلسون من كل مجرح موهن إلى ذلك الخبر الجليل ، فنسبوا إليه كلاماً كثيراً لم يقله ، ثم أساء كثير من أصحاب التفاسير ، فنقلوا هذه الروايات وسودوا بها صفحات كتبهم دون بحث الأسانيد ، وهكذا وصلت إلينا كتب التفسير وهي تحكي عن ابن عباس في تأويل الآية الواحدة - أحياناً - رأيين أو ثلاثة ، أو أكثر أحياناً ، وبعض هذه الآراء يناقض بعضها الآخر مناقضة صريحة بحيث يستحيل الجمع بينها ، ومن غير المعقول ولا السائغ أن يقول صحابي جليل كابن عباس كل هذا الخلط العجيب من التفاسير للآية الواحدة ، ولست أدعو بهذا الكلام إلى طرح كل ما روي عن ابن عباس بما حفلت به كتب التفسير ، فإن منه الصحيح وغيره ، إنما أدعو إلى دراسة السند في كل رواية قبل الحكم لها أو عليها . وفي هذه الدراسة ينبغي أن نثبت بما يلي :

١ - أن الراوي ليس ضعيفاً ولا مجروحاً ولا مجهولاً (وهذا ما يجب تطبيقه على كل راوٍ في السند) .

٢ - أن العصر الذي عاش فيه كان يتيح له فرصة اللقاء بمن روى عنه في السند ؛ وإنما يتأتى هذا إذا كان كل راوٍ ومن روى عنه متعاصرين ، ويقتضي هذا بالطبع معرفة السنة التي توفي فيها كل منها .

٣ - أن يثبت أن أحدهما رحل إلى البلد الذي يقيم فيه الآخر إذا لم يكونا من بلد واحد .

٤ - (وهو شرط انفرد به البخاري من بين أصحاب الكتب الستة) أن يثبت التلقي - والسماع أيضاً - بين كل راو ومن روى عنه ، ولا تكفي المعاصرة إن لم يثبت اللقاء والسماع منه دون وسيط ؛ وإلا فقد روى المتأخر عن الوسيط .

ب - أبو هريرة

هو عبد الرحمن بن صخر ، وكنيته أبو هريرة ، أسلم وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم عام خير سنة سبع من الهجرة في الحرم ^(١) ، وهو - على قلة صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم - أحفظ من روى الحديث ، بشهادة الامام الشافعي رضي الله عنه وغيره . قال الامام الشافعي : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره ^(٢) - وقال البخاري : روى عنه نحو الثمانمائة من أهل العلم ، وكان أحفظ من روى الحديث في عصره ^(٣) . أه . والسر في ذلك أمور نذكرها :

أولاً : مواظبته على حضور مجالس النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد روى البخاري في صحيحه في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة أن أبا هريرة قال : إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله الموعود ، إنني كنت امرأ مسكيناً ، ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني ، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق ، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم ، فشهدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، وقال من يبسط رداءه حتى أفضي مقالي ، ثم يقبضه إليه فلن ينسى شيئاً سمعته مني ، فبسطت بردة كانت علي ، فوالذي بعثه بالحق ما نسيت شيئاً سمعته منه ^(٤) .

(١) تاريخ الاسلام « ٢ : ٣٣٣ » ، وانظر طبقات ابن سعد « ٤ : ٥٢ » ، وسير أعلام النبلاء « ٢ : ٤١٧ » ، والاصابة « ٧ : ١٩٩ - ٢٠١ » وتذييب التذييب « ١٢ : ٦٣ »

(٢) تذكرة الحفاظ « ١ : ٣٤ » ، والبداية والنهاية « ٨ : ١٠٦ » .

(٣) تذييب التذييب « ١٢ : ٢٦٥ » .

(٤) صحيح البخاري . كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة « ٩ : ١٣٣ » .

ثانياً : أدرك أبو هريرة كبار الصحابة وأخذ عنهم الشيء الكثير من الحديث فتكامل علمه به واتسع أفقه فيه .

ثالثاً : طول حياته بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد عاش بعده سبعة وأربعين عاماً ينشر الحديث ويبثه بين الناس بعيداً عن المناصب والمشاكل والفتن .

وتوفي أبو هريرة بالمدينة سنة سبع وخمسين من الهجرة ^(١) ، على المعتمد عن ثمانية وسبعين عاماً رضي الله عنه .

عدة ما روي عنه من الحديث :

أبو هريرة أكثر الصحابة حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، روى له الامام أحمد بن حنبل في مسنده (٣٨٤٨) حديثاً وفيها مكرر كثير باللفظ والمعنى ويصفو له بعد حذف المكرر خير كثير .

وروى له الامام بقي بن مخلد في مسنده (٥٣٧٤) حديثاً ، وله في الصحيحين (٣٢٥) حديثاً انفرد البخاري منها بـ (٩٣) حديثاً ومسلم بـ (١٨٩) حديثاً ^(٢) .

أصح الطرق عن أبي هريرة :

حكى عن علي بن المديني أن من أصح الأسانيد إطلاقاً حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ^(٣) .

(١) طبقات ابن سعد (٤ : ٦٤) .

(٢) انظر البارع الفصيح في شرح الجامع الصحيح مخطوطة ورقة ٩ ، وتاريخ الاسلام (٢ : ٣٣٤) ، وشذرات الذهب ١ : ٦٣ ، والفصل لابن حزم (٤ : ١٣٨)

(٣) تدريب الراوي «ص ٣٦» ، والكفاية «ص ٣٩٨»

وقال سليمان بن داود أصح الأسانيد كلها يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة^(١) . وأصح ما روي من الحديث عن أبي هريرة ماجاء عن مالك، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة . وما جاء عن مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة . وما جاء عن سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة . وما جاء عن معمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة . وما جاء عن إسماعيل بن أبي حكيم، عن عبيد بن سفيان الحضرمي، عن أبي هريرة . وما جاء عن معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة^(٢) .

هل كان أبو هريرة تلميذا لكعب الأحبار ؟ :

أثار بعض أهل الأهواء شبهات حول أبي هريرة قديماً وحديثاً^(٣) ، وقد حمل لواء الدفاع عن الصحابي الجليل بعض العلماء^(٤) الذين كشفوا نوايا هؤلاء المغرضين

(١) المرجع السابق نفس الموضع .

(٢) هذه الأسانيد خرجها الشيخ أحمد شاكر من مسند أبي هريرة في مسند الامام أحمد ، انظر مسند الامام أحمد شرح وتعليق أحمد شاكر (١ : ١٤٩ - ١٥٠) .

(٣) فن القدماء : النظام ، والمريسي ، والبلخي . ومن المحدثين ، جولد تسهر ، وشيرنجير ، وهما من المستشرقين . والشيخ رشيد رضا في مجلة المنار « م ٢٩ ص ٤٣ » ، والأستاذ أحمد أمين في كتابه - فجر الاسلام - « ص ٢١٩ » ، وعبد الحسين شرف الدين العاملي في كتابه (أبو هريرة) ومحمود أبو رية في كتابه (أضواء على السنة المحمدية) .

(٤) كابن قتيبة في كتابه (تأويل مختلف الحديث) والدارمي في كتابه (رد الدارمي على بشر المريسي) وتفرقت بعض الردود في كتب الصحاح ، وشروحا كفتح الباري .

وقد تولى الدفاع عن الصحابي الجليل عدد من الباحثين المعاصرين؛ من بينهم أستاذنا الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله في كتابه (السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي) والشيخ محمد أبو زهو في كتابه (الحديث والمحدثون) والشيخ محمد أبو شبة في كتابه (دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين) ، والشيخ محمد السباحي في كتابه (أبو هريرة في الميزان) والأستاذ عبد الرحمن المعلي اليمني في كتابه الأنوار =

وينبوا الحق من الباطل ، ومازوا الحيث من الطيب . ونكتفي من هذه الشبه التي أثارها القوم بواحدة لها مساس بموضوع الرسالة .

قالت دائرة المعارف الاسلامية - تحت مادة كعب الأخبار - (وكان من أهم تلاميذه عبد الله بن عباس أحد قدامى مفسري القرآن وأبو هريرة ^(١)) أه . وقال الأستاذ أحمد أمين : (. . . وقد أخذ عنه اثنان هما أكبر من نشر علمه ، ابن عباس - وهذا يغلل ما في تفسيره من إسرائيليّات - وأبو هريرة ^(٢)) أه .

وحذا حذوهما أبورية ، ولكنه هول هذا الزعم وبالغ فيه ، إذ صوره مؤامرة دبرها كعب الأخبار لبث الاسرائيليات في الدين الاسلامي ، وجعل أبا هريرة مطية له من أجل ذلك . ويرى أبورية أن كعباً قد سلط قوة دهائه على سداجة أبي هريرة لكي يستحوذ عليه ، وينيمه ليلقنه كل ما يريد أن يبثه في الدين الاسلامي من خرافات وأوهام ؛ وكان له في ذلك أساليب غريبة وطرق عجيبة ! ويرى أبورية أيضاً أن كعباً كان يشي على أبي هريرة وعلى معرفته لما في التوراة ؛ ليشق الناس به ويأخذوا عنه حديثه الذي يلقنه إياه كعب .

هكذا يتصور أبورية ، أبا هريرة ألعوبة في يد كعب ، يأخذ عنه ويدعي أنه سمعه من الرسول صلى الله عليه وسلم .

وإليك نص عبارة أبي رية لتدرك مدى تجنيه على الصحابي الجليل أبي هريرة

= الكاشفة) والشيخ محمد عبدالزراق حمزة في كتابه (ظلمات أبي رية) والدكتور محمد عجّاج الخطيب في كتابيه (السنة قبل التدوين) و (أبو هريرة راوية الاسلام) .

فيجزأيم الله عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء

(١) دائرة المعارف الاسلامية « ١١ ص ٥٨٢ - ٥٨٣ » تحت مادة (كعب الأخبار) الترجمة الانجليزية .

(٢) فجر الاسلام « ص ١٦٠ » .

رضي الله عنه ، قال: (.. ويبدو أن أبهريرة كان أول الصحابة الخداعاً به - يقصد كعب الأخبار - وثقة فيه ، ورواية عنه وعن إخوانه ، كما كان أكثرهم رواية للحديث ، ويتبين من الاستقراء أن كعب الأخبار قد سلط قوة دهائه على سذاجة أبي هريرة لكي يستحوذ عليه ، وينيمه ليلقنه كل ما يريد أن يبش في الدين الاسلامي من خرافات وأوهام ، وكان له في ذلك أساليب غريبة ، وطرق عجيبة . فقد روى الذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة أبي هريرة أن كعباً قال فيه : مارأيت أحداً لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبي هريرة ^(١) . فانظر دهاء هذا الكاهن ومكره بأبي هريرة الذي يتجلى في درس تاريخه أنه كان رجلاً فيه غفلة وغرة ، إذ من أين يعلم أبو هريرة ما في التوراة ، ولو عرفها لما استطاع أن يقرأها لأنها كانت باللغة العبرية ... إلخ ^(٢)) أه .

ونقول في الجواب :

١ - نعم روى الصحابة - ومنهم أبو هريرة - عن كعب وغيره من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا أخبار الأمم الماضية ، وتوارى بها بما أباح لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم روايته . وحذروهم من تصديقهم له أو تكذيبهم بقوله عليه الصلاة والسلام « لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ... الحديث » فتروى أخبارهم على جهة العظة والاعتبار لاعلى أنها مهمة على ما جاء في القرآن الكريم من أخبار ، وعلى ذلك فليست هذه الروايات مما يعول عليها في دين الله وشرعية الاسلام حتى تكون مصدر شبهات للمؤمنين أو الملاحدة والمارقين ، ولا توجب أن يكون الدين كغيره من سائر الأديان دين خرافات وأوهام ، ومن ذلك يتبين لنا أن الصحابة لم ينخدعوا في كعب الأخبار لا في قليل ولا كثير ، فسواء صدق كعب فيما

(١) أورد الحافظ الذهبي هذا القول عن أبي هريرة في باب المدح ، وأورده أبوهريرة في باب الدم والائتمام .

(٢) (أضواء على السنة المحمدية « ص ١٧٢ - ١٧٣ » .

يحدث به أو كذب ، فإنه لا يروي عن مصدر التشريع المعتبر عن المسلمين .

٢ - وأما أن كعب الأخبار قد سلط قوة دهائه على سذاجة أبي هريرة لكي يستحوذ عليه ... النخ ، فهذا اتهام صارخ لأبي هريرة بالسذاجة ، فلو كان به سذاجة ما خفيت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين ولاه ولاية البحرين ، ولو كان ساذجاً لاستجاب لعمر حين طلبه لولاية البحرين مرة ثانية ^(١) . ولو كان ساذجاً ما عول عليه الصحابة والتابعون في الفتوى ، وسند ذكر قصة تدل على عكس ما ذهب إليه أبو رية .

أخرج النسائي عن أبي هريرة قال : (.. أتيت الطور فوجدت ثم كعباً ، فمكثت أنا وهو يوماً أحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحدثني عن التوراة ، فقلت له : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أهبط ، وفيه تيب عليه ، وفيه قبض ، وفيه تقوم الساعة ، ما على الأرض من دابة إلا وهي تصيح يوم الجمعة مصيخة حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة إلا ابن آدم ، وفيه ساعة لا يصادفها مؤمن وهو في الصلاة يسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه إياه » فقال كعب : ذلك يوم في كل سنة ، فقلت بل هي في كل جمعة ، فقرأ كعب التوراة ثم قال : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم هو في كل جمعة ، فخرجت فلقيت بصرة بن أبي بصرة الغفاري فقال : من أين جئت ؟ قلت : من الطور ، قال : لوليتك من قبل أن تأتيه لم تأتبه ؛ قلت له : ولم ؟ قال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي ، ومسجد بيت المقدس » فلقيت عبدالله بن سلام فقلت : لورأيتني خرجت إلى الطور ، فلقيت كعباً فمكثت أنا وهو يوماً أحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحدثني عن التوراة ، فقلت

(١) كانت ولاية أبي هريرة على البحرين من سنة ٢١ - ٢٣ هـ ، انظر طبقات ابن

سعد « ٦٠ : ٢ » .

له : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير يوم ... » فذكر الحديث ... قال كعب ذلك يوم في كل سنة . فقال عبد الله بن سلام كذب كعب . قلت : ثم قرأ كعب فقال : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هو في كل جمعة . فقال عبد الله : صدق كعب . إني لأعلم بتلك الساعة ، فقلت : يا أخي حدثني بها ، قال : هي آخر ساعة من يوم الجمعة قبل أن تغيب الشمس ، فقلت : أليس قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يصادفها مؤمن وهو في الصلاة ، وليست تلك الساعة صلاة ؟ قال : أليس قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من صلى وجلس ينتظر الصلاة ، لم يزل في صلاته حتى تأتبه الصلاة التي تلاقيها ؟ » قلت : بلى ، قال : فهو كذاك^(١) .

٣ - وذكر أبو رية ثناء كعب على أبي هريرة بأنه يعلم ما في التوراة مع أنه لم يقرأها ... وهذا . . . إن صح فلا شيء فيه ، لأن كثيراً من الناس يستمعون الأخبار من المجالس والندوات دون أن يقرأوا الكتب ، وأبو هريرة ، كان يسمع من غير واحد غير كعب مثل عبد الله بن سلام ، وهب بن منبه ، وكان ذا حافظه قوية ، فلمّا كان يذاكر كعباً يراه عالماً بشيء كثير مما سمعه منه أو من غيره ، ولم ير أحداً ممن لم يقرأ التوراة فيه تلك الخاصة غير أبي هريرة ؛ فشدها ؛ ولا أدري كيف غاب عن المؤلف أن العلم لا يتوقف على معرفة القراءة والكتابة ، مع أن الكلمة المسموعة لا تقل عن الكلمة المقروءة رسوخاً في النفس ؟ ، وماذا يقول المؤلف في بعض الأكفاء في القديم والحديث الذين حصلوا من العلوم والمعارف ما لم يحصله غيرهم من المبصرين القارئ الكاتين؟!

٤ - وحاول أبو رية أن يستشهد ببعض الأحاديث ليدعم زعمه بأن أبا هريرة يكذب في الحديث . والمشهور عن أبي هريرة أنه كان يعزو كل ما يحدث

(١) سنن النسائي - كتاب الجمعة - ذكر الساعة التي يستجاب فيها الدعاء

يوم الجمعة « ١١٤: ٣ - ١١٥ » ،

به عن غير النبي صلى الله عليه وسلم إلى قائله، فبالأحرى أن يبين حديث كعب وما يقوله له كعب ، ولا يمكن لإنسان أن يتصور أبا هريرة الذي روى حديث « من كذب علي معتمداً فليتبوأ مقعده من النار » عن الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يكذب علي لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ، وينسب ما يقوله كعب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وخاصة أن كعب الأخبار لم يلق النبي عليه السلام والسلام ، فإن كان أبو هريرة وابن عباس قد سمعا من كعب ورويا عنه ، فلما روبا أخبار الأمم الماضية ، وعزوها إليه . وربما يكون بعض السامعين قد خلط بين ما يرويه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وما يرويه من القصص عن كعب ، ويشت ذلك ما قاله بشير بن سعيد : (.. اتقوا الله وتحفظوا من الحديث فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة ، فيحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحدثنا عن كعب الأخبار ، ثم يقوم فاسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله عن كعب ويجعل حديث كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١)) فما جريرة أبي هريرة في ذلك !!

والغريب من أمر المؤلف أنه يتعجب من بعض الأحاديث التي يرويها أبو هريرة ويوافقه عليها ككعب ويستشهد بما يؤيدها من التوراة . مثال ذلك قوله : (.. وإليك مثلاً من ذلك نختم به مانقله من الأحاديث التي رواها أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي في الحقيقة من الاسرائيليات حتى لا يطول بنا القول : روى الإمام أحمد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ، أقرؤوا إن شئتم وظل ممدود) . ولم يكذب أبو هريرة يروي هذا الحديث حتى أسرع كعب ، فقال : صدق — والذي أنزل التوراة على موسى والفرقان على محمد ... ^(٢)) .

(١) سير أعلام النبلاء « ٤٣٦:٢ » عن بشر بن سعيد وأخرجه مسلم عن بشير وهو الأصح .

(٢) أضواء على السنة المحمدية « ص ١٧٧ » ، وروى هذا الحديث الإمام مسلم .

ماوجه الإنكار في هذا الحديث ، وقد رواه غير أبي هريرة من الصحابة ، رواه سهل بن سعد وأبو سعيد الخدري ^(١) ، فهل خدع كعب هذين الصحابين أيضاً ؟ ! وما هي غاية كعب في قوله هذا ؛ إني أعجب من إنكار الكاتب عليه هذا الحديث ؟ فهل أنكر على أبي هريرة هذا الحديث لضخامة الشجرة ؟ . أم أنكر عليه أن يسير الراكب مائة عام في ظلها ؟ أم أنكر عليه هذا لأنه لم يعهد في حياته مثلاً ؟ هل يريد الكاتب أن ينفي كل ما لا يتصوره عقله وتفكيره ^(٢) ؟ !

(١) انظر صحيح مسلم « ٢١٧٥ : ٤ ، ٢١٧٦ » .

(٢) الأحاديث التي صححها علماؤنا رحمهم الله ليس فيها ما يرفضه العقل أو يحيله ، لأنها إما أن تتعلق بأمور العقيدة وهذه يجب أن تتفق مع القرآن وليس في القرآن شيء يحكم العقل بفساده أو بطلانه أو استحالته ، وإما أن تتعلق بالأحكام الشرعية من عبادات ومعاملات وآداب وغيرها ، وليس في حديث من هذه الأحاديث التي صححها علماؤنا ما يرفضه العقل أو يحكم باستحالته . وإما أن تكون أخباراً عن الأمم الماضية ، أو أخباراً عن عالم الغيب مما لا يقع تحت النظر كشؤون السماوات والحشر والجنة والنار ، وهذه ليس فيها ما يحكم العقل بطلانه وقد يكون فيها ما لا يدركه العقل فيستغربه .

فإذا جاءت عن طريق ثابت يفيد القطع فيجب اعتقادها ، وإن جاءت عن طريق يفيد غلبة الظن فليس من شأن المسلم أن يبادر إلى تكذيبها ، وبهذا نرى أن فريقاً كبيراً من الناس لا يفرقون بين ما يرفضه العقل وبين ما يستغربه فيساوون بينهما في سرعة الإنكار والتكذيب مع أن حكم العقل فيما يرفضه ، ناشئ من استحالته ، وحكم العقل فيما يستغربه ناشئ من « عدم القدرة على تصوره » وفرق كبير بين ما يستحيل وبين ما لا يدرك ، على أننا نرى من الاستقراء التاريخي وتتبع التطور العلمي والفكري أن كثيراً مما كان غامضاً على العقول أصبح مفهوماً واضحاً ، بل إن كثيراً مما كان يعتبر حقيقة من الحقائق ، أصبح خرافة من الخرافات ، وما كان مستحيلاً بالأمس أصبح اليوم واقعاً ولا نحتاجنا الأمثلة لذلك ، فنحن نعيش في عصر استطاع فيه الإنسان أن يكتشف القمر بصورائجه ، بل لقد نزل فيه وهو يستعد للنزول ، في غيره من الكواكب ، ولو أن إنساناً فكر في مثل هذا في القرون الوسطى ، أو منذ مائة سنة لعد من المجانين . والذين ينادون بتحكيم العقل في صحة الحديث أو كذبه لا نراهم يفرقون بين المستحيل وبين المستغرب فيبادرون إلى تكذيب كل ما يبدو غريباً في عقولهم ، وهذا جنون طائش ناتج من اغترارهم بعقولهم من جهة ، ومن اغترارهم بسلطان العقل ومدى صحته حكمه فيما لا يقع تحت =

إن أراد هذا وجب عليه أن ينفي كثيراً من المخترعات التي نسمع بها ولا نراها أو ينفي كثيراً مما جاء في القرآن الكريم ، بل عليه أن يترك جانباً عظيماً من اللغة العربية ، ذلك لأن بعض ما جاء في السنة من ألفاظ وعبارات إنما جاءت على نسق وسنن ماحكاه القرآن الكريم من عبارات سقت من باب المجاز لا من باب الحقيقة ، تخاطب الاحساسات النفسية ، والنفوس البشرية لتصور عظمة ما يمثله القرآن الكريم من الثواب والعقاب ، لذلك وجب علينا أن نعرف الألفاظ والعبارات التي لا تطابق الحقيقة إلى المجاز ، فلهعدد معنى خاص لا يتناوله غيره ، وقد أجمع المفسرون على أن بعض ما ذكر من الأعداد في القرآن الكريم ، إنما جاء للتكثير لا للبحر ، وكذلك ما جاء في السنة في مثل هذا المقام من العبارات الكثيرة التي لا تتناول حقيقة العدد . وعبرة الحديث على ظل الشجرة إنما تفيد بيان اتساع ذلك الظل الذي أعده الله للمؤمنين ، فمن الخطأ أن يجعل المؤلف الحقيقة والواقع ميزاناً لتلك الألفاظ التي وردت من باب المجاز ، لأنه في ذلك سيجانب القواعد المسلمة في اللغة ، ويقع معها في أخطاء فادحة ، لا يقره عليها أحد؛ ويلزم من هذا عدم فائدة الاستعارات والكنائيات والمجازات العقلية التي تشكل جانباً عظيماً في ترانثا الأدبي ، مادام المؤلف سيمصرف كل لفظ إلى حقيقته . !!

ثم إن العلم الحديث يرجح أن لفظ هذا الخبر من باب الحقيقة لا من باب المجاز ، فإذا عرفنا أن سرعة الضوء ثلاثمائة ألف كيلو متر في الثانية، وأن ضوء كثير من الكواكب والنجوم يستغرق وصوله إلينا ساعات ضوئية ومنها ما يستغرق أياماً بل عشرات السنين الضوئية ، وإذا تذكرنا إلى جانب هذا قوله تعالى : (وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله

= سلطانه من جهة أخرى ، ونحن نرى أن أكثر ما يستندون إليه في تكذيب ما صححه الجمهور إنما هي احاديث تتعلق إما بأخبار الأمم الماضية وإما بالأمر الغيبية .

يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم^(١) . وقوله صلى الله عليه وسلم في وصف الجنة « . . فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر^(٢) » . إذا تذكرنا كل هذا . . أدركنا أنه ليس في هذا الحديث ما يثير العجب ، ولا ما يستدعي الإنكار على راويه ، بل نزداد إيماناً بصحة هذا الخبر الذي أيده النقل والعقل والمقاييس العلمية^(٣) .

ونرى أن نختم هذه الكلمة بكلمة للعلامة المحقق الشيخ أحمد شاكر ، قال رحمه الله : في أوائل مسند أبي هريرة من مسند الإمام أحمد (١٢ : ٨٤ - ٨٦) (وقد لهج أعداء السنة وأعداء الاسلام في عصرنا ، وشغفوا بالطعن في أبي هريرة وتشكيك الناس في صدقه وفي روايته وما إلى ذلك أرادوا ، وإنما أرادوا أن يصلوا إلى تشكيك الناس في الإسلام تبعاً لسادتهم المبشرين ، وإن تظاهروا بالقصد إلى الاختصار على الأخذ بالقرآن أو الأخذ بما صح من الحديث في رأيهم ، وما صح من الحديث في رأيهم إلا ما وافق أهواءهم وما يتبعون من شعائر أوربة وشرائعها ، ولن يتورع أحدهم عن تأويل القرآن إلى ما يخرج الكلام عن معنى اللفظ في اللغة التي نزل بها القرآن ليوافق تأويلهم وهوامهم وما إليه يقصدون !! وما كانوا بأول من حارب الاسلام في هذا الباب ، ولهم في ذلك سلف من أهل الأهواء قديماً ، والاسلام يسير في طريقه قدماً ، وهم يصيحون ماشواؤا ، لا يكاد الاسلام يسمعهم ؛ بل هو إما يتخطاهم لا يشعر بهم ، وإما يدمرهم تدميراً .

ومن عجب أن تجد ما يقول هؤلاء المعاصرون ، يكاد يرجع في أصوله ومعناه إلى ما قال أولئك الأقدمون ، بفرق واحد فقط : أن أولئك الأقدمين - زائعين كانوا أم ملحدين - كانوا علماء مطلعين ، أكثرهم ممن أضله الله على علم !

(١) من الآية ٢١ من سورة الحديد.

(٢) صحيح مسلم « ٢١٧٥ : ٤ » أخرجه عن سهل بن سعد الساعدي .

(٣) انظر « السنة ومكانتها » للدكتور مصطفى السباعي « ص ٤٩ » وما بعدها ،

وانظر « أبو هريرة رواية الإسلام » للدكتور محمد عجاج الخطيب « ص ٣٢٠ » وما بعدها .

أما هؤلاء المعاصرون، فليس إلا الجهل والجرأة، وامتضاع ألفاظ لا يحسنونها يقلدون في الكفر ثم يتعالون على كل من حاول وضعهم على الطريق القويم !!

ولقد رأيت الحاكم أبا عبد الله المتوفى سنة ٤٠٥ هـ حكى في كتابه المستدرك (٣ : ٥١٣) كلام شيخ شيوخه ، إمام الأئمة أبي بكر بن محمد بن إسحق بن خزيمة المتوفى سنة ٣١١ هـ في الرد على من تكلم في أبي هريرة ، فكأنما هو يرد على أهل عصرنا هؤلاء . وهذا نص كلامه .. (.. وإنما يتكلم في أبي هريرة لدفع أخباره من قد أعمى الله قلوبهم ، فلا يفهمون معاني الأخبار : إما معطل جهمي يسمع أخباره التي يرونها خلاف مذهبهم الذي هو كفر فيشتمون أبا هريرة ، ويرمون به الله تعالى قد نزهه عنه تمويهاً على الرعاع والسفلة ، أن أخباره لا تثبت بها الحجة . وإما خارجي يرى السيف على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يرى طاعة خليفة ولا إمام ، إذا سمع أخبار أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم خلاف مذهبهم الذي هو ضلال ولم يجد حيلة في دفع أخباره بحجة وبرهان ، كان مفزعه الواقعة في أبي هريرة . أو قدرى اعتزل الإسلام وأهله ، وكفر أهل الإسلام الذين يتبعون الأقدار الماضية التي قدرها الله تعالى وقضاها قبل كسب العباد لها ، إذا نظر إلى أخبار أبي هريرة التي قد رواها عن النبي صلى الله عليه وسلم في إثبات القدر ولم يجد حجة يؤيد بها صحة مقالته التي هي كفر وشرك ، كانت حجة عن نفسه أن أخبار أبي هريرة لا يجوز الاحتجاج بها !

أو جاهل يتعاطى الفقه ويطلبه من غير مظانه ، إذا سمع أخبار أبي هريرة فيما يخالف مذهب من قد اجتنب مذهب واختاره تقليداً بلا حجة ولا برهان ، تكلم في أبي هريرة ، ودفع أخباره التي تخالف مذهب ويحتج بأخباره على مخالفه إذا كانت أخباره موافقة لمذهبه .

ج — عبر الله بن عمرو بن العاص :

هو أبو محمد عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي ، السهمي ، أسلم قبل

أبيه^(١) وكان النبي ﷺ يحبه ويفضله على والده^(٢) وكان مجتهداً في العبادة ،
مكثرأ لتلاوة القرآن الكريم ، كما كان أكثر الصحابة أخذأ للحديث والعلم عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى عبد الله بن عمرو عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وروى عنه
خلائق كثيرون من التابعين : منهم سعيد بن المسيب ، وعروة ، وأبو سلمة وحيد
ابن عبد الرحمن ، ومسروق ، وغيرهم ، وتوفي بمصر - على أرجح الأقوال -
سنة ٦٣ هـ^(٣) .

منبع ثقافته : ترجع ثقافة عبد الله بن عمرو إلى منبعين :

أما المنبع الأول : فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقد كتب وحفظ
عنه الشيء الكثير . روى البخاري في كتاب العلم أن أبا هريرة قال : (ما كان
أحد أكثر حديثأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مني ؛ إلا ما كان من عبد الله
ابن عمرو ، فإنه كان يكتب ولا أكتب) .

وروى مسلم - في كتاب العلم - عن عروة بن الزبير قال : قالت عائشة :
(يا ابن أخي بلغني أن عبد الله بن عمرو ما ربا بنا إلى الحج فאלقه فساله ، فإنه قد
حمل عن النبي صلى الله عليه وسلم علماً كثيراً ، قال : فلقيته ، فسألته عن أشياء
يذكرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عروة : فكان فيما ذكر ، أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله لا ينتزع العلم من الناس انتزاعاً ، ولكن
يقبض العلماء فيرفع العلم معهم ، ويبقى في الناس رؤوساً جهالاً يفتونهم بغير علم
فيضلون ويضلون) قال عروة : فلما حدثت عائشة بذلك أعظمت ذلك وأنكرته .

(١) تاريخ أبي الفداء «١٤١:١» .

(٢) تذكرة الحفاظ «٤١:١» :

(٣) المصدر السابق ، وانظر المسند للإمام أحمد في الهامش «٢٣٤:٩» شرح
الشيخ أحمد شاكر .

قالت : أحدثك أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول هذا ؟ قال عروة : حتى إذا كان قابلاً ، قالت له : إن ابن عمرو قد قدم فآلقه ، ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذي ذكره لك في العلم ، قال : فلقيته فسألته فذكره لي على نحو ما حدثني به في مرته الأولى ، قال عروة : فلما أخبرتها بذلك ، قالت : ما أحسبه إلا قد صدق ، أراه لم يزد فيه شيئاً ولم ينقص . وفي رواية أخرى قالت : والله لقد حفظ عبد الله (١) أه .

وجاء عنه أنه كان يكتب كل ما يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ، فنهته الصحابة عن ذلك ، وقالوا له : إن النبي صلى الله عليه وسلم ، يتكلم في الغضب والرضا ، فلا تكتب كل ما تسمع ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأومأ بأصبعه إلى فيه وقال : « اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق » (٢) .

وروى ابن سعد في طبقاته عن عبد الله بن عمرو قال : استأذنت النبي صلى الله عليه وسلم في كتابة ما سمعته . قال : فأذن لي فكتبت ، فكان عبد الله يسمي صحيفته تلك الصادقة (٣) .

وروى ابن سعد أيضاً عن مجاهد أنه قال : رأيت عند عبد الله بن عمرو ابن العاص صحيفة ، فسألت عنها فقال : هذه الصادقة ، فيها ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس بيني وبينه فيها أحد (٤) .

وروى الذهبي عن عبد الله بن عمرو قال : حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف مثل (٥) .

(١) صحيح مسلم - كتاب العلم - « ٤ : ٢٠٥٩ » ط دار إحياء الكتب العربية .

(٢) سنن الدارمي « ١ : ١٢٥ » ، وانظر المسند « ١٠ : ٢١ - ٢٢ » .

(٣) طبقات ابن سعد « ٤ : ٢٦١ » .

(٤) المصدر السابق « ٥ : ١٨٩ » .

(٥) تاريخ الإسلام « ٢ : ٣٧ » .

وأما المنبع الثاني ، فهو ما أصابه من كتب أهل الكتاب ، ومعرفته اللغة السريانية ، فقد تعلم عبد الله الكتابة والقراءة ، وكان لها أثر كبير في ثقافته ، ويظهر أنه كان شغوفاً إلى حد بعيد بالقراءة والاطلاع ، ولكنه لم يجد ما يشبع نهمه وتعطشه للقراءة في كتب مدونة باللغة العربية ، فبدأ يتعلم السريانية ، وقد تنبأ له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه سيقراً التوراة والقرآن في رؤيا رآها . فقد روى الإمام أحمد عنه في مسنده أنه قال : رأيت فيما يرى النائم لكان في إحدى أصبعي سمناً وفي الأخرى عسلاً ، فأنا ألعقهما ، فلما أصبحت ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « تقرأ الكتابين ، التوراة والفرقان » فكان يقرأهما (١) .

وروى ابن سعد في طبقاته عن شريك بن خنيس ، قال : رأيت عبد الله يقرأ بالسريانية (٢) .

أما متى تعلم عبد الله بن عمرو السريانية ، فيرجح أنه تعلمها أثناء فتوحات الشام . فقد كان عمرو بن العاص أحد القواد الذي وجههم أبو بكر الصديق لفتح الشام . وقد شهد عبد الله مع أبيه هذه الفتوحات وكانت معه راية أبيه يوم اليرموك (٣) . وقد كانت اللغة السريانية منتشرة في هذه البقاع على يد اليعاقبة ومدون بها كثير من المؤلفات القيمة . وقد ذكروا أن عبد الله أصاب زاملتين من كتب أهل الكتاب يوم اليرموك ، وكان يحدث الناس بما فيها (٤) . يدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد في مسنده أن رجلاً قال لعبد الله بن عمرو : حدثني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعني وما وجدت في وسفيك يوم اليرموك ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « المسلم من سلم

(١) المسند «٢٥:١٢» .

(٢) طبقات ابن سعد «٤:٢٦١» .

(٣) أسد الغابة «٣:٢٤٣» .

(٤) فتح الباري «١:١٦٦» .

المسلمون من لسانه ويده » ، وفي رواية أخرى عن أبي سعد قال : أتيت عبد الله ابن عمرو ، فقلت حدثني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تحدثني عن التوراة والإنجيل ، قال : فذكر الحديث (١) .

عبد الله بن عمرو وروايته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

أما الأحاديث التي رواها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد بلغت في إحصائية ابن حزم الأندلسي سبعمائة حديث فقط (٢) ، وهو عدد يدعو للتساؤل ، لاسيما وأن أبا هريرة - وهو الذي سبق أن اعترف أن عبد الله بن عمرو كان أكثر حديثاً منه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قد بلغت أحاديثه (٥٣٧٤) حديثاً . فأين ذهبت أحاديث عبد الله بن عمرو التي حملها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! ذكروا لذلك أسباباً :

١ - إن عبد الله بن عمرو استوطن مصر ، وكان الواردون إليها قليلاً ؛ بخلاف أبي هريرة فإنه استوطن المدينة ، وهي مقصد المسلمين من كل جهة .

٢ - كان يحدث بما في زاملتيه اللتين عثر عليهما يوم اليرموك ، فتجنب الأخذ عنه لذلك كثير من أئمة التابعين .

٣ - كان مشغلاً بالعبادة أكثر من اشتغاله بالتعليم ، فقلت الرواية عنه ؛ بخلاف أبي هريرة فقد كان متصديراً للحديث (٣) .

أما السبب الأول فمعقول ، وأما السببان الأخيران ففيهما نظر ، ذلك لأن

(١) المسند « ١١ : ٧٨ - ٧٩ ، ١٧٣ » وانظر « ١١ : ١٢٧ - ١٢٨ » .

(٢) أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد لابن حزم الأندلسي ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٥٤ . وقد اتفق الشيخان على سبعة عشر حديثاً منها وانفرد البخاري بثمانية ومسلم بعشرين (الحديث والمحدثون ص ١٤٤) .

(٣) انظر القسطلاني (٢٧٠ : ١) ، وفتح الباري (١٦٦ : ١) والحديث والمحدثون للشيخ محمد أبي زهو (ص ١٤٤) .

عبد الله كانت له مجلس علمية في مصر والشام والطائف ومكة ، وفي كل مكان يحل فيه ، وإن صحيفته الصادقة التي دون فيها أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت في متناول يده في مجالسه العلمية ، فاشتغاله بالعبادة لم يمنعه أبداً من اشتغاله بالعلم ، وقد كان رائد المدرسة العلمية في مصر . . روى المقرئ في خطه عن حسين بن شفي بن مائع الأصبحي - أحد تلاميذ عبد الله بن عمرو المصريين - أنه كتب كتابين عن عبد الله : أحدهما فيه قضى رسول الله ﷺ في كذا، وقال رسول الله ﷺ كذا. والآخر ما يكون من الأحداث إلى يوم القيامة^(١).

وإذا كان قد تجنب الأخذ عنه كثير من التابعين ، فقد أخذ عنه كذلك كثير منهم ، وليس معقولاً أن يجلس عبد الله بن عمرو ليحدث الناس في كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحدث الناس بأخبار الزاملتين على أنها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو أحد رواة الحديث « من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار^(٢) » .

وقد كان عبد الله بن عمرو إلى جانب تدوينه للأحاديث ذا حافظه واعية ، يدل على ذلك حديث السيدة عائشة رضي الله عنها السابق (والله لقد حفظ عبد الله . أراه ما زاد فيه ولا نقص) . وقد كان في مجالسه العلمية يقطّأ يميز بين أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأحاديث الزاملتين . وقد سبق أن قال له أحد الأعراب : (حدثنا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعنا مما وجدت في وسقيك يوم اليرموك) ، وهذا يدل على أنه رضي الله عنه كان يميز في مجالسه بين أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام وكلام الزاملتين ، ولم يعرف من تاريخ عبد

(١) خطط المقرئ (المواعظ والاعتبار) لأحمد بن علي المقرئ (٣٣٢ : ٢)

- (٣٣٣) طبع مصر سنة ١٢٧٠ هـ .

(٢) المسند للإمام أحمد (٢٤١ : ٩) - حديث (٦٤٧٨) شرح الشيخ أحمد شاكر ،

وانظر (٢٥١ : ٩) - حديث (٦٤٨٦) . وانظر تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي

(٤٣١ : ٧) .

الله أنه اختلط في أي فترة من فترات حياته، بل عاش الرجل متوقداً للذهن، صافي العقل، يعي بقلبه، ويدون بقلمه، ولم يكن يحرص على ما أصابه من الكتب لقلة قيمتها في نظره، بل كان جل حرصه على صحيفته الصادقة، فقد كانت عزيزة جداً عليه، يدل على ذلك قوله: (ما يرغبني في الحياة إلا الصادقة والوهط^(١)) وكان يحفظها في صندوق خشية عليها من الضياع^(٢)، وقد حفظ هذه الصحيفة أهله من بعده، ويرجح أن حفيده عمرو بن شعيب كان يتحدث منها^(٣).

ولعل السبب الأساسي في قلة المروى عن عبد الله بن عمرو هو سبب سياسي، ذلك أن عبد الله لم يكن على وفاق مع معاوية بن أبي سفيان، لأن هوى عبد الله كان مع بني هاشم^(٤) أضف إلى ذلك أن جرأة عبد الله في الحق أغضبت معاوية عليه.

روى الإمام أحمد في مسنده عن حنظلة بن خويلد العنزي قال: بينما أنا عند معاوية، إذ جاء رجلان يختصمان في رأس عمار، يقول كل منهما: أنا قتلتها، فقال عبد الله، ليطلب أحدهما نفساً لصاحبه، فأني سمعت - يعين رسول الله صلى الله عليه

(١) سنن الدارمي «١: ١٢٧»، والوهط أرض له بالحجاز.

(٢) انظر مسند الإمام أحمد «١٠: ١٧١- حديث ٦٦٤٥».

(٣) انظر تهذيب التهذيب «٨: ٤٨- ٤٩».

(٤) لما قتل عثمان استشار عمرو بن العاص ولديه، فقال أي الفريقين أعمد؟ فقال له ابنه عبد الله: إن كنت لا بد فاعلاً.. فأبى علي (النجوم الزاهرة ١٠: ١١٣) وروى الذهبي في (تذكرة الحفاظ ١: ٣٥) قال: كان عبد الله يلوم أباه على القيام مع معاوية، ويتأثم من القعود عنه خوف العقوق، فحضر صفين ولم يسل سيفاً. وروى عنه أنه ندم على ذلك. فقال: مالي ولصفين؟ ومالي ولقتال المسلمين؟ لوددت أني مت قبلها بعشرين سنة، أما والله على ذلك؛ ما ضربت بسيف، ولا طعنت برمح، ولا رميت بسهم. تاريخ الإسلام للذهبي «٣: ٣٩».

وسلم - يقول : « تقتله الفئة الباغية » فقال معاوية : ألا تغني^(١) عنا مجنونك يا عمرو؟ فما بالك معنا؟ قال إن أبي شكاني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أطع أباك مادام حياً ولا تعصه » فأننا معكم ولست أقاتل^(٢) .

وروى البخاري في صحيحه قال : (كان محمد بن جبير بن مطعم يحدث : أنه بلغ معاوية وهو عنده في وفد من قریش ، أن عبد الله بن عمرو يحدث أنه سيكون ملك من قحطان ، فغضب معاوية فقام فأتى على الله بما هو أهله ثم قال : أما بعد : فإنه بلغني أن رجالاً منكم يتحدثون أحاديث ليست في كتاب الله ولا تؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأولئك جهالكم ، فإياكم والأمانى التي تضل أهلها؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن هذا الأمر في قریش لا يعاديهم أحد إلا كعبه الله على وجهه ما أقاموا الدين^(٣) » فوصف معاوية عبد الله بالجهل ، ومعاوية لم يعد عبد الله بن عمرو كذاباً ، فحديثه في قتل عمار « ستقتله الفئة الباغية » لم يكذب فيه ، وإنما أول معاوية الحديث تأويلاً في صالحه حيث قال : « قتله من جاء به » ، وحديث « سيكون ملك من قحطان » لم ينفرده به عبد الله؛ وإنما رواه كذلك أبوهريرة فيما ذكره البخاري عنه تحت « باب ذكر قحطان » من كتاب بدء الخلق .

هذه الأحاديث وأمثالها وبخاصة ما يتعلق بالخلافة ، أقلقت معاوية، وخاف

(١) تغني بالعين المعجمة من (الاغناء) يريد ألا تصرفه عنا وتكفه . وفي اللسان « ٣٧٩ : ١٩ » عن الأزهري : وسمعت رجلاً من العرب ييكت خادماً له يقول : أغن عني وجهك ، بل شرك ، بمعنى اكفني شرك ، وكف عني شرك . المسند في الهامش « ١١ : ١٥٧ » شرح الشيخ أحمد شاكر .

(٢) المسند « ١١ : ١٥٦ - ١٥٧ » .

(٣) صحيح البخاري كتاب بدء الخلق - باب مناقب قریش « ٤ :

٢١٧ - ٢١٨ » .

على كرسى الخلافة أن يتزعزع تحته ، لأن وجود ملك من قحطان معناه خروج الأمر من قريش ، ومعاوية من قريش فكان عبد الله يعلن في الناس أن الأمر سيخرج من يد معاوية ، ولا يستبعد أن تكون فكرة ولاية العهد قد نبتت في ذهن معاوية كرد فعل على أحاديث عبدالله بن عمرو وغيره في هذا الشأن ، ولذلك نجده يحمل الناس حملاً على مبايعة ابنه يزيد لولاية العهد ، ثم يبالغ في اضطهاد عبد الله ، فيصادر أموال والده التي ورثها عنه ويدخلها في بيت المال (١) ، ولم يقتصر على المصادرة فحسب ؛ بل كان ينهأ عن الجلوس إلى الناس والتحدث إليهم ، وقد ورث هذه الكراهية ابنه يزيد ، فكان يضطهد عبد الله كما كان يفعل أبوه .

وروى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن أبي الهذيل قال : حدثني شيخ فقال : دخلت مسجداً بالشام فصليت ركعتين ثم جلست ، فجاء شيخ يصلي إلى السارية ، فلما انصرف ثاب الناس إليه فسألت ، من هذا ؟ فقالوا : عبدالله بن عمرو ، فأتى رسول يزيد بن معاوية ، فقال — يعني عبد الله بن عمرو — : (إن هذا يريد أن يمنعني أن أحدثكم) وفي رواية أخرى : (هذا ينهاني أن أحدثكم كما كان أبوه ينهاني) (٢) .

وروي في المسند عن شهر بن حوشب قال : أتى عبد الله بن عمرو على نوف البكالي وهو يحدث ، فقال : حدث فإننا قد نهينا عن الحديث (٣) .

فتعقب عبدالله ونهيه عن الحديث من معاوية وابنه يزيد ، هو السبب الرئيسي في رأيي في قلة المروي عن عبد الله بن عمرو من الأحاديث ، إذ قد حرم من السماع منه كثير من طلاب الحديث إذ ذاك ، مع أنه كان — باعتراف أبي هريرة — أكثر الناس حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) تاريخ عمرو بن العاص ص ٢٤٣ — حسن إبراهيم حسن .

(٢) المسند — مسند عبد الله بن عمرو « ٩١:١٠ - ٩٢ ، ٩٥ » .

(٣) المسند — انظر مسند عبد الله بن عمرو بن العاص « ١٧٢:١١ » .

عبد الله بن عمرو ورواية الإسرائيليات :

ولعبد الله بن عمرو كلام موقوف عليه ؛ بعضه حِكْمٌ وأخبار عن الامم السابقة أو الحوادث اللاحقة ومصدرها التوراة ، وما كان يطلع عليه من كتب الأقدمين ، ونسوق فيما يلي طائفة من كلامه :

١ - مكتوب في التوراة : من تاجر فجر . ومن حفر حفرة سوء لصاحبه وقع فيها ^(١) .

٢ - من البخاري - سأله عطاء بن يسار أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة ، فقال : أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ... الحديث ^(٢) .

٣ - إن في البحر شياطين مسجونة ، أوثقها سليمان يوشك أن تخرج ، فقرأ على الناس قرآناً ^(٣) .

٤ - روى ابن جرير عن عبد الله بن عمرو ، قال : لما أهبط الله آدم من الجنة قال : إني مهبط معك أو - منزل معك - بيتاً يطاف حوله كما يطاف حول عرشي ، ويصلى عنده كما يصلى عند عرشي ، فلما كان زمن الطوفان رفع ، فكان الأنبياء يحجون ولا يعلمون مكانه ، حتى بوأه الله إبراهيم وأعلمه مكانه ، فبناه من خمسة أجبل : من حرّاء وثبير ولبنان وجبل الطور وجبل الخمر ^(٤) .

(١) حلية الأولياء « ٢٨٣ : ١ » .

(٢) صحيح البخاري - كتاب التفسير « ١٦٩ : ٦ - ١٧٠ » .

(٣) مقدمة صحيح مسلم .

(٤) تفسير الطبري « ٥٨ : ٣ - ٥٩ » . جبل الخمر - هو جبل بيت المقدس ، سمي بذلك لكثرة كرومه . وقد علق الشيخ أحمد شاكر بقوله : (ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد « ٢٨٨ : ٣ » . وقال : رواه الطبراني في الكبير موقوفاً ورجاله رجال الصحيح . وهو كما قال ، ولكن ليس فيه جبة ، ولعله لما كان يسمع عبد الله بن عمرو من أخبار أهل الكتاب . تفسير الطبري (٥٩ : ٣ - المامش) .

ويبدو أن حديث الشياطين المسجونة التي أوثقها سليمان ، وحديث البيت الذي رواه ابن جرير إنما هو من أحاديث الزاملتين .

ولا شك أن عبد الله بن عمرو كان يحدث الناس بالاسرائيليات في حدود الإذن الذي فهمه من الحديث الذي رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم « بلغوا عني ولو آية .. وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج » وليس في ذلك من بأس ، وقد روى أبو داود في سننه (٣: ٤٣٩) عن عبد الله بن عمرو أيضاً قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن بني إسرائيل حتى يصبح ، ما يقوم إلا على عظم صلاته (عظم الشيء أكثره ومعظمه ، كأنه أراد أنه صلى الله عليه وسلم لا يقوم إلا للصلاة الفريضة) وكان رضي الله عنه من العلم وقوة النظر بحيث يستطيع أن يميز بين الحق والباطل منها .

وقد ذهب بعض المؤلفين المحدثين إلى أن عبد الله بن عمرو كان تلميذاً لكعب الأحبار ، وأنه استمد منه كثيراً من الاسرائيليات ، وأنه كان يجلس ويحدث الناس بحديث الزاملتين على أنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ويطعن في حديثه الذي رواه البخاري وغيره « .. حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج » ويدعي أن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة — وقد رواها البخاري عن عبد الله ابن عمرو — إنما هي حديث خرافة^(١).

عبد الله بن عمرو ليس تلميذاً لكعب الأحبار :

وعبد الله بن عمرو ليس تلميذاً لكعب الأحبار ، فاستاذ عبد الله إنما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وماروي عن عبد الله من الاسرائيليات ليس مصدرها كعب ، لأن عبد الله نفسه كان يطلع على التوراة ، وقد عرفنا من قبل أنه تعلم السريانية ، وقد أصاب زاملتين من علوم أهل الكتاب يوم اليرموك ، وقد تتبعت كثيراً من كتب التفسير وكتب الحديث ، فما وجدت رواية لعبد الله بن عمرو عن

(١) أضواء على السنة المحمدية — لأبي رية « ص ١١٢ ، ١١٤ ، ١٢٥ ، ١٣٢ ، ١٦٢ » .

ابن العاص ، ولو فرضنا أنه وجد له رواية عن كعب ؛ فلا يمكن أن تدل بحال على مقام الأستاذية له ، ولعل الكاتب يجهل - أو يتجاهل - أن عبد الله نفسه كان يعرف السريانية مما ييسر عليه أن يطلع على مصادر الاسرائيليات كما يطلع كعب عليها .

الثاني : أن عبد الله بن عمرو ذكر صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة ، ونقل الكاتب عن ابن كثير أن عطاء بن يسار وهو راوي الحديث عن عبد الله بن عمرو ، لقي كعباً فسأله فما اختلفا في حرف ، ويعلق أبو رية على ذلك بقوله : (وكيف يختلفان وكعب هو الذي علمه) .

وليس في الخبر ما يدل على أن كعباً علم عبد الله شيئاً ، فمجرد اتفاقها في صفة النبي صلى الله عليه وسلم لا يدل على ذلك ، لأنه - كما قلنا - كان عبد الله يقرأ التوراة ، وقد قرأ هذا الوصف وعرف أنه وصف الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما قرأه كعب الأخبار ، وكما قرأه عبد الله بن سلام الذي روى الدارمي نحوه عنه .

وقول الكاتب بأن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة خرافة ، إساءة أدب منه ، فقد غاب عنه قول الله تعالى : (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل ... الآية ^(١)) وقد ذكر المفسرون أن معنى يجدونه ، أي يجدون نعته . وقد ذكر الكاتب ضمن قائمة المراجع التي اطلع عليها كتاب العهد القديم ، ولو أنه جشم نفسه قراءة التوراة ، كما قرأها لوجد في سفر أشعيا ٤٢ : هذا الوصف مع اختلاف في بعض الألفاظ تبعاً لاختلاف الترجمة ، ثم إن للتوراة شروحاً وتعليقات ، لا يبعد أن يكون عبد الله قد اطلع عليها ، وأحاط بها علماً ، ولا ينبئك مثل خير . وسوف نعرض ثلاث تراجم لنص هذا الوصف كما ذكرته التوراة :

(١) الايتان ١٥٦ - ١٥٧ من سورة الأعراف .

الترجمة الأولى : ترجمة عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواها له البخاري في صحيحه .

والثانية : الترجمة العربية للعهد القديم الذي بأيدينا .

والثالثة : ترجمة نقلها أحد علماء القرن العاشر الهجري (١) .

١ - روى البخاري في صحيحه عن عطاء عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن هذه الآية التي في القرآن (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً^(٢)) قال في التوراة: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً وحرزاً للأمين أنت عبيدي ورسولي ، مميتك المتوكل ، ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا صخاب بالأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله فيفتح به أعينا عمياً ، وآذانا صماً ، وقلوباً غلفاً) .

٢ - جاء في الاصحاح الثاني والأربعين من سفر أشعيا مانصه : (هو ذا عبيدي الذي أعضده مختاري الذي سرت به نفسي ، وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم ، لا يصيح ولا يرفع في الشارع صوته ... إلى الأمان يخرج إلى الحق ، لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض ، وتنتظر الجزائر شريعته .. أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك ، وأحفظك ، وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم لتفتح عيون العمي ، لتخرج من الحبس المسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة) .

٣ - وجاء في كتاب المنتخب الجليل (ص ١٤٢) نقلاً عن أشعيا (عبيدي الذي ترضى نفسي ، أعطيه كلامي ، فيظهر في الأمم عدلي ، ويوصيهم بالوصايا ، لا يضحك

(١) هو أبو الفضل المالكي من علماء القرن العاشر في كتابه المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الانجيل .

(٢) من الآية ٤٥ من سورة الأحزاب.

ولا يصخب ، يفتح العيون العور ، ويسمع الآذان الصم ، ويحيي القلوب الميتة ،
لا يضعف ، ولا يميل إلى الهوى ، ولا يذل الصالحين ، بل يقوي الصديقين المتواضعين ،
وهو نور الله الذي لا يطفأ

فأنت ترى أن المعنى يكاد يكون متفقاً وإن اختلفت الألفاظ .

أما طعن الكاتب في حديث عبدالله: « وحدثنا عن بني إسرائيل ولا حرج » ،
فطعن لا يستند إلى أساس ، لأن الحديث رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم ، ولم
ينفرد عبد الله بروايته كما ذكره الكاتب نفسه .

والقرآن الكريم مملوء بالحديث عن بني إسرائيل ، وفي كتب الصحاح كثير
من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بني إسرائيل . وذلك لأن الحديث
عن الأمم السابقة لا يخلو من عبر وعظات ، والعلماء قديماً وحديثاً أجمعون أن ينظروا في
كتب أهل الكتاب ليجادلوهم بالتي هي أحسن ، وليقيموا عليهم الحجة على صحة الرسالة
الحمدية بما يعتقدونه ، وقد قال الله تعالى : (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك ،
فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك ^(١)) .

ولم يكن عبد الله حينما يروي هذه الأسرائيليات التي استمدها من كتبهم
ليكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيحدث الناس من الزامتين ، وينسب
الحديث إليه كما يزعم الكاتب وكما سبقه إلى هذا الزعم بشر المريسي ^(٢) . وقد
كان أبورية غير أمين في نقله ، فقد ذكر في كتابه (ص ١٦٢) نقلاً عن فتح الباري (١) :

(١) الآية ٩٤ من سورة يونس .

(٢) انظر رد الدرامي على بشر ص ١٣٦ فقد ادعى بشر المريسي أن عبد الله ابن
عمرو كان يرويها - يقصد أخبار الزامتين - للناس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان
يقال له : لا تتحدثنا عن الزامتين ، وهذا ادعاء باطل فقد ثبت أن ابن عمرو كان أميناً في نقله
ورويته لا يحيل ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم على أهل الكتاب ، كما لا يحيل
ماروى عن أهل الكتاب على النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢٦٦) أن عبد الله بن عمرو كان قد أصاب زاملتين من كتب أهل الكتاب وكان يرويها للناس عن النبي صلى الله عليه وسلم . فتجنب الأخذ عنه كثير من أئمة التابعين ، وكان يقال له : لاتحدثنا عن الزاملتين . فهرعت إلى فتح الباري وإذا به - شهد الله - خالياً من عبارة (عن النبي) إنما زادها هو من عنده ، تدليساً على ابن حجر و كذباً عليه حتى توافق هواه ويتخذ منها شاهداً على صدق دعواه .
ولأبي رية سابقة في تحريف النصوص التي ينقلها ، فقد نقل في صفحة ١١٥ من كتابه (أضواء على السنة) عن ابن كثير في البداية والنهاية (٨ : ١٠٦) أن عمر رضي الله عنه قال لكعب الأحبار : لتتركن الحديث عن رسول الله ، أو لالحقنك بأرض القردة . وعبارة ابن كثير لتتركن الحديث (عن الأول) وليس فيها (عن رسول الله) ولكن أمانة أبي رية أجازت له تحريف هذا النص ، ليثبت ما ادعاه من أن عمر كان ينهيه عن الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبالتالي يثبت عدم كونه ثقة فيما يرويهِ من ذلك . فهل تكذيب الصحابة والافتراء عليهم والاتحال على العلماء أمثال ابن حجر وابن كثير وغيرهما من الأمانة العلمية . ثم أن عبد الله رضي الله عنه كان يميز في جلساته العلمية بين الحديث النبوي وبين أخبار أهل الكتاب كما قلنا ، وقد شهدت له السيدة عائشة رضي الله عنها بقولها : (والله لقد حفظ عبد الله أراه ما زاد ولا نقص) ولم يعرف من تاريخه أنه اختلط في أي فترة من فترات حياته ، فإذا كان بعض الوضعيين يقولون عنه ما لم يقله فما ذنبه هو ؟

روى الإمام أحمد في مسنده عن يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي قال : سمعت رجلاً قال لعبد الله بن عمرو : إنك تقول إن الساعة تقوم إلى كذا . و كذا .. ؟ قال : لقد هممت ألا أحدثكم شيئاً ، إنما قلت : إنكم سترون بعد قليل أمراً عظيماً^(١) .

وروى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله الديلمي قال : دخلت على عبد

(١) المسند للإمام أحمد . مسند عبد الله بن عمرو « ١٠ : ٨٣ » .

الله بن عمرو وهو في حائط له بالطائف يقال له الوهط، فقلت : بلغني عنك حديث (كذا) فقال عبد الله بن عمرو: إني لا أحل لأحد أن يقول عليّ ما لم أقل^(١).

فإذا كان يحدث هذا في حياة عبد الله ، فما بالك بعد وفاته وبخاصة أنه لم يكن مع الحكم الأمويين على وفاق، بل كانوا يكرهونه ويسئون إليه فلا بعد أن يكون كثير من هذه الاسرائيليات مدسوساً عليه ، والحمد لله الذي قيض رجال السنن فمازوا الحثيث من الطيب ، ولم أر في كتب السنة مروياً عنه إلا النزر اليسير جداً مما يصح أن يطلق عليه إسرائيليات، كحديث مسلم في مقدمته : (إن في البحر شياطين مسجونة أوثقها سليمان توشك أن تخرج فتقرأ على الناس قرآناً) والموجود في كتب التاريخ منها مروياً عنه، إمامبتور الأسانيد فيكون محلاً للشك، أو ضعيفاً فيكون موجباً للرفض .

د — عبد الله بن سلام .

هو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي ، ثم الأنصاري ، يكنى أبا يوسف ، وهو من ولد يوسف بن يعقوب عليها السلام ، كان حليفاً للأنصار وكان اسمه في الجاهلية « الحصين » فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ، وتوفي في المدينة في خلافة معاوية سنة ٣٤ هـ ، وهو أحد الأجبـار ، أسلم إذ قدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة^(٢) . روى البخاري عن سعد بن أبي وقاص أنه قال : ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة ، إلا لعبد الله بن سلام وقال : فيه نزلت هذه الآية (وشهد شاهد من بني إسرائيل^(٣)) . .) روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه ابنه :

(١) المسند « ١٠ : ١٦٨ » .

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر « ٣ : ٩٢١ » .

(٣) الآية ١٠ من سورة الأحقاف .

يوسف ومحمد ، وعوف بن مالك ، وأبو هريرة ، وأبو بردة بن أبي موسى ، وعطاء ابن يسار ، وغيرهم .

اشتهر عبد الله بن سلام بين الصحابة بالعلم ، حتى لقد روي أنه لما حضر معاذ ابن جبل الموت ، قيل له : يا أبا عبد الرحمن أوصنا ، فقال : أجلسوني .. قال : إن العلم والإيمان عند أربعة رهط : عند عويمر أبي الدرداء ، وعند سلمان الفارسي ، وعند عبد الله بن مسعود ، وعند عبد الله بن سلام الذي كان يهودياً فأسلم ، فأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنه عاشر عشرة في الجنة » .

وليس عجباً أن يكون عبد الله بن سلام في هذه المكانة العالية من العلم ؛ بعد أن اجتمع لديه علم التوراة وعلم القرآن ^(١) ، وبعد أن امتزجت فيه الثقافتان ، اليهودية والإسلامية ، ولقد نقل عنه المسلمون كثيراً مما يدل على علمه بالتوراة وما حولها ، ونجد ابن جرير الطبري ينسب إليه في تاريخه كثيراً من الأقوال في المسائل التاريخية الدينية ، كما نجده يتجمع حول اسمه كثير من المسائل الإسرائيلية ، يرويها كثير من المفسرين في كتبهم ، ونحن أمام ما يروى عنه من ذلك ، لا نزيف كل ما قيل ولا نقبل كل ما قيل ، بل علينا أن نعرض كل ما يروى عنه على مقياس الصحة المعتبر في باب الرواية ، فما صح قبلناه وما لم يصح رفضناه (.. هذا وإنا لا نستطيع أن ننهم الرجل في علمه ؛ ولا في ثقته وعدالته بعد ما علمت أنه من خيار الصحابة وبعد ما جاء فيه من آيات القرآن الكريم وبعد أن اعتمده البخاري وغيره من أهل الحديث ، كما أننا لم نجد من أصحاب الكتب التي بين أيدينا من طعن عليه في علمه أو نسب إليه من التهم مثل ما نسب إلى كعب الأحبار ووهب بن منه ^(٢) ، اللهم إلا ما كان من أبي رية ،

(١) روى الذهبي في تذكرة الحفاظ « ٢٧:١ » عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني قرأت القرآن والتوراة فقال : (اقرأ هذا ليلة وهذا ليلة) .

(٢) انظر تهذيب التهذيب « ٢٤٩:٥ » ، وأسد الغابة « ١٧٦:٣ - ١٧٧ » ، وانظر التفسير والمفسرون « ١٨٦:١ - ١٨٧ » .

وأضرابه ممن شُغِفُوا بالطعن على كل من روى إسرائيليّات من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتابعيهم .

هـ — تميم الداري .

هو تميم بن أوس الداري ، من نصارى اليمن . أسلم سنة تسع من الهجرة ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ^(١) ، وروى عنه : ابن عمرو ، وابن عباس ، وأبو هريرة ، وأنس بن مالك ، وزرارة بن أوفى ، وروح بن زنباع ، وعبد الله ابن وهب ، وعطاء بن يزيد ، وشهر بن حوشب ، وغيرهم . قال قتادة : كان من علماء أهل الكتابين ، وقال ابن سيرين : كان يختم في ركعة ^(٢) .

وهو أول من أخرج السراج في المسجد وأول من قص وذلك في عهد عمر ^(٣) ، وروى لنا كتب الصحاح أن تيمماً ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة ، فحدث النبي صلى الله عليه وسلم عنه بذلك ؛ وعد ذلك من مناقبه ^(٤) ، وقد طعن بعض المؤلفين المحدثين في حديث الجساسة ؛ فزعم أن الحديث من مفتريات تميم الداري الذي حاول أن يلوّث الدين الإسلامي بإدخال المسيحيات فيه ، كما حاول أن ينشر الفتنة ويشعل نار البغضاء بين المسلمين ^(٥) . وقد استدلل المؤلف على صدق دعواه بكلام نقله عن الشيخ رشيد رضا ؛ ويتلخص فيما يلي :

(١) روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر حديثاً : روى له مسلم حديثاً واحداً ، وروى عنه باقي الستة إلا البخاري (انظر دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لمحمد بن علان الصديقي ص ٢٥٨ وما بعدها) .

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر « ٥١١:١ - ٥١٢ » .

(٣) الإصابة « ١٩١:١ » طبع مطبعة السعادة سنة ١٣٢٣ هـ .

(٤) وهذه منقبة شريفة تدخل في رواية الأكبر عن الأصاغر .

(٥) انظر أضواء على السنة المحمدية لأي رية « ص ١٤٠ » وما بعدها .

١ - إن سكوت النبي صلى الله عليه وسلم لا يدل على صدق القصة ، وإن مثل هذا السكوت لا يدخل تحت التقرير .

٢ - إن تصديق الكاذب فيما لا يخل بأمر الدين ولا يترتب عليه حكم شرعي أمر جائز على الأنبياء^(١) .

والرد على ذلك نقول :

١ - إن حديث الجساسة رواه الإمام مسلم في صحيحه^(٢) ورجاله ثقات عدول لا مطعن في واحد منهم ، وقد رواه غير مسلم : الإمام أحمد ، وأبو يعلى ، وأبو داود ، وابن ماجه . ورواه غير فاطمة بنت قيس من الصحابة : أبو هريرة ، وعائشة ، وجابر ، رضوان الله عليهم ، فالحديث لم ينفرده الإمام مسلم ولا انفردت بروايته فاطمة بنت قيس ، وقد اعتبر الأئمة رواية النبي صلى الله عليه وسلم ذلك عن تميم رضي الله عنه من مناقبه .. قال الحافظ ابن حجر في الإصابة في ترجمته : (مشهور في الصحابة ، كان نصرانياً وقدم المدينة فأسلم ، وذكر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قصة الجساسة والدجال ، فحدث النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنه بذلك على المنبر ؛ وعُدَّ ذلك من مناقبه^(٣)) . ثم نقل عن أبي نعيم أنه قال : كان راهب أهل عصره وعابد أهل فلسطين ، وكان كثير التهجد بالليل ، قام ليلة بآية حتى أصبح . وهي قوله تعالى : (أم حسب الذين اجترحوا السيئات .. الآية^(٤)) .

ومن مناقبه ما ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة أيضاً - وذلك عند ترجمة معاوية بن حرملة وكان مع مسلمة الكذاب في الردة ثم قدم على عمر ثائباً - قال : (أخرج البغوي من طريق الجُرَيْري عن أبي العلاء عن معاوية بن حرملة قال :

(١) مجلة المنار «١٩: ٩٩، ١٠٠» وانظر أضواء على السنة المحمدية «ص ١٤٢-١٤٣»

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب قصة الجساسة «٤: ٢٢٦١» .

(٣) الإصابة «١: ١٩١» ط. مطبعة السعادة سنة ١٣٢٣ هـ .

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر «١: ١١٩» ط. مطبعة السعادة .

قدمت على عمر ، فقلت يا أمير المؤمنين تأب من قبل أن يُقدّر عليّ ، فقال : من أنت ؟ فقلت : معاوية بن حرملة ختن مسيامة ، قال : اذهب فانزل على خير أهل المدينة ، قال : فنزلت على تميم الداري ، فبينما نحن نتحدث إذ خرجت نار بالحرة ، فجاء عمر إلى تميم فقال : يا تميم ، اخرج ، فقال وما أنا ؟ وما تخشى أن تبلغ من أمري ؟ فصغر نفسه ، ثم قام فحاشها حتى أدخلها الباب الذي خرجت منه ، ثم اقتحم في أثرها ، ثم خرج فلم تضره (١) . أه . وهذه الحادثة تدل على كرامة تميم رضي الله عنه . وعمر رضي الله عنه — وهو العبقرى الملمهم — ما كانت ليخفى عليه حال تميم ومنزلته من الصلاح والاستقامة والإخلاص ، وهو القائل : (لست بخبّ والحب لا يخدعني) فكيف يجوز في العقول أن يرمى مثل هذا بالكذب والدس والإفساد في الدين ؟ !!

٢ — أما دعواه أن هذا لا يدخل تحت التقرير فهو ممنوع ، قال الحافظ ابن حجر في الفتح : (وقد اتفقوا على أن تقرير النبي صلى الله عليه وسلم لما يفعل بجزيرته ، أو يقال ويطلع عليه بغير إنكار ، يدل على الجواز لأن العصمة تنفي عنه ما يحتمل في حق غيره مما يتوهم على الإنكار فلا يقر على باطل (٢)) أه

٣ — وأما دعواه أن هذا ليس من أمور الدين التي يعصم الأنبياء فيها عن تصديق الكاذب ، فهو ممنوع أيضاً ، إذ كيف لا يعتبر الإخبار بأشراط الساعة من أمور الدين ؟ ولو كان ما حدث به تميم كذباً لما سكنت الوحي عن بيان الحق فيها أخبر به ، كما حدث في كثير من الأحيان حينما كان المنافقون وأضرابهم يقولون خلاف ما يبطلون ؛ فينزل الوحي فاضحاً لهم ومبيناً كذبهم .

٤ — وقد سبق أن ذكرنا عند الكلام عن أقسام الإسرائيليات بأن هذا

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر « ٦ : ١٧٧ » ط المطبعة الشرقية

سنة ١٣٢٥ هـ .

(٢) فتح الباري « ١٣ : ٢٧٥ » ط المطبعة البية المصرية ١٣٥٢ هـ .

الحديث من الإسرائيليات الصحيحة المقبولة التي ينبغي تصديقها لموافقتها ما جاء في شرعنا؛ يشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم: « وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال » ، وقد روي عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن الجساسة هي دابة الأرض المذكورة في قوله تعالى: (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم الآية ^(١)) .

هـ - ونختم ردنا على أبي رية بكلمة طيبة للشيخ أحمد شاكر ينعى عليه فيها وعلى أستاذه الشيخ رشيد رضا تشكيكهم في أحاديث وردت في الصحيحين. يقول رحمه الله :

(لم نر فيمن تقدمنا من أهل العلم من اجتراً على ادعاء أن في الصحيحين أحاديث موضوعه ؛ فضلاً عن الإيهام والتشنيع الذي يطويه كلامك - يقصد أبا رية - فيوهم الأغرار أن أكثر ما في السنة موضوع ! هذا كلام المستشرقين . غاية ماتكلم فيه العلماء نقد أحاديث فيها بأعيانها لا بادعاء وضعها - والعياذ بالله - ولا بادعاء ضعفها ، وإنما نقدوا عليها أحاديث لا تبلغ في الصحة الذروة العليا التي التزمها كل منها ، وهذا بما أخطأ فيه كثير من الناس ومنهم أستاذنا السيد رشيد رضا رحمه الله ^(٢)) .

موقف التابعين من الإسرائيليات

ذكرنا أن الإسرائيليات قد بدأ دخولها في التفسير في عهد الصحابة رضوان الله عليهم ، وبيننا دوافع ذلك وأسبابه ، كما بينا مبلغ رجوع الصحابة إلى أهل الكتاب وأخذهم عنهم ، وقلنا إنه كان في دائرة محدوددة ضيقة ، وقد بين نجم الدين

(١) من الآية ٨٢ من سورة النمل ، وانظر صحيح مسلم بشرح النووي، بتعليق محمد فؤاد عبد الباقي « ٢٢٦١:٤ » .

(٢) المسند « ١٢: ١٢٣ » وما بعدها ، تعليق الشيخ أحمد شاكر رحمه الله .

الطوفي في كتابه (الاكسير في قواعد علم التفسير) سبب تضخم التفسير بالاسرائيليات في عهد التابعين واختلاف أقوالهم في تفسير الآية الواحدة بقوله : (ثم تفرق الصحابة رضي الله عنهم بعدموت النبي صلى الله عليه وسلم في البلاد ، ونقلوا ماعلموه من التفسير إلى تابعيهم ، وليس كل صحابي علم تفسير جميع القرآن بل بعضه ، إذ الجامعون للقرآن على عهده صلى الله عليه وسلم كانوا نقرأ معدودين ، وشرذمة قليلين ، فألقى الصحابي ذلك البعض إلى تابعه ، ولعل ذلك التابعي لم يجتمع بصحابي آخر يكمل له التفسير ، أو اجتمع بن لا زيادة عنده على ما عند الصحابي الذي أخذ عنه ، فاقصر عليه وشرع يكمل تفسير القرآن باجتهاده استنباطاً من اللغة تارة ، ومن السنة أخرى ، ومن نظير الآية المطلوب تفسيرها من القرآن أخرى ، ومن مدارك أخر رآها صالحة لأخذ التفسير منها ، كالتاريخ ، وأيام الأمم الحالية ، والاسرائيليات ونحوها ، فاتسع الحرق وكثر الدخول في التفسير ، حتى آل الأمر إلى الأقوال الكثيرة ، تفعل كل طبقة من المفسرين ، كفعل التي قبلها من زيادة الوجوه والاختيارات كما تراهم يصرحون به في تفاسيرهم ، وينسبون الأقوال إلى آرائهم ومذاهبهم^(١) .

كذلك يرجع سبب تضخم التفسير بالاسرائيليات في عهد التابعين إلى كثرة من دخل من أهل الكتاب في الاسلام ، وميل نفوس القوم لسماع التفاصيل عما يشير إليه القرآن من أحداث يهودية أو نصرانية ، كما يرجع إلى كثرة الوضع ونشاط القصص في هذا المضمار ، فقد وجدنا في كتب التفسير أمثلة على هذا القصص لاحصر لها معزوة إلى بعض التابعين ، أمثال قتادة ، ومسروق ، ومجاهد ، وكعب ، وهب وعكرمة ، والحسن ، والضحاك ، وسعيد بن جبير ، وزيد بن أسلم ، وعطاء ، وطاووس ، وغيرهم . وهذه القصص التي نسبت إليهم فيها كثير من الإغراب والمبالغة والخيال ، والبعد عن المنطق والعقل والإمكان .

(١) الاكسير في قواعد علم التفسير لنجم الدين سليمان بن عبد القوي الطوفي البغدادي (مخطوطة مصورة في المكتبة الأزهرية ورقة ٤ نمرة ٦٣٩ علوم القرآن) .

ومن الأمثلة على ذلك مارواه عكرمة في تفسير الرعد ، قال : ملك في السحاب يجمع السحاب كما يجمع الراعي الإبل ، فيؤلف بينه ، فذلك الصوت تسيحه (١) أه . وهذا يتعارض مع الحقائق العلمية في سبب نشوء الرعد .

ومن ذلك ما يروى ، عن السدي عن زيد بن أسلم في سياق المناظرة بين إبراهيم عليه السلام والملك غرود ، وهذه القصة قد وردت في تفسير مقاتل (٢) ، كما وردت في تفسير ابن كثير (٣) . وفيها أن الله سلط البعوض على النمرود ، وجنوده وقت طلوع الشمس ، فلم يروا عين الشمس ، وسلطها عليهم فأكلت لحومهم ودماءهم ، وتركهم عظاما بادية ، ودخلت واحدة منها منخري الملك ، فكثت فيه أربعمائة سنة يعذبها الله بها ، حتى كان يضرب رأسه بالمرزبة (٤) في هذه المدة ، ثم أهلكه الله بها .



(١) تفسير الطبري « ١١٦:١ » الطبعة الأميرية .

(٢) انظر تفسير مقاتل للآية - ٢٥٨ - من سورة البقرة (ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك ... الآية) .

(٣) انظر تفسير ابن كثير للآية (٢٥٨ من سورة البقرة) .

(٤) « المرزبة : عصية من الحديد » .

من أشهر رواية الإسرائيليات من التابعين

والذين رووا الاسرائيليات من التابعين كثيرون ، وسنكتفي فيما يلي بالترجمة
لاثنين منهم ، وهما كعب الأحبار ووهب بن منبّه ، ممن يدور حولهما أغلب ما يروى
من الإسرائيليات في كتب التفسير :

١ - كعب الأحبار :

هو أبو إسحاق ، كعب بن ماته بن هيسوع الحميري ، وأصله من يهود
اليمن ، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم في خلافة أبي بكر أو عمر ، وقيل في
زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، والراجح أن إسلامه كان في خلافة عمر رضي الله
عنه ، وكعب هذا يقال له : كعب الأحبار ، وكعب الحبر^(١) ؛ نظراً لثراء
معلوماته ، فقد كان من أحبار اليهود ، ومن أوسعهم اطلاعاً على كتبهم ، وكان
من المخضرمين الذين أدر كوا الجاهلية والإسلام ، أسلم سنة اثنتي عشرة من الهجرة
في زمن عمر رضي الله عنه ، وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل
الشام ، وقال : كان على دين يهود فأسلم وقدم المدينة ، ثم خرج إلى الشام ،
فسكن حمص حتى توفي بها سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان ، وقد بلغ
مائة وأربعين سنة .

(١) دائرة المعارف الإسلامية تحت مادة - كعب الأحبار ص ٥٨٢ - الترجمة
الإنجليزية ، وانظر دائرة المعارف اليهودية .

وأخرج ابن سعد بسند حسن عن سعيد بن المسيب قال : قال العباس لكعب : مامنك أن تسلم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ؟ قال : إن أبي كان كتب لي كتاباً من التوراة ، فقال : اعمل بهذا ، وختم على سائر كتبه ، وأخذ عليّ بحق الوالد على الولد ألا أفض الحتم عنها ، فلما رأيت ظهور الإسلام ، قلت : لعل أبي غيَّب عني علماً ، ففتحتها ، فإذا صفة محمد وأمه فحُت الآن مسلماً^(١) .

ذكر أبو الدرداء كعباً ، فقال : إن عند ابن الحميري لعلماً كثيراً. وروى معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير أنه قال : قال معاوية . ألا إن أبا الدرداء أحد الحكماء ، ألا إن كعب الأخبار أحد العلماء ، إن كان عنده لعلم كالبحار ، وإن كنا فيه لمفرطين .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا ، وعن عمر وصهيب وعائشة . وروى عنه من الصحابة ابن عمر ، وأبو هريرة ، وابن عباس ، وابن الزبير ، ومعاوية ، ومن كبار التابعين أبو رافع الصائغ ، ومالك بن عامر ، وسعيد بن المسيب وعطاء ، وعبد الله بن رباح الأنصاري ، وآخرون^(٢) .

طعن بعض المعاصرين فيه ، وتفنيده ذلك .

اتفقت كلمة نقاد الحديث على توثيق كعب ، ولذا لا نجد له ذكراً في كتب الضعفاء ، والمتروكين ، وترجم له النووي في تهذيبه وقال : (اتفقوا على كثرة علمه وتوثيقه) وأخرج له الشيخان في الصحيح وكذا باقي أصحاب الكتب الستة^(٣) . ومع ثناء العلماء عليه وتوثيق النقاد له ، نجد بعض المعاصرين

(١) الإصابة « ٥ : ٣٢٣ » المطبعة الشرقية .

(٢) الإصابة « ٥ : ٣٢٣ » ، وانظر تهذيب التهذيب « ٨ : ٣٩٩ » .

(٣) تذكرة الحفاظ « ١ : ٥٢ » ، ومقالات الكوثري ص ٣٢ .

يطعنون في كعب بأنه أسلم نفاقاً لكي يخدع المسلمين فيصدقوا ما يرويه من إسرائيليات يشوه بها دينهم ، وأنه كان يكذب في الأخبار ، وأن له يداً في مقتل عمر رضي الله عنه ... الخ مازعموا .

ونسوق إليك أولاً اتهام هؤلاء القوم ثم نفند هذا الاتهام :

قال السيد رشيد رضا : (كعب الأخبار الذي أجزم بكذبه ، بل لا أتق في إيمانه ^(١)) . وقال : (لننظر كيف تسلسل الخداع الناس بروايات كعب الكذاب ، وجعلوا ذنبها على كتب اليهود لاعليه ، وأكثرها لا ذكر لها في كتبهم ، وإنما هو الذي افترأها تشويهاً للإسلام ^(٢) .. وقال : ثم ليعلم أن شر رواة هذه الإسرائيليات أو أشدهم تليساً وخداعاً للمسلمين هذان الرجلان : كعب الأخبار ووهب بن منبه ^(٣)) .

وقال : (كعب الأخبار الذي أدخل على المسلمين شيئاً كثيراً من الإسرائيليات الباطلة المخترعة ، وخفي على كثير من المحدثين كذبه ودجله لتعبده ^(٤)) .

وقال مستشهداً بما جاء في صحيح البخاري عن معاوية في شأن كعب : (إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب ، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب ^(٥)) : (إن قول معاوية أن كعباً كان من أصدق المحدثين عن أهل الكتاب ، وإنهم مع ذلك اختبروا عليه الكذب ، طعن صريح في عدالته وفي عدالة جمهور رواة الإسرائيليات إذ أثبت كذب من يعد من أصدقهم ^(٦)) .

(١) مجلة المنار الجزء التاسع مجلد « ٢٧ : ٦٩٧ » .

(٢) المرجع السابق « ص ٧٠١ » .

(٣) مجلة المنار « ج ١٠ ص ٢٧ » ص ٧٨٢ .

(٤) تفسير المنار « ٤٤٩ : ٨ » .

(٥) البخاري من كتاب التوحيد « ٢٥٩ : ١٣ » من فتح الباري .

(٦) مجلة المنار « ج ٢١ ص ٢٦ » ص ٧٦ - ٧٧ .

وغمز المحدثين ورماهم بالتقصير وقلة الاطلاع والاعتزاز بكعب لتوثيقهم إياه .. فقال : (إن قدماء رجال الجرح والتعديل اغتروا بها - يقصد كعباً ووهباً - وعدلوهما؛ فكيف لو تبين له - يقصد ابن تيمية - ماتين لنا من كذب كعب ووهب ، وعزوهما إلى التوراة وغيرها من كتب الرسل ، ما ليس فيها شيء منه ولا حومت حوله ^(١)) وقال : (ولو علم أولئك - يقصد الإمام أحمد ، وابن معين ، والبخاري ومسلم ، ممن وثقوا كعباً ووهباً - ما علم هؤلاء - يقصد ابن تيمية وابن حزم وابن كثير - من ذلك ، لجزموا بأن وهباً كان كذاباً غاشاً للمسلمين بصلاحه ولم يقبلوا له رواية قط ^(٢)) .

وقال أيضاً: (رواية كعب عن التوراة من وصف النبي صلى الله عليه وسلم كذب على التوراة أيضاً وبمثلها كان يخدع المسلمين ، ولو كانت هذه العبارة ^(٣) في التوراة لرواها من أسلم على يدي النبي صلى الله عليه وسلم من أجاز اليهود كعبد الله بن سلام وجماعته ولنقلت بالتواتر ، ولكن لها شأن عظيم ، إذ لا يمكن للمعاندين تأويلها كما أولوا البشارات غير الصريحة بهذا المقدار ^(٤)) .

ثم ذكر أن رجال الحديث عنوا بنقد السند أكثر من المتن ، فقال : (وأما تمحيص متون الروايات وموافقها أو مخالفتها للحق والواقع وللأصول أو الفروع الدينية القطعية أو الراجحة وغيرها فليس من صناعتهم ، ويقل الباحثون فيه منهم ، ومن تعرض له منهم كالإمام أحمد والبخاري لم يوفه حقه ، ومن هذا القليل حكاية بعض الرواة ككعب الأخبار ووهب عن كتب بني إسرائيل لم يكن يحيى بن معين وأحمد وأبو حاتم وابنه وأمثالهم يعرفون ما يصح من ذلك وما لا يصح لعدم

(١) تفسير المنار « ٩ : ١ » ،

(٢) مجلة المنار « ج ٢٦ م ٩ ص ٧١٩ » .

(٣) وهي : محمد رسول الله ، عبد ذي المختار ، مولده بمكة ، ومهاجرة المدينة ، وملكه بالشام .

(٤) مجلة المنار « ج ٢٧ م ٧ ص ٥٤٤ » .

اطلاعهم على تلك الكتب وعدم ظهور دليل على كذب الرواة المتقنين للكذب فيما يعزونه إليها^(١) .

ثم ذكر أن لها ضلعاً في مؤامرة مقتل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فقال .. (بعد أن ساق رواية عن وهب في وصفه الثعبان الذي تحولت إليه عصا موسى ..) ومثله عندي - يقصد وهباً - كعب الأخبار الإسرائيل ، كلاهما كان تابعياً كثيراً الرواية للغرائب التي لا يعرف لها أصل منقول ولا معقول ، وقومها كانوا يكيدون للأمة الإسلامية العربية التي فتحت بلاد الفرس ، وأجلت اليهود من الحجاز ، فقاتل الخليفة الثاني فارسي مرسل من جمعية سرية لقومه ، وقتله الخليفة الثالث كانوا مفتونين بدسائس عبد الله بن سبأ اليهودي ، وإلى جمعية السبئين وجميعات الفرس ترجع جميع الفتن السياسية وأكاذيب الرواية في الصدر الأول^(٢) .

وقال في موضع آخر : (وبعد هذا كله أقول : إذا ثبت بما حورناه كذب الرجل بما ذكر ، فلا يبقى مجال للشك في أنها كانا يغشان المسلمين ويدخلان في كتبهم الريب ورواياتهم ما يقتضي الطعن في دينهم ؛ وحينئذ لا يبقى محل لاستغراب استراكتهم في تلك الجمعيات اليهودية والمجوسية التي كانت تكيد للإسلام والعرب^(٣) .

وبوضح هذا المعنى - أي إشتراك كعب في مؤامرة قتل عمر رضي الله عنه - الدكتور أحمد أمين مستدلاً بما رواه ابن جرير الطبري في تاريخه^(٤) ؛ فيقول : .. (وقد لاحظ بعض الباحثين أن الرواة الثقات كابن قتيبة والنووي لا يروون عنه أبداً ، وابن جرير الطبري يروي عنه قليلاً ، ولكن غيرهم كالثعلبي والكسائي

(١) مجلة المنار « ج ٢٨ ص ٢٧ » .

(٢) تفسير المنار « ٤٤: ٩ - ٤٥ » ،

(٣) مجلة المنار « ج ٢٧ ص ٨ » ٦١٩ .

(٤) تاريخ الطبري « ١٩١: ٥ » .

ينقل عنه كثيراً من قصص الأنبياء كقصة يوسف والوليد بن الریان وأشباه ذلك. ويروي ابن جرير أنه جاء إلى عمر بن الخطاب قبل مقتله بثلاثة أيام وقال له : اعهـد فإنك ميت في ثلاثة أيام ، قال : وما يدريك ؟ قال أجده في كتاب الله عز وجل في التوراة . قال عمر : إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة ؟ قال : اللهم لا ، ولكن أجد صفتك وحليتك وأنه قد فني أجلك . وهذه القصة إن صحت دلت على وقوف كعب على مكيدة قتل عمر ثم وضعها هو في هذه الصيغة الإسرائيلية ، كما تدلنا على مقدار اختلاقه فيما ينقل ، وعلى الجملة فقد دخل على المسلمين من هؤلاء وأمثالهم في عقيدتهم وعلمهم كثير كان له فيهم أثر غير صالح (١) .

ويقول الدكتور جواد علي :

(ولكن جمهرة من المحققين ارتابت من هذا القول – توثيق كعب وهوب – وشكت في أكثره ، والواقع أن أكثر ما روي عن هؤلاء من أخبار وأقوال يشير إلى أنهم لم يكونوا على نحو ما قيل عنهم من العلم ، وأنهم لم يكونوا أصحاب علم بالتوراة ، وإن بعضهم تأمر على الخلفاء بينما كان يتظاهر بخلاف ذلك (٢)) .

تفسير هذه الاتهامات

١ – نبدأ الرد بذكر قاعدة من قواعد الجرح والتعديل وهي أن (من الوجوه التي يعرف بها ثقة الراوي ، تخريج أحد الشيخين له في الصحيح وإن تكلم في بعض من خرج له فلا يلتفت إليه) .

وكعب أخرج له الشيخان في صحيحهما ، وكذا باقي أصحاب الكتب

(١) فجر الاسلام ص ١٦١ .

(٢) مقال في مجلة الرسالة العدد ٧٥٧ ، ٢٣ من صفر سنة ١٣٦٧ هـ من يناير سنة ١٩٤٨ السنة السادسة عشرة مجلد سنة ١٩٤٨ ص ٢٦ تحت عنوان عبد الله بن عباس للدكتور جواد علي .

السته ، وهذا دليل على أنه كان ثقة عند هؤلاء جميعاً . وتلك شهادة كافية لرد كل تهمة تلصق بهذا الحبر الجليل .

٢ - اتهم كعب بالكذب وتعتمد الدس والوضع استناداً إلى حديث البخاري الذي رواه عن معاوية بقوله : (إنه كان من أصدق هؤلاء المحدثين وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب) غير مسلم وإن كان ظاهر كلام معاوية رضي الله عنه ، يخدش كعباً في بعض مروياته ، لكنه لا يدل على أنه كان وضاعاً كذاباً كما سنبين ذلك ، ولو تأملنا كلام معاوية لوجدناه في حقيقة الأمر توثيقاً لكعب وثناء عليه بأنه أصدق المحدثين عن أهل الكتاب ، وإن كان في بعض تلك الأخبار التي ينقلها مالا يطابق الواقع ، فالكذب حينئذ مضاف إلى تلك الكتب التي ينقل عنها لا إلى كعب ، وما أشبه قول معاوية (وإن كنا لنبلو عليه الكذب) بقول ابن عباس : (بدل من قبله فوقع في الكذب) ثم إن معاوية الذي قال هذا القول ، رويناه عنه فيما سبق أنه قال : (ألا إن كعب الأخبار أحد العلماء ، إن كان عنده علم كالبحار وإن كنا فيه لمفرطين) فمعاوية قد شهد لكعب بالعلم وغزارته وحكم على نفسه بأنه فرط في علم كعب ، فهل يعقل أن معاوية يشهد هذه الشهادة لرجل كذاب ؟ ومعاوية - كما هو معروف عنه - داهية لا تخفى عليه الرجال ولا دسائسهم ، كما أنه لا يخشى كعباً ، ولا يعقل أن يتملقه ، ولو يعلم فيه أكثر من ذلك لقاله .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح في شرح هذه العبارة : (وإن كنا لنبلو عليه الكذب) أي يقع بعض ما يخبرنا عنه بخلاف ما يخبرنا به . قال ابن التين : وهذا نحو قول ابن عباس في حق كعب المذكور : بدل من قبله فوقع في الكذب ، قال : والمراد بالمحدثين في قوله : إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثن عن أهل الكتاب أنداد كعب ممن كان من أهل الكتاب وأسلم ، فكان يحدث عنهم ، وكذا من نظر في كتبهم فحدث عما فيها قال : ولعلمهم كانوا مثل كعب ، إلا أن كعباً كان أشد منهم بصيرة وأعرف بما يتوقاه . وقال ابن حبان في

كتاب (الثقات) : أراد معاوية أنه يخطيء أحياناً فيما يخبره ، ولم يرد أنه كان كذاباً . وقال غيره : الضمير في قوله (لنبلو عليه) الكتاب ، لا كعب ، وإنما يقع في كتابهم الكذب لكونهم بدلوه وحرفوه . وقال القاضي عياض : يصح عوده على الكتاب ويصح عوده على كعب وعلى حديثه وإن لم يقصد الكذب ويتعمده ، إذ لا يشترط في مسمى الكذب التعمد ، بل هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه ، وليس فيه تجريح لكعب بالكذب ، وقال ابن الجوزي : المعنى أن بعض الذي يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذباً ، لا أنه يتعمد الكذب ، وإلا فقد كان كعب من أخيار الأخبار^(١) .

وقال الحافظ ابن كثير في تأويل الحديث : (.. يعني فيما ينقله ، لا أنه كان يتعمد نقل ما ليس في صحفه ، ولكن الشأن في صحفه أنها كانت من الإسرائيليات التي غالبيتها مبدل مصحف محرّف مختلق^(٢)) .

ولا يغرب عن بالنا أن ابن الجوزي صاحب ملكة في النقد ، وكان حرباً على الوضعيين ، فلو كان يرى في كعب أنه كان وضاعاً دساساً لما تردد في تجريحه ، ولما حمل كلمة معاوية على هذا المحمل الحسن .

٣ - لا ينكر أن الكثير من الإسرائيليات دخلت في الإسلام عن طريق أهل الكتاب الذين أسلموا ، وأنهم نقلوها بحسن نية ، ولكن الذي لا يسلم به الباحث أن يكون كعب ووهب وأضرابها - ممن أسلموا ، وحسن إسلامهم - غرضهم الدس والاختلاق والإفساد في الدين ، وابن خلدون لما عرض في مقدمته لمادخل التفسير بالماثور من الإسرائيليات ؛ لم يرم مسلمة أهل الكتاب بالدس والوضع - كما صنع صاحب المنار وغيره - وإنما جعلهم مصدراً لنقل هذه الإسرائيليات إلى العرب ، وهذا شأن الباحث المنصف ، لا الطاعن المتحامل .

(١) فتح الباري « ٢٥٩ : ١٣ - ٢٦٠ » .

(٢) تفسير ابن كثير « ١٠١ : ٣ » .

ثم إن أخبار بني إسرائيل ليست بما تعبدنا الله بها ، ولم نلزم بالتحري في نقلها إلزامنا بنقل الأحاديث الإسلامية ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « .. حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ؛ فإنكم لا تحدثون عنهم شيئاً إلا وقد كان فيهم أعجب منه » . فأني وزر على من بلغه هذا الحديث فحدث بأخبار بني إسرائيل على علانها كما قرأها وسمعها مادام لم يرد في ديننا ما يمنع من ذلك ، ولم تصادم أصلاً من أصوله ، وإلا كانت مردودة .

٤ - مارمى به صاحب المنار الحديثين بالتقصير والاغترار بكعب وعنايتهم بالسند دون المتن، غير مسلم له أيضاً ، فلقد كان لجهاذة الحديث ونقاده جهد مشكور في الكشف عن هذه الإسرائيليات وتمييز صحيحها من باطلها وغشها من سمينها ، ومامن رواية من روايات كعب إلا ونقدوها نقداً علمياً نزيهاً ، ولقد بلغ من تحوط أئمة الحديث البالغ الغاية أنهم قالوا : إن قول الصحابة فيما لا مجال للرأي فيه إنما يكون له حكم الرفع إذا لم يكن الصحابي معروفاً بالأخذ عن أهل الكتاب الذين أسلموا ، فأما إذا كان معروفاً بالأخذ عنهم فلا ، لجواز أن يكون من الإسرائيليات . وهذا تحوط يدل على أصالة في النقد وبعد نظر محمود من المحدثين ، وإن ما وضعه المحدثون من قواعد لنقد الراوي والمروي ، هي أدق وأرقى ما وصل إليه علم النقد في القديم والحديث .. نعم نحن لاننكر أن المحدثين توسعوا في نقد السند أكثر من توسعهم في نقد المتن ولذلك سر نحب أن نجليه للقراء والباحثين :

ففي الحق أن علماء الحديث كانوا أبعد غوراً وأدق نظراً حينما لم يجروا في نقد المتن الأسواط البعيدة التي جروها في نقد السند، وذلك لاعتبار ديني دقيق لاحظوه في السنة عند الاكتفاء بصلاح الراوي وتقواه ، وعدالته ظاهراً وباطناً ، وضبطه ، وحفظه ، وتوقيه الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فمتى توفرت العدالة بشروطها مع الضبط والحفظ والأمانة والتحرج من التزويد والتغيير كان احتمال الكذب والاختلاق بعيداً جداً إن لم يكن ممتنعاً ، وبذلك أزاحوا من طريق

السنة الآلاف ، بل عشرات الألوف من الأحاديث المكذوبة، ثم نقدوا المتن^(١) في الحدود المعقولة دون حاجة للمبالغة في نقد المتن ، وذلك لأن متن الحديث :
 أ - قد يكون متشابهاً غير مفهوم العبارة فلا محل - مع هذا الاحتمال -
 لتحكيم النقد العقلي المجرد في المتن ، إذ مثل هذا التشابه بما لا تستقل العقول

(١) من أم القواعد التي وضعوها لنقد المتن مايلي :

- ١ - ألا يكون ركيك اللفظ بحيث لا يقوله بليغ أو فصيح .
- ٢ - ألا يكون مخالفاً لبدهيات العقول ، بحيث لا يمكن تأويله .
- ٣ - ألا يخالف القواعد العامة في الحكمة والأخلاق .
- ٤ - ألا يكون مخالفاً للحس والمشاهدة .
- ٥ - ألا يخالف البديهي في الطب والحكمة .
- ٦ - ألا يكون داعية إلى رذيلة تنبأ منها الشرائع .
- ٧ - ألا يخالف المعقول في أصول العقيدة من صفات الله ورسله .
- ٨ - ألا يكون مخالفاً لسنة الله في الكون والإنسان .
- ٩ - ألا يشتمل على سخافات بصان عنها العقلاء .
- ١٠ - ألا يخالف القرآن أو محكم السنة أو المجمع عليه أو المعلوم من الدين بالضرورة بحيث لا يحتمل التأويل .
- ١١ - ألا يكون مخالفاً للحقائق التاريخية المعروفة عن عصر النبي صلى الله عليه وسلم .
- ١٢ - أن لا يوافق مذهب الراوي الداعية إلى مذهبه .
- ١٣ - ألا يخبر عن أمر وقع بمشهد عظيم ثم ينفرد راو واحد بروايته .
- ١٤ - ألا يكون ناشئاً عن باعث نفسي حمل الراوي إلى روايته .
- ١٥ - ألا يشتمل على إفراط في الثواب العظيم على الفعل الصغير والمبالغة بالوعيد الشديد على الأمر الحقيق .

ولم يكتف علماؤنا بهذا بل نقدوا المتن بعد سلامته من العلل السابقة كلها من ناحية اضطرابه أو شذوذه أو إعلاله ، كما بحثوا فيما يمكن أن يقع فيه من قلب أو غلط أو إدراج ، ولكل ذلك أمثلة وشواهد محلها كتب القوم رحمهم الله .

يادراكه ، ولا يدرك المراد منه إلا عن الله أو عن رسوله المبلغ عنه ، والواجب إما الايمان به كما ورد مع تفويض علم حقيقته إلى الله والتزيه عن الظاهر المستحيل ، وإما التأويل بما يوافق العقل وما احكم من النقل ؛ وذلك مثل أحاديث الصفات ونحوها .

ب - وقد يكون متن الحديث ليس من قبيل الحقيقة بل من قبيل المجاز فرفضه باعتبار حمله على الحقيقة استنادا إلى أن العقل أو الحس والملاحظة لا يقره مع إمكان حمله على المجاز المقبول لغة وشرعاً ، تهجم وتنكر لقواعد البحث العلمي الصحيح ، وذلك مثل حديث ذهاب الشمس بعد غروبها وسجودها تحت العرش المروي في الصحيح^(١) فلو حملناه على حقيقته لأدى ذلك إلى البطلان^(٢) ، على حين لو حمل على المجاز المستساغ لظهر ما فيه من سر وبلاغة ، فسجود الشمس : المراد به خضوعها وسيرها طبق إرادته سبحانه ، وعدم تأبها عن النظام الدقيق المحكم الذي فطرها الله عليه واستمرارها عليه من غير انقطاع ولا فتور .

ج - وقد يكون متن الحديث من قبيل الغيبيات ؛ كأحوال القيامة واليوم الآخر فردها تحكيماً للعقل فيها وبناء على قياس الغائب على الشاهد ؛ ليس من الانصاف ، وذلك كالأحاديث الواردة في صفة الجنة ونعيمها والنار وعذابها ونحو ذلك .

(١) روى البخاري في صحيحه (كتاب التوحيد . باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم) عن أبي ذر قال : دخلت المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فلما غربت الشمس قال : « يا أبا ذر هل تدري أين تذهب هذه ؟ » قال ، قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : « فإنها تذهب تستأذن في السجود فيؤذن لها وكأنها قد قيل لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها » ، ثم قرأ : ذلك مستقر لها - في قراءة عبد الله .

(٢) لأنه صار من المعلوم القطعي لمئات الملايين من البشر أن الشمس لا تغيب عن الأرض في أثناء الليل ؛ وإنما تغيب عن بعض الأقطار وتطلع على غيرها ؛ فنهارنا ليل عند غيرنا وليلتنا نهار عندهم .

د - وقد يكون متن الحديث من الأخبار التي كشف العلم عن مساتهاها واعتبرت من المعجزات النبوية التي جاءت الأيام بتصديقها ، وذلك مثل حديث الذباب .. فقد روى البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه كله ، ثم لينزعه ؛ فإن في إحدى جناحيه داء والأخرى شفاء (١) » فلو أن العلماء تمسكوا بالنظر السطحي وتسرعوا في الحكم بيطـلان هذا الحديث وأمثاله بما خفي وجه الحكمة فيه ، ثم ظهرت بعد ذلك الحكمة واضحة جلية ، ألا يكون ذلك جهالة في البحث وقصورا في النظر وإجحافا بحق صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ؟ ثم ألا ترى معي أن المحدثين كانوا على حق في المسلك الذي انتهجوه (٢) ؟ .

هـ - وأما ما ذكره السيد رشيد رضا من أن (رواية كعب عن التوراة في

(١) صحيح البخاري « كتاب بدء الخلق » باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم . أنكر بعض أهل الأهواء هذا الحديث وقالوا : كيف يكون الذباب الذي هو مباءة الجراثيم فيه دواء ؟ وكيف يجمع الله الداء والدواء في شيء واحد ؟

وقد بذل علماءنا الأوائل - أثابهم الله - الجهد في رد هذه الشبهة فقالوا : لا مانع عقلاً أن يجمع الله الداء والدواء في شيء واحد؛ بل هو أمر مشاهد معروف ، فالنحلة تلقي السم من أسفلها وتخرج عسلاً فيه شفاء للناس من فيها ، والحية القاتل سها يدخل لحمها في الترياق الذي يعالج به السم .

وقال ابن القيم في زاد المعاد « ٢١٠:٣ - ٢١١ » : (واعلم أن في الذباب قوة سمية يدل عليها الورم والحكة العارضة من لسعه وهو بمنزلة السلاح ، فإذا سقط فيا يؤذيه إتقاه بسلاحه . فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقابل تلك السمية بما أودعه الله في جناحه الآخر من الشفاء فيغمس كله في الماء والطعام فيقابل المادة السمية بالمادة النافعة فيزول ضررها) .

وقد توصل بعض الأطباء في عصرنا الحاضر إلى أن في الذباب مادة قاتلة للميكروب فيغمسه في الإناء تكون هذه المادة سبباً في إبادة ما يحمله الذباب من الجراثيم التي ربما تكون عالقة به . وبذلك أصبح ما قال العلماء الأقدمون - تجويزاً - حقيقة مقررة .

(٢) دفاع عن السنة للأستاذ الدكتور محمد أبو شبة ص ٤٨ وما بعدها .

وصف النبي صلى الله عليه وسلم كذب على التوراة أيضاً وبمثلا كان يخدع المسلمين
..... الخ) ، ثم مازعهم من أن كل روايات كعب المعزوة إلى التوراة
والتي لا وجود لها في التوراة المتداولة اليوم دليل على كذب كعب واقتراه
.... الخ .

فلا أدري كيف ساغ له مثل هذا القول ، مع أن القرآن الكريم ينص على
هذا في أكثر من آية (٥٠) الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً
عندهم في التوراة والانجيل (١) ، (وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني
رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي
اسمه أحمد (٢)) ، (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم
ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك
مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزراع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى
على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار (٣)) .

فهذه آيات من كتاب الله صريحة الدلالة على أن اسم الرسول صلى الله عليه
وسلم قد جاء ذكره صراحة في التوراة والانجيل ، وجاء ذكره وذكر صحابته عن
طريق التشبيه والتمثيل في التوراة والانجيل أيضاً . فأي غرابة وأي مناقضة وأي
شيء فيه يستنكره عقل مسلم إذا روى أهل الكتاب ممن أسلموا أن اسم النبي صلى
الله عليه وسلم أو وصف صحابته أو بعضهم مكتوب في التوراة ؟ ! ، وإذا كان
ماروي عنهم لانجده الآن في التوراة والانجيل المعترف بها لدى اليهود والنصارى في
عصرنا هذا ، فهل يكون ذلك دليلاً على كذب تلك الأخبار ، أم يكون ناشئاً بما
أخبر الله عنهم أنهم حرفوا هذه الكتب وبدلوها ؟ !

(١) من الآية ١٥٧ من سورة الأعراف .

(٢) من الآية ٦ من سورة الصف .

(٣) من الآية ٢٩ من سورة الفتح .

وأياً ما كان فالشيخ رشيد رضاين أمرين: إما أنه يعترف بصحتها فيكذب كل ماجاء من الأخبار مما لا يجده اليوم فيها ، وإما أن يعترف بتبديلها فيعترف بما صح من تلك الأخبار ولو لم نجدها فيها . أما أن يقول : إن ماجاء في تلك الأخبار متفقاً مع ما في التوراة والانجيل ؛ فذلك دليل على أن واضعها يهود أو نصارى ، وما جاء في تلك الأخبار بما لا وجود له فيها فذلك دليل على كذب تلك الأخبار ، لأننا لانجدها فيها فهذا هو التناقض بعينه .

٦ - أما قولهم : إن له يدأ في مقتل عمر رضي الله عنه مستلدين بما جاء في تاريخ ابن جرير الطبري ، عن سليمان بن عبدالعزيز ، عن عبدالله بن جعفر ، عن أبيه ، عن المسور بن مخرمة ؛ من أن كعب الأخبار قال له : يا أمير المؤمنين اعهذ فإنك ميت في ثلاثة أيام . فقال : وما يدريك ؟ قال : أجده في كتاب الله عز وجل التوراة الخ (١) .

فالجواب عنه : أن ابن جرير وغيره من المؤرخين لم يلتزموا الصحة فيما ينقلون ويحكون ، ولذا تجد في كتبهم الضعيف والموضوع . والباحث المنصف إذا نقل خبراً من هذه الكتب ينبغي أن يحصه سنداً ومتناً ، ونحن إذا نظرنا إلى سند هذه القصة ومنتها لانشك في أنها تنادي على نفسها بالكذب والاختلاق وذلك :

أ - لسقوط سندها فإن سليمان مجهول لم نجد له ترجمة ، وأبوه ساقط الحديث - كما بينه جمع من الأئمة - وعبدالله بن جعفر لا بأس به ، فأما أبوه جعفر فلا يعرف برواية أصلاً (٢) .

ب - ولأنها لو كانت في التوراة لما اختص بعلمها كعب الأخبار وحده ؛ ولكن كان يشاركه العلم بها أمثال عبد الله بن سلام وعبد الله بن عمرو ممن لهم علم بالتوراة .

(١) تاريخ الطبري (١٩٠:٤ - ١٩١) ط دار المعارف .

(٢) تقريب التهذيب لابن حجر « ٤٠٦:١ » ، وانظر الأنوار الكاشفة ص ١١١ .

ج - ولأنها لو صحت لكان المنتظر من عمر حينئذ أن لا يكفي بقول كعب ، ولكن يجمع طائفة ممن أسلم من أهل الكتاب ولهم إحاطة بالتوراة ويسألهم عن هذه القصة ، وهو لو فعل لافتضح أمر كعب وظهر للناس كذبه ولتبين لعمر أنه شريك في مؤامرة دبرت لقتله ، أو أنه على علم بها وحينئذ يعمل عمر على الكشف عنها بشتى الوسائل وينكل بمديرها ومنهم كعب ، هذا هو المنتظر من أي حاكم عادي يقال له مثل ذلك ؛ فضلاً عن عمر المعروف بكمال الفطنة وحدة الذهن وتمحيص الأخبار ، ولكن شيئاً من ذلك لم يحصل فكان ذلك دليلاً على اختلاقها .

د - وأيضاً فإنها لو صحت لكان معناها أن كعباً له يد في المؤامرة وأنه يكشف عن نفسه بنفسه وذلك باطل لمخالفة طباع الناس ، إذ المعروف أن من اشترك في مؤامرة يبالغ في كتمانها حرصاً على نجاحها وتقادياً من تحمل تبعاتها بعد وقوعها .

وبذلك تبين لنا أن هذه القصة مفتراة بدون أدنى اشتباه ، وأن رمي كعب بالكيد للإسلام في شخص عمر والكذب في النقل عن التوراة اتهام باطل لا يستند إلى دليل أو برهان ، ولقد كان عمر والصحابه رضوان الله عليهم أجمعين أعلم بحال كعب منا لأنه صحبهم وجالسهم . ولو كان هناك ما يوجب اتهامه لاتهموه ، وقد علمنا أنهم لم يتهموه لاقبل انكشاف المؤامرة ولا بعده ، فوجب الجزم بأنه لم يقع منه ما يقتضي اتهامه .

ومن عجيب أمر هؤلاء الطاعنين أنهم يجعلون روايات المؤرخين حجة لا يأتيها الباطل بحال إذا كان لهم غرض في إثبات مضمونها، ويتشككون في روايات البخاري ومسلم إذا جاءت على غير ما يشتهون^(١) .

٧ - وأما قول الأستاذ أحمد أمين : (وعلى الجملة فقد دخل على المسلمين

(١) الحديث والمحدثون للشيخ أبو زهو « ص ١٨٢ - ١٨٣ » .

من هؤلاء وأمثالهم في عقيدتهم وعلمهم كثير كان له فيهم أثر غير صالح . . . فإن أراد أن يرجع ذنب هذا الأثر السيء إلى كعب وأضرابه ، فنحن لانوافقه عليه لأن ما يرويه كعب وغيره من أهل الكتاب لم يسندوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكذبوا فيه على أحد من المسلمين ، وإنما كانوا يروونه على أنه من الإسرائيليات الموجودة في كتبهم ، ولنا مكلفين بتصديق شيء من ذلك ولا مطالبين بالإيمان به بعد ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتصدقوا أهـ ل الكتاب ولا تكذبوهم . . . » ، وإذا كانت هذه الإسرائيليات المروية عن كعب وغيره قد أثرت في عقيدة المسلمين وغيرهم أثراً غير صالح فليس ذنب هذا راجعاً إلى كعب الأخبار وأضرابه لأنهم روه على أنه مما في كتبهم ولم يشرحوا به القرآن - اللهم إلا ما يتفق من هذا مع القرآن ويشهد له - ثم جاء من بعدهم فحاولوا أن يشرحوا القرآن بهذه الإسرائيليات فربطوا بينها وبينه على ما بينهما من بعد شاسع ، بل وزادوا على ذلك ما نسجوه من قصص خرافية نسبوها لهؤلاء الأعلام ترويحاً لها وتمويهاً على العامة^(١).

وفي كتاب فضائل الشام (للربيعي) سبع عشرة حكاية عن كعب ، قال فيها مخرجه الشيخ ناصر الدين الأرنؤوط : (كل الأسانيد لاتصح^(٢)) مما يدل على أن غالب ما يروى عنه مكذوب عليه ، وقد استغل الوضعاء - بعد وفاته - شهرته فكذبوا عليه كثيراً ، وكان الكذب عليه أبسر من الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم^(٣) .

٨ - وأنقل في نهاية الكلام عن كعب الأخبار فقرات يسيرة مما قرره علماء الحديث في التحذير من جرح رجال الحديث بغير تثبت :

(١) التفسير والمفسرون « ١٩٠:١ » .

(٢) الأنوار الكاشفة ص ١٢٨ .

(٣) وقد اعترف الشيخ رشيد رضا نفسه بالوضع على كعب فقال في موضع من تفسير المنار : « وأنا أظن أن هذا القول موضوع على كعب » .

قال العلامة ابن الصلاح في المقدمة في النوع الحادي والستين مانصه : (على الآخذ في ذلك أن يتقي الله تبارك وتعالى ويتثبت ويتوقى التساهل ؛ لكي لا يجرح سليماً أو يرمي بريئاً بسمعة سوء تبقى عليه الدهر عاراً) ، ونقل العلامة القاسمي في كتابه « الجرح والتعديل ص ٤ » عن علماء الحديث أنهم قالوا : (أعراض المسلمين حفرة من حفر النار وقف على شفيرها طائفتان من الناس : المحدثون والحكام) فأمام هذا التحذير الشديد لا يصح الاحتجاج في تجريح كعب^(١) بما نسب إليه من الأخبار الضعيفة الموجودة في بعض كتب التفسير أو التاريخ لاحتمال أن ماورد في هذه الكتب موضوع عليه^(٢) كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق .

٢ - وهب بن منه :

هو أبو عبد الله وهب بن منبّه اليامي الصنعاني ، ولد سنة أربع وثلاثين من الهجرة^(٣) في ذمار باليمن على بعد مرحلتين من صنعاء ، ويذكر الذهبي أنه ولد في خلافة عثمان . وأصل والده - منه - من هرة بخراسان أرسل إلى اليمن زمن كسرى أنوشروان ، وأسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، ونشأ وهب في اليمن ، وولي القضاء لعمر بن عبد العزيز^(٤) . توفي سنة أربعة عشر ومائة من الهجرة ، على أرجح الأقوال وعمره ثمانون سنة^(٥) . روى عن أبي هريرة وأبي

(١) يقول الشيخ رشيد في مجلة المنار « ج ٢٦ ص ٧١٨ » : هذا وإن عمدتنا في جرح روايات كعب ماجاء فيها من إسرائيليات تقطع بطلانها وهو أفها ، وهذا الموقف منه يناقض عبارته الأولى .

(٢) ذكر صاحب كتاب الأنوار الكاشفة في « ص ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٦ » أمثلة من روايات موضوعة على كعب .

(٣) تهذيب التهذيب لابن حجر « ١٦٨ : ١١ » ، وتذكرة الحفاظ « ٨٨ : ١ » .

(٤) مرآة الجنان للياضي « ص ٢٤٨ » .

(٥) تاريخ الذهبي « ٧ : ٤٣٨ » والمعارف لابن قتيبة « ص ٢٣٣ » وتهذيب التهذيب (١١ : ١٦٨) .

سعيد الحُدري وعبد الله بن عمر وابن عباس وجابر بن عبد الله وغيرهم^(١) . وروى عنه ابنه عبد الله وعبد الرحمن ، وأخوه إسماعيل وهمام ، وابن أخيه عبد الصمد ، وعبد المنعم بن إدريس ، وعمرو بن دينار ، وإسرائيل أبو موسى ، وسماك بن الفضل وعوف الأعرابي وغيرهم ، وأخرج له البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي^(٢) .

ثقافته :

كان وهب بن منبه واسع العلم ، كثير الاطلاع على كتب الأولين ، يقول ابن خلكان : (كانت له معرفة بأخبار الأوائل ، وقيام الدنيا ، وأحوال الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وسير الملوك^(٣)) .

وذكر عنه ابن قتيبة في كتاب المعارف أنه كان يقول : (قرأت من كتب الله تعالى اثنين وسبعين كتاباً^(٤)) .

ويقول ابن كثير : (له معرفة بكتب الأوائل^(٥)) ، كما يذكر ياقوت : أن وهباً كان كثير النقل من الكتب القديمة المعروفة بالإسرائيليات^(٦) .

ولقد اعتنى وهب بالإسرائيليات وأراد بها توضيح بعض الإشارات القرآنية ، واستطاع أن يدخل عنصر القصص إلى الدراسة الإسلامية ، وقد جمع

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي « ١٠٠:١ - ١٠١ » ط الثالثة، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بجيدر آباد الدكن الهند سنة ١٣٧٥ هـ .

(٢) تذكرة الحفاظ « ١٠٠:١ » .

(٣) وفيات الأعيان « ٨٨:٥ - ٨٩ » .

(٤) كتاب المعارف لابن قتيبة « ص ٢٠٢ » ط الأولى المطبعة الإسلامية سنة

١٣٥٣ هـ .

(٥) البداية والنهاية « ٢٧٦:٩ » .

(٦) معجم الأدباء « ٧ : ٢٣٢ » .

وهب هذه القصص بما كان متداولاً بين المسلمين ، وخاصة قصص عبد الله بن سلام وكعب الأحبار ، وأضاف إليها ما حصل عليه من القصص نتيجة قراءته لكثير من الكتب المقدسة ، روي عنه أنه قال : يقولون عبد الله بن سلام أعلم أهل زمانه ، وكعب أعلم أهل زمانه ، أفرأيت من جمع علمهما ؟ « يعني نفسه ^(١) » !

وقد لاحظ ابن قتيبة الفرق بين معلوماته عن بدء الخليقة وبين سفر التكوين ، ومقارنة ابن قتيبة لمعلومات وهب تدل على أنه أضاف مادة إلى ما أخذه عن العهد القديم . وعناصر هذه المادة تستند إلى شرح الآيات القرآنية وإلى الإسرائيليات ، وإلى تأملاته في كتب أهل الكتاب .

مؤلفاته :

تنسب إلى وهب بعض المؤلفات عن فترة ما قبل الإسلام ، فابن سعد يذكر أنه ألف (أحاديث الأنبياء ^(٢)) والمسعودي يذكر أنه ألف كتاب « المبدأ » ^(٣) وينسب حاجي خليفة لوهب أيضاً (كتاب الإسرائيليات) . ويرى (مروزنتال) أن كتاب الإسرائيليات الذي ذكره صاحب كشف الظنون ، قد يكون نفس كتاب المبدأ ^(٤) .

وقد ذكر ياقوت أن وهب بن منبه ألف كتاباً عنوانه (ذكر الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وغير ذلك ^(٥)) وقد ذكر ابن خلكان أنه رأى هذا

(١) تذكرة الحفاظ « ١٠١:١ » .

(٢) ابن سعد « ٩٧:٧ » .

(٣) مروج الذهب « ١٢٧:٥ » .

(٤) انظر بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب للدكتور عبد العزيز الدوري

« ص ١١٤ » .

(٥) معجم الأدباء « ٢٢٢:٦ » .

الكتاب ، وقال عنه : إنه من الكتب المفيدة ^(١) . وقد ألف وهب في المغازي كما أشار إلى ذلك صاحب كشف الظنون ^(٢) ، ونجد كثيراً من آثار وهب في تفسير الطبري وتاريخه ، وفي كتب بعض المؤرخين ، كابن قتيبة وابن إسحق وغيرهما ^(٣) .

مطاعن بعض الناس على وهب :

طعن عليه بعض الكتاب المعاصرين ، كما طعنوا على كعب ، ورموه بالكذب والتدليس وإفساد عقول بعض المسلمين وعقائدهم .

قال السيد رشيد رضا في تفسيره عند قوله تعالى : (فألقى عصاه فإذا هي ثعبانٌ مبينٌ ^(٤)) مانحه : (. . وفي التفسير المأثور روايات في صفة الثعبان الذي تحولت إليه عصا موسى عليه السلام ، وفي تأثيره على فرعون ما هو إلا من الإسرائيليات التي لا يصح لها سند ، ولا يوثق فيها بشيء ، ومنها قول وهب بن منبه : أما إن العصا لما صارت ثعباناً حملت على الناس فانهزموا منها فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً قتل بعضهم بعضاً ، وقام فرعون منهزماً . قال ابن كثير رواه ابن جرير ، والإمام أحمد وابن أبي حاتم وفيه غرابة في سياقه والله أعلم أه .

وقد اقتضت على هذه الرواية لأقول إنني أرجح تضعيف عمرو بن علي الفلاس لوهب على توثيق الجمهور له ، بل أنا أسوأ فيه ظناً على ماروي من كثرة عبادته ، ويغلب على ظني أنه كان له ضلع مع قومه الفرس الذين يكيديون للإسلام والعرب ويدسون لهم من باب الرواية ومن طريق التشيع ^(٥) .

(١) انظر وفيات الأعيان « ١٨٠ : ٢ » .

(٢) كشف الظنون « ١٧٤٧ : ٢ » .

(٣) يعتبر بعض المؤلفين أن وهباً هو أول من وضع هيكلاً قصصياً لتاريخ النبوة منذ بدء الخليقة حتى ظهور الإسلام وقد أخذ عنه أو تأثر به من ناحية المادة أو الهيكل بعض المؤرخين . « بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ١١٣ » .

(٤) الآية ١٠٧ من سورة الأعراف .

(٥) تفسير المنار « ٤٤ : ٩ » .

وقال الدكتور عبد العزيز الدوري في كتابه (بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب - ص ٢٦) : « ولم يكن وهب دقيقاً بل إنه لم يترفع عن الادعاء الكاذب » .

وقال الدكتور جواد علي عنه : (إنه لم يكن على ما يظهر من الروايات المنسوبة إليه يتورع من التلفيق ، ليثبت أنه كان صاحب علم بأحوال الماضين وبما سيكون ، شأنه في ذلك شأن زميله كعب الأخبار وابن سلام اللذين يليها بالمنزلة ؛ أقول ذلك على الرغم من تلك الصورة التي رسمها نفر من المحدثين له وأحيطت بهالة من التبجيل والاحترام ، وعلى الرغم من تلك النعوت التي جاد بها عليه نفر من أصحاب كتب الرجال ؛ على حين كانوا يبخلون بمنح بعضها أناساً أوثق منه وأصدق بمراتب ودرجات^(١)) .

وقد اتهم أبو رية وهباً ضمن من اتهمهم من فضلاء الصحابة والتابعين بمن أسلموا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام و كعب الأخبار .. فقال عنهم : (إنهم كانوا يثبتون في الدين الاسلامي أكاذيب وترهات يزعمون مرة أنها في كتبهم ، ومن مكنون علمهم ، ويدعون أخرى أنها مما سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وهي في الحقيقة من مفترياتهم) .

ثناء العلماء عليه :

قبل أن نقف المطاعن التي أثبتت حول وهب نذكر طرفاً من ثناء العلماء عليه : قال الذهبي : كان ثقة صادقاً كثير النقل من كتب الاسرائيليات . وقال أبو زرعة والنسائي : ثقة ، وقال العجلي : كان وهب ثقة تابعياً . وقال الحافظ ابن حجر : وثقه الجمهور وشذ الفلاس . فقال : كان ضعيفاً ، وشبهته في ذلك أنه كان يتهم بالقول في القدر . وقال الامام أحمد : كان يتهم بشيء من القدر ثم رجع . وقال أبو سنان : سمعت وهب بن منبه يقول : كنت أقول بالقدر حتى قرأت بضعة

(١) مجلة المجمع العلمي العراقي « ج ١ ص ١٤٣ » .

وسبعين كتاباً من كتب الأنبياء في كلها: من جعل إلى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر؛ فترك قولي^(١) .

وذكره ابن حبان في الثقات ، وروى له البخاري ومسلم في صحيحها .

ونحن أمام توثيق الجمهور له ، واعتماد البخاري وغيره لحديثه ، وما ثبت عنه من الورع والصلاح^(٢) لا نقول إلا أنه رجل مظلوم من متهميه ، ومظلوم هو وكعب من أولئك الذين استغلوا شهرة الرجلين ومنزلتهما العلمية ، فنسبوا إليهما ما لا يصح عنهما وشوهوا سمعتهما ، وعرضوهما للنقد اللاذع والطعن المرير^(٣)

تفنيد ما تقدم من المطاعن على وهب :

١ - أما القصة التي ساقها الشيخ رشيد رضا في تفسيره من أن (العصا لما صارت ثعباناً حملت على الناس فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً . . . الخ ففي سندها مجهول ، فمن المحتمل أن هذا المجهول هو الواضع لهذا الخبر ثم نسب إلى وهب لشهرته^(٤)) . إذ أننا نلاحظ أن روايات وهب وقصصه أصبحت كما يبدو إرثاً لعائلته التي حاولت نشرها والاضافة إليها بقصد تمجيد وهب ، وبقصد رواج هذه الروايات والقصص لشهرة وهب ، وقد تولى ذلك إسماعيل بن عبد الكريم عن عبد الصمد بن معقل (أخي وهب) عن وهب . وهذا السند كثيراً ما نجده في تفسير الطبري وتاريخه ، وقد كان هذا السند بعينه هو سند القصة المذكورة التي جرح السيد

(١) تهذيب التهذيب « ١٦٨ : ١١ » .

(٢) قال مثنى بن الصباح : لبث وهب عشرين سنة لم يجعل بين الفجر والعشاء وضوءاً .

(٣) انظر تهذيب التهذيب « ١٦٦ : ١١ - ١٦٧ » وميزان الاعتدال « ٣ : ٢٧٨ » ومجلة نور الاسلام (الأزهر) السنة الثالثة « ص ٢٠٧ - ٢٠٨ » والتفسير والمفسرون « ١ : ١٩٧ » .

(٤) انظر رد الأستاذ عبد الرحمن الجمجوني على الشيخ رشيد رضا على صفحات مجلة المنار « ج ١ ص ٢٦٠ ، ٧٥ ، ٤٦٠ » .

رشيد بسببها وهباً . ورواية ابن جرير لهذه القصة لا تدل على صحتها لأن ابن جرير كما هو معروف عنه ، لم يلتزم الصحة في كل ما يرويه ، والذي ينظر في تفسيره وتاريخه يجد فيهما ما لا يصح شيئاً كثيراً . وسنوضح ذلك فيما بعد إن شاء الله .

فما جريمة وهب إذا كانت القصة موضوعاً عليه !! ألم يكن من الأولى للسيد رشيد رضا أن يتروى ويتثبت قبل أن يخرج وهباً نتيجة لهذه الرواية وغيرها ، ضارباً بعرض الحائط توثيق أئمة الحديث له ، وهذا يستلزم الخط من أقدارهم ، وزعزعة الثقة في أقوالهم .

ونحن مع الشيخ رشيد في أن سياق القصة فيه غرابة ، غير أن القصة - إن صحت عنه - فهي من قبيل الأخبار الإسرائيلية التي لاتصدم أصلاً من أصول ديننا ، وقد أباح الشارع في التحديث عن بني إسرائيل بمثل ذلك . ولم يكلفنا تمحيص أخبارهم والبحث في أسانيدنا لأنها ليست مما تعبدنا الله بها . ومعروف أن كتب أهل الكتاب محرفة مبدلة كما أخبرنا الله تبارك وتعالى . وقد أمرنا رسولنا صلوات الله وسلامه عليه بالانصدقهم فيها ولا نكذبهم ، وعقيدة وهب فيها كعقيدة المسلمين ، ما جاء على وفق شرعنا صدقه ، وما خالفه كذبه ، وما لم يوافق أو يخالف شرعنا رواه ، وتوقفت في تصديقه وتكذيبه ، ورد فيه العلم إلى الله عز وجل .

٢ - وأما قوله : (وإني أرجح تضعيف الفلاس لوهب على توثيق الجمهور له بل أنا أسوأ فيه ظناً على ما روي من كثرة عبادته الخ ..) .

فقد مر بنا أن البخاري ومسلم قد أخرجاه في صحيحهما ، ومر بنا أيضاً أن كل من أخرج له البخاري أو مسلم فهو ثقة ولا يقبل قول من جرحه ، وحينئذ لا يلتفت لتضعيف ابن الفلاس لوهب وبخاصة أنه لم يبين وجه التضعيف ؛ والمقرر في فن المصطلح أن التجريح لا يقبل إلا مع البيان ، وشبهة الفلاس التي ضعف لأجلها وهباً هو قوله بالقدر ، وقد ذكرنا أنه رجع عنه . فقد مر بنا قول الامام أحمد ، « وكان يتهم بشيء من القدر ثم رجع » ، وقال حماد بن سلمة عن أبي سنان ، « سمعت

وهب بن منبه يقول : (كنت أقول بالقدر حتى قرأت بضعة وسبعين كتاباً من كتب الأنبياء، في كلها : من جعل إلى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر فترك قولي ^(١)) . وقال الجوزجاني، كان وهب كتب كتاباً في القدر ثم حدث أنه ندم عليه ^(٢) . وقال ابن عينة عن عمرو بن دينار دخلت على وهب داره بصنعاء فأطعمني جوزاً من جوزة في داره . فقلت له : وددت أنك لم تكن كتبت في القدر ، فقال : أنا والله وددت ذلك ^(٣) .

فنلاحظ من هذه النصوص أنه لم يثبت على رأيه ، وعقيدته في القدر ، بل تركها بعد ما تبين له الحق وندم على ما كان منه بعد أن ظهر له الصواب ، وبعد رجوعه عن رأيه ، لا يصح أن نطعن عليه من هذه الناحية .

٣ - وأما اتهام الدكتور الدوري له بأنه لم يترفع عن الادعاء الكاذب ، واتهام الدكتور جواد علي بأنه لم يتورع عن التلقيق ، واتهامه لعلماء الحديث بأنهم جادوا على وهب وكعب وعبد الله بن سلام بنعوت كانوا يبخلون بها على أناس أوثق منهم وأصدق بمراتب ودرجات ، فالجواب عنه :

إن أئمة الحديث ونقادهم - رحمهم الله - كانوا يبينون أحوال الرواة وينقدونهم ويعدلونهم حسبة الله لا تأخذهم خشية أحد ، ولا تتملكهم عاطفة ، فليس أحد من أهل الحديث يجازي في الحديث أباه ولا أخاه ولا ولده ، فهذا زيد ابن أتبسة يقول : (لا تأخذوا عن أخي ^(٤)) ، وقال علي بن المديني لمن سألته عن أبيه : (سلوا عنه غيري فأعادوا المسألة ، فأطرق ، ثم رفع رأسه فقال : هو الدين ، إنه ضعيف ^(٥)) .

(١) انظر حُقبات ابن سعد « ٣٦٦:٥ » .

(٢) تهذيب التهذيب « ١٦٨:١١ » .

(٣) المرجع السابق .

(٤) صحيح مسلم شرح النووي « ١٢١:١ » .

(٥) الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي « ص ٦٦ » .

وكان أئمة الحديث يأمرّون طلابهم وإخوانهم أن يبينوا حال الراوي ،
والذي يكثر غلطه والمتمم في حديثه . قال عبد الرحمن بن مهدي : (سألت شعبة
وابن المبارك والثوري ومالك بن أنس عن الرجل يتهم بالكذب ، فقالوا :
انشروه فإنه دين ^(١)) .

وعن يحيى بن سعيد قال : (سألت سفيان الثوري وشعبة ومالكاً وابن
عينة عن الرجل لا يكون ثبتاً في الحديث ، فيأثني الرجل فيسألني عنه . وقالوا :
أخبر عنه أنه ليس بثبت ^(٢)) . وكان طلاب العلم يسألون الأئمة ويكتبون إليهم ليخبروهم
عن الرواة ، ومن ذلك ما رواه الامام مسلم بإسناده عن عبيد الله بن معاذ العنبري
عن أبيه قال : (كتبت إلى شعبة أسأله عن أبي شعبة ، قاضي واسط ، فكتب
إلي لا تكتب عنه ومزق كتابي .. ^(٣)) .

وعن أبي بكر بن خلاد قال : قلت ليحيى بن سعيد القطان أما تحشى أن
يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله تعالى ؟ قال : لأن يكون
هؤلاء خصمائي أحب إليّ من أن يكون خصمي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : « لم حدثت عني حديثاً ترى أنه كذب ؟ » ^(٤) .

وإذا فلم يكن هم علماء الحديث إلا توثيق من يعتقدونه ثقة مأموناً على
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتجريح من يرونه غير ثقة ولا مأمون ،
أما إنهم كانوا يوثقون ويضعفون للهوى أو لرغبة أو رهبة ، فذلك ما نعيذهم منه بعد
ما عرفناه عنهم من النصيحة لله ورسوله .

(١) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ، مخطوطة مصورة في معهد المخطوطات بالجامعة
العربية ص ١٢ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي « ٩٢:١ » .

(٣) المرجع السابق « ١١٠:١ » .

(٤) الكفاية في علم الرواية « ص ٤٤ » .

٤ - وأما اتهام أبي ربة عبد الله بن سلام ، وكعب الأحبار ، ووهب ابن منبه وغيرهم من مسلمة أهل الكتاب بأنهم كانوا (يبتشون في الدين الإسلامي أكاذيب وترهات ويزعمون مرة أنها في كتبهم ومن مكنون علمهم ، ويدعون أخرى أنها سمعوه عن النبي صلى الله عليه وسلم... الخ) ، فالجواب عنه : إن مارواه ووهب وغيره لم يسنده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يكذب فيه على أحد من المسلمين ، وإنما كان يرويه على أنه من الإسرائيليات ، ولسنا مكلفين بتصديقه ولا الإيمان به ، وربما يكون موضوعاً عليه . يقول الشيخ أحمد شاكر رحمه الله : (وبعض أهل عصرنا تكلم فيه - يقصد وهب بن منبه - عن جهل ، ينكرون أنه يروي الغرائب عن الكتب القديمة وما في هذا بأس ، إذ لم يكن ديناً ، ثم أنتى لنا أن نوقن بصحة ما روي عنه من ذلك وأنه هو الذي رواه وحدث به) .

موقف تابع التابعين من الإسرائيليات

ذكرنا أن رواية الإسرائيليات قد كثرت في عهد التابعين عما كانت عليه في عهد الصحابة -رضوان الله عليهم- وبيننا أسباب ذلك ، أما في عهد تابع التابعين فقد ازدادت رواية الإسرائيليات واستفحل خطرهما ، فقد ظهر جماعة من المفسرين القصاص توسعوا في الاستعانة بالمصادر اليهودية والنصرانية لتأويل بعض نصوص القرآن الكريم ، وتفصيل بعض مجملاته عن الأمم والرسل قبل الإسلام ، حتى لقد أصبح الرجوع إلى أهل الكتاب أصلاً معتمداً عندهم ، وقد شجعهم على التزيد في الأخبار التي يروونها عنهم ، تصديق العامة وأنسابهم لهم ، وإصغائهم إليهم كلما كان حديثهم غريباً خارجاً عن فطر العقول ، أو كان رقيقاً يحزن القلوب ، ويستفزr العيون^(١) . ومن هؤلاء مقاتل بن سليمان المتوفي ١٥٠ هـ والذي ذكر أبو حاتم بأنه

(١) انظر تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة « ص ٢٧٩ - ٢٨٠ » .

استقى علومه بالقرآن من اليهود والنصارى وجعلها موافقة لما في كتبهم (١) .

ويتبين لنا مدى خطر هؤلاء المفسرين القصاص من عبارة النظام التي قالها في صدد التحذير منهم والتي نقلها عنه الجاحظ في كتابه الحيوان . ونصها: (لا تسترسلوا إلى كثير من المفسرين ، وإن نصبوا أنفسهم للعامة وأجابوا في كل مسألة ؛ فإن كثيراً منهم يقول بغير رواية على غير أساس ، وكلما كان المفسر أغرب عندهم كان أحب إليهم ، وليكن عندكم عكرمة ، والكلي ، والسدي ، والضحاك ، ومقاتل بن سليمان ، وأبو بكر الأعم في سبيل واحدة ، فكيف أثق بتفسيرهم وأسكن إلى صوابهم (٢)) .

من أشهر برواية الاسرائيليات من تابع التابعين

وقد أشهر برواية الإسرائيليات جماعة من أتباع التابعين منهم :

١ — ابن جريج :

هو أبو خالد أو أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، وأصله رومي نصراني ، كان من علماء مكة ومحدثيهم ، وهو أول من صنف الكتب بالحجاز (٣) قال أحمد بن حنبل : كان من أوعية العلم . توفي سنة خمسين ومائة (٤) .

روى عن عطاء بن أبي رباح ، وزيد بن أسلم ، والزهري ، وطاوس ، وابن أبي مليكة ، وعطاء الخراساني ، وعمرو بن دينار وغيرهم . وروى عنه السفيانيان ومسلم بن خالد ، وابن علية ، ووكيعة ، وعبد الرزاق وغيرهم (٥) . وقد اختلفت

(١) وفیات الأعيان « ٥٦٨ : ٢ » .

(٢) الحيوان للجاحظ « ١ : ٣٤٣ - ٣٤٦ » .

(٣) تهذيب التهذيب « ٤٠٢ : ٦ - ٤٠٦ » .

(٤) تذكرة الحفاظ « ١٦٠ : ١ - ١٦١ » .

(٥) المصدران السابقان .

أنظار العلماء في توثيقه : فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه ؛ قال العجلي : مكى ثقة .
وقال ابن خراش : كان صدوقاً ، وقال يحيى بن سعيد : كان ابن جريج صدوقاً
فإذا قال : حدثني ، فهو سماع . وإذا قال : أخبرني ، فهو قراءة . وإذا قال :
قال : فهو شبه الريح .

وقال الدارقطني : تجنب تدليس ابن جريج فإنه قبيح التدليس لا يدلّس إلا
فيما سمعه من مجروح . وعن مالك قال : كان ابن جريج حاطب ليل . وذكره
ابن حبان في الثقات وقال : كان من فقهاء الحجاز وقرائهم ومتقنهم وكان يدلّس^(١) .

وذكر الخزرجي في خلاصته^(٢) أنه جمع عليه من أصحاب الكتب الستة ،
ولكن نرى أبارية يطعن في إسلامه فيقول في كتابه : (ومن كان يبث في الدين
الإسلامي مما يخفيه قلبه ابن جريج الرومي ، الذي مات سنة ١٥٠ هـ وكان
البخاري لا يوثقه ، وهو على حق في ذلك)^(٣) وهذا مخالف للواقع فإن ابن جريج
إمام جليل ومن أوعية العلم كما يقول الإمام أحمد ، وقد روى شيئاً من هذه
الإسرائيليات عن تقدمه ولاغضاضة في ذلك ، ولا أدري ما دليل أبي رية على أن
ابن جريج كان يبث في الدين الإسلامي مما يخفيه قلبه ، وهل شق عن قلبه ؟ ولا
أدري أيضاً من أين استقى كلامه الذي عزاه للبخاري بقوله : « وكان البخاري
لا يوثقه وهو على حق في ذلك » .

ويبدو أن كل من روى إسرائيليات فهو موضع تهمة في نظر أبي رية حتى
ولو كان صحابياً^(٤) . وكلمة الحق في ابن جريج أنه لم يقصد الصحة في كل ما جمع

(١) تهذيب التهذيب « ٤٠٤ : ٦ - ٤٠٦ » .

(٢) « ص ٢٠٧ » .

(٣) أضواء على السنة المحمدية « ص ١٤٨ » .

(٤) بينا فيما سبق أن أبا رية طعن في الصحابين الجليلين أبي هريرة وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

وروى من التفسير ، بل روى ما ذكر في كل آية من الصحيح والسقيم كما يقول صاحب الإتيان (١) .

وكان أحياناً لا يبالي من أين يأخذ ، فقد قيل : إنه كان حاطب ليل ، وهذا يستلزم أن يكون المفسر على حذر فيما يرويه عن ابن جريج في التفسير حتى لا يروي ضعيفاً أو يعتمد على سقيم . غير أن ذلك لا يستلزم المبالغة في إساءة الظن به إلى درجة اتهامه بالنفاق !!

٢ — الكلبي :

هو محمد بن السائب الكلبي الكوفي النسابة المفسر ، روى عن أخويه ، وعن عامر الشعبي ، والأصمغ بن نباتة ، وغيرهم . وروى عنه ابنه هشام ، والسفيانيان ، وحماد بن سلمة ، وابن المبارك ، وابن جريج ، وابن إسحق ، وأبو معاوية ، ومحمد بن مروان السدي الصغير ، وغيرهم .

توفي سنة ست وأربعين ومائة .

وقد طعن فيه عدد من العلماء . قال معتمر بن سليمان عن أبيه : كان بالكوفة كذابان : أحدهما الكلبي ، وعنه قال : قال الليث بن أبي سليم : كان بالكوفة كذابان ، أحدهما الكلبي ، والآخر السدي ، وقال البخاري : تركه يحيى وابن مهدي ، وعن يحيى بن معين أنه قال : ليس بشيء . وقال الثوري : عجبا لمن يروي عن الكلبي . وقال أبو عاصم عن سفیان الثوري أنه قال : قال الكلبي : ما حدثت به عن أبي صالح عن ابن عباس فهو كذب فلا ترووه .

وقال يزيد بن هارون : كبر الكلبي وغلب عليه النسيان .

وقال أبو حاتم : الناس مجمعون على ترك حديثه ، هو ذاهب الحديث

(١) الإتيان « ١٨٨ : ٢ » .

لا يشتغل به ، وقال النسائي : ليس بثقة ولا يكتب حديثه . وقال علي بن الجنيد والحاكم وأبو أحمد والداقطني : متروك . وقال الجوزجاني : كذاب ساقط ، وقال ابن حبان : وضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه ؛ روى عن أبي صالح التفسير ، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس ؛ لا يحل الاحتجاج به وقال الساجي : متروك الحديث وكان ضعيفاً جداً لفرطه في التشيع ^(١) .

وقال صاحب الاتقان - عند كلامه عن طرق الرواية عن ابن عباس - وأوهى طرقه طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، فإذا انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدي الصغير فهي سلسلة الكذب ^(٢) .

لذلك فقد تجنب الطبري في تفسيره النقل عن الكلبي ومقاتل ؛ لأنها متهان ^(٣) كما تجنب النقل عنه كثير من المفسرين .

٣ - ابن اسحاق :

هو محمد بن إسحق بن يسار بن خيار - ويقال : كومان - المدني ، أبوبكر ، - ويقال أبو عبد الله - المظلي ، مولاهم ، نزيل العراق .

روى عن أبيه وعمه ، والزهرى ، ومكحول ، وإبراهيم بن عتبة ، وحيد الطويل ، وأبي الزناد ، وغيرهم . وروى عنه : يحيى بن سعيد ، وإبراهيم بن سعد ، والحمدان ، والسفيان ، وغيرهم ، مات سنة ١٥١ هـ ^(٤) .

ومع كونه عمدة في المغازي ، فقد وثقه قوم ورواه آخرون ، وأخذوا عليه

(١) تهذيب التهذيب « ١٧٨: ٩ - ١٨٠ » .

(٢) الاتقان « ١٨٩: ٢ » .

(٣) فتاوى ابن تيمية « ١٩٢: ٢ » .

(٤) تهذيب التهذيب « ٣٨: ٩ - ٤٤ » .

أنه روى في السيرة أشياء كثيرة منكورة منقطعة، وكان يحدث عن أهل الكتاب . قال أحمد بن حنبل : كان ابن إسحق يدلس ، وقال أبو عبد الله : قدم ابن إسحق ببغداد فكان لا يبالي بمن يحكي عن الكلبي وغيره . وقال عبد الله بن أحمد : ما رأيت أبي أتقن حديثه قط ، وقيل له : يحجج به ؟ قال : لم يكن يحجج به في السنن ، وعن ابن معين قال : محمد بن إسحق ثقة وليس بحجة . وقال النسائي : ليس بالقوي ، وقال ابن المديني : ثقة لم يضعه عندي إلا زوايته عن أهل الكتاب^(١) . وقد رجع ابن إسحق إلى علماء أهل الكتاب مثل وهب بن منبه وغيره حين يريد أخباراً عن الحوادث اليهودية أو المسيحية ، فقد جاء في أقواله التي نقلها عنه الطبري ما يلي : (وعن بعض أهل العلم من أهل الكتاب الأول)^(٢) (ويزعم أهل التوراة)^(٣) وقد نقل ابن إسحق نصوصاً من التوراة^(٤) وجدناها في تفسير الطبري وتاريخه ، كما وجدنا نقولاً كثيرة عنه وبخاصة ماله علاقة بأنبياء بني إسرائيل . ونكتفي هنا بسوق مثال واحد :

روى ابن جرير في تفسيره عند قوله تعالى : (إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض) قال : حدثنا محمد بن إسحق ، قال : حدثني بغض من يسوق أحاديث الأعاجم من أهل الكتاب ، عن قدامس بن تارثوا علم ذي القرنين ، أن ذا القرنين كان رجلاً من أهل مصر اسمه مرزبان مرديّة اليوناني من ولد يونن بن يافث بن نوح .. الخ^(٥) . فهذا السند يعطينا فكرة واضحة عن مبلغ رجوعه فيما يروي عن أهل الكتاب وعن عدم اهتمامه بكون من روى عنه ثقة أو غير ثقة . فيكتفي بكون من روى عنه بعض من أسلم من أهل الكتاب ولكن من هو ؟ وما مبلغ أمانته وصدقه ؟ فذلك ما يسكت عنه ابن إسحق ولا يعرض له بالمرة .

(١) تهذيب التهذيب .

(٢) تفسير الطبري « ١٨٢ : ١٠ ، ٢٢٨ » طبعة بولاق .

(٣) المرجع السابق « ١٢ : ٢٣ » .

(٤) انظر تفسير الطبري « ١١٦ : ١٠ » .

(٥) تفسير الطبري « ١١٤ : ١٦ » .

الإسرائيليات في دور التدين

ثم جاء بعد عصر تابع التابعين من عظم شغفه بالإسرائيليات وأفرط في الأخذ منها؛ إلى درجة جعلتهم لا يردون قولاً، ولا يجمعون عن أن يلصقوا بالقرآن كل ما يروى لهم وإن كان لا يتصوره العقل، واستمر هذا الشغف بالإسرائيليات والولع بنقل هذه الأخبار التي أصبح الكثير منها نوعاً من الخرافة إلى أن جاء دور التدوين لل تفسير، فوجد من المفسرين من حشوا كتبهم بهذا القصص الإسرائيلى الذي كاد يصد الناس عن النظر فيها والركون إليها^(١).

وبما ساعد على كثرة تسرب الإسرائيليات إلى كتب التفسير وغيرها ترجمة التوراة وشروحا. فقد ذكر صاحب الفهرست^(٢). أن أحمد بن عبد الله بن سلام ترجم التوراة ترجمة دقيقة؛ وبذلك قدم هذا الرجل وغيره للمفسرين مادة خصبة جديدة من الإسرائيليات يضيفونها إلى تفسير القرآن الكريم، ومن ثم توسع المفسرون والمؤرخون في الاستعانة بهذه الترجمات في تصوير أخبار ما قبل البعثة، وكانوا أحياناً يتزيدون في هذه الأخبار وذلك كلما استبد بالمفسر الميل إلى الإغراب والتقصي لجزئيات الحوادث، وقد جبرأهم على ذلك ضعف ملكة النقد عند معاصريهم.

ولقد وجدنا لهذه الإسرائيليات أثراً واضحاً في كثير من العلوم التي دونت منها: التفسير والحديث والتاريخ، ولما كان التفسير يستمد كثيراً من هذه العلوم الثلاثة، وله صلة بها؛ نرى أن نعرض للإسرائيليات فيها باختصار ثم نعرض بعد ذلك بتوسع لأثر الإسرائيليات في كتب التفسير لأنه من صلب موضوع بحثنا.

(١) التفسير والمفسرون « ١٧٦: ١ - ١٧٧ » .

(٢) الفهرست لابن النديم « ص ٣٢ » .

الاسرائيليات في الحديث

إذا تتبعنا كتب السنة وجدنا فيها كثيراً من أخبار بني إسرائيل مروياً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسانيد صحيحة ، منها : ما يكون تفسيراً لما ورد في القرآن الكريم ، كالأحاديث الواردة في تفسير قوله تعالى في الآية ٥٨ من سورة البقرة : (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين) فقد روى البخاري في صحيحه في كتاب التفسير عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة ، فدخلوا يزحفون على أستاههم فبدلوا وقالوا: حبة في شعرة) . ومنها ما خرج مخرج القصص والأمثال والمواعظ بقصد الترغيب والترهيب ؛ ومن ذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه^(١) عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كان ملك فيمن كان قبلكم . وكان له ساحر ، فلما كبر قال للملك : إني قد كبرت ، فابعث إلي غلاماً أعلمه السحر ، فبعث إليه غلاماً يعلمه ، فكان في طريقه إذا سلك راهب ، فقعده إليه وسمع كلامه فأعجبه . فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه ، فإذا أتى الساحر ضربه . فشكا ذلك إلى الراهب ، فقال : إذا خشيت الساحر فقل : حبسني أهلي . وإذا خشيت أهلك فقل : حبسني الساحر . فبينما هو كذلك أذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال : اليوم أعلم ، الساحر أفضل أم الراهب أفضل ؟ فأخذ حجرأ فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة

(١) كتاب الزهد والرفائق . باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب

والغلام » ٢٢٩٩:٤ .

حتى يمضي الناس ، فرماها فقتلها ، ومضى الناس ، فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب : أي بني ، أنت اليوم أفضل مني ، قد بلغ من أمرك ما أرى ، وإنك ستبتلى ، فإن ابتليت فلا تدل علي ، وكان الغلام يبرئ الأكمه ^(١) . والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء . فسمع جليس للملك كان قد عمي ، فأتاه بهدايا كثيرة ، فقال : ماها هنا لك أجمع إن أنت شفيتني ، فقال : إني لا أسفي أحداً . إنما يشفي الله ، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك ، فآمن بالله فشفاه الله ، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس ، فقال له الملك : من رد عليك بصرك ؟ قال : ربي ، قال : ولك رب غيري ؟ قال : ربي وربك الله ، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام . فجيء بالغلام فقال له الملك : أي بني ، قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل !! فقال : إني لا أسفي أحداً ، إنما يشفي الله ، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب ، فجيء بالراهب ، فقيل له : ارجع عن دينك ، فأبى ، فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ، ثم جيء بجليس للملك ، فقيل له ارجع عن دينك فأبى ، فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه . ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى . فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا . فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته ، فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه ، فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت ، فرجف بهم الجبل فسقطوا ، وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك : ما فعل أصحابك قال : كفانيهم الله ، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به فاحملوه في قرقور ^(٢) فتوسطوا به البحر ، فإن رجع عن دينه وإلا فاقدفوه ، فذهبوا به . فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت ، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ، فجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ قال : كفانيهم الله . فقال : للملك : إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به . قال : وما هو ؟ قال : تجمع الناس

(١) الأكمه : الذي خلق أعمى .

(٢) القرقور : السفينة الصغيرة .

في صعيد واحد وتصلبني على جذع . ثم خذ سهماً من كنانتي . ثم ضع السهم في كبد القوس . ثم قل : باسم الله ، رب الغلام ، ثم ارمني ، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني ، فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ، ثم أخذ سهماً من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال : باسم الله رب الغلام ، ثم رماه . فوقع السهم في صدغه ، فوضع يده في صدغه في موضع السهم . فمات ، فقال الناس : آمنا برب الغلام ، آمنا برب الغلام ، آمنا برب الغلام ، فأني الملك فقيل له : رأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرنا قد آمن الناس ، فأمر بالآخوذ في أفواه السكك ، فخذت وأضرم النيران وقال : من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها^(٢) أو قيل له : اقتحم . ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها . فتقاعست أن تقع فيها ، فقال لها الغلام : يأمه ! اصبري فإنك على الحق .

ومن ذلك أيضاً قصة الأقرع والأبرص والأعمى^(٣) وحديث جريج العابد، والثلاثة الذين التجأوا إلى الغار^(٤) ، وغير ذلك من أحاديث بني إسرائيل .

وهذه الأخبار الإسرائيلية التي حدث بها رسول الله ﷺ لغرض العظة والعبرة صحيحة مقبولة - كما قلنا - ، ولكننا وجدنا في الحديث كما وجدنا في التفسير أخباراً إسرائيلية كثيرة منسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد دسها في الحديث - في الأعم الأغلب - طائفتان هما : - الزنادقة والقصاص ، فقد وجدت هاتان الطائفتان في مرويات أهل الكتاب وأساطير القدماء مادة خصبة ، فاستمدوا من هذين المصدرين ماشوهوا به وجه الاسلام .

١ - ومن أمثلة مادسه الزنادقة على الاسلام :

أ - ماروي من أنه قيل : يا رسول الله ، مم ربنا ؟ قال : من ماء مرور لامن

(٢) ارموه فيها .

(٣) ، (٤) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل

« ٢٠٨ : ٤ - ٢١٠ » .

أرض ولا سماء ، خلق خيلاً فأجراها فعرقت ، فخلق نفسه من ذلك العرق ^(١) .
ب -- ومنها حديث : « إن الدنيا سبعة آلاف سنة ، بعثت في آخرها » .
وقد أوردته ابن الجوزي في الموضوعات وقال ابن الأثير : ألفاظه مصنوعة ^(٢) .

وقد ضعف الشيخ رشيد رضا رحمه الله الروايات الواردة في عمر الدنيا ،
ونقدها بقوله : (وما جاء في الآثار من أن عمر الدنيا سبعة آلاف
سنة مأخوذ من الإسرائيليات التي كان يبيها زنادقة اليهود والفرس في
المسلمين حتى رووه مرفوعاً ، وقد اغتربها من لا ينظرون في نقد الروايات إلا من
جهة أسانيدها ، حتى استنبط بعضهم منها ما بقي من عمر الدنيا . وللجلال السيوطي
رسالة في ذلك هدمها عليه الزمان ، كما هدم أمثالها من التخرصات والأوهام ، وما بث
في الإسرائيليات من الكيد للإسلام . قال السيد الآلوسي : وإنما أخفى سبحانه
أمر الساعة لاقتضاء الحكمة التشريعية ذلك ، فإنه أدعى إلى الطاعة والزجر عن
المعصية ، كما أن إخفاء الأجل الخاص للإنسان كذلك ^(٣) .

ج -- ومنها ما أخرجه ابن أبي حاتم والحاكم - وصححه - عن ابن عمر
مرفوعاً : إن بين كل أرض والتي تليها خمسمائة عام ، والعليا منها على ظهر حوت قد
التقى طرفاه في السماء ، والحوت على صخرة ، والصخرة بيد ملك ، والثانية سجن
الريح ، والثالثة فيها حجارة جهنم ، والرابعة فيها كبريتها ، والخامسة فيها حياتها ،
والسادسة فيها عقاربها والسابعة ، وفيها إبليس مصفد بالحديد ، يد أمامه ويد
خلفه ، يطلقه الله تعالى لمن يشاء أه .. وقد علق الآلوسي على هذا الحديث
بقوله : (وهو حديث منكر - كما قال الذهبي - لا يعول عليه أصلاً فلا تغتر
بتصحيح الحاكم ، ومثله في ذلك أخبار كثيرة في هذا الباب ولولا خوف الملل
لذكرناها لك) ^(٤) .

(١) تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعات لابن عراق « ١٣٤ : ١ »

(٢) نقلًا عن تفسير المنار « ٤٣٦ : ٩ » .

(٣) تفسير المنار « ٤٣٢ : ٩ » .

(٤) تفسير الآلوسي « ١٤٣ : ٢٨ » .

٢ - ومن أمثلة ما دسه القصاصون على الاسلام :

أ - أن في الجنة شجرة يخرج من أعلاها الخلل ، ومن أسفلها خيل بلق من ذهب مسرجة ملجمة بالدر والياقوت لا تروث ولا تبول ، ذوات أجنحة ، فيجلس عليها أولياء الله فتطير بهم حيث شاؤوا^(١) .

ب - وكان بعض هؤلاء القصاص شحاذين يضعون من الحديث ما يرغبون به الناس في الاحسان إليهم والعطف عليهم ، من هذا ما رواه السيوطي في كتابه (تحذير الخواص من أكاذيب القصاص) ص ٨ ؛ وما بعدها ، عن جعفر بن محمد الطيالسي قال : (صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين في مسجد الرصافة ، فقام بين أيديهم قاص ، فقال : حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، قالا : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قال لا إله إلا الله خلق الله من كل كلمة طيراً متقاربه من ذهب وريشه من مرجان ... وأخذني قصة نحواً من عشرين ورقة ، فجعل أحمد بن حنبل ينظر إلى يحيى بن معين ، وجعل يحيى بن معين ينظر إلى أحمد ، فقال له : أنت حدثته بهذا ؟ فقال : والله ما سمعت بهذا إلا الساعة ، فلما فرغ من قصصه وأخذ العطيات ثم قعد ينتظر بقيتها ، قال له يحيى بن معين بيده : تعال ، فجاء متوهاً لنوال ، فقال له يحيى : من حدثك بهذا الحديث ؟ فقال : أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، فقال له : أنا يحيى بن معين وهذا أحمد بن حنبل ، ما سمعنا بهذا قط في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن كان ولا بد والكذب فعلى غيرنا . فقال له : أنت يحيى بن معين ؟ قال : نعم ، قال : لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحق ، ما حققته إلا الساعة ، فقال له يحيى : وكيف علمت أني أحق ؟ قال : كأن ليس في الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما . وقد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين !! فوضع أحمد كفه على وجهه ، وقال : دعه يقوم ، فقام كالمستهزئ بهما أه .

(١) تنزيه الشريعة المرفوعة « ٣٧٨:٢ » .

ج - ولقد بالغ بعض القصاصين فيما يقصونه على الناس، حتى خرجوا بذلك عن حد الشرع والعقل الأمر الذي أفرع عقلاء المسلمين ، فهذا قاص يحدث بقصة داود وأوريا، فيبلغ ذلك سيدنا علياً كرم الله وجهه، فيقول : (من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلده مائة وستين جلدة ، وذلك حد القرية على الأنبياء) (١) .

وقد بين ابن قتيبة الوجوه التي يدخل فيها الفساد على الحديث بقوله:
والحديث يدخله الفساد من وجوه ثلاثة :

الوجه الأول : الزنادقة واحتياهم للإسلام (٢) ، وتهجينه بدس الأحاديث المستشعة والمستحيلة ، كالأحاديث التي قدمنا ذكرها من عرق الحبل ، وعبادة الملائكة ، وقصص الذهب على جبل أورك ، وزغب الصدر ، ونور الذراعين (٣) مع أشياء كثيرة ليست تخفى على أهل الحديث .

والوجه الثاني : القصاص على قديم الأيام ، فإنهم يميلون وجوه العوام إليهم ويستدرون ما عندهم بالمناكير والغريب والأكاذيب من الأحاديث ، ومن شأن العوام القعود عند القاص ما كان حديثه عجباً خارجاً عن فطر العقول ، أو كان رقيقاً يحزن القلوب، ويستفز العيون. فإذا ذكر الجنة قال: فيها الحوراء من مسك أو زعفران ، وعجيزتها ميل في ميل ، ويوىء الله تعالى وليه قصراً من لؤلؤة بيضاء فيه سبعون ألف مقصورة ، في كل مقصورة سبعون ألف قبة ، في كل قبة سبعون ألف فراش على كل فراش سبعون ألف كذا وكذا؛ فلا يزال في سبعين ألف كذا وسبعين ألف كذا ، كأنه يرى أنه لا يجوز أن يكون العدد فوق السبعين ألفاً ولادونها، ويقول : لأصغر من في الجنة منزلة عند الله من يعطيه الله تعالى مثل الدنيا كذا وكذا ضعفاً . وكلما كان هذا أكثر كان العجب أكثر والقعود عنده

(١) تفسير النسفي « ٢٩٠:٤ - ٣٠ » .

(٢) تحويلهم له عن قصده .

(٣) والقصص التي أشار إليها ذكرها في مقدمة كتابه بتمامها ويمكن الرجوع إليها

أطول والأيدي بالعتاء إليه أسرع . والله تبارك وتعالى يخبرنا في كتابه بما في جنته بما فيه مقنع عن أخبار القصص وسائر الخلق إلى أن قال : ثم يذكر آدم عليه السلام . ويصفه فيقول : كان رأسه يبلغ السحاب أو السماء ويحيا كسها ، فاعتراه لذلك الصلع ، ولما هبط على الأرض بكى على الجنة حتى بلغت دموعه البحر وجرت فيها السفن . ويذكر داود عليه السلام فيقول : سجد لله تعالى أربعين ليلة وبكى حتى نبت العشب بدموع عينيه ، ثم زفر زفرة هاج^(١) له ذلك النبات . ويذكر عصا موسى عليه السلام فيقول : كان ناهيا كخنخة سحق وعينها كالبرق الخاطف وعرفها كذا ، ثم قال : ويذكر عباداً أتاهم يونس عليه السلام في جبل لبنان فيخبرهم عن الرجل أنه كان يركع ركعة في سنة ويسجد نحو ذلك ، ولا يأكل إلا في كذا وكذا من الزمان .. الخ^(٢) .

الوجه الثالث : وإذا كان هؤلاء الزنادقة والقصاص قد روجوا لما رووه من الاسرائيليات بنسبتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك عن خبت نية منهم ؛ فإن بعض علماء المسلمين قد وقع في مثل هذا حيث رفعوا ما هو موقوف على الصحابة أو التابعين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك عن غفلة منهم . يقول الشيخ رشيد رضا : (كان الرواة ينقلون عن الصحابي أو التابعي ما مصدره هذه الاسرائيليات من غريبان ؛ فيغتر به بعض الناس فيظنون أنه لا بد أن يكون له أصل مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنه لا يعرف بالرأي ، فيعدونه من الموقوف الذي له حكم المرفوع)^(٣) .

والخطأ الذي يقع في الحديث يكون على وجوه مختلفة منها :

١ - رفع ما هو موقوف على الصحابة بما أخذوه عن أهل الكتاب ،
وكان هذا يقع كثيراً لبعض الرواة ، يقول بشر بن سعيد : (اتقوا الله وتحفظوا من

(١) هاج : يبس .

(٢) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة « ص ٢٧٩ - ٢٨٤ » .

(٣) تفسير المنار « ٣٥٦ : ٨ » .

الحديث ، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة ، فيحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحدثنا عن كعب الأبحار ثم يقوم ، فاسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كعب ، وحديث كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاتقوا الله وتحفظوا في الحديث (١) .

ومن أمثلة ذلك :

أ - روى الإمام أحمد في مسنده قال : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا عمر بن إبراهيم ، حدثنا قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لما ولدت حواء طاف بها إبليس ، وكان لا يعيش لها ولد ، فقال : سمي به عبد الحارث فإنه يعيش ، فسمته عبد الحارث ، فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره) أ هـ . وهذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه :

أحدها : أن عمر بن إبراهيم هذا قد وثقه ابن معين ولكن قال أبو حاتم الرازي : لا يحتج به .

ثانيها : أنه قد روي من قول سمرة نفسه وليس مرفوعاً كما روى ابن جرير عن سمرة بن جندب ، قال : سمى آدم ابنه عبد الحارث .

ثالثها : أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا ، فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعاً لما عدل عنه : روى ابن جرير عن الحسن : (جعل له شركاء فيما آتاهما) قال : كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم . وقال الحسن : عني بها ذرية آدم ومن أشرك منهم بعده ، يعني (جعل له شركاء فيما آتاهما) وكانت الحسن يقول : هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولاداً فهودوا ونصروا أ هـ . وهذا هو التفسير الصحيح للآية ؛ لأنه لا يعقل أن يفسر الرسول صلى الله عليه وسلم الآية بما

(١) البداية والنهاية لابن كثير « ٨ : ١٠٩ » ونحوه في سير أعلام النبلاء

نسب إليه ، لما يؤدي إليه من الطعن على آدم وزوجه ورميها بالشرك ، ويظهر أنه من جملة الإسرائيليات التي دخلت علينا في ديننا .

وقد علق ابن كثير على تفسير الحسن للآية بقوله : (أسانيدنا صحيحة عن الحسن : أنه فسر الآية بذلك ؛ وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية ، ولو كان هذا الحديث — يقصد حديث سمرة — عنده محفوظاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عدل هو ولا غيره عنه ، ولا سيما مع تقواه وورعه ، فهذا يدل على أنه موقوف على الصحابي . ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم مثل كعب أو وهب بن منبه وغيرهما كما سيأتي بيانه إن شاء الله إلا أننا برئنا من عهدة المرفوع والله أعلم) (١) .

ب - وروى ابن جرير عن عبد الله بن عمرو قال : نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشمس حين غابت فقال : (في نار الله الحامية لولا مايزعها من أمر الله لأحرقت ما على الأرض) ورواه الامام أحمد في مسنده أيضاً (٢) .

وقد علق ابن كثير على هذا الحديث بقوله : (وفي صحة رفع هذا الحديث نظر ولعله ، من كلام عبد الله بن عمرو من زاملتيه اللتين وجدتهما يوم اليرموك (٣)) .

ج - وروى الامام أحمد عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم ؛ حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم : ارجعوا فستحفرونه غداً ، فيعودون إليه كأشد ما كان ، حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا ، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذين عليهم : ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله ،

(١) تفسير ابن كثير « ٢ : ٢٧٤ - ٢٧٥ » وانظر البداية والنهاية « ١ : ٩٦٠ » .

(٢) المسند - مسند عبد الله بن عمرو « ١١ : ١٥٩ » وقد علق عليه الشيخ أحمد شاكر بقوله : إسناده ضعيف لجهالة مولى عبد الله بن عمرو راويه .

(٣) تفسير ابن كثير « ٣ : ١٠٢ » .

فيستثني فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه ... الخ) وعلق ابن كثير على الحديث بقوله : (ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب فإنه كان كثيراً ما كان يجالسه ، ويحدثه ، فحدث به أبو هريرة ، فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع فرفعه) (١) .

٢ - ومن وجوه الخطأ في الحديث رفع ما هو موقوف على التابعي ومثاله :

أ - مارواه محمد بن إسحاق عن الزهري عن سعيد بن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (وكان مثل بلعم بن باعوراء في بني إسرائيل كمثل أمية بن أبي الصلت في هذه الأمة) وعلق ابن عساكر على الحديث بقوله : (والحديث موقوف على ابن المسيب) (٢)

ب - ومارواه ابن جرير في تفسيره قال : حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل قال : هشام بن يوسف ، عن أمية بن شبل ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن أبي هريرة ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن موسى صلى الله عليه وسلم على المنبر ، قال : وقع في نفس موسى هل ينام الله تعالى ذكره ، فأرسل الله إليه ملكاً فأرقه ثلاثاً ثم أعطاه قارورتين وأمره أن يحتفظ بهما . قال : فجعل ينام وتكايداه تلتقيان ، ثم يستيقظ فيحبس إحداهما عن الأخرى ، ثم نام نومة فاصدمت يداه وانكسرت القارورتان ، قال : ضرب الله مثلاً ؛ إن الله لو كان ينام لم تستمسك السماء والأرض (٣) .

وعلق ابن كثير على هذا بقوله : (وهذا حديث غريب رفعه ، والأشبه أن يكون موقوفاً وأن يكون أصله إسرائيلياً) (٤) .

(١) تفسير ابن كثير « ١٠٤: ٣ - ١٠٥ » .

(٢) تفسير المنار « ٣٨٣: ٩ » .

(٣) تفسير الطبري « ٦: ٣ » .

(٤) البداية والنهاية لابن كثير « ٢٩٣: ١ » .

الاسرائيليات في كتب التاريخ

وقد اشتملت بعض كتب التاريخ والسير وما شاكلها على موضوعات وروايات اسرائيلية مكذوبة ؛ يظنها من يغتر بها أنها من الروايات الاسلامية . وليست منها في شيء ، والأخباريون والمؤرخون ، من شأنهم التساهل في إيراد الأحاديث ، ولا يدققون تدقيق المحدثين ، وبخاصة فيما يتعلق ببدء الخلق ، وأسرار الوجود ؛ وأحوال الأمم السابقة، والملاحم ، والفتن المنتظرة ؛ يقول ابن جرير ، في مقدمة تاريخه : (... فما كان في كتابي هذا ، مما يستنكره قارئه ، أو سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ، ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم أنه لم يؤت ذلك من قبلنا ، وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا ، وإنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا)^(١) وقال الإمام أحمد : (... ثلاثة كتب ليس لها أصل ، التفسير ، والملاحم ، والمغازي) وقد نقد المحدثون من تصدوا للتاريخ والأخبار ، ودينوا منزلتهم في الحديث^(٢) . ومن أمثلة ما ذكره المؤرخون بما لا صحة له :

(١) تاريخ الطبري « ١ : ٧ - ٨ » .

(٢) فمن رجال كتب السير في الشرق محمد بن إسحق ، ومع كونه عمدة في المغازي ، فقد وثقه قوم ، ووهاه آخرون ، وأخذوا عليه أنه روى في السير أشياء كثيرة منكورة ، منقطعة ، وكان يحدث عن أهل الكتاب . وراويته زياد البكائي ، يختلف فيه ، ضعفه النسائي وتركه ابن المديني وقال أبو حاتم : لا يحتج به . وراويته الآخر سلمة بن الفضل الرازي يختلف فيه ، يقول أبو حاتم عنه أيضاً : لا يحتج به ، ورواية سلمة هذا هو محمد بن حميد الرازي ، يختلف فيه ، وقد كذبه كثيرون أشنع تكذيب . وبطريقه يسوق ابن جرير الطبري روايات ابن إسحق . ومنهم هشام بن محمد الكلبي وأبوه ، وهما معروفان بالكذب . ومنهم محمد بن عمرو الوافدي ، وقد كذبه أناس ، =

١ - ما ذكره الثعلبي في الباب الأول في بدء خلق الأرض و كيفيتها من كتاب (قصص الأنبياء) قال ما نصه : (إن الله تعالى لما أراد أن يخلق السموات والأرض خلق جوهره خضراء أضعاف طباق السموات والأرض ، ثم نظر إليها نظرة هبية فصارت ماء ثم نظر إلى الماء ، فغلي وارتفع منه زبد ودخان ، وبخار ، وأرعد من خشية الله ، فمن ذلك اليوم يُرعد إلى يوم القيامة) .

ثم قال : (ثم بعث الله تعالى من تحت العرش ملكاً ، فهبط إلى الأرض حتى دخل تحت الأرضين السبع ، فوضعها على عاتقه ، إحدى يديه في المشرق ، والأخرى في المغرب ، باسطين ، قابضتين ، على قرار الأرضين السبع ، حتى ضبطها ، فلم يكن لقدميه موضع قرار ، فأهبط الله تعالى من أعلى الفردوس ثوراً له سبعون ألف قرن ، وأربعون ألف قائمة ، وجعل قرار قدمي الملك على سنامه فلم تستقر قدماه ، فأحضر الله ياقوته خضراء من أعلى درجة من الفردوس ، غلظها مسيرة خمسمائة عام ، فوضعها بين سنام الثور إلى أذنه ، فاستقرت عليها قدماه ، وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الأرض وهي كالحسكة تحت العرش ، ومنخر ذلك الثور في البحر فهو يتنفس كل يوم نفساً ، فإذا تنفس مد البحر ،

= بل جعله النسائي من كبار الكذابين ، والذين وثقوه أخذوا عليه أن في روايته كثيراً من الأخبار الكاذبة ، حيث كان يروي عن كل من هب ودب ، والخبر لا يسلم ما لم يسلم سنده . ومنهم سيف بن عمر التميمي ، صاحب كتاب (الردة والفتوح) ويقول عنه أبو حاتم : متروك الحديث يشبه حديثه حديث الواقدي . وقال الحاكم : اتهم بالزندقة وهو في الرواية ساقط . وقال ابن حبان : قالوا إنه كان يضع الحديث ، يروي الموضوعات عن الأثبات ، اتهم بالزندقة ، وضعفه غير واحد ، وروايته شعيب بن إبراهيم يقول عنه الذهبي : فيه جهالة ، ويقول ابن عدي : ليس بالمعروف ، وله أحاديث وأخبار فيها ما فيه تحامل على السلف . أه . والراوي عنه السري بن يحيى غير موثق ، وهو شيخ ابن جرير في رواياته عن سيف . وأما من فوق سيف من الرجال فجاهيل في الغالب . ومنهم موسى بن عقبة ، وقد أثبتوا عليه خيراً ، إلا أن رواياته عن ابن شهاب وقد ذكر الاسماعيلي أنه لم يسمع منه شيئاً ، وابن شهاب تغلب عليه المراسيل في باب المغازي والسير . ومراسيله شبه الريح عند أهل النقد . (مقالات الكوثري ص ٤٥٦ - ٤٥٧) .

وإذا رد نفسه جزر ، ولم يكن لقوائم الثور موضع قرار ، فخلق الله تعالى صخرة خضراء ، غلظها كغلظ سبع سموات وسبع أرضين ، فاستقرت قوائم الثور عليها .. الخ)^(١) ثم قال : (قال كعب الأحبار : إن إبليس تغلغل إلى الحوت الذي على ظهره الأرض ، فوسوس إليه ، وقال له : أتدري ما على ظهرك يا لوتيا من الأمم والدواب والشجر والجبال وغيرها ، لو نقضتها أو ألقيتها عن ظهرك أجمع لكان ذلك أريح لك . قال : فهم لوتيا أن يفعل ذلك ، فبعث الله تعالى إليه دابة فدخلت في منخره فوصلت إلى دماغه^(٢)) .

٢ - وما ذكره ابن جرير الطبري في تاريخه عن عائشة رضي الله عنها ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (.. كان نوح مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً . يدعوهم إلى الله عز وجل ؛ حتى كان آخر زمانه ، غرس شجرة فعظمت وذهبت كل مذهب ، ثم قطعها ، ثم جعل يعمل سفينة ، فيمرون فيسألونه فيقول : أعملها سفينة ، فيسخرون منه ، ويقولون : تعمل سفينة في البر فكيف تجري ؟ فيقول : سوف تعلمون ، فلما فرغ منها ، وفار التور ، وكثر الماء في السكك ، خشيت أم الصبي عليه ، وكانت تحبه حباً شديداً ، فخرجت إلى الجبل حتى بلغت ثلثه ، فلما بلغها الماء خرجت حتى بلغت ثلثي الجبل ، فلما بلغها الماء خرجت حتى استوت على الجبل ، فلما بلغ الماء رقبتها رفعت يديها حتى ذهب به الماء ، فلو رحم الله منهم أحداً لرحم أم الصبي)^(٣) وقد علق ابن كثير على هذا الحديث بقوله : (.. وهذا حديث غريب وقد روي عن كعب الأحبار وأخرى بهذا الحديث أن يكون موقوفاً متلقىً عن مثل كعب الأحبار)^(٤) وروى ابن جرير أيضاً عن

(١) قصص الأنبياء « ص ٤ » ، وانظر الأساطير العربية قبل الإسلام للدكتور محمد عبد المعيد خان « ص ١٥٠ » وما بعدها .

(٢) قصص الأنبياء « ص ٥ » وانظر الأساطير العربية قبل الإسلام « ص ١٥٢ » .

(٣) تاريخ الطبري « ١ : ١٨٠ » .

(٤) البداية والنهاية لابن كثير « ١ : ١١٣ - ١١٤ » .

وهب بن منبه، قال : (ثم نبي فيهم - يعني في بني إسرائيل - بعده - يعني بعد إلياس - اليسع ، فكان فيهم ماشاء الله أن يكون ، ثم قبضه الله إليه ، وخلفت فيهم الحلوفا ، وعظمت فيهم الخطايا وعندهم التابوت يتوارثونه كبراً عن كبر ، فيه السكينة . وبقية بما ترك آل موسى وآل هارون ، فكان لا يلقاهم عدو ، فيقدمون التابوت ، ويزحفون به معهم إلاهزم الله ذلك العدو ، والسكينة - فيما ذكر ابن إسحق ، عن وهب بن منبه ، عن بعض أهل العلم من بني إسرائيل - رأس هرة ميتة ، فإذا صرخت في التابوت بصراخ هر أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح ^(١)) .

٣ - وروى ابن الأثير في الكامل - عند ذكر الطوفان - عن مجاهد والشعبي ، قالا : (كان التنور بأرض الكوفة ، وأخبرته زوجته - يعني زوجة نوح عليه السلام - بفروران الماء من التنور . وأمر الله جبرائيل فرفع الكعبة إلى السماء الرابعة . وكان آخر من دخل السفينة الحمار ، فلما دخل صدره تعلق إبليس بذنبه ، . . . وعلا الماء على رؤوس الجبال ، فكان على أعلى جبل في الأرض خمسة عشر ذراعاً ، فهلك ما على وجه الأرض من حيوان ونبات ، فلم يبق إلا نوح ومن معه وإلا عوج بن عتق ، فيما زعم أهل التوراة ، وكان بين إرسال الماء وبين أن غاض ستة أشهر وعشر ليال ، وطافت السفينة بالأرض كلها لا تستقر حتى أتت الحرم فلم تدخله ، ودارت بالحرم أسبوعاً ثم ذهبت في الأرض تسير بهم حتى انتهت إلى الجودي ^(٢) . وروي أيضاً عن وهب بن منبه أنه قال : (إن سام بن نوح أبو العرب وفارس والروم ، وأن حام أبو السودان ، وأن يافث أبو الترك وبأجوج ومأجوج . وقيل إن القبط من ولد فوط بن حام ، وإنما كان السودان في نسل حام ؛ لأن نوحاً نام فأنكشت سواته ، فراها حام فلم يغطها ، ورآها سام ويافث ، فألقيا عليه ثوباً ، فلما استيقظ علم ما صنع حام وإخوته فدعا عليهم .) ^(٣) أ هـ .

(١) تاريخ الطبري « ٤٦٣:١ - ٤٦٤ » .

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير « ٤٠:١ - ٤١ » .

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير « ٤٤:١ » قلت وهذا الخبر في الاصحاح

التاسع من سفر التكوين من العهد القديم .

٤ - وروى الحافظ ابن كثير عن كعب الأحبار : أن معاوية سأله عن الصخرة - يعني صخرة بيت المقدس - فقال الصخرة على نخلة ، والنخلة على نهر من أنهار الجنة ، وتحت النخلة مريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم ينظمان سموط ، أهل الجنة ، حتى تقوم الساعة . وروي بطريق آخر عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلق ابن كثير عليه بقوله : (وهذا منكر من هذا الوجه ، بل هو موضوع . قال الحافظ ابن عساكر ، وكونه من كلام كعب الأحبار أشبه . قلت وكلام كعب الأحبار هذا إنما تلقاه من الإسرائيليات التي منها ما هو مكذوب مفتعل وضعه بعض زنادقتهم أو جهالهم ، وهذا منه) .^(١)

٥ - وفي كتب التاريخ روايات دست فيها على يد أعداء الاسلام الذين قصدوا من وراءها تشويه سمعة الاسلام ، وسمعة القائمين بالدعوة إلى الاسلام . ومن أمثلة ذلك . حديث الغرانيق ، وقد رواه غير واحد من كتاب السيرة ، وأشار إليه غير واحد من المفسرين ، ووقف عنده كثيرون من المستشرقين طويلاً . وهو حديث ظاهر التهاافت ينقضه قليل من التمحيص .

ومن ذلك أيضاً قصة زينب بنت جحش وسنزيقها وتزييف حديث الغرانيق عند الكلام عن المستشرقين والإسرائيليات .

★ ★ ★

(١) البداية والنهاية لابن كثير « ٦٣:٢ » .

الباب الثالث

الإسرائيليات في كتب التفسير

أولاً : موقف المفسرين من الإسرائيليات باجمال :

لم يطمئن كثير من المسلمين منذ عصور مبكرة إلى التفسير المروي في جملته ، فتناولوه بالنقد إجمالاً وتفصيلاً ، فأحمد بن حنبل يقول : (ثلاثة ليس لها أصل : التفسير والملاحم والمغازي)^(١).

(١) شكك بعض الكتاب المعاصرين في أحاديث التفسير كلها . واستدل على ذلك بقول الامام أحمد بن حنبل : (ثلاثة ليس لها أصل ... الخ) ونقسم الرد عليه إلى قسمين :

الأول - في أحاديث التفسير .

الثاني - فيما نقله عن الإمام أحمد .

أولاً : أما أحاديث التفسير ، فلا يخفى على من طالع كتب السنة أنها أثبتت شيئاً كبيراً منها بطرق صحيحة لا غبار عليها . وما من كتاب في السنة إلا وقد أفرد فيه مؤلفه باباً خاصاً لما ورد في التفسير عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو التابعين . وقد اشترط علماء التفسير على من يفسر كتاب الله عز وجل أن يعتمد فيه على ما نقل عنه صلى الله عليه وسلم في ذلك . قال الإمام أبو جعفر الطبري في تفسيره : (إن ما أنزل الله من القرآن على نبيه صلى الله عليه وسلم ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان =

ويقول ابن تيمية في رسالته (مقدمة في أصول التفسير) بعد ذكر

= الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك فأول جميع ما فيه من وجوه أمره (واجبه وندبه وإرشاده ، وصنوف نهيه) تفسير الطبري ٢٥/١ هـ . وقال أبو حيان صاحب البحر المحيط - في مقدمة تفسيره - في صدد ما يحتاج إليه المفسر (الوجه الرابع) تعيين مبهم وتبيين مجمل وسبب نزول ونسخ، ويؤخذ ذلك من النقل الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك من علم الحديث . وقد تضمنت الكتب والأهيات التي سمعناها ورويناها ذلك كالصحيحين والجامع للترمذي وسنن أبي داود هـ، وأخذ يعدد كتب السنة .

وفي الاتفاق للسيوطي « ١٧٦:٢ » - قال ابن تيمية : (يجب أن يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه . فقوله تعالى : (لتبين للناس ما نزل إليهم) يتناول هذا وهذا ، وقسم الزركشي القرآن إلى قسمين ، قسم ورد تفسيره بالنقل وهو إما عن النبي صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو التابعين . وقسم لم يرد (انظر البرهان ١٧٢:٢) فأنت ترى أنهم جعلوا التفسير بين منقول وغير منقول ، وأوجبوا على المفسر أن يرجع إلى الأول ويعرفه ، ولو لم يصح منه شيء ما أوجبوا الرجوع إليه .

وهناك من العلماء من ذهب إلى أنه لا يجوز التفسير إلا بما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال السيوطي في الاتفاق « ١٨٠:٢ » اختلف الناس في تفسير القرآن ، هل يجوز لكل أحد الخوض فيه ؟ فقال قوم : لا يجوز لأحد أن يتعاطى تفسير شيء من القرآن ، وإن كان عالماً أديباً متسعاً في معرفة الأدلة والفقه والنحو والأخبار والآثار ، وليس له إلا أن ينتهي إلى ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . في ذلك . . الخ) وهذا . . وإن كان خلاف المعتمد إلا أنه يدل على أن هناك آثاراً في التفسير لا يصح تجاهلها ، ولا يسوغ لأي عالم إنكارها ، كيف وقد ورد عن الشافعي في مختصر البوطي أنه لا يحل تفسير المتشابه إلا بسنة عن النبي صلى الله عليه وسلم أو خبر عن أحد من الصحابة أو إجماع العلماء . نعم . . إن الذي نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم من تفسيره أقل مما لم ينقل ، والذي صح عنه أقل مما لم يصح ولكن هذا لا يجوز تشكيك الناس في جملته .

ثانياً - وأما ما نقله عن الإمام أحمد في أحاديث التفسير فهو يشير إلى ما روي عنه في قوله : « ثلاثة ليس لها أصل ، التفسير والملاحم والمغازي » وفي رواية « ثلاثة كتب لا أصل لها ، المغازي والملاحم والتفسير » .

الحديث وذكر الأدلة على كذبه: (وفي التفسير من هذه الموضوعات قطعة كبيرة

= والكلام عن هذه العبارة من وجوه :

أولاً - إن في النفس من صحتها شيئاً ، فإن الإمام أحمد نفسه قد ذكر في مسنده أحاديث كثيرة في التفسير؛ فكيف يعقل أنه يخرج هذه الأحاديث ويثبتها عن شيوخه في مسنده ، ثم يحكم بأنه لم يصح في التفسير شيء . وأيضاً ففقتضى هذه العبارة أن يكون كل ماروي عن أخبار العرب ومغازي المسلمين مكذوباً من أصله . ومن يقول بهذا !?

ثانياً - إن نفي الصحة لا يستلزم الوضع أو الضعف قطعاً ، بل معنى ذلك أنه غير صحيح عنده وعلى حسب شروطه التي اشترطها في صحة الحديث ، فلئن كان غير صحيح عنده فقد يكون صحيحاً عند غيره . وقد عرف عن الإمام أحمد خاصة نفي الصحة عن أحاديث وهي مقبولة وقالوا في تأويل ذلك ، إن هذا الاصطلاح خاص به . قال اللكنوي في (الرفع والتكميل) : « كثيراً ما يقولون - لا يصح .. أو لا يثبت هذا الحديث » . ويظن منه من لا علم له أنه موضوع أو ضعيف ، وهو مبني على جهله بمصطلحاتهم وعدم وقوفه على مصرحاتهم فقد قال علي القاري : في « تذكرة الموضوعات » . لا يلزم من عدم الثبوت وجود الوضع ، وقال الحافظ ابن حجر ، في تخريج أحاديث الأذكار المسمى (بنتائج الأفكار) .. ثبت عن أحمد بن حنبل أنه قال : لا أعلم في التسمية - أي التسمية في الوضوء - حديثاً ثابتاً . قلت : لا يلزم من نفي العلم بثبوت العدم ، وعلى التنزل لا يلزم من نفي الثبوت ثبوت الضعف ، لا حتماً أنه يراد بالثبوت الصحة فلا ينتفي الحسن أنه .

ثالثاً - الإمام أحمد لم يقل إنه لم يصح في التفسير شيء ، وإنما قال : « ثلاثة ليس لها أصل . والظاهر أن مراده نفي كتب خاصة بهذه العلوم الثلاثة بدليل ما جاء في الرواية الثانية مصرحاً به : « ثلاثة كتب » وهذا المعنى هو ما فهمه الخطيب البغدادي حيث قال : « إن هذا محمول على كتب مخصوصة في هذه المعاني الثلاثة ، فأشهرها كتابان للكلبي ومقاتل ابن سليمان . وقد قال الإمام أحمد في تفسير الكلبي : من أوله إلى آخره كذب لا يحل النظر فيه .

رابعاً - يحتمل أن يكون مراد الإمام أحمد أن ما صح من التفسير قليل بالنسبة لما لم يصح؛ قال الزركشي في البرهان « ٢ : ١٥٦ » : للنظر في القرآن لطلب التفسير مأخذ كثيرة؛ أمهاتها أربعة : الأول - النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا هو الطراز الأول ، لكن يجب الحذر من الضعيف فيه والموضوع فإنه كثير . قال الميموني سمعت أحمد بن حنبل يقول : ثلاثة كتب ليس لها أصول : المغازي والملاحم =

مثل الحديث الذي يرويه الثعلبي والواحيدي والزحشري في فضائل سور القرآن سورة سورة ، فإنه موضوع باتفاق أهل العلم^(١).

ثم ينقد ابن تيمية نفسه بعض رجال هذا التفسير الذين تهافتوا على رواية الآثار الضعيفة ، فيقول : (والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين ، وكان حاطب ليل ، ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع . والواحيدي صاحبه كان أبصر منه بالعربية لكن هو أبعد عن السلامة واتباع السلف .

والبغوي تفسيره مختصر من الثعلبي ، لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعية والآراء المبتدعة . والموضوعات في كتب التفسير كثيرة ومنها الأحاديث الكثيرة الصريحة في الجهر بالبسملة ، وحديث علي الطويل في تصدقه بخاتمه في الصلاة فإنه موضوع باتفاق أهل العلم^(٢) .

وقال أيضاً : في موطن كلامه عن التفسير المأثور : (وما نقل في ذلك عن بعض الصحابة نقلاً صحيحاً فالنفس إليه أسكن مما نقل عن بعض التابعين)^(٣) . وقد تنبه الأئمة القدامى إلى كثرة ما روي عن ابن عباس فنقدوه ، وقد صح

= والتفسير . قال المحققون من أصحابه : ومراده أن الغالب أنها ليس لها أسانيد صحاح متصلة وإلا فقد صح من ذلك كثير . الخ أ ه .

وقصارى القول : إن الاستشهاد بعبارة الإمام أحمد بن حنبل للتشكيك في أحاديث التفسير كلها غير صحيح ، يبطله ، ثبوت أحاديث التفسير في أمهات الكتب الصحيحة كالبخاري ومسلم والموطأ والترمذي ، بل في مسند الإمام أحمد نفسه . (انظر السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي للاستاذ الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله ص ٢١٨ وما بعدها) .

(١) مقدمة في أصول التفسير « ص ٣٢ » .

(٢) مقدمة في أصول التفسير « ص ٣٢ - ٣٣ » .

(٣) المصدر السابق « ص ١٩ » .

عن الإمام الشافعي أنه قال : (لم يثبت عن ابن عباس إلا مئيتان حديثاً^(١)) كما تعرضوا لنقد الرواة عنه فقالوا : أوهى طرقه ، طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، فإذا انضم إليها محمد بن مروان السدي الصغير . فهي سلسلة الكذب^(٢) .

ولقد كان لجهاذة الحديث ونقاده جهاد مشكور في الكشف عن هذه الاسرائيليات وتمييز صحيحها من باطلها وغثها من سمينا ، كما كان لبعض المفسرين فضل التنبيه على بطلان بعض ما روي من الاسرائيليات في كتب التفسير ، كابن كثير ، والفخر الرازي ، والآلوسي ، والشيخ محمد عبده ، والشيخ رشيد رضا ، وفارس هذه الخلبة هو الحافظ ابن كثير فقد تصدى في كتابيه التفسير والتاريخ لنقد هذه الاسرائيليات وتحقيق القول فيها .

وقديماً شعر بعض المحدثين بالنقص الذي يوجد في كتب التفسير من ذكر الأحاديث بلا سند ولا عزو؛ فألف الحافظ الزيلعي تحريماً لأحاديث الكشف ، وقفاه الحافظ ابن حجر فاخصره في كتاب سماه (الكاف الشاف) من تخريج أحاديث الكشف) . وقد أحسن بهذا العمل الجليل حيث ميزا المقبول من المردود ، وما أحوج كتب التفسير إلى مثل هذه التخريجات .

وبالجملة فكتب التفسير من عهد ابن جرير إلى اليوم لا يكاد يخلو تفسير منها من اسرائيليات إلا أنها متفاوتة قلة وكثرة .

نعم . . هناك مفسرون وقفوا من هذه الروايات موقف الناقد المنكر - كما سبق أن ذكرنا - وبخاصة المتأخرين منهم؛ الذين تسنى لهم الاطلاع على أسفار أهل الكتاب بعد أن ترجمت ، وعرفوا ما فيها من تهافت وتحويل وتغيير؛ إلا أن هذا لم يكن شاملاً ، وإن الناقدين أنفسهم رووا كثيراً منها في مناسبات كثيرة .

(١) الاتفاق « ١٨٩:٢ » .

(٢) الاتفاق « ١٨٩:٢ » .

وفي اعتقادي أن سبب الإكثار أو الإقلال من رواية هذه الإسرائيليات في كتب التفسير يرجع إلى رأي المفسر في حكم روايتها وإلى بيئته وثقافته ، ويتضح ذلك فيما يأتي :

ثانياً : موقف المفسرين من الإسرائيليات بالتفصيل .

لأنريد أن نستقصي هنا جميع الكتب المدونة في التفسير لأن هذا أمر لا يتيسر لنا؛ نظراً لعدم وقوع كثير منها في أيدينا ، ولو تيسر ذلك وذهبنا نتكلم عن موقف كل منها من الإسرائيليات لطال علينا الأمر ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » لهذا رأيت أن أتكلم عن جملة من كتب التفسير هي أهمها وأشهرها وأكثرها تداولاً .

وسبيلي في هذا أن أعرف أولاً بإيجاز شديد بمؤلف التفسير ، ثم أبين ثانياً موقفه من الإسرائيليات .

١ - التفسير الكبير المنسوب لمقاتل بن سليمان .

التعريف بالمؤلف .

هو مقاتل بن سليمان بن بشير البلخي . ولد بمدينة بلخ من إقليم خراسان^(١) ثم تحول إلى البصرة ، والبصرة ثاني مدن العراق في ذلك الوقت ، والعراق بلد الملل والنحل والأهواء . وقد كان موطناً لديانات قديمة ، كان السريان قد انتشروا فيها وأنشأوا لهم مدارس ، وكانوا يدرسون فيها فلسفة اليونان وحكمة الفرس ، وكان في العراق قبل الاسلام مذاهب نصرانية تتجادل في العقائد وكان العراق بعد الاسلام مزيجاً من أجناس مختلفة ، وكان فيه اضطراب وفتن ، وفيه آراء تتضارب

(١) الكامل « ٣٥٤:٥ » وتاريخ بغداد « ١٦٩:١٣ » .

في السياسة وأصول العقائد ، وفيه تابعون مجتهدون حملوا علم من لقوا من الصحابة فكان فيه علم الدين سائغاً موروداً مجبوراً ما فيه من النحل المتنازعة والآراء المتضاربة^(١).

وقد تأثر مقاتل بهذه البيئة في تفسيره للقرآن الكريم . وكان مقاتل على صلة بخلفاء بني العباس وحاول أن يتزلف إليهم ، فعرض عليهم أن يضع لهم أحاديث ، فقد ذكروا أنه قال للمهدي : (.. إن شئت وضعت لك أحاديث في العباس ، فقال المهدي : لا حاجة لي فيها)^(٢) .

وقد جرح رجال الحديث مقاتلاً واتهموه بالكذب والوضع . قال يحيى ابن معين : ليس حديثه بشيء ، ليس بثقة ، وقال البخاري : منكر الحديث ، وقال عنه أيضاً : لا شيء البتة .

وقال النسائي : الكذابون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة : إبراهيم بن أبي يحيى بالمدينة ، والواقدي ببغداد ، ومقاتل بن سليمان بنجراسان ، ومحمد بن سعيد - ويعرف بالمصلوب - بالشام .

وقال أبو حاتم بن حبان : كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم ، وكان مشبهاً يشبه الرب عز وجل بالمخلوقين ، وكان يكذب مع ذلك في الحديث^(٣) .

وقال العباس بن مصعب في تاريخ مرو : كان مقاتل لا يضبط الأسناد^(٤) . ومن الأدلة على كذب مقاتل ما ذكره الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال

(١) انظر أبو حنيفة « ص ١٨ » للأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة .

(٢) تاريخ بغداد « ١٦٧ : ١٣ » .

(٣) تهذيب التهذيب « ١٠ : ٢٨١ » ، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال للمقديسي المجلد العاشر مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٥ مصطلح الحديث ، وميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي « ١٧٣ : ٤ » ، ١٧٥ .

(٤) ميزان الاعتدال « ١٧٣ : ٤ » .

عن ابن عينة قال : سمعت مقاتلاً يقول : إن لم يخرج الدجال سنة خمسين ومائة فاعلموا أنني كذاب^(١)، ولما لم يخرج الدجال تحقق الجواب ، وهو كذب مقاتل . وقال أبو إسماعيل الترمذي عن عبد العزيز الأوسي : حدثنا مالك أنه بلغه أن مقاتلاً جاءه إنسان فقال له : إن إنساناً سألني ما لون كلب أصحاب الكهف ؟ فلم أدر ما أقول له . قال له مقاتل : ألا قلت : هو أبقع . فلو قلته لم تجد أحداً يرد عليك قولك . قال أبو إسماعيل وسمعت نعيم بن حماد يقول : أول ما ظهر من مقاتل من الكذب هذا . وقال للرجل : يماثق ، لو قلت أصفر ، أو كذا أو كذا من كان يرد عليك^(٢) ؟!

وقد رحل مقاتل إلى مكة وبيروت غير أن إقامته لم تطل بهما ، وأخيراً لقي عصا الترحال في مدينة البصرة وفيها توفي سنة ١٥٠ هـ^(٣) .

التعريف بالتفسير .

تفسير مقاتل أقدم تفسير كامل للقرآن الكريم وصل إلينا^(٤) ، والتفسير مخطوط ، توجد منه نسخة بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية ، وقد حققه أخيراً الدكتور عبد الله شحاتة .

ومع تجريخ أئمة الحديث لمقاتل بالكذب في الحديث ، إلا أننا نلاحظ أن الثناء على مقاتل يتجه إلى تفسيره للقرآن الكريم وأحياناً إلى علمه وشخصه ، فقد روي عن الإمام الشافعي أنه قال : « الناس عيال في التفسير على مقاتل^(٥) » .

(١) تهذيب التهذيب « ٢٨٣:١٠ » ، وانظر ميزان الاعتدال « ١٧٣:٤ » .

(٢) المرجع السابق .

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير « ٣٥٤:٥ » ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي « ١٦٩:١٣ » وميزان الاعتدال « ١٧٥:٤ » .

(٤) انظر مقاتل بن سليمان ومنهجه في التفسير مع تحقيق تفسيره الكبير ، رسالة دكتوراة مخطوطة بدار العلوم « ٩٢:٢ - ٩٦ » .

(٥) ميزان الاعتدال « ١٧٣:٤ » .

وقال عبد الله بن المبارك حين رأى تفسير مقاتل : يا له من علم لو كان له إسناده ! وفي رواية أخرى عنه : ما أحسن تفسيره لو كان ثقة ^(١) ! .

وعن مقاتل بن حيان قال : ما وجدت علم مقاتل بن سليمان إلا كالبحر ^(٢) .
وتفسير مقاتل يجمع بين المأثور والمعقول ويتميز بالبساطة والسهولة .

وبالجملة فقد استكمل مقاتل جميع العلوم التي يحتاج إليها المفسر ، واستطاع أن يستثمرها جميعها في تفسيره ^(٣) . ومع إحاطة مقاتل بكثير من العلوم والمعارف فإن تفسيره لم يسلم من عيوب ظاهرة ؛ وهذه العيوب هي :

أولاً : حذف الإسناد في وقت مبكر كان الرواة يهتمون فيه كثيراً بالأسانيد ، وبذلك وضع مقاتل الشوك في طريق تجريد التفسير من الموضوع والدخيل .

ثانياً : الكذب والتدليس في الرواية .

ثالثاً : تأثر مقاتل بإسرائيليات اليهود والنصارى في تفسيره .

رابعاً : ما ورد في تفسيره من تجسيم وتشبيه . وهذه العيوب أنقص منزلة مقاتل ووضعت من مكانة تفسيره .

موقفه من الاسرائيليات .

تفسير مقاتل مملوء بهذه الاسرائيليات حتى ذكر في تمييز خصيسته أنه استمد علمه بالقرآن من اليهود والنصارى وجعله موافقاً لما في كتبهم .

(١) تهذيب التهذيب « ٢٧٩ : ١٠ » ، وميزان الاعتدال « ١٧٣ : ٤ » .

(٢) تهذيب الكمال - المجلد العاشر (ترجمة مقاتل) وميزان الاعتدال « ١٧٣ : ٤ » .

(٣) انظر .. مقاتل بن سليمان ومنهجه في التفسير ص ٧٢ ، ص ٧٧ للدكتور عبد الله شحاتة .

ولو أن مقاتلا يبرأه هذه الروايات الإسرائيلية قد أسندها إلى أصحابها كما فعل الطبري مثلاً لالتمسنا له العذر ولكنه لم يفعل ، ولم يتعقب ما أورد منها كما فعل غيره من المفسرين ؛ وبذلك يكون مقاتل قد سن سنة سيئة للمفسرين من بعده ممن نقلوا عنه ، والتبس عليهم الصحيح بالعليل من هذه الروايات .

وسأنتقل لك عدة نماذج من هذه الاسرائيليات التي أوردتها مقاتل في تفسيره وقد نقلها عنه بعض المفسرين مع بعدها عن روح الاسلام وهدى القرآن الكريم .

١ - ذهب مقاتل في تفسير الكرسي في قوله تعالى: (وسع كرسيه السموات والأرض) مذهباً أقرب ما يكون إلى الحرافة ، فقال مانصه : « يحمل الكرسي أربعة أملاك ، لكل ملك أربعة وجوه ، أقدامهم تحت الصخرة التي تحت الأرض السفلى مسيرة خمسمائة عام ، وما بين كل أرض مسيرة خمسمائة عام ، ملك وجهه على صورة الإنسان وهو سيد الصور وهو يسأل الله الرزق للآدميين ، وملك وجهه على صورة سيد الأنعام وهو الثور ، يسأل الرزق للبهائم ، وملك وجهه على صورة سيد الطير وهو يسأل الله عز وجل الرزق للطير ، وهو النسر ، وملك على صورة سيد السباع وهو الأسد وهو يسأل الرزق للسباع ^(١) .

ولم يذكر مقاتل الإسناد الذي اعتمد عليه ، بل أورد الأثر مخدوف الاسناد مع أنه من السمعيات التي لا تقبل إلا إذا وردت في القرآن أو رويت عن المعصوم صلى الله عليه وسلم .

وقد أورد الملطبي في كتابه (التنبيه والرد) . الأثر الذي ذكره مقاتل وأسندته إلى وهب بن منبه ^(٢) . وهذا يؤكد أنه من الاسرائيليات التي أخذها مقاتل عن أهل الكتاب .

(١) تفسير مقاتل مجلد « ١٢٢:١ » .

(٢) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطبي ص ٩٩ .

٢ - وعند قوله تعالى: (أم حسب أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ، إذ أوى الفتية إلى الكهف ..) الخ الآيات ؛ فصل ما أبهمه القرآن من أسماء أصحاب الكهف ، ولون كلهم ، وغير ذلك فقال : « والكهف ثقب يكون في الجبل كهيئة الغار ، واسمه بانجلوس ، والرقيم كتاب كتبه رجلان قاضيان صالحان أحدهما ، ماتوس ، والآخر أسطوس ، كانا يكتمان إيمانها ، وكانا في منزل دقيوس الجبار وهو الملك الذي فر منه الفتية ، وكتبا أمر الفتية في لوح من رصاص ، ثم حملاه في تابوت من نحاس ، ثم جعلاه في البناء الذي سدوا به باب الكهف .. » ، ثم قال : وكلهم اسمه قطمير وكان الكلب لمكسلينا (١) .

٣ - وعند قوله تعالى : (قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله .. الآية) (٢) يقول مقاتل : في تفسير هذه الآيات .. (ثم قعد موسى مهموماً يقول في نفسه : لقد كنت غنياً عن اتباع هذا الرجل وأنا في بني إسرائيل أقرئهم كتاب الله عز وجل غدوة وعشياً ، فعلم الخضر ماحدث به موسى نفسه ، وجاء طير يدور - يروون أنه خطاف - حتى وقع على ساحل البحر فنكت بمنقاره في البحر ، ثم وقع على صدر السفينة ، ثم صوت فقال الخضر لموسى : أتدري مايقول هذا الطائر؟ قال موسى لا أدري ، قال الخضر يقول : ما علم الخضر وعلم موسى في علم الله إلا كقدر مارفعت بمنقاري من ماء البحر ، ثم خرجا من السفينة على بحر إيلة ، فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً ، فقتله الخضر بحجر أسود ، واسم الغلام حسين بن كاذري واسم أمه سهري .. الخ) (٣) .

وهذا التفصيل الذي ذكره مقاتل لافائدة فيه والكلام فيه من فضول الكلام - كما يقول ابن تيمية - ولا دليل على الصحيح منه ، فكان ينبغي الإعراض عنه والاستغفال بغيره .

(١) تفسير مقاتل « ٨٠٧: ٨١١ » .

(٢) الآية ٧٣ - ٧٤ من سورة الكهف .

(٣) تفسير مقاتل « ٨٢٦: ٨٢٧ » .

٤ - وجاء في تفسير مقاتل للآية ٢٥٨ من سورة البقرة وهي : (ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين) مانصه : (بهت غرود الجبار فلم يدر ما يرد على إبراهيم ، ثم إن الله عز وجل سلط على غرود بعوضة بعدما أنجى الله إبراهيم من النار ، فعضت شفته ، فأهوى إليها فطارت في منخاره ، فذهب ليأخذها فيستخرجها ، فدخلت في خياشيمه ، فذهب ليستخرجها فدخلت دماغه ، فعذبه الله عز وجل بها أربعين يوماً ثم مات منها ، وكان يضرب رأسه بالمطرقة ؛ فإذا ضرب سكنت البعوضة فإذا رفع عنها تحركت ، فقال الله سبحانه : وعزتي وجلالي لا تقوم الساعة حتى آتي بها - يعني الشمس - من قبل المغرب ؛ فيعلم من يرى ذلك أنني أنا الله قادر على أن أفعل ما شئت) (١).

٥ - وعند تفسير قوله تعالى : (وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون .) (٢)

قال مقاتل : (فخلق آدم عليه السلام من طين أحمر وأسود وأبيض من السبخة والعذبة ؛ فمن ثم نسله أبيض وأحمر وأسود ، مؤمن وكافر . فحسد إبليس تلك الصورة ، فقال للملائكة الذين هم معه : رأيتم هذا الذي لم تروا شيئاً من الخلق على هيئته إن فضل عليّ ماذا تصنعون ؟ قالوا نسمع ونطيع لأمر الله ، وأسرعدو الله في نفسه لئن فضل آدم عليه لا يطيع وليستفزه ، فتك آدم طيناً أربعين سنة مصوراً ، فجعل إبليس يدخل من دبره ويخرج من فيه ويقول : أنا نار وهذا

(١) تفسير مقاتل « ١٢٣ : ١ - ١٢٤ » .

(٢) الآية ٣٠ من سورة البقرة .

طين أجوف والنار تغلب الطين ، لأغلبه ؛ فذلك قوله عز وجل : (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين)^(١) .

فقال للروح : ادخلي هذا الجسد ، فقالت : أي رب ، أين تدخلني هذا الجسد المظلم ؟ فقال الله تبارك وتعالى : ادخليه كرهاً ، فدخلته كرهاً وهي لا تخرج منه إلا كرهاً ، ثم نفخ فيه الروح من قبل رأسه فترددت الروح فيه حتى بلغت نصف جسده - موضع السرة - فجعل للعود ، فذلك قوله : (وكان الإنسان عجولاً)^(٢) .

فهذه القصة وما قبلها من الإسرائيليات الغربية ، وقد أوردها ابن كثير في تفسيره ، وقال في الثانية : (فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة^(٣) مشهور في تفسير السدي ، وتقع فيه إسرائيليات كثيرة فلعل بعضهم درج ليس من كلام الصحابة ، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة والله أعلم)^(٤) .

٦ - وعند تفسير قوله تعالى : (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل) قال : يعني أساس البيت الحرام الذي كان رفع ليالي الطوفان على عهد نوح ، فبناه إبراهيم وإسماعيل على ذلك الأصل ، وأعانهم الله عز وجل بسبعة أملاك على البناء : ملك إبراهيم ، وملك إسماعيل ، وملك هاجر ، والملك الموكل بالبيت الحرام ، وملك الشمس ، وملك القمر ، وملك آخر^(٥) .

٧ - وفي تفسير قوله تعالى : (فلما تجلي ربه للجبل جعله دكاً)^(٦) يذكر

(١) الآية ٢٠ من سورة سبأ .

(٢) الآية ١١ من سورة الإسراء . وانظر تفسير مقاتل « ١ : ١٩ » .

(٣) قال السدي في تفسيره : عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) تفسير ابن كثير (١ : ٧٦ ، ٧٧ ، ٣١٣ ، ٣١٤)

(٥) تفسير مقاتل « ١ : ٥١ » .

(٦) الآية ١٤٣ من سورة الأعراف .

مقاتل أن الجبل صار دكاً أي قطعاً على ستة فرق ، فوقع ثلاثة بجبال مكة : ثبير وغار ثور ، وحزن . ووقع بالمدينة ثلاثة ، رضوى ، وورقان ، وجبل أحد ، فذلك قوله تعالى : « جعله دكاً » (١) .

٨ - وعند تفسير قوله تعالى : (فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم) (٢) يقول مقاتل : (يعني أكبر الأصنام فلم يقطعه وهو من ذهب ولؤلؤ وعيناه ياقوتان حمراوان تتوقدان في الظلمة ، لهما بريق كبريق النار وهو في مقدم البيت ، ووضع الفأس في يدي الصنم الأكبر (لعلمهم إليه يرجعون) أي يرجعون من عيدهم إلى الصنم الأكبر) (٣) .

ويلاحظ أن هذا الذي أورده مقاتل في الأخبار السابقة لافائدة منه ولا دليل عليه من القرآن أو السنة الصحيحة، وإنما هو من الموضوعات أو الإسرائيليات.

٩ - وقد ذكر مقاتل في تفسير الآيات (٧٤ - ٨٠) من سورة الأنعام : (وإذا قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة . . الخ الآيات) قصة طويلة منها : (أن الكهنة قالوا لنمرود الجبار : إنه يولد في هذه السنة غلام يفسد آلهة أهل الأرض ، فأمر نمرود بقتل كل غلام يولد في هذه السنة ، فلما ولد إبراهيم وضعه أبوه في السرب خوفاً عليه ، ونما إبراهيم نمواً سريعاً ثم أخذ يبحث عن الإله ، فلما جن عليه الليل دافن من باب السرب فرأى الزهرة ، فقال هذا ربي ، ثم قال ذلك للقمر ، ثم للشمس (٤) .

وقد عقب ابن كثير بقوله : (وما يذكر من الأخبار عنه في إدخال أبيه له في السرب وهو رضيع ، وأنه خرج به بعد أيام فنظر في الكواكب والخلوقات ، فتبصر فيها ، وما قصه كثير من المفسرين وغيرهم ؛ فعامتها أحاديث بني إسرائيل ،

(١) تفسير مقاتل « ٤٥٨:٢ » .

(٢) الآية ٥٨ من سورة الأنبياء .

(٣) تفسير مقاتل « ٩٠٧:٣ - ٩١٠ » .

(٤) تفسير مقاتل « ٣٨٨:١ - ٣٨٩ » .

فما وافق منها الحق بما بأيدينا عن المعصوم قبلناه ، لموافقته الصحيح وما خالف شيئاً من ذلك رددناه ، وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة لانصقه ولا نكذبه بل نجعله وقفاً ، وما كان من هذا الضرب منها فقد رخص كثير من السلف في روايته ، وكثير من ذلك بما لا فائدة فيه ولا حاصل له بما ينتفع به في الدين ، ولو كانت فائدته تعود على المكلفين في دينهم لبيته هذه الشريعة الكاملة الشاملة ، والذي نسلكه في هذا التفسير الاعراض عن كثير من الأحاديث الاسرائيلية ؛ لما فيها من تضییع الزمان ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم ، فإنهم لا تفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمها كما حرره الأئمة الحفاظ المتقنون من هذه الأمة (١) .

١٠ - وفي الآية ١ من سورة فاطر (يزيد في الخلق ما يشاء) .

يقول مقاتل : (وذلك أن في الجنة نهراً يقال له نهر الحياة ، يدخله كل يوم جبريل عليه السلام بعد ثلاث ساعات من النهار يغتسل فيه وله جناحان ينشرهما في ذلك النهر ، وجناحه سبعون ألف ريشة فيسقط من كل ريشة قطرة من ماء ، فيخلق الله عز وجل منها ملكاً يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة ، فذلك قوله تعالى : يزيد في الخلق ما يشاء) .

١١ - وفي تفسير آية ٢٩ من سورة الرعد، وهي (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب) .

يقول مقاتل : (طوبى لهم ، يعني حسنى لهم ، وهي بلغة العرب ، وطوبى شجرة في الجنة ، لو أن رجلاً ركب فرساً أو نجية وطف على ساقها لم يبلغ المكان الذي ركب منه حتى يقتله الهرم . ولو أن طائراً طار من ساقها لم يبلغ فرعها حتى يقتله الهرم ، وكل ورقة منها تظل أمة من الأمم ، وعلى كل ورقة منها ملك يذكر الله تعالى ، ولو أن ورقة منها وضعت في الأرض لأضاءت الأرض

(١) تفسير ابن كثير (٣ : ١٨٠ - ١٨١) .

نوراً كما تضيء الشمس ، تحمل هذه الشجرة لهم ما يشاؤون من ألوان الحلي والحلل
والنار غير الشراب (١) .

وغني عن البيان أن هذا الكلام وما قبله من الإسرائيليات التي لم يرد فيها
أثر صحيح؛ فما أجدر تفسير كتاب الله أن ينقى منها .

١٢ - أما الكلام عن أنبياء الله ورسله واتهامهم بالنقائص ، فقد نقل مقاتل
عن التوراة وغيرها من الكتب السابقة بعد أن عبث بها اليهود والنصارى .

يقول الله تعالى : (وهل أتاك نبا الخصم إذ تسوروا المحراب) (٢) ويقول
مقاتل في تفسيرها : (وذلك أن داود قال : رب اتخذ إبراهيم خليلاً ، وكلمت
موسى تكليماً ، فوددت أنك أعطيتني من الذكر مثل ما أعطيتها ، فقال له : إني
ابتليتهما بما لم أبتلك به ، فإن شئت ابتليتك وأعطيتك مثل ما أعطيتها من الذكر ،
قال : نعم ، قال اعمل عملك . ففكث داود عليه السلام ما شاء الله عز وجل يصوم
نصف الدهر ويقوم نصف الليل ، إذ صلى في المحراب ، فجاء طير حسن ملون فوق
إليه فتناوله ، فصار إلى الكوة ، فقام ليأخذه ، فوقع الطير في بستان ، فأشرف داود
فرأى امرأة تغتسل ، فتعجب من حسنها وأبصرت المرأة ظله فنفضت شعرها
فغطت جسمها فزاده ذلك بها عجباً ، ودخلت المرأة منزلها وبعث داود غلاماً
في أثرها ، فإذا هي « بتسامع امرأة أوريا بن حنان » وزوجها في الغزو في بعث
البلقاء الذي بالشام مع ثواب بن صوريا ابن أخت داود عليه السلام ، فكتب داود
إلى ابن أخته بعزيمة أن يقدم أوريا ، فيقاتل أهل البلقاء ولا يرجع حتى يفتجها أو
يقتل ، فقدمه فقتل رحمة الله عليه ، فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود ، فولدت
له سليمان بن داود ، فبعث الله عز وجل إلى داود عليه السلام ملكين ليستنقذه
بالتوبة ، فأتوه يوم رأس المائة في المحراب وكان يوم عبادته والحرس حوله ، فلما

(١) تفسير مقاتل « ٦٧٩:٢ » .

(٢) الآية ٢١ من سورة ص .

رأى داود قد تسورا الحراب ، فزع داود وقال في نفسه : لقد ضاع ملكي حين يدخل علي بغير إذن . فقال أحدهما : (إن هذا أخي) يعني الملك الذي معه ، (له تسع وتسعون نعجة) يعني تسع وتسعون امرأة - وهكذا كان لداود - فطلب مني أن أضم امرأتي إليه ، فقال داود : (لقد ظلمك) بهذا الطلب ، ثم صعد الملك . فعلم داود أن الله ابتلاه بذلك) (١) أه .

هذه القصة مروية من طريق الشاذلي، والكلي، ومقاتل بن سليمان، وكلهم مردود الرواية ليس فيهم ثقة كما علمت . وأما ما اشتملت عليه القصة من الأباطيل فيتأخص فيما يأتي :

١ - إنهم نسبوا إلى داود عليه السلام التهم بالاطلاع على عورة امرأة أجنبية عنه .

٢ - انتهاك حرمة الجوار .

٣ - الغدر بزواج المرأة وتدمير المكيدة لقتله ليستولي على امرأته .

٤ - الخضوع لشهوته الطبيعية حيث لم يكتف بتسع وتسعين امرأة من نسائه ، واتخذ الإجرام وسيلة إلى ضم زوجة جاره إلى نسائه . وكل هذه أمور يستحيل صدورها من نبي معصوم لأنها منافية للعصمة التي قامت الأدلة القطعية على ثبوتها للأنبياء والرسل عليهم السلام . وصارت من معتقدات الاسلام المعلومة من الدين بالضرورة ، وإذا جاز صدور هذه الجرائم من نبي على زعم المخرفين من عشاق الأساطير ، فماذا بقي للمجرمين والفساق وعبداء الأهواء والشهوات (سبحانه) هذا بهتان عظيم .

وإن من أكبر دواعي العجب أن يصدق بعض الناس هذه المفتريات ، وينقلها

(١) تفسير مقاتل « ٣ : ١٢٦٦ ، ١٢٦٨ » .

بعض المفسرين في تفاسيرهم^(١) ويزعم أنها المرادة من آيات القصة ، ويجاولون تأويل الآيات تأويلاً بارداً لتوافق هذه الأساطير ، فيزعمون أن المراد بالنعاج في الآية النساء . وأن القرآن الكريم عبر عن المرأة بالنعجة على سبيل المجاز؛ لتكون رمزاً إلى ما وقع فيه داود عليه السلام من الخطيئة بالغدر بزواج المرأة وضمها إلى نسائه ، وهي مزاعم باطلة .

الأدلة على بطلانها :

١ - إن قصة داود عليه السلام في سورة (ص) قد سقت مساق المدح له ، بدليل أن الله تعالى ذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم ليقتدي بدادود في الصبر ، ومحال أن يأمر الله سيد الرسل بالاعتداء بدادود إلا وهو على أتم ما يكون من الكمال ، وقد مدحه الله في أولها وآخرها بكثير من المدح الجليلة ، فلو صحت هذه الأسطورة لكانت مناقضة لسياق الآيات مناقضة صريحة .

٢ - قامت الأدلة القطعية على أن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام معصومون من المعاصي والذنوب ، ولو صحت هذه الأسطورة التي نسبت إلى داود عليه السلام - ارتكاب الجريمة - لكانت هادمة لعصمته ولا ترتفع الوثوق برسائله وذلك باطل ، وقد نص المحدثون على أن كل خبر ناقض أصلاً قطعياً من أصول الدين فهو موضوع قطعاً ولا تجوز روايته ، وبما أن هذه الأسطورة مناقضة للعصمة التي هي من أصول الدين القطعية فهي باطلة بلامراء .

٣ - إن الله تعالى أثنى على داود عليه السلام ووصفه بصفات تدلنا على استحالة صدور هذه الخطايا منه . فقال تعالى : (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب)^(٢) ، وقال أيضاً : (واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب)^(٣) ومن جمع بين

(١) انظر على سبيل المثال : تفسير ابن جرير ، والدر المنثور للسيوطي ، وتفسير البغوي .

(٢) الآية ٢٥ من سورة (ص) .

(٣) الآية ١٧ من سورة (ص) .

هذه الصفات فمحال أن تستولي عليه شهواته فتدفعه إلى ارتكاب الخطيئة .

٤ - إن الله تعالى وصف داود عليه السلام بأنه آتاه الحكمة وفصل الخطاب ، والحكمة هي العلم المتحكم في الإرادة الضابط لكل قوى النفس ، فلا تصدر في أي عمل إلا على مقتضاه ؛ فكيف يعقل أن تلك النفس المضبوطة في كل أعمالها بضوابط الحكمة تسف إلى ارتكاب هذه الخطايا التي يتنزه عنها وعن مثلها آحاد المؤمنين ؛ فضلاً عن نبي ورسول من المرسلين .

٥ - إن الله تعالى قد استخلف داود عليه السلام في الأرض، وجعله قدوة لأئمة ؛ فكيف يتصور من عنده ذرة من العقل أن يستخلف الله رجلاً يخضع لشهواته ويرتكب الجريمة في سبيلها، وكيف يعقل أن يجعله الله قدوة لأئمة وهو غير قادر على ضبط نفسه وشهواته ؟!

فإن قالوا : ولماذا استغفر ربه إذن ؟ قلنا لهم : إن داود عليه السلام كان قد وزع أعماله على الأيام وخص كل يوم بعمل ، فجعل يوماً للعبادة ، ويوماً للقضاء وفصل الخصومات ، ويوماً للاشتغال بشؤون نفسه ، ويوماً لوعظ بني إسرائيل ، ففي يوم العبادة دخل عليه خصمان تسورا الحراب ودخلا من غير المدخل المعتاد ، فارتاع منهما وظن بهما سوءاً وأنها جاءا ليقتلاه ، ثم تبين له أن الأمر على خلاف ما ظن وأنها جاءا يحتكمان إليه ، فلما قضى بينهما بالحكمة ، وتيقن أنها بريتان بما ظن بهما ، استغفر ربه من هذا الظن وإن لم يكن ذنباً في العادة إلا أنه بالنسبة للأنبياء يعتبر خلاف الأولى ، ويروى الاستغفار من مثله . فهذا سيد البشر ﷺ كان يقول : « أنه ليُغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة » وليس استغفاره لمعصية ؛ وإنما هو زيادة تقرب إلى الله تعالى وترقى في مراتب الكمال ، وهذا التأويل يوافق نظم القرآن الكريم ، ويليق بعصمة الأنبياء ؛ فالواجب الأخذ به ونبد الأوهام والخرافات التي هي من شأن القصاص .

٦ - وقد نقد القصة عدد من المفسرين :

قال ابن كثير في تفسيره : (وقد ذكر المفسرون هنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً لا يصح سنده لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه ، ويزيد وإن كان من الصالحين ولكنه ضعيف عند الأئمة) (١) .

وقال النسفي في تفسيره : (وما يحكى من أن داود بعث مرة بعد مرة (أوريا) إلى غزوة اللقاء وأحب أن يقتل ليتزوجها - يعني زوجة أوريا - فلا يليق من المتسمين بالصلاح من أفناء الناس فضلاً عن بعض أعلام الأنبياء ، وقال علي رضي الله عنه : من حدثكم بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلده مائة وستين جلدة وهو حد الفرية على الأنبياء) (٢) .

وقد الحازن هذه القصة تحت عنوان (فصل في تنزيه داود عليه الصلاة والسلام عما لا يليق به وينسب إليه) (٣) .

١٣ - وتأثر مقاتل بالإسرائيليات في تفسيره لآيات الأحزاب المتعلقة بزواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش ، فأعظم الفرية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومكن المستشرقين أن ينقلوا هذا الكلام عنه وعن أمثاله ، وسنوجل الكلام في هذا الموضوع إلى حين نتعرض لموقف المستشرقين من الاسرائيليات ونكتفي الآن بهذا القدر من عرض هذه النماذج من الاسرائيليات التي أوردها مقاتل وقبلها في تفسيره وننتقل إلى تفسير آخر .

(١) تفسير ابن كثير « ٣١:٤ » قال النسائي والحاكم في (يزيد الرقاشي) : إنه متروك ، وقال فيه ابن حبان : كان من خيار عباد الله ، غفل عن حفظ الحديث ، وشغل بالعبادة حتى كان يقلب كلام الحسن فيجعله عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فلا محل الرواية عنه (تهذيب التهذيب ١١ : ٣٠٩) .

(٢) تفسير النسفي « ٤ : ٢٩ ، ٣٠ » .

(٣) تفسير الحازن « ٣٨:٦ - ٤٢ » .

٢ — جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري

التعريف بالمؤلف .

هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري . المحدث الفقيه الجامع لأشتات العلوم ، قال عبد العزيز الطبري في شأنه : (. . . كان كالفقيه الذي لا يعرف إلا القرآن ، والمحدث الذي لا يعرف إلا الحديث ، وكالفقيه الذي لا يعرف إلا الفقه ، وكالحنوي الذي لا يعرف إلا النحو ، وكالحاسب الذي لا يعرف إلا الحساب ، وكان عالماً بالعبادات ، جامعاً للعلوم ، وإذا جمعت بين كتبه وكتب غيره وجدت لكتبه فضلاً على غيرها)^(١) وكان أكثر ما اشتهر به من هذه العلوم ، الفقه والتفسير ، والحديث والقراءات .

أما الفقه ، فقد درس المذاهب جميعها وفقه الشافعي على الخصوص ، ولم يلبث أن أدى به البحث والاجتهاد إلى اختيار مذهب انفراد به وأودعه كتبه الفقهية ، فوضع كتاباً سماه (لطيف القول) وكتاب (اختلاف الفقهاء) وقد تفقه عنده كثير من العلماء . وأما التفسير فإنه قد أفضى بعلمه فيه إلى كتابه الكبير (جامع البيان في تفسير القرآن) وهو الذي نحن بصده الآن .

وأما الحديث فقد عده الذهبي من رجال الطبقة السادسة ، وذكر النووي في كتابه (تهذيب الأسماء واللغات) : أنه في طبقة الترمذي والنسائي . ومن أشهر ما صنف فيه كتاب (تهذيب الآثار) ؛ ولغلبة الحديث عليه وضع كتابه في التاريخ على طريقة المحدثين .

وأما القراءات فقد أخذ بقراءة حمزة تلقاها عن يونس بن عبد الأعلى بمصر ، كما أخذ عليه قراءة ورش ، ثم لم يلبث أن اتخذ لنفسه قراءة لم يخرج بها عن المشهور ، ووضع كتابه المسمى بـ (الفصل بين القراءات) .

(١) معجم الأدباء « ١٨ : ٦١ » .

ولد ابن جرير بآمل طبرستان سنة أربع وعشرين ومائتين للهجرة وتوفي ببغداد سنة عشر وثلاثمائة .

التعريف بالتفسير .

يعتبر تفسير ابن جرير من أقدم التفاسير وأشهرها ، كما يعتبر المرجع الأول عند المفسرين الذين عنوا بالتفسير النقلي ، وإن كان في الوقت نفسه يعتبر مرجعاً غير قليل الأهمية من مراجع التفسير العقلي ، نظراً لما فيه من الاستنباط ، وتوجيه الأقوال ، وترجيح بعضها على بعض ترجيحاً يعتمد على النظر العقلي والبحث الحر الدقيق . قال النووي : (أجمعت الأمة على أنه لم يؤلف مثل تفسير الطبري) (١)

وقال ابن تيمية : (وأما التفاسير التي بأيدي الناس ، فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري ، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة وليس فيه بدعة ولا ينقل عن المتهمين كمقاتل بن بشير والكلبي) (٢)

ويقول أبو حامد الاسفراييني : (لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل على كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيراً) (٣)

ويقع تفسير ابن جرير في ثلاثين جزءاً من الحجم الكبير (٤) ، ويعتبر بحق دائرة معارف غنية في التفسير بالمأثور ، وإذا كان معظم التفاسير في عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم لم تصل إلينا ، فإن مضمون ما فيها قد نقله إلينا محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير الكبير المتداول بين الناس الآن .

(١) الاتقان « ١٩٠:٢ » .

(٢) فتاوى ابن تيمية « ١٩٢:٢ » .

(٣) تاريخ بغداد « ١٦٣:٢ » .

(٤) كانت آخر طبعاته بتحقيق وتخريج الأسانيد بعناية أحمد شاکر ومحمود شاکر وقد وصلت هذه الطبعة إلى نهاية الجزء الخامس عشر . وينتهي عند أول تفسير الآية ١٨ من سورة يوسف .

موقفه من الإسرائيليات .

يكثر ابن جرير في تفسيره - كما يكثري تاريخه - من رواية الإسرائيليات ولكنه يسندھا إلى أصحابھا ، وقد يتعقبھا في بعض الأحيان ، وقد عاب عليه بعض الباحثين هذا الإكثار ، وقالوا : إن سياقه للأخبار دون تمحيصھا أمر لا يليق بالعالم الناقد البصير^(١) .

وإذا كان هذا النقد موجهاً إليه بالنسبة لكتابه في التاريخ ، فأولى أن يوجه إليه بالنسبة إلى كتابه في التفسير .

وقد اعتذر عن الطبري في موقفه هذا من الإسرائيليات عدد من الباحثين وبينوا أن عذر الطبري وغيره من المفسرين الذين يسندون مروياتهم هو : ذكرهم للسند في زمن توافر الناس فيه على معرفة حالة السند من غير توقف على تنبيهه^(٢) .

(١) : مقدمة تاريخ الطبري للأستاذ محمد أبي الفضل إبراهيم ص ٢٥

(٢) قال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان عند ترجمته للطبراني : إن الحفاظ الأقدمين يعتمدون في روايتهم الأحاديث الموضوعة مع سكوتهم عنها على ذكرهم الأسانيد لاعتقادهم أنهم متى أوردوا الحديث باسناده فقد برئوا من عهده وأسندوا أمره إلى النظر في إسناده أه . وقال الزرقاني : في مناهل العرفان في معرض كلامه عن تفسير ابن جرير : (ومن مزياه أنه حرر الأسانيد ، وقرب البعيد ، وجمع ما لم يجمعه غيره ، غير أنه قد يسوق أخباراً بالأسانيد غير صحيحة ثم لا يذبح على عدم صحتها . وقلنا إن عذره في ذلك هو ذكر السند في زمن توافر الناس فيه على معرفة حال السند من غير توقف على تنبيه منه (مناهل العرفان ١ : ٤٩٧) وقال فضيلة أستاذنا الجليل محمد حسين الذهبي في كتابه القيم (التفسير والمفسرون) : (- ثم إن ابن جرير وإن التزم في تفسيره ذكر الروايات بأسانيدھا إلا أنه في الأعم الأغلب لا يتعقب الأسانيد بتصحیح ولا تضعیف لأنه كان يرى - كما هو مقرر في أصول الحديث - (أن من أسند لك فقد حملك البحث عن رجال السند ومعرفة مبلغهم من العدالة أو الجرح ، فهو بعمله هذا قد خرج من العهدة) وقال في موضع آخر من نفس الكتاب : (.. على أن ابن جرير كما قدمنا قد ذكر لنا السند بتمامه في كل رواية يروھا ، وبذلك يكون قد خرج من العهدة ، وعلينا نحن أن ننظر في السند ونتفقد الروايات) (التفسير والمفسرون ١ : ٢١٢ - ٢١٥) . =

على أن الحق يقتضينا أن نقول : إن ابن جرير لم يكتف بمجرد إيراد السند فقط بل نجده أحياناً يقف من السند موقف الناقد البصير ، فمثلاً عند الآية ١٩ من سورة البقرة : (فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين)

ذكر هذا السند، فقال : حدثني موسى بن هارون، قال : حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن امرأة عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : كان رجلان من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله صلى الله عليه وسلم .. الخ)

= وقال الأستاذ محمود شاكر : « محقق تفسير الطبري » (.. ولما رأيت أن كثيراً من العلماء كان يعيب على الطبري أنه حشد في كتابه كثيراً من الرواية عن السالفين الذين قرأوا الكتب وذكروا في معاني القرآن ما ذكروا من الرواية عن أهل الكتابين السالفين التوراة والإنجيل ، أحسبت أن أكشف عن طريقة الطبري في الاستدلال بهذه الروايات رواية رواية ، وأبين كيف أخطأ الناس في فهم مقصده وأنه لم يجعل هذه الروايات قط مهمة على كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأحسبت أن أبين عند كل رواية مقالة الطبري في إسنادها ، وأنه إسناد لا تقوم به حجة في دين الله ولا في تفسير كتابه، وأن استدلاله بها كان يقوم مقام الاستدلال بالشعر القديم على فهم معنى كلمة أو بالدلالة على سياق جملة - (تفسير الطبري المقدمة ص ١٦ ، ص ١٧ تحقيق وتخریج محمود شاكر وأحمد شاكر) . وقال الأستاذ محب الدين الخطيب : (إن مثل الطبري ومن في طبقته من العلماء الثقات المتثبتين في إيرادهم الأخبار الضعيفة، كمثل رجال النياذة الآن ، إذا أرادوا أن يبحثوا في قضية فإنهم يجمعون كل ما تصل إليه أيديهم من الأدلة والشواهد المتصلة بها مع علمهم بتفاهة بعضها أو ضعفه اعتاداً منهم على أن كل شيء سيقدر بقدره وهكذا الطبري ، وكبار حملة الأخبار من سلفنا كانوا لا يفرطون في خبر مهما عاوا من ضعف ناقله خشية أن يفوتهم بإهماله شيء من العلم ولو من بعض النواحي ، إلا أنهم يروون كل خبر معزواً إلى راويه ليعرف القارئ قوة الخبر من كون رواته ثقات ، أو ضعفه من كون رواته لا يوثق بهم ، وبذلك يرون أنهم أدوا الأمانة ووضعوا بين أيدي القراء كل ما وصلت إليه أيديهم .. أهـ) مقال له في مجلة الأزهر ص ٢٤ ج ٢ : غرة صفر سنة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م) .

وعقب ابن جرير على هذا الاسناد بقوله : (فإن كان ذلك صحيحاً —
ولست أعلمه صحيحاً إذ كنت بإسناده مرتاباً — فإن القول الذي روي عنها هو
القول ، وإن يكن غير صحيح فأولى بتأويل الآية ما قلنا) (١) .

ومثلاً نقصد سند الحديث المروي عن عائشة مرفوعاً : (ما كان النبي صلى الله
عليه وسلم يفسر شيئاً من القرآن إلا آيات تعدّ علمهن إياه جبريل) بقوله : (لأن
راويه من لا يعرف في أهل الآثار ، وهو : جعفر بن محمد الزبيري) (٢) .

ونقد أيضاً سند الحديث : (أنزل القرآن على أربعة أحرف ، حلال وحرام
لا يعذر أحد بالجهالة به ، وتفسير تفسره العرب ، وتفسير تفسره العلماء ،
ومتشابه لا يعلمه إلا الله تعالى ذكره ، ومن ادعى علمه سوى الله تعالى ذكره
فهو كاذب) المروي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس مرفوعاً بقوله :
(وفي إسناده نظر) وقال عن هذا الطريق في موضع آخر من كتابه : (إنه ليس
من رواية من يجوز الاحتجاج بنقله) (٣) .

وبما يستدعي الانتباه في تفسير ابن جرير أنه ينصرف عن التعمق في أمور
لافائدة منها ، فنراه يرد الروايات الواردة في أمثال ذلك بحجة أن مثل هذه المرويات
لم يرد فيها نص صريح من الكتاب أو نقل صحيح من السنة ، وهو بهذا الصنيع

(١) تفسير الطبري « ٣٤٧:١ - ٣٤٨ ، ٣٥٤ » ط دار المعارف ، وعلق
الشيخ أحمد شاكر رحمه الله على إسناده هذه الرواية بقوله : (هذا الاسناد من أكثر الاسانيد
دوراناً في تفسير الطبري إن لم يكن من أكثرها ، فلا يكاد يخلو تفسير آية من رواية بهذا
الاسناد . ولم يبين علة ارتيابه في إسناده وهو مع ارتيابه ، قد أكثر من الرواية به ولكنه
لم يجعلها حجة قط) ثم بين منزلة رجال هذا الاسناد وعلق بقوله : (وحقق لأبي جعفر
رحمه الله أن يرتاب في إسناده فإن هذا الاسناد فيه تساهل كثير) . تفسير الطبري
« ٣٤٨ ، ٥٦:١ » .

(٢) تفسير الطبري « ٨٩:١ » ط دار المعارف .

(٣) المرجع السابق « ٦٦:١ - ٧٦ » .

يلتزم منهجه الذي ذكره في مقدمة تفسيره حين قسم تأويل جميع القرآن إلى أوجه ثلاثة ، فقال في الوجه الثاني : (منها ما خص الله بعلم تأويله نبيه صلى الله عليه وسلم دون سائر أمتة وهو ما فيه مما بعبادة إلى علم تأويله الحاجة ، فلا سبيل إلى علم ذلك إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم لهم تأويله) (١) .

ونسوق فيما يلي بعض الأمثلة نوضح بها ما ذكرناه :

أ - عند تفسير الآية (فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكهم آياته لعالمكم تعقلون) (٢) .

قال : (ثم اختلف العلماء في البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة ، وأي عضو كان ذلك منها ، فقال بعضهم : ضرب بفخذ البقرة القتيل ، وقال آخرون : الذي ضرب به منها هو البضة التي بين الكتفين . وقال آخرون : الذي أمروا أن يضربوه منها عظم من عظامها) وعقب ذلك بقوله : (والصواب من القول عندنا في تأويل قوله : (فقلنا اضربوه ببعضها) أن يقال : أمرهم الله جل شأنه ، أن يضربوا القتيل ببعض البقرة ليحيا المضروب ولا دلالة في الآية ، ولا خبر تقوم به حجة على أي أبعاضها التي أمر القوم أن يضربوا القتيل به ، وجائز أن يكون الذي أمروا أن يضربوه به هو الفخذ ، وجائز أن يكون ذلك الذنب وغضروف الكتف ، وغير ذلك من أبعاضها ولا يضر الجهل بأي ذلك ضربوا القتيل ولا ينفع العلم به ، مع الإقرار بأن القوم قد ضربوا القتيل ببعض البقرة بعد ذبحها فأحياه الله) (٣) .

ب - وعند الآية (٢٠) من سورة يوسف : (وشروه بثمن بخس دراهم معدودة . الخ الآية) . قال : (إن الله تعالى ذكره ، أخبر أنهم باعوه بدرهم

(١) تفسير الطبري « ٩٢:١ » .

(٢) الآية ٧٣ من سورة البقرة .

(٣) تفسير الطبري « ٢٢٩:١ - ٢٣١ » ط دار المعارف .

معدودة غير موزونة، ولم يجد مبلغ ذلك بوزن ولا عدد ولا وضع عليه دلالة في كتاب، ولا خبر من الرسول صلى الله عليه وسلم، وليس في العلم بمبلغ وزن ذلك فائدة تقع في دين ولا الجهل به دخول ضر فيه، والإيمان بظاهر التنزيل فرض وما عداه فموضوع عنا تكلف علمه (١).

ج - وعند قوله تعالى: (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن) يقول: بعد أن يذكر الآثار المروية حول بيان هذه الكلمات... وإذا كان ذلك كذلك، فغير جائز لأحد أن يقول: عن الله بالكلمات التي ابتلى بهن إبراهيم شيئاً من ذلك بعينه دون شيء ولا عنى به كل ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو إجماع من الحجة، ولم يصح في شيء من ذلك خبر عن الرسول بنقل الواحد ولا بنقل الجماعة التي يجب التسليم لما نقلته، غير أنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في نظير معنى ذلك خبران لو ثبتا أو أحدهما كان القول به في تأويل ذلك هو الصواب (٢).

د - وعند الآية ٢٤ من سورة يوسف: (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) نجد يسوق الروايات الواردة في تفسير الآية، ثم يعقب عليها بقوله: (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله جل ثناؤه أخبر عن يوسف وامرأة العزيز كل واحد منهما بصاحبه، لولا أن رأى يوسف برهان ربه، وذلك آية من آيات الله زجرته عما هم به يوسف من الفاحشة، وجائز أن تكون تلك الآية صورة يعقوب، وجائز أن تكون صورة الملك، وجائز أن يكون الوعيد في الآيات التي ذكرها الله في القرآن على الزنا، ولا حجة للعذر قاطعة

(١) تفسير الطبري «١٢: ١٠٢ - ١٠٣» الطبعة الأميرية.

(٢) تفسير الطبري «١٧: ٤١» ط بولاق.

بأي ذلك من أي . والصواب أن يقال في ذلك ما قاله الله تبارك وتعالى والإيمان به وترك ما عدا ذلك (١) .

هـ - وعند الآية (٦٩) من سورة الأحزاب : (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا ، وكان عند الله وجيهاً) . يقول : - بعد أن يفيض في بيان المرويات الإسرائيلية التي رويت حول هذه الآية - (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن بني إسرائيل آذوا نبي الله ببعض ما كان يكره أن يؤدي به فبرأه الله مما آذوه به ، وجائز أن يكون ذلك كان قيلهم : إنه أبرص ، وجائز أن يكون كان ادعاءهم عليه قتل أخيه هارون ، وجائز أن يكون كل ذلك لأنه قد ذكر كل ذلك أنهم قد آذوه به ، ولا قول في ذلك أولى بالحق مما قال الله إنهم : آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) (٢) .

و - وكذلك يفعل الطبري في تفسير الآيات : (١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤) من سورة المائدة ، فنراه يعرض لذكر ماورد من الروايات في نوع الطعام الذي نزلت به مائدة السماء . . ثم يعقب على هذا بقوله : (وأما الصواب من القول فيما كان على المائدة فأن يقال كان عليها ما كول ، وجائز أن يكون سمكاً وخبزاً ، وجائز أن يكون ثمرأ من ثمار الجنة ، وغير نافع العلم به ، ولا ضار الجهل به إذا أقرتالي الآية بظاهر ما احتمله التنزيل) (٣) .

ز - وعند الآية ١٢٧ من سورة البقرة : (وإذ رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل) عرض إلى الروايات الواردة في البيت ، ومن أول من بناه ؟ ومن أي شيء بناه ؟ وماهي ماهيته ؟ ثم عقب عليها بقوله : (والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إن الله تعالى ذكره ، أخبر عن إبراهيم خليله أنه وابنه إسماعيل

(١) تفسير ابن جرير « ١١٣ : ١٣ » .

(٢) تفسير الطبري « ٣٧ : ٢٢ » ط بولاق .

(٣) المرجع السابق « ٨٨ : ٧ » ط بولاق .

رفعوا القواعد من البيت الحرام ، وجائز أن يكون ذلك قواعد بيت كان أهبط مع آدم ، فجعله مكان البيت الحرام الذي بمكة ، وجائز أن يكون ذلك كان القبة التي ذكرها عطاء^(١) بما أنشأه الله من زبد الماء ، وجائز أن يكون كان ياقوتة أو درة أهبطا من السماء ، وجائز أن يكون كان آدم بناه ثم انهدم حتى رفع قواعد إبراهيم وإسماعيل ، ولا علم عندنا بأي ذلك كان من أي ، لأن حقيقة ذلك لا تدرك إلا بخبر عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم ، بالنقل المستفيض ، ولا خبر بذلك يقوم به الحجة ، فيجب التسليم لها ، ولا هو — إذ لم يكن به خبر على ما وصفنا — بما يدل عليه بالاستدلال والمقاييس ، فيمثل بغيره ويستنبط علمه من جهة الاجتهاد^(٢) .

والواقع أن الطبري ، يصب نقده كما تبين لنا على المرويات الإسرائيلية التي يحاول بعض المفسرين أن يفسروا بها ما وراء ظاهر اللفظ القرآني ، وهو بموقفه الجيد هذا يحارب المنزع القصصي الخيالي الذي استفاد في عصره ، وحاول معرفة كل شيء أبهمه القرآن الكريم بما لا فائدة في معرفته .

ويبدو أن الطبري كان يحس الصلة بين التاريخ والتفسير ، وأنه كان يرى أن التفسير إنما يعتمد على النقل والرواية ، وكذلك التاريخ يعتمد عليها ، والقصص القرآني الذي أجمل القرآن الكريم القول فيه ، قد أكد عنده هذه الصلة ، ولعل بما يدل على ذلك أن كثيراً من المصادر التي اعتمد عليها في تاريخه قد اعتمد عليها في تفسيره أيضاً وبخاصة تاريخ الأمم السابقة على الاسلام^(٣) .

(١) قال عطاء وعمرو بن دينار: بعث الله رياحاً فجففت الماء فأبرزت في موضع البيت عن حشفة كأنها القبة ؛ فهذا البيت منها « تفسير الطبري ٦٠:٣ » .

(٢) تفسير الطبري « ٦٤:٣ » .

(٣) انظر تفسيره للآية ٧ من سورة الاسراء (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها) إذ يفيض في ذكر المرويات التاريخية التي تشتمل عليها هذه الآية ويلم فيها بشيء من تاريخ الشرق القديم وما كان من أمر بختنصر ودخوله بيت المقدس وقتل بني إسرائيل ثم ما كان من رجوعه إلى أرض بابل ومعه كثير من السبايا اليهود ... الخ .

ولم يهتم الطبري كثيراً بنقد الرواية التاريخية سواء في التفسير أو التاريخ، وقد اعتذر عن ذلك في مقدمة تاريخه بقوله : (فما كان في كتابي هذا مما يستكره قارئه أو يستشعنه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم أنه لم يوث ذلك من قبلنا ، وإنما أتى من قبل بعض ناقله إلينا وإنما أدبناه على نحو ما أدي إلينا) (١) .

ومن هنا نجد كثيراً من مرويات أهل الكتاب الذين كان لهم علم بالكتاب الأول كثيرة التردد في تفسيره وتاريخه ؛ مع ما فيها من غرابة وخرافة دون أن يعقب عليها ابن جرير بكلمة واحدة . ومن أمثلة ذلك .

أ - -- مارواه عن وهب بن منبه بصدق قصة أيوب وسبب ابتلائه ونوع ما ابتلي به من المصائب ، قال : (فوقف إبليس خازياً ذليلاً ، فقال : يا إلهي إنما هون على أيوب خطر المال والولد ، أنه يرى أنك مامتعة بنفسه فانت تعيد له المال والولد ، فهل أنت مسلطي على جسده ؟ فأنا لك زعيم لئن أبتليته في جسده لينسينك وليكفرن بك ، وليجحدن نعمتك ، قال الله : انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه ولا على قلبه ، ولا عقله ، فانقض عود الله جواداً فوجد أيوب ساجداً ، فجعل يرفع رأسه ، فأثاه من قبل الأرض في موضع وجهه ، فنفض في منخره نفخة اشتعل منها جسده ، فترهل ونبت ثآليل مثل أليات الغنم ، ووقعت فيه حكة لا يملكها ، فحك بأظافره حتى سقطت كلها ، ثم حك بالعظام وحك بالحجارة الحشنة وبقطع المسوح الحشنة ، فلم يزل يحكه حتى نفذ لحمه وتقطع ، ولما نغل جلد أيوب وتغير وأنتن ، أخرجه أهل القرية ، فجعلوه على تل ، وجعلوا له عريشاً ، ورفضه خلق الله غير امرأته ، فكانت تختلف إليه بما يصلحه وتازمه ، وكان ثلاثة من أصحابه تبعوه على دينه ؛ فلما رأوا ما ابتلاه الله به ،

(١) تاريخ الطبري « ١ : ٧ - ٨ » .

رفضوه من غير أن يتركوا دينه واتهموه ، يقال لأحدهم : بلدد ، وللآخر: أليف ،
وللثالث : صافر .. الخ) (١) .

ولم يناقش ابن جرير هذه الرواية مع منافاتها لعصمة الأنبياء عليهم
الصلاة والسلام .

ب - وعند قوله تعالى : (فالقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين) (٢) نقل ابن
جرير عن وهب بن منبه أن الثعبان حمل على الناس فانهمزوا منه ، فمات منهم خمسة
وعشرون ألفاً ؛ قتل بعضهم بعضاً ، وقام فرعون منهزماً حتى دخل البيت) (٣) .
وقد علق ابن كثير بقوله : « وفيه غرابة في سياقه » (٤) .

ج - وعند قوله تعالى : (ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم
اثني عشر نقيباً) (٥) روى عن السدي قال : (أمر الله بني إسرائيل بالسير إلى أريحا
- وهي أرض بيت المقدس - ، فسافروا حتى إذا كانوا قريباً منهم ، بعث موسى
اثني عشر نقيباً من جميع أسباط بني إسرائيل ، فساروا يريدون أن يأتيه بخبر
الجابرة ، فلقاهم رجل من الجبارين يقال له (عاج) فأخذ الاثني عشر ، فجعلهم
في حجزته - موضع شدا لإزار - وعلى رأسه حملة حطب ، فانطلق بهم إلى امرأته
فقال : انظري إلى هؤلاء القوم الذين يزعمون أنهم يريدون أن يقاتلونا !! فطرحهم
بين يديها ، فقال : ألا أطحنهم برجلي ؟ فقالت امرأته : بل خل عنهم حتى يخبروا
قومهم بما رأوا .. ألخ) ثم روى عن ابن إسحق أسماء النقباء فقال : (وهذه أسماء الرهط
الذي بعث الله جل ثناؤه من بني إسرائيل إلى أرض الشام ، فيما يذكر أهل التوراة

(١) تفسير الطبري « ١٧ : ٤٥ » .

(٢) الآية ١٠٧ من سورة الأعراف .

(٣) جامع البيان « ١٦ : ١٣ - ١٧ » ط دار المعارف .

(٤) تفسير ابن كثير « ٢٣٦ : ٢ » .

(٥) الآية ١٢ من سورة المائدة .

ليجوسوها لبني إسرائيل : من سبط روييل (شامون بن زكوت) ومن سبط شمعون : (شافاط بن حري) ... ثم روى عن ابن عباس قال : فانطلقوا فنظروا إلى المدينة فجاءوا بحجة من فاكهتهم وقر رجل (حمل رجل) فقالوا : اقدروا قوة قوم وبأسهم ، هذه فاكهتهم ! فعند ذلك فتتوا ، فقالوا : لانستطيع القتال (فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) (١) .

وقد علق ابن كثير في تاريخه على ما ذكره ابن جرير وغيره في صفة الجبارين بقوله : (وقد ذكر كثير من المفسرين هاهنا آثاراً فيها مجازفات كثيرة باطلة يدل العقل والنقل على خلافها ، من أنهم كانوا أشكلاً هائلة ضخماً جداً ؛ حتى إنهم ذكروا أن رسل بني إسرائيل لما قدموا عليهم ، تلقاهم رجل من رسل الجبارين فجعل يأخذهم واحداً واحداً ويلفهم في أكمامه وحجزة سراويله . وكل هذه هذيانات وخرافات لاحقيقة لها ، وأن الملك بعث معهم عبداً كل غيبة تكفي الرجل وشيئاً من ثأرهم ليعلموا ضخامة أشكالهم ، وهذا ليس بصحيح . . ثم قال : يروى هذا عن نوف البكالي (٢) ، ونقله ابن جرير عن ابن عباس وفي إسناده إليه نظر ، ثم هو مع هذا كله من الإسرائيليات ، فإن الأخبار الكاذبة قد كثرت عندهم ولا تميز لهم بين صحيحها وباطلها ، ثم لو كان هذا صحيحاً لكان بنو إسرائيل معذورين في النكول عن قتالهم ، وقد ذمهم الله على نكولهم وعاقبهم بالسيئة على ترك جهادهم ومخالفتهم رسولهم) (٣) .

(١) الآية ٢٤ من سورة المائدة ، وانظر جامع البيان « ١١١ : ١٠ - ١١٧ » ط دار المعارف ونقل ابن جرير عن مجاهد في وصف هؤلاء الجبارين قوله : (فوجدوم يدخل في كم أحدهم اثنان منهم ، ولا يحمل عنقود عنهم إلا خمسة أنفس منهم في خشبة ، ويدخل في شطر الرمانة إذا نزع حيا خمسة أنفس أو أربع) فانظر كيف كان يبالغ هؤلاء الرواة من أصحاب الإسرائيليات .

(٢) نوف البكالي هو ربيب كعب الأخبار .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير « ٢٧٨ : ١ » .

ز - وعند تفسيره لقوله تعالى : في الآية ٣٤ من سورة ص : (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) روى ابن جرير جملة روايات في تفسير الآية ، قال : (كان لسليمان مائة امرأة ، وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة وهي آثر نسائه عنده وآمنهن عنده ، وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه ولم يأتمن عليه أحداً من الناس غيرها ، فجاءته يوماً من الأيام ، فقالت : إن أخي بينه وبين فلان خصومة وأنا أحب أن تقضي له إذا جاءك فقال لها : نعم . فابتلي وأعطاه خاتمه ودخل المخرج ، فخرج الشيطان في صورته ، فقال لها : هات الخاتم فأعطته ، فجاء حتى جلس على مجلس سليمان ، وخرج سليمان بعد فسألها أن تعطيه خاتمه ، فقالت : ألم تأخذه قبل ؟ قال : لا ، وخرج من مكانه تائهاً ، قال : ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوماً . قال : فأنكر الناس أحكامه ، فاجتمع قراء بني إسرائيل وعلمائهم فجاءوا حتى دخلوا على نسائه ، فقالوا : إنا قد أنكرنا هذا ، فإن كان سليمان ، فقد ذهب عقله وأنكرنا أحكامه ، وفي رواية فسألوه عن أحواله فقلن : إنه يأتينا ونحن حيض . قال : فبكى النساء عند ذلك . قال فأقبلوا يمشون حتى أتوه فأحدقوا به ، ثم نشروا التوراة فقرؤوا ، قال : فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة ، والخاتم معه ثم طار حتى ذهب إلى البحر ، فوقع الخاتم منه في البحر فابتلعه حوت من حيتان البحر ، قال : وأقبل سليمان في حاله التي كان فيها حتى انتهى إلى صياد من صيادي البحر وهو جائع وقد اشتد جوعه فاستطعمهم من صيدهم . قال : إني أنا سليمان ، فقام إليه بعضهم فضربه بعضاً فشجه ، فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر . فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه فقالوا : بئس ما صنعت حيث ضربته ، قال : إنه زعم أنه سليمان . قال : فأعطوه سمكتين بما قد منذر^(١) عندهم ، ولم يشغله ما كان به من الضرر حتى قام إلى شط البحر فشق بطونها فجعل يغسلها ، فوجد خاتمه في بطن إحداها ، فأخذه فلبسه فرد الله عليه بهاء وملكه^(٢) أه .

(١) تغيرت رائحته .

(٢) تفسير ابن جرير « ١٠٠ : ٢٣ - ١٠٢ » .

نسخ القصة مهلهل ، عليه أثر الصنعة والاختلاق ، وإذا كان الشيطان يتمثل برسول الله فأى ثقة بالشرع تبقى بعد ذلك ؟ وكيف يعقل أن يسلط الله الشيطان على نساء رسول من رسله ؟ وأي ملك أو نبوة يتوقف أمرهما على خاتم ، يدومان بدوامه ويزولان بزواله ؟! وإذا كان خاتم سليمان بهذه المنزلة فكيف يغفل الله شأنه ولم يذكره بكلمة؟ وهل غير الله خلقه سليمان في لحظة حتى أنكرته جرادة؟. الحق أن أثر الكذب باد على كل كلمة من كلمات هذه القصة ، وليت ابن جرير وغيره من المفسرين والأخباريين لم ينقلوا هذا المراء الذي لا يستسيغه عقل مسلم .

وقد نبه السيوطي في تخريج أحاديث الشفاء على أنها إسرائيلية تلقاها ابن عباس عن أهل الكتاب . وقال الحافظ ابن كثير ، بعد أن روى القصة السالفة الذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما : (.. إسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قوي . ولكن الظاهر أنه إنما تلقاها ابن عباس رضي الله عنهما - إن صح عنه - من أهل الكتاب ^(١) وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام فالظاهر أنهم يكذبون عليه ، ولهذا كان في هذا السياق منكرات : من أشدها ذكر النساء فإن المشهور عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجني لم يسلط على نساء سليمان ، بل عصمهن الله عز وجل تشريفاً وتكريماً لنبه عليه السلام ، وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف رضي الله عنهم ، كسعيد بن المسيب ، وزيد بن أسلم ، وجماعة آخرين ، وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب) ^(٢) .

والصحيح المتيقن في تفسير الفتنة هو ما جاء في صحيح البخاري (كتاب

(١) لا أعتقد صحة رواية هذه القصة عن ابن عباس ، ولو سلمنا صحة روايتها عنه فلا أعتقد أنه رواها واعتقد صحتها وإنما رواها منكرأ لها . وكون سندها قوياً كما يقول ابن كثير ، لا يلزم منه صحة الخبر لما بيناه سابقاً من أن صحة السند لا يلزم منها صحة المتن .

(٢) تفسير ابن كثير « ٤ : ٣٥ - ٣٦ » .

الوصايا ، باب فضل الجهاد والسير) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « .. قال سليمان بن داود عليهما السلام لأطوفن الليلة على مائة امرأة - أو تسع وتسعين - كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ، فقال له صاحبه : إن شاء الله ، فلم يقل إن شاء الله ، نسياناً أو عرضت له مسألة شغلته ، أو رأى أن نيته خير سيحققها الله ولو لم ينطق بالمشيئة ، فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل ، والذي نفس محمد بيده ، لو قال : إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون » أه قال العلماء : والشق : الجسد الذي ألقى على كرسيه ، وقتلته : نسيان المشيئة ، فامتنع بهذا وتاب . وحصل نظير هذا للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقد سأله أهل مكة عن قصة أهل الكهف ، فقال : « أجيبكم غداً » ولم يقل إن شاء الله ؛ فأبطلأ عنه الوحي خمسة عشر يوماً . ثم نزل قوله تعالى : (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله) (١) الآية .

والحكمة في هذا أن الله تعالى : يحب من عباده أن يردوا المشيئة إليه في كل أمورهم ، وأن ترك المشيئة غفلة عن الله تستحق البلاء والمؤاخذة .

وهكذا يؤدب الله أصفياه على مخالفة الأولى بالنسبة لمقام الاصطفاء والاجتباء ، وهذا ما يليق بأهل القرآن الكريم أن يفهموه من كتاب ربهم وحديث نبيهم صلى الله عليه وسلم ، وهو ما يتفق مع العقول السليمة ، أما ما ملؤوا به كتب التفسير من إسرائيليات وخرافات حول سليمان وخاتم سليمان ، فهو بما يجب أن تنتزه عنه آدمغة الناس وقلوبهم .

ويتبين لنا من الأمثلة السابقة أن ابن جرير قد وقف في نقده للمرويات الإسرائيلية موقفين متضادين :

أولهما : التساهل في نقد الأخبار التاريخية التي تتصل بالقصص العام ، ولذلك لا يرى حرجاً من الرواية عن ابن إسحاق ، والسدي ، والضحاك ، وغيرهم

(١) الآية « ٢٣ ، ٢٤ » من سورة الكهف .

من كانوا موضع الظن والتهمة من رجال الآثار ، كما لم يجد حرجاً في الرواية عن كعب الأحبار ووهب بن منبه ، وعبد الله بن سلام ، وغيرهم ممن لهم صلة بالكتب السابقة .

وثانيهما : التشدد في نقد المرويات التي تعرض لتفصيل جزئية لا ينفع في الدين العلم بها ولا الجهل بضمونها ، ولم يرد فيها نص صريح من الكتاب أو نقل صحيح من السنة ، وهو بهذا الصنيع يلتزم منهجه الذي ذكره في مقدمتي تفسيره وتاريخه وأشارنا إليه من قبل .

٣ — الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي :

التعريف بالمؤلف :

هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري . قال ابن خلكان : (كان أواخر زمانه في علم التفسير ، وصنف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفسيرات)^(١) كما صنف كتاب العرائس في قصص الأنبياء . وكان - رحمه الله - كثير الحديث ، كثير الشيوخ ، كثير التلاميذ ، أخذ عنه أبو الحسن الواحدي وأثنى عليه ، ولكن هناك من العلماء من يرى أنه لا يوثق به ، ولا يصح نقله ، قال ابن تيمية في مقدمته في أصول التفسير :

(والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين ، وكان حاطب ليل ، ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع)^(٢) . وقال أيضاً في فتاواه - وقد سئل عن بعض كتب التفسير - : (وأما الواحدي فإنه تلميذ الثعلبي ، وهو أخبر منه بالعربية ، لكن الثعلبي فيه سلامة من البدع ، وإن ذكرها تقليداً

(١) وفيات الأعيان « ١ : ٣٧ - ٣٨ » .

(٢) مقدمة في أصول التفسير ص ١٩ .

لغيره ، وتفسيره وتفسير الواحدي (البسيط ، والوسيط ، والوجيز) فيها فوائد جلية ، وفيها غث كثير من المنقولات الباطلة وغيرها (١١) هـ .

وقال الكتاني في الرسالة المستطرفة عند الكلام عن الواحدي المفسر :
(ولم يكن له ولا لشيخه الثعلبي كبير بضاعة في الحديث ، بل في تفسيرهما - وخصوصاً الثعلبي - أحاديث موضوعة وقصص باطلة) (٢) .

ومن يقرأ تفسير الثعلبي يعلم أن وصف ابن خلكان له مجافياً للحقيقة ، وأن ابن تيمية والكتاني لم يتقولا عليه ولم يصفاه إلا بما هو فيه كما سيتضح ذلك فيما بعد .
وكانت وفاة الثعلبي سنة سبع وعشرين وأربعمائة رحمه الله .

التعريف بالتفسير .

لم يطبع هذا التفسير للآن - والله الحمد - وإنما يوجد نسخة غير كاملة بمكتبة الأزهر وبتدار الكتب المصرية ، ولم يتحر مؤلفه الصحة في كل ما ينقل من تفاسير السلف ، بل تجده - كما لاحظنا عليه ، كما قال السيوطي في الإتيقان (٣) - يكثر من الرواية عن الشدي الصغير ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس وهذه هي سلسلة الكذب ، كذلك نجده قد وقع فيما وقع فيه كثير من المفسرين من الاغترار في الأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن سورة سورة ، فروى في نهاية كل سورة حديثاً في فضلها منسوباً إلى أبي بن كعب ، كما اغتر بكثير من الأحاديث الموضوعة على السنة الشيعية ، فسودها كتابه دون أن يشير إلى وضعها واختلافها ، وفي هذا ما يدل على أن الثعلبي لم يكن له باع في معرفة صحيح الأخبار من سقيمها .

(١) فتاوى ابن تيمية « ١٩٣ : ٢ » .

(٢) الرسالة المستطرفة « ص ٥٩ » .

(٣) الإتيقان « ١٨٩ : ٢ » .

ويمتاز هذا التفسير بالتوسع إلى حد كبير في ذكر الاسرائيليات ، ولعل ذلك يرجع إلى أن الثعلبي كان واعظاً وشأن الواعظ - في الغالب - أن يغلب عليه الجانب القصصي فيما يليقه على الناس وفيما يكتب لهم ، وقد لمسنا هذه الظاهرة في الثعلبي بصورة واضحة في كتابه العرائس الذي ألفه في قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

موقفه من الاسرائيليات .

والثعلبي مكثر جداً من رواية الإسرائيليات ؛ بل لقد فاق في ذلك جميع المفسرين - فيما أعلم - بدون أن يتعقب شيئاً منها أو ينبه على مافيه ، رغم استبعاده وغرابته ، وقد قرأت في كتابيه : (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) ، (والعرائس) قصصاً إسرائيلياً نهاية في الغرابة .

فمن ذلك مثلاً :

أ - ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) قال : فقالوا - أي إخوة يوسف - : ألم تروا إلى أيننا كيف يكذبنا في مقالتنا ، فتعالوا نصطد ذئباً ، قال : فاصطادوا ذئباً ولطخوه بالدم وأوثقوه بالحبال ، ثم جاؤوا به يعقوب وقالوا : يا أبانا إن هذا الذئب الذي يحل بأغنامنا ويفتوسها ؛ ولعله الذي فجعناباً خينا ، لانك فيه ، وهذا دمه عليه ، فقال يعقوب : أطلقوه ، فأطلقوه ، فصبص له الذئب وأقبل يدنو منه ويقول له يعقوب : ادن ادن ، حتى ألصق فخذ بفضده ، فقال له يعقوب : أيها الذئب لم فجعتني في ولدي وأورثني بعده حزناً طويلاً ؟ ثم قال : اللهم أنطقه ، فأنطقه ، فقال : والذي اصطفاك نبياً ما أكلت لحمه ، ولا مزقت جلده ، ولا نتفت شعرة من شعره ، ووالله مالي بولدك عهد ، وإنما أنا ذئب غريب أقبلت من نواحي مصر في طلب أخ لي فقدته ، فلا أدري أخي هو أم ميت ؟ فاصطادني ولدك وأوثقني ، وإن لحوم الأنبياء حرمت علينا وعلى جميع الوحوش ، وبالله لا تمث في بلد يكذب فيها أولاد الأنبياء على

الوحوش ، فأطلقه يعقوب ، وقال لبيه : والله لقد أتيت بالحنة على أنفسكم ، هذا ذئب بهيمة ، خرج يتبع زمام أخيه ، وأنتم ضيعتم أخاكم ، وعلمت أن الذئب بريء مما جئتم به (بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) (١) .

ب - وما ذكره عند قوله تعالى : (إذ أوى الفتية إلى الكهف .. الآية) فقال فيما يرويه عن السدي ووهب وغيرهما : (وأسماؤم - يريد الفتية - مكشمتا - وهو كبيرهم ورئيسهم - وإيلخا - وهو أجملهم وأعبدتهم وأنشطهم - ومكشينا ، ومرطوش ، ونوافي ، وكير ، وسططنوس . وكلهم قطمير ...) ثم قال : (قال كعب : مروا بكلب ، فنبح فطرده مراراً ، فقام الكلب على رجله رافعاً يديه إلى السماء كهيئة الداعي فنطق ، فقال : لا تتخافوا مني أنا أحب أحب الله فناموا حتى أحرسكم) ثم ذكر من قصتهم ما ذكر إلى أن قال : (وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم سأل الله أن يريه إياهم ، فقال : إنك لن تراه في دار الدنيا ؛ ولكن ابعث إليهم أربعة من خيار أصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم إلى الإيمان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل : كيف أبعهم ، فقال : أبسط كساءك وأجلس على طرف من أطرافه أبا بكر ، وعلى الآخر عمر ، وعلى الثالث عثمان ، وعلى الرابع علي بن أبي طالب ، ثم ادع الريح الرخاء المسخرة لسليان ؛ فإن الله تعالى يأمرها أن تطيعك ففعل ، فحملتهم الريح إلى باب الكهف فقلعوا منه حجراً فحمل الكلب عليهم ، فلما رآهم حرك رأسه وبصص بعينه وأومأ برأسه : أن ادخلوا ، فدخلوا الكهف فقالوا : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته معشر الفتية ، إن النبي محمد بن عبد الله يقرأ عليكم السلام ، فقالوا : على محمد رسول الله السلام مادامت السموات والأرض وعليكم ما أبلغتم ، وقبلوا دينه وأسلموا ، ثم قالوا : أقرئوا محمداً رسول الله منا السلام ، وأخذوا مضاجعهم ، وصاروا إلى رقدتهم ..) (٢) أه .

(١) تفسير الثعلبي (ج ٤ ورقة ٢١) .

(٢) تفسير الثعلبي « ج ٤ ورقة ١٢١ - ١٢٥ » .

والعجيب أن الثعلبي يمر على هذه الرواية وما قبلها دون أن يتعقبها بكلمة تكذيب لها أو شك فيها؛ مع أن روائع الكذب بادية عليها وبخاصة الرواية الثانية، فما محمد عليه الصلاة والسلام بالشخص الذي يعبت فيسأل ربه أن يريه أصحاب الكهف؛ ولو وقع منه سؤال لربه - كما في الرواية - فلم لا يجاب إلى طلبه؟ ويؤمر بإرسال أربعة من صحابته إليهم فيروهم رأى العين؟ هل معنى هذا أن محمداً صلى الله عليه وسلم هان على ربه فحرمه من شيء تأقت نفسه إليه ولم يحرم منه بعض أصحابه؟ ولم كان الأربعة الذين أرسلهم هم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وهم الخلفاء الأربعة؟ أليس في ذلك روائع الكذب وأمارات الاختلاق؟ ثم أليس في تسخير الريح لمحمد عليه الصلاة والسلام ما يتنافى مع ما جاء في القرآن من قول نبي الله سليمان عليه السلام: (رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب فسخر له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب) ومثبت في الحديث من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أن يربط شيطاناً بسارية المسجد؛ حتى إذا أصبح الصبح يراه أصحابه، فلما تذكر دعوة أخيه سليمان: (رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي) أطلقه، أليس في كل ما ذكر ما يكفي لرد هذه الرواية وأنها لا أساس لها من الصحة؟ أعتقد بأن فيما ذكرته ما يكفي لردها وبيان بطلانها.

ج - وعند تفسير قوله تعالى: (فلما استأسوا منه خلصوا نجياً . . الآية) روى عن وهب وغيره، قال: (وذلك أن الإخوة لما يسوا من أن يجيبهم يوسف إلى رد أخيم، فقال بعضهم لبعض: تعلمون أن أبانا قد أخذ علينا ميثاقاً غليظاً.. وقد عجزنا عن الإتيان به من جهة المسألة، فلا بد أن ندخل على الملك، فلما أن يرد علينا أخانا، وإما أن نقاتل بالقوة التي ركبها الله فينا - وذلك أن بني يعقوب كانوا من القوة بحيث إذا غضب واحد منهم اقشعر جلده، وانفخ جسده، وظهرت شعرات ظهره من تحت الثوب حتى يقطر من كل شعرة قطرة دم، وإن ضرب الأرض برجليه تزلزلت وتهدم البنيان، وإن صاح لم تسمعه حامل من الإنس

والبهائم والطير إلا وضعت مافي بطنها . . فلا يبدأ غضبه إلا أن يسفك دمأ أو تمسكه يد من نسل يعقوب ، فإذا مسته يد من نسل يعقوب سكن غضبه ، وذهبت قوته وصار كرجل من الناس - فقال (يهوذا) لهم - وهو كان أشد غضباً :- إما أن تكفوني الملك ومن معه فأكفيكم أهل مصر، وإما أن تكفوني أهل مصر فأكفيكم الملك ومن معه ، قالوا : بل اكفنا الملك ومن معه نكفك أهل مصر ، فبعث واحداً من إخوته ، فعدوا أسواق مصر فوجدوا فيها تسعة أسواق ، فأخذ كل واحد منهم سوقاً ، ثم إن يهوذا دخل على يوسف وقال : أيها العزيز إن رددت علي أخي حمدناك وشكرناك ، وإن لم ترده بالحنى صحت صيحة لا يبقى بحضرتك حامل إلا وضعت مافي بطنها ورأيت منا ما تكوره ، فأغضبه يوسف وأسمعه كلمة فظة، فغضب يهوذا واشتد غضبه، وانتفخت شعراته، وصار من الحمية والانتفاخ بحيث لا يشبه الناس ، فلما علم يوسف أن غضبه قد تم ، قال : لابن له صبي : يا بني اذهب إلى ذلك الرجل القائم فأتني به ، فلما أخذ الغلام بيد يهوذا سكنت نفسه ، وذهب غضبه ، فالتفت يميناً وشمالاً لعله يرى أحداً من إخوته فلم ير ، فخرج مسرعاً إلى إخوته ، فقال لهم : هل حضرتي أحد منكم ؟ قالوا : لا ، قال فأين ذهب شععون ؟ قالوا : ذهب إلى الجبل فخرج فلقه وقد احتمل صخرة عظيمة قال ماتضع بهذه ؟ قال : أذهب إلى السوق الذي وقع في نصبي أشدخ بها رؤوس كل مار فيه ، قال : فارجع ، فردها أو ألقها في البحر ، فوالذي اتخذ إبراهيم خليلاً لقد مستني كف من نسل يعقوب ، ثم دخلوا على يوسف - وكان يوسف أشد منهم بطشاً - فقال : يامعشر العبرانيين أتظنون أنه ليس أحد أشد منكم قوة ، ثم عمد إلى حجر عظيم من حجارة الطاحونة فركله برجله . . ثم أمسك يهوذا بإحدى يديه فصرعه ، وقال لبعض خدمه : هات الحدادين حتى أقطع أيديهم وأرجلهم وأضرب أعناقهم ، ثم صعد على سريره وجلس على فراشه وأمر بصواعه ، فوضع بين يديه فقره فقره فخرج طينته ، فالتفت إليهم وقال : أتدرون ما يقول ؟ قالوا : لا ، قال فإنه يقول : إنه ليس على قلب أبيهم هم ولا غم ولا كرب إلا من سيهم . . الخ (١) .

(١) تفسير الثعلبي « ج ٤ ورقة ٣٦ » .

د - وعند قوله تعالى : (وإذ رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ..
الآية) قال : (قالت الرواة : إن الله تعالى خلق موضع البيت قبل الأرض بألفي
عام ، فكانت زبدة يضاء على الماء ، فدحيت الأرض من تحتها ، فلما أهبط الله
آدم إلى الأرض كادت رأسه تمس السماء حتى صلع وأورث أولاده الصلع ، ونفرت
من طوله دواب البر فصارت وحوشاً من يومئذ ، وكان يسمع كلام أهل السماء وتسيحهم
ودعاهم فيأنس إليهم ، فهابته الملائكة واشتكت نفسه ، فنقصه الله تعالى ستمين
ذراعاً بذراعه ، فلما فقد آدم ما كان يسمع من أصوات الملائكة استوحش وشكا
ذلك إلى الله تعالى ، فأنزله الله تعالى بيتاً ياقوته من يواقيت الجنة ، له بابان من
زمرد أخضر :

باب شرقي وباب غربي ، وفيه قناديل من الجنة ، فوضعه على موضع البيت
الآن ، وقال يا آدم : إني أهبط لك بيتاً تطوف به كما تطوف الملائكة حول
عرشي ، وتصلي عنده كما تصلي الملائكة عند عرشي ، وأنزل عليه الحجر الأسود
ليمسح به دموعه ، وكان أبيض ، فلما لمسه الحيض في الجاهلية اسود .. الخ)^(١) .
فهذه المبالغات في وصف قوة يوسف عليه السلام وإخوته وفي وصف طول
آدم عليه السلام ؛ حتى إن رأسه تمس السماء ولذلك صلع وأورث أولاده الصلع
.. الخ !؟ أقول هذه المبالغات لم يتضمنها القرآن العظيم ولا الحديث الصحيح ،
وإنما هي من أكاذيب القصص وإسرائيليات أهل الكتاب ؛ فما أجدر كتاب الله أن
ينقى من مثل هذه الخرافات .

قال ابن قتيبة مستكراً أقوال القصص في هذا الصدد : (ثم يذكر^(٢)
آدم عليه السلام ويصفه فيقول : وكان رأسه يبلغ السحاب أو السماء ، ومجاكها ،
فاعتراه لذلك الصلع ، ولما هبط إلى الأرض ، بكى على الجنة حتى بلغت دموعه

(١) تفسير الثعلبي « ج ١ ورقة ١٠٦ » .

(٢) أي القاص .

البحر، وجرت فيها السفن، وليس في شيء مما وصف الله تعالى به من قبلنا ما يقارب هذا الإفراط (١) .

وقد عقب صاحب المنار على القصة الأخيرة بقوله : (.. ولكن القصص ومن تبعهم من المفسرين جاؤونا من ذلك بغير ما قصه الله تعالى علينا ، وتفننوا في رواياتهم عن قدم البيت ، وعن حج آدم ومن بعده من الأنبياء إليه .. وأن الحجر كان ياقوتة بيضاء وقيل زمردة من يواقيت الجنة أو زمردا ، وأنها كانت مودعة في باطن جبل أبي قيس ، فتمخض الجبل فولدها ، وأن الحجر إنما اسود للملامسة النساء الحبيص له .. الخ . وكل هذه الروايات خرافات إسرائيلية بشها زنادقة اليهود في المسامين ؛ ليشوهوا عليهم دينهم وينفروا أهل الكتاب منه) .

وعلق الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده أيضاً ساخراً : (لو كان أولئك القصاصون يعرفون الماس لقالوا : إن الحجر الأسود منه ، لأنه أبهج الجواهر منظراً وأكثرها بهاء ، وقد أراد هؤلاء أن يزينوا الدين ويرقصوه برواياتهم هذه ، ولكنها إذا راقت البله من العامة ، فإنها لاتروق لأهل العقل والعلم الذين يعلمون أن التشريف إنما هو هذا الضرب من الشرف المعنوي ، فشرف هذا البيت إنما هو بتسمية الله تعالى إياه بيته ، وجعله موضعاً لضروب من عبادته لاتكون في غيره كما تقدم ، لايكون أحجاره تفضل سائر الأحجار ، ولا يكون موقعه يفضل سائر المواقع ، ولا يكونه في السماء ، ولا بأنه من عالم الضياء . وكذلك شرف الأنبياء على غيرهم من البشر ليس لمزية في أجسامهم ولا في ملابسهم ، وإنما لاصطفاء الله تعالى إياهم ، وتخصيصهم بالنبوة التي هي أمر معنوي ، وقد كان أهل الدنيا أحسن زينة وأكثر نعمة منهم) (٢) .

هـ - وعندما عرض لتفسير قوله تعالى : (وما أنزل على الملكين ببابل

(١) تأويل مختلف الحديث « ٢٨١ - ٢٨٢ » .

(٢) تفسير المنار « ٤٦٦ : ١ - ٤٦٧ » .

هاروت وماروت .. الآية) قال : (قال ابن عباس والمفسرون : لما رأت الملائكة ما يصعد إلى السماء من أعمال بني آدم الحيثة وكثرة ذنوبهم — وذلك في زمن إدريس — يوم بذلك ودعوا عليهم ، قال الله تعالى : فاخترأوا ملكين من خياركم ليطبقا إلى الأرض ، فاخترأوا هاروت وماروت — وكانا من أصلح الملائكة وأجودهم — فركب الله فيهم الشهوة وأمرهم أن يحكموا في الأرض بين الناس بالحق ، قال قتادة : فإمر عليها أشهر حتى افتتنا جميعاً ، وذلك أنها اختصم إليهما ذات يوم (الزهرة) وكانت من أجل النساء . قال علي : وكانت من أهل فارس ، وكانت ملكة في بلدها ، فأخذت بقلوبها ، فراودها عن نفسها فأبى وقالت : إلا أن تعبدما أعبد ، وتصليا لهذا الصنم ، وتقتلا النفس ، وتشربا الخمر ، ففعلا ، فمسخ الله الزهرة كوكباً ، وقال علي بن أبي طالب والسدي والكلبي : إنها قالت لهما لن تدركاني حتى تجرباني بالآية التي تصعدان بها إلى السماء ، فقالا : بسم الله الأكبر فعمامها ذلك ، فتكلمت به فصعدت إلى السماء ، فمسخها الله تعالى كوكباً ، يدل عليه قول علي ، قال : كان النبي عليه السلام إذا رأى سهيلاً قال : « لعن الله سهيلاً كان عشاراً باليمن ، ولعن الله الزهرة فإنها قتلت ملكين » (١) أه .

لو أن هذه القصة الإسرائيلية المكذوبة وقف بها عند قائلها ، لكان الأمر محتملاً ، ولكن الشناعة وكبر الإثم أن ترفع إلى المعصوم صلى الله عليه وسلم بقصد تأييد هذه الفرية وتثبيتها عند السامعين ، والقصة كلها مكذوبة مختلقة سواء الموقوف منها أو المرفوع ، وقد حكم بوضعها الإمام أبو الفرج بن الجوزي ونص الشهاب العراقي : على أن من اعتقد في هاروت وماروت أنها ملكان يعذبان على خطيئتهما فهو كافر بالله العظيم (٢) . وقال القاضي عياض في الشفاء : (وما ذكر فيها — أي قصة هاروت وماروت — أهل الأخبار ونقله المفسرين ، وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلائهما فاعلم — أكرمك الله — أن هذه الأخبار لم يروها منها شيء

(١) تفسير الثعلبي « ج ١ ورقة ٩٠ » .

(٢) نقلاً عن روح المعاني « ٣٤١ : ١ » .

لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (^(١)) كما زيف المرفوع من هذه القصة الحافظ ابن كثير ، وبين أن منشأ ذلك روايات إسرائيلية أخذت عن كعب الأحبار وغيره من علماء أهل الكتاب ، وألصقها الزنادقة بالنبي صلى الله عليه وسلم زوراً وبهتاناً . قال ابن كثير : (وأقرب ما يكون في ذلك أنه من رواية عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار لا عن النبي صلى الله عليه وسلم) وقال أيضاً : (وقد روي في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين . . . وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين ، وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل ، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطنباب ، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أَرَادَهُ اللهُ تعالى ، والله أعلم بحقيقة الحال) (^(٢)) .

والثقات من المحدثين لم يرفعوها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإنما وقفوها على كعب وأضرابه ، ، والملائكة معصومون عن مثل هذه الكبائر التي لا تصدر إلا من عبيد لا خلاق له ، ثم كيف ترفع الفاجرة إلى السماء وتصير كو كباً مضيئاً ؟ وما النجم المعروف بهذا الاسم إلا في مكانه من يوم أن خلق الله السموات والأرض ، وما ذكره من هذا الخلط لا يوافق سياق الآية ، ولا نزلت له ، وليس السبب في نزول الملكين ما ذكروا ؛ وإنما السبب أن السحرة كثروا في ذلك الزمان واخترعوا أبواباً من السحر ، حتى كادوا أن يفسدوا عقول الناس ويضلوهم عن الحق ، فبعث الله هذين الملكين كي يعلما الناس السحر فلا يشبهه عليهم بالمعجزة ، وبذلك يسهل عليهم التمييز بين حق الأنبياء وباطل هؤلاء وقد احتاط الملكان ، وبالغا في التحذير من العمل في السحر (وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنه فلا تكفر) وبذلك تبين الحق وظهر أن هذه الحرافة لا تمت إلى الإسلام بصلة .

(١) الشفاء للغاضي عياض « ١٧٠ : ٢ » ط عثمانية سنة ١٣١٢ هـ .

(٢) تفسير ابن كثير « ١ : ١٣٨ - ١٤١ » .

و - وعند قوله تعالى : (إن آية ملكة أن يأتيكم التابوت .. الآية) قال :
 (وكانت قصة التابوت وصفته على ما ذكره أهل التفسير وأصحاب الأخبار ؛ أن الله تعالى أنزل تابوتاً على آدم عليه السلام فيه صورة الأنبياء من أولاده ، وفيه بيوت بعدد الأنبياء كلهم عليهم السلام ، وآخر البيوت بيت محمد صلى الله عليه وسلم من ياقوتة حمراء ، وإذا هو قائم يصلي عن يمينه الكهل المطيع ، مكتوب على جبينه : هذا أول من يتبعه من أمته : أبو بكر رضي الله عنه ، وعن يساره الفاروق ، مكتوب على جبينه : قرن من حديد ، لاتأخذه في الله لومة لائم ، ومن ورائه ذو النورين بحجرته ، مكتوب على جبينه : بار من البررة ، ومن بين يديه علي بن أبي طالب شاهراً سيفه على عاتقه ، مكتوب على جبينه هذا أخوه وابن عمه المؤيد بالنصر من عند الله . وكان التابوت نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين ، وكانت من عود الشمشاذ الذي يتخذ منه الأمشاط ، بموه بالذهب ، فكان عند آدم عليه السلام إلى أن مات ، ثم شيث ، ثم توارثه أولاد آدم .. ألخ) (١) .

وقد أورد صاحب المنار صفة التابوت من أول الفصل الخامس والعشرين من سفر الخروج لكي يتبين منشأ هذه الروايات الإسرائيلية ، ثم علق بقوله :
 (وغرضنا منها معرفة حقيقة التابوت عندهم ، فإنك لتجد في بعض كتب التفسير وكتب القصص عندنا أقوالاً غريبة عنه ، منها : أنه نزل مع آدم من الجنة ، ومنشأ تلك الأقوال ما كان ينبذه الإسرائيليون من القصص بين المسلمين مخادعة لهم ، ليكثر الكذب في تفسيرهم للقرآن فيضلوا به ، ويجد اليهود مجالاً واسعاً للطعن في القرآن يصدون به قومهم عنه) (٢) .

ز - وعند قوله تعالى : (قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين ... الآية)
 قال : (قال قتادة ، والحكم بن عتيبة ، وابن جريج ، ومحمد بن كعب : لم يكن في

(١) تفسير الثعلبي « ج ١ ص ٢١٩ » .

(٢) تفسير المنار « ٢ : ٤٨٢ » .

السفينة إلا نوح وامرأته وثلاثة أولاد له : سام ، ويافت ، وحام ، ونساؤهم ، فجميع من كان في السفينة ثمانية ، فأصاب حام امرأته في السفينة ، فدعا نوح الله أن يغير نطقه فجاء بالسودان (١) .

وهذا القول مختلف لأن فيه مخالفة لظاهر الآية ، بل هي نص في أنه قد ركب معه — غير أهله — طائفة ممن آمن به كما قال : (ونجني ومن معي من المؤمنين) كما نبه عليه الحافظ ابن كثير (٢) .

ح — وعند قوله تعالى : (قالوا يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة) روى عن كعب الأحبار أنه قال : (كان يوسف حسن الوجه ، جعد الشعر ، ضخم العنق ، مستوي الخلق ، أبيض اللون ، غليظ الساعدين والعضدين ، خميص البطن ، صغير السرة ، إذا ابتسم رأيت النور من ضواحه ، وإذا تكلم رأيت في كلامه شعاع الشمس من ثناياه ، لا يستطيع أحد وصفه ، وكان حسنه كضوء النهار عند الليل ، وكان يشبه آدم يوم خلقه الله وصورة ونفخ فيه من روحه قبل أن يصيب المعصية (٣)) ونحن لا ننكر — بصفة عامة — جمال يوسف عليه السلام وأنه أوتي شطر الحسن ، ولكن الذي ننكره هذا التحديد الدقيق في وصف لونه وملامح جسده وشبهه بآدم ، والذي لا يتأتى إلا لمن شاهده هو وآدم عليهما السلام عياناً ، ولا دليل على ما ذكر من كتاب أو سنة وإنما هو النقل من أساطير العهد القديم التي لا تثبت عند التحقيق .

ونجد الثعلبي يروي كثيراً من الأحاديث الموضوعة دون أن ينبه على وضعها ، بما يدل على قلة بضاعته في الحديث كما قيل عنه ، ومن ذلك مثلاً :

أ — ما ذكره عند قوله تعالى : (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل

(١) تفسير الثعلبي « ج ٤ ورقة ٧ » .

(٢) انظر البداية والنهاية « ١١٢ : ١ » .

(٣) تفسير الثعلبي « ج ٤ ورقة ٢١ » .

وجعلنا آية النهار مبصرة لئبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلاً (١) فقد نقل عنه القرطبي حديثاً يرويه عن ابن عباس مرفوعاً ، قال : (إن الله تعالى أمر جبريل عليه السلام ، فأمر جناحه على وجه القمر فطمس عنه الضوء ، وكان كالشمس في النور ، والسواد الذي يرى في القمر من أثر المحر) (٢) .

وفي إسناد الحديث نوح بن أبي مریم وهو وضاع كبير وقد حكم ابن الجوزي على الحديث بالوضع (٣) ، وما يشهد باختلاق مثل هذه المرويات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يتعرض للكونيات بهذا التفصيل ، ولما سئل عن الهلال ؛ لم يبدو صغيراً ثم يكبر ثم يصغر ؟ أجاب الله سائله بالفائدة فقال : (هي مواقيت للناس والحج) وهو من الأسلوب الحكيم ، إذ توجيه الناس إلى الاعتبار للغاية والفائدة خير وأجدى من بيان السبب والعلة ، وليس من الحكمة التعرض لمثل هذه الكونيات بالتفصيل كما يصنع أهل الفلك والهيئة ، وترك مثل هذا للزمن كي يتوصل إليه البشر بعقولهم واجتهادهم وبجهدهم أولى ، ولا سيما وأنه لا يتوقف على معرفة الناس لمثل هذه التفصيلات الفلكية فائدة دينية ، بل قد يكون في ذكرها على ما هو المعروف في علم السنن الكونية فتنة لبعض العقول الضعيفة التي لا تستسيغ مثل هذه التفصيلات في ذاك الزمن ، والإسلام في مثل هذا حكيم كل الحكمة وصدق ابن مسعود رضي الله عنه حيث يقول : (ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة) ويعجبني في هذا المعنى ما ذكره الآلوسي عن بعض الفضلاء حيث قال : (إنه لم يجر في ترتيب الأجرام العلوية والسفلية وشرح أحوالها - كما فعل الفلاسفة - عن الشارع شيء ، لما أن ذلك ليس

(١) الآية ١٢ من سورة الاسراء .

(٢) تفسير القرطبي « ١٠ : ٢٢٧ - ٢٢٨ » .

(٣) الآله المصنوعة « ١ : ٢٤ » وما بعدها .

من المسائل المهمة في نظره عليه الصلاة والسلام ، وليس المهم إلا التفكير والاستدلال بها على وحدة الله وكما له جل جلاله (١) .

ب - ومن ذلك أيضاً ما ذكره في قوله تعالى في سورة يوسف : (إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) قال : عن جابر أن رجلاً من اليهود أتى النبي صلى الله عليه وسلم يقال له قيسان ، فقال : يا محمد أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف ساجدة له ما اسمها ؟ فلم يجبه ، فنزل جبريل فأخبره بأسمائها ، فقال : جريان ، والطارق ، والذبال ، وذو الكنفات ، وقابس ، ووثاب ، وعمردان ، والمصبح ، والفليق ، والفروخ ، والقرع ، والشمس ، والقمر ، رآها يوسف نزلت من السماء فسجدت له ، فقال اليهودي : إي والله ، إنها لأسمائها (٢) أه وقد نبه على وضعه الحافظ ابن الجوزي وأعلّنه بالحكم بن ظهير الذي تفرد به ، وقد ضعف الأئمة الحكم ابن ظهير ، فقال فيه الجوزجاني : ساقط ، وهو صاحب حديث نجوم يوسف (٣) ، وقال ابن معين : ليس بثقة ، وقال البخاري : منكر الحديث (٤) .

٤ - معالم التنزيل للبغوي

التعريف بالمؤلف .

هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد ، المعروف بالقرءاء والبغوي ، الفقيه الشافعي ، المحدث ، المفسر ، الملقب بمحيي السنة وركن الدين .

تفقه البغوي على القاضي حسين وسمع الحديث منه ، ونبغ في التفسير

(١) تفسير الآلوسي « ٩٩:١٣ » .

(٢) تفسير الثعلبي « ج ٤ ورقة ١٨ » .

(٣) تفسير ابن كثير « ٤٦٨:٢ - ٤٦٩ » .

(٤) ميزان الاعتدال « ٥٧١:١ » .

والحديث والفقه حتى عده التاج السبكي من علماء الشافعية الأعلام ، فقال عنه :
كان إماماً جليلاً ، ورعاً زاهداً فقيهاً ، محدثاً مفسراً ، جامعاً بين العلم والعمل ،
سالماً سبيل السلف ، وصنف في تفسير كلام الله تعالى ، وأوضح المشكلات
وقول النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى الحديث واعتنى بدراسته ، وصنف
كتباً كثيرة ، فمن تصانيفه : معالم التنزيل في التفسير -- وهو الذي نحن بصده --
وشرح السنة في الحديث ، والمصايح في الحديث أيضاً ، والجمع بين الصحيحين ،
والتهذيب في الفقه ، وغير ذلك . وقد بورك له في تصانيفه ورزق فيها القبول
لحسن نيته^(١) .

توفي رحمه الله في شوال سنة عشر وخمسمائة من الهجرة .

التعريف بالتفسير .

قال ابن تيمية في مقدمته في أصول التفسير : (والبغوي تفسيره مختصر من
الثعلبي ، لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة)^(٢) .

وقال في فتاواه - وقد سئل عن أي التفاسير أقرب إلى الكتاب والسنة ؟
الزمخشري ؟ أم القرطبي ؟ أم البغوي ؟ أم غير هؤلاء ؟ - : (وأما التفاسير
الثلاثة المسئول عنها ، فأسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة البغوي ، لكنه
مختصر من تفسير الثعلبي ، وحذف منه الأحاديث الموضوعة والبدع التي فيه ،
وحذف أشياء غير ذلك)^(٣) أه .

وقال الاستاذ الكتاني رحمه الله في الرسالة المستطرفة ص ٥٨ (وقد يوجد

(١) انظر في ترجمته: الطبقات الكبرى لابن السبكي « ٢١٤:٤ - ٢١٥ »
وطبقات المفسرين للسيوطي ص ١٣ ، ووفيات الأعيان « ١٤٥:١ - ١٤٦ » والتفسير
والمفسرون « ٢٣٤:١ - ٢٣٥ » .

(٢) مقدمة في أصول التفسير ص ١٩ .

(٣) فتاوى ابن تيمية « ١٩٣:٢ » .

فيه - يعني معالم التنزيل - من المعاني والحكايات ما يحكم بضعفه أو وضعه) أه .
وقال البغوي في مقدمة تفسيره - مبنياً من نقل عنهم في تفسيره من أئمة
الصحابة والتابعين وتابعهم - : (وما نقلت فيه من التفسير عن عبدالله بن عباس رضي
الله عنهما خبر هذه الأمة ، ومن بعده من التابعين وأئمة السلف مثل مجاهد ، وعكرمة ،
وعطاء بن أبي رباح ، والحسن البصري ، رضي الله عنهم ، وقادة ، وأبي العالية ، ومحمد بن
كعب القرظي ، وزيد بن أسلم ، والكلبي ، والضحاك ، ومقاتل بن حيان ، ومقاتل
ابن سليمان ، والسدي ، وغيرهم ، فأكثرها بما أخبرني الشيخ أبو سعيد أحمد بن
محمد الشريحي الحوارزمي فيما قرأته عليه عن الأستاذ أبي إسحق أحمد بن محمد بن
إبراهيم الثعلبي عن شيوخه .. الخ) (١) .

ويلاحظ أن البغوي لم يكن دقيقاً فيما يأخذ به من الأسانيد؛ فهو مثلاً ينقل
عن الكلبي والضحاك ومقاتل بن سليمان والسدي . وهؤلاء الأربعة موضع تهمة عند
علماء الجرح والتعديل ، كما يلاحظ أن البغوي تلميذ للثعلبي صاحب كتابي (الكشف
والبيان عن تفسير القرآن) و (قصص الأنبياء) اللذين يفيضان بالاسرائ依ليات فلا
شك أن البغوي قد تأثر بالثعلبي الذي اختصر تفسيره فنقل في تفسيره الكثير من
هذه الاسرائ依ليات . وقد طبع هذا التفسير في نسخة واحدة مع تفسير ابن كثير
القرشي الدمشقي ، كما طبع مع تفسير الخازن .

موقفه من الاسرائ依ليات .

كنا نتوقع أن يكون البغوي دقيقاً فيما يأخذ به من الأسانيد ، كما كـنا
نتوقع أن يتعقب ما يرويه من الاسرائ依ليات ، وبخاصة أنه من رجال الحديث وله
دراية واسعة بمراتب الجرح والتعديل ، ولكنه لم يفعل شيئاً من ذلك فنقل كثيراً
من الاسرائ依ليات . ومن ذلك مثلاً :

(١) تفسير البغوي « ٣: ١ - ٦ » - نسخة على هامش تفسير الخازن .

أ - قال في تفسير قوله تعالى : (وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون) (١) .

(وكانت بنوا إسرائيل قد استعاروا حلياً كثيرة من قوم فرعون حين أرادوا الخروج من مصر لعمل عرس لهم ، فأهلك الله فرعون وبقيت تلك الحلي في أيدي بني إسرائيل ، فلما فصل موسى ، قال السامري لبني إسرائيل :

إن الحلي التي في أيدي بني إسرائيل والتي استعتموها من قوم فرعون غنيمة لا تحل لكم ، فاحفروا حفرة وادفنها فيها حتى يرجع موسى فيرى فيها رأيه ، وقال السدي : إن هارون عليه السلام أمرهم أن يلقوها في حفرة حتى يرجع موسى ففعلوا ، فلما اجتمعت الحلي صاغها السامري عجلاً في ثلاثة أيام ، ثم ألقى فيها القبضة التي أخذها من تراب فرس جبريل ، فخرج عجلاً من ذهب مرصعاً بالجواهر كأحسن ما يكون ، فخارخواره ، وقال السدي : كان يخور ويمشي (٢) .

فهذه القصة من الإسرائيليات التي لا يليق بالمسلمين أن يشتغلوا بها وقد آن لهم أن يطهروا كتبهم وعقولهم من هذه الخرافات .

ب - وقال عند تفسير قوله تعالى : (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) (٣) .

(روى عن علي : ليست بدابة لها ذنب ، ولكن لها حية - كأنه يشير إلى أنه رجل - والأكثر على أنها دابة ، وروى ابن جريج عن ابن الزبير أنه وصف الدابة فقال : رأسها رأس الثور ، وعينها عين الخنزير ، وأذنها أذن فيل ، وقرنها قرن أيل ، وصدرها صدر أسد ، ولونها لون غمر ، وخاصرتها خاصرة هر ، وذنبها ذنب كبش ، وقوائمها قوائم بعير ، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعاً ، معها عصا

(١) الآية ٥١ من سورة البقرة .

(٢) تفسير البغوي « ٥١ : ١ » .

(٣) الآية ٨١ من سورة النمل .

موسى . وخاتم سليمان ، فلا يبقى مؤمن إلا نكته في مسجده^(١) بعضا موسى
نكته بيضاء ، يضيء بها وجهه ، ولا يبقى كافر إلا نكته وجهه بخاتم سليمان
فيسود بها وجهه (٢) .

والواقع أن هذه الدابة قد قيل في شأنها أكثر من ذلك ، وعملت فيها
الروايات والآثار عملها المعروف في كل غيبي مما أبهمه القرآن ، ولم يتصل به بيان
قاطع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أغرب ما قيل في حقيقتها : إنها
إنسان وأنه علي رضي الله عنه ، وقيل : إنها ولد ناقة صالح فر هاربا حينما عقروا القوم
أمه ، وانفتحت له في طريقه صخرة فدخلها ثم انطبقت عليه ، فهو في باطنها إلى أن
يخرج قرب يوم القيامة ، وقيل : إنها دابة قديمة خلقت في عهد الأنبياء المتقدمين
وإن موسى سأل ربه أن يريه إياها فأخرجها ثلاثة أيام ولياليها تذهب في السماء
لا يرى واحد من طرفها ، فرأى عليه السلام منظرأ فظيعا ، فقال : يارب ردها ،
فردها ، أو إنها هي الثعبان الذي كان في جوف الكعبة واختطفته العقاب حين
أرادت قريش بناء البيت الحرام فمنعهم ، فألقته العقاب بالحجون ، فالتقمته الأرض
وهو في باطنها حتى يخرج قبل يوم القيامة (٣) .

ومن أغرب ما قيل في صفة الدابة : أن طولها ستون ذراعاً بذراع آدم عليه
السلام ، لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب ، وأن لها مع جميع دواب الأرض
مشابهة تامة في عضو من أعضائها : فلها وجه إنسان ، ورأس ثور ، وعين خنزير ،
وأذن فيل .. إلى آخر ماسودت به الصحف وضاع الوقت في نقله (٤) .

وقال الإمام الرازي : - بعد أن حكى هو أيضاً شيئاً من أخبارها .

(١) جبهته .

(٢) البغوي « ١٣٠٠ : ١٣١ » .

(٣) انظر الفتاوى للاستاذ الشيخ محمود شلتوت رحمه الله « ص ٤٥ - ٥٥ » .

(٤) انظر روح المعاني للألوسي « ٢٢ : ٢ » .

(وأعلم أنه لادلالة في الكتاب على شيء من هذه الأمور ، فإن صح الخبر فيه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قبل ، وإلا لم يلتفت إليه) (١) .

ج - وعند قوله تعالى : (وائل عليهم نبا ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً ... الآية) قال : (وكان سبب قربانها على ما ذكره أهل العلم : أن حواء كانت تلد لآدم عليه السلام في كل بطن غلاماً وجارية ، وكان جميع ما ولدته أربعين ولداً ؛ أولهم (قاييل) وتوأمته (إقليما) وآخرهم عبد المغيث وتوأمته (أمة المغيث) ثم بارك الله عز وجل في نسل آدم عليه السلام ، قال ابن عباس لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفاً ، واختلفوا في مولد قاييل وهابيل فقال بعضهم : غشي آدم حواء بعد مهبطها إلى الأرض بمائة سنة ، فولدت له قاييل وتوأمته إقليما في بطن واحد ، ثم هابيل وتوأمته (لبودا) في بطن .

وقال محمد بن إسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول : آدم كان يغشى حواء بالجنة قبل أن يصيب الخطيئة ، فحملت فيها بقاييل وتوأمته (إقليما) فلم تجد عليها ورحماً ولا وصباً ولا طلقاً ؛ حتى ولدتها ولم تر معها دمماً ، فلما هبطا إلى الأرض تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته ، فوجدت عليها الوحم والوصب والطلق والدم ، وكان آدم إذا شب أولاده يزوج غلام هذا البطن جارية بطن أخرى فكان الرجل منهم يتزوج أية أخواته شاء ، إلا توأمته التي ولدت معه ، لأنه لم يكن يومئذ نساء إلا أخواتهم ، فلما ولد قاييل وتوأمته إقليما ، ثم هابيل وتوأمته لبودا - وكان بينهما سنتان في قول الكلبي - وأدركوا ، أمر الله تعالى آدم عليه السلام أن ينكح قاييل لبودا أخت هابيل ، وينكح هابيل إقليما أخت قاييل ، وكانت أخت قاييل أحسن من أخت هابيل ، فذكر ذلك آدم لولده ، فرضي هابيل وسخط قاييل ، وقال : هي أختي أنا أحق بها ونحن من ولادة الجنة ، وهما من ولادة الأرض ، فقال له أبوه : إنها لا تحل لك فأبى أن يقبل ذلك وقال : إن

(١) الرازي « ٢١٨:٢٤ » .

الله لم يأمره بهذا وإنما هو من رأيه . فقال لها آدم عليه السلام : فقربا قربانا فأيكما يقبل قربانه فهو أحق بها .. (١) أه .

ونقول للبغوي :

كل ما ذكره رجم بالغيب لادليل عليه من كتابنا ولا سنة رسولنا ، إنما هو جري وراء أساطير العهد القديم التي لا تثبت على التحقيق ، ولقد وردت آثار كثيرة مروية عن ابن عباس - رضي الله عنها - وعن غيره ولكنها كلها - إن صحت روايتها - لا تستند إلى كتاب ولا إلى سنة ، وهؤلاء القائلون جميعاً لم يكونوا جميعاً حاضري القصة ، ولا سبيل لهم إلى معرفتها إلا من كتاب أو سنة ، وإلا فكل ما يسمعون أو يقرأونه في الكتب الأخرى لا يستحق الاعتماد .

والذي ورد عن هذه القصة في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم لا يجد مكانها ولا زمانها ولا أشخاصها ، إنما يقول فقط : إن كل جريمة قتل تقع في هذه الأرض يرجع وزر منها على القاتل الأول (٢) ولا شيء في هذا يجد أشخاصاً ولا أزماناً كما روى المفسرون .

د - وعند قوله تعالى : (بل هو قرآن مجيد . في لوح محفوظ) روى عن ابن عباس أنه قال : (إن في صدر اللوح لا إله إلا الله وحده) ودينه الاسلام ، ومحمد عبده ورسوله ، فمن آمن بالله عز وجل ، وصدق بوعدده ، واتبع رسله أدخله الجنة ، قال : واللوح لوح من دوة بيضاء طوله بين السماء والأرض ، وعرضه ما بين المشرق إلى المغرب ، وحافته الدر والياقوت ، ودفتاه ياقوتة حمراء ، وقلمه

(١) تفسير البغوي « ٣١ : ٢ - ٣٢ » .

(٢) قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية وو كيع قالوا : حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تقتل نفس ظملاً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها ؛ لأنه كان أول من سن القتل » أخرجه الجماعة سوى أبي داود . والكفل : النصب .

نور وكلامه قديم ، وكل شيء فيه مستور ، وقيل أعلاه معقود بالعرش ، وأصله في حجر ملك . قال مقاتل : اللوح المحفوظ عن بين العرش (١) أه ونقول : ولما كان القرآن الكريم لا يحتوي شيئاً عن ماهية اللوح ، كما أنه ليس هناك حديث نبوي صحيح في ذلك ، فالواجب أن يقف المرء فيما ورد في صدد ماهيته موقف التحفظ ، وقد تتبع بعض المفسرين غرائب الأخبار التي ليس لها سند صحيح ، وأغدقوا من شرها على الناس وعلى القرآن ، وكان جديراً بهم أن يقيموا بينها وبين الناس سداً يقيهم البلبلة الفكرية فيما يتصل بالغيب الذي استأثر الله بعلمه ، ولم ير فائدة لعباده في أن يطلعهم على شيء منه .

هـ - وعند قوله تعالى : (إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض) .

روى عن كعب أنه قال : (هم نادرة ولد آدم ، وذلك أن آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب . فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج ، فهم يتصلون بنا من جهة الأب دون الأم) (٢) .

ولسنا بحاجة إلى تكرير القول بأن هذه خرافات وأباطيل لم يقم عليها دليل ومن الحير إبعادها عن القرآن ، ذلك الكتاب المطهر الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . قال ابن كثير في تاريخه « ١١٠ : ٢ » معقباً على هذه القصة : (هذه أقوال بلا دليل ورجم بالغيب بغير برهان) .

و - وعند قوله تعالى : (فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً .) (٣) .

لم يذكر القرآن اسم هذا الملك الذي يأخذ كل سفينة غصباً ، ولا كيف التقى

(١) تفسير البغوي « ١٩٣ : ٧ » .

(٢) تفسير البغوي « ١٨٨ : ٤ » .

(٣) انظر الآيات من ٦٥ - ٨٢ من سورة الكهف .

موسى وصاحبه بالغلام ، وهل كان يلعب مع الصبيان أو كان منفرداً ؟ وهل قتله بقلع رأسه أو بحزها أو بغير ذلك ؟

ولا ذكر اسم القرية التي استطعنا أهلها ، ولا اسم الغلامين اليتيمين ، ولا اسم أبيهما ، وهل هو الأب المباشر ، أو بينه وبين اليتيمين عدة آباء ؟ ولا حدثنا عن الكنز الذي كان تحت الجدار ، وهل هو من مال أو من علم وحكمة ؟ كل ذلك لم يذكره القرآن . ولكن البغوي كغيره من المفسرين معني بإيراد الروايات في كل ذلك وغيره على نحو عجيب .. واسم الملك هدد بن بدد ، وهو من ذرية العيص بن إسحاق ، والفتى كان يلعب مع الصبيان ، وقيل ، بل كان منعزلاً ، واسمه جيسون ، وقيل بل جنتبور ، وقد اقتلع الحضر رأسه بيده وقيل بل احتزه ، وقيل : بل رضخه بحجر وقيل : ضربه في جدار ، واسم القرية أنطاكية أو الأبله أو برقة . وعن أبي هريرة : أنها بلد الأندلس ، واسم الغلامين : أصرم وصريم ، واسم أبيهما كاشع ، وصناعته نساج ، والكنز كان مالاً مدفوناً ، أو علماً وحكمة ، أو ذهباً وفضة ، وقيل بل كان لوحاً من ذهب مسمط ، كتبت فيه عبارات اختلف فيها ؛ فقليل نصها : عجبت لمن أيقن بالموت لم نصب ، وعجبت لمن ذكر النار كيف ضحك ، وعجبت لمن ذكر الموت لم غفل ، لا إله إلا الله محمد رسول الله .

وقيل كان سطورين ونصف سطر لم يتم الثالث ، ونصها : عجبت للمؤمن بالرزق كيف يتعب ، وعجبت للمؤمن بالحساب كيف يغفل ، وعجبت للمؤمن بالموت كيف يفرح .. إلى آخر ما زعموه . وهكذا تضرب هذه الروايات في هذه الأودية وتأتي بهذه الألوان من الأعاجيب ^(١) .

ز - ومن الإسرائيليات التي رواها البغوي في قصة أصحاب الكهف

(١) انظر القصص الهادف كما نراه في سورة الكهف ص ٢٠٨ - ٢٠٩ لمحمد محمد المدني رحمه الله .

ما يتعلق بمكان الكهف واسم الجبل الذي كان فيه أو الوادي الذي فيه الجبل ، فبعضهم يقول : إنه قريب من أيلة ، وبعضهم يقول : هو عند نينوى ، ومنهم من قال : هو في بلاد الروم ، ومنهم من يقول : بل هو في بلاد البلقان ، وفي ذلك يقول ابن كثير : (لقد أخبر الله تعالى بذلك وأراد منا فهمه وتدبره ، ولم يخبرنا بمكان هذا الكهف في أي البلاد من الأرض ، إذ لا فائدة لنا فيه ولا قصد شرعي) (١) .

ومن ذلك ما يتعلق بأسماء هؤلاء الفتية ، واسم الملك الجبار الذين كانوا على عهده ، واسم الكلب الذي كان معهم ، وهل كان كلب صيد أو كلب طباط ، وأنه - كما يرويه عن كعب الأخبار - تبعهم ، فطردوه فأبى ، ففعلوا ذلك مراراً حتى قال لهم الكلب : يا قوم ما تريدون مني ، لا تخشوا جانبي ، فأنا أحب أحباب الله ، فناموا حتى أحرسكم (٢) .

وهذه كلها - كما ترى - أقوال لا حاصل لها ، ولا طائل تحتها ، ولا دليل عليها ، ولا حاجة إليها ، بل هي بما ينهى عنه ، فإن سندها رجم بالغيب كما يقول ابن كثير ، وقد أردت أن أضعها بين يدي القراء لأعطيهم لوناً من توسع الرواية وتهجم الأخبار ، وأنصحهم أن يتلقوا مثل ذلك بكثير من الحيلة ، وأن يروا بما يقرؤون منها مرأً غير معولين عليه ولا مهتمين به ولا مناقشين فيه ، فأولى من ذلك النظر والتأمل فيما ساقه الله في كتابه من العبرة والموعظة الحسنة لمن شاء أن يتذكر ويتدبر ويتعظ ، أما الذين يتخذون من أمثال هذه الروايات مشغلة لهم ، ولهاوً يعجبون به ، وعلماً يتباهون بحكايته وترديده ، وسؤال الناس عنه ؛ فهم أصحاب الأفتدة الهواء والقول الهراء .

ح - والبغوي يروي أحياناً إسرائيليات تمس عصمة الأنبياء ثم لا يعقب

(١) تفسير ابن كثير « ٧٥:٣ » بتصرف يسير .

(٢) تفسير البغوي « ١٥٧:٤ » وما بعدها .

عليها ؛ فمثلاً عند تفسير قوله تعالى : (ولقد همت به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين) (١) .

قال : (روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : حل الهيمان وجلس منها مجلس الخائن . وعن مجاهد قال : حل سراويله وجعل يعالج ثيابه .. وقال الضحاك : جرى الشيطان فيما بينهما ف ضرب بإحدى يديه إلى جسد يوسف وباليدين الأخرى إلى جسد المرأة حتى جمع بينهما ، قال أبو عبيد القاسم بن سلام : قد أنكر قوم هذا القول وقالوا : هذا لا يليق بحال الأنبياء) وقد علق على هذا البغوي بقوله : والقول ما قال متقدمو هذه الأمة وهم كانوا أعلم بالله أن يقولوا في الأنبياء من غير علم . وقال السدّي وابن إسحق : لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف عايه السلام عن نفسه . جعلت تذكر له محاسن نفسه ، وتشوقه إلى نفسها . فقالت يا يوسف : ما أحسن شعرك ! قال : هو أول ما ينتثر من جسدي ، قالت : ما أحسن عينيك ! قال : هو التراب يا كاهن وقيل إنها قالت : إن فراش الحرير مبسوط ، فقم فاقضي حاجتي ، قال : إذا يذهب نصيبي من الجنة ، فلم تزل تطمعه وتدعوه إلى اللذة ، وهو شاب يجد من شبق الشباب ما يجده الرجل ، وهي امرأة حسنة جميلة ، حتى لان لها ما يرى من كلفها به ، وهمّ بها ، ثم إن الله تعالى تدارك عبده ونبيه بالبرهان الذي ذكره) .

ثم روى عن قتادة في قوله تعالى : (لولا أن رأى برهان ربه) فقال : (اختلفوا في ذلك البرهان ، قال قتادة : وأكثر المفسرين : أنه رأى صورة يعقوب وهو يقول له : يا يوسف تعمل عمل السفهاء ، وأنت مكتوب في الأنبياء ، وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك : انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عليه السلام عاضاً على أصبعه ، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما : مثّل له يعقوب عليه السلام ف ضرب بيده في صدره ، فخرجت شهوته من أنامله .

(١) الآية ٢٤ من سورة يوسف .

وقال الشدّي نودي يابوسف تواقعها ؟ إنما مثلك مالم تواقعها مثل الطير في جوف السماء لا يطاق ، ومثلك إن تواقعها مثله إذا مات ووقع في الأرض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ، ومثلك مالم تواقعها مثل الثور الصعب الذي لا يطاق ، ومثلك إن واقعها مثل الثور يموت فيدخل النمل في أصل قرنيه لا يستطيع أن يدفعه عن نفسه^(١) .

ثم روى عن مجاهد فقال : (عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنها في قوله : (وهم بها) قال : حل سراويله ، وقعد منها مقعد الرجل من امرأته ؛ فإذا بكف قد بدت بينها بلا معصم ولا عضد مكتوب عليها : (وإن عليكم لحافظين ، كراماً كاتبين ، يعلمون ما تفعلون)^(٢) فقام هارباً وقامت ، فلما ذهب عنها الرعب عادت وعاد ، فظهرت تلك الكف مكتوباً عليها : (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً)^(٣) فقام هارباً وقامت ، فلما ذهب عنها الرعب عادت وعاد ، فظهر ورأى تلك الكف مكتوباً عليها : (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله)^(٤) فقام هارباً وقامت ، فلما ذهب عنها الرعب عادت وعاد ، فقال الله عز وجل لجبريل : أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة ، فانحط جبريل عليه السلام عاضاً على أصبعه يقول : يابوسف أنت تعمل عمل السفهاء ؛ وأنت مكتوب عند الله في الأنبياء ؟! وروي أنه مسحه بجناحه فخرجت شهوته من أنامله)^(٥) أه .

هذه الأساطير والإسرائيليات التي راجت على بعض المفسرين ، فسودواصحفهم بكتابتها ، وأضاعوا الوقت بتقلها لا يقبلها عقل ولا شرع ولا ذوق سليم ، ولا ندري

(١) تفسير البغوي « ٢٢٣:٣ - ٢٢٦ » .

(٢) الآيات ١٠-١٢ من سورة الانقطار .

(٣) الآية ٣٢ من سورة الإسراء .

(٤) الآية ٢٨١ من سورة البقرة .

(٥) تفسير البغوي « ٢٢٣:٣ - ٢٢٦ » .

كيف جرت أقلام أولئك الذين كتبوا أن يوسف عليه السلام جلس من امرأة العزيز مجلس الرجل من المرأة ، وكيف غفلوا عن مقصد القرآن من قصص هؤلاء الأنبياء الكرام ؟ !

أليس من مقاصد القرآن أن نعتبر ونتعظ ونتأس بهم في الصبر والتزام جانب الحق ؟ ! وأي معنى يبقى للعصمة بعد الذي زعموه ؟ ! وما امتناعه عن الزنا — على رواياتهم المفتراة — إلا وهو مقهور مغلوب على أمره . ولو أن عريداً رأى صورة أبيه ، وقد مات تحذره من الإقدام على معصية لكف عنها ، ورجع عن غوايته ، فأي فضل ليوسف عليه السلام إذاً وهو نبي من سلالة الأنبياء ؟ ! بل أي فضل له في امتناعه بعد أن خرجت شهوته من أنامل قدميه ، وما امتناعه في هذه الحالة إلا قسري جبري ، وكيف يتفق ماحيك من روايات باطلة وقول الله جل شأنه : (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين)^(١) وكيف يستحق هذا الثناء من حل السراويل ، وجلس بين الشعب ، بل كيف يتفق ماحكوه وما حكاه الحق تبارك وتعالى عن (زليخا) حيث قالت : (أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين)^(٢) وهو اعتراف صريح من صاحبة المراودة التي أعيها الحيل في استمالته عن طريق الترغيب والتزين حيناً ، والارهاب حيناً آخر ، فلم تفلح (ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين)^(٣) .

فانظر ماذا كان جواب السيد العفيف يوسف : (قال : رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين . فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم)^(٤) .

(١) الآية ٢٤ من سورة يوسف .

(٢) الآية ٥١ من سورة يوسف .

(٣) الآية ٣٢ من سورة يوسف .

(٤) الآيتان ٣٣ ، ٣٤ من سورة يوسف .

وقد شهدت النسوة اللاتي قطعن أيديهن ببراءة يوسف : (قلن حاش الله ما علمنا عليه من سوء) (١) .

وشهد ببراءته أيضاً شاهد من أهلها : (إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ، وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ، فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيد كن إن كيد كن عظيم) (٢) .

وإبليس نفسه شهد ببراءته في ضمن قوله كما حكاه الله عنه : (قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين) (٣) . ويوسف بشهادة الله من المخلصين . فكيف تتفق كل هذه الشهادات الناصعة المبررة ، وهذه الروايات الباطلة المزورة !!

والبغوي متابع لشيخه الثعلبي في قوله عن هذه الأباطيل : إنها مذهب السلف ومن العجيب أن يضعف الثعلبي والبغوي مذهب الخلف الذين ينفون هذا الزور والبهتان ويفسرون الآيات على حسب ما تقتضيه اللغة ويحتمه الشرع بقولهما : (وزعم بعض المتأخرين أن هذا لا يليق بحال الأنبياء عليهم السلام) وحجتها في التضعيف مخالفتهم لأقوال السلف ! وهل يصح كل ما ينسب إلى السلف من أقوال؟! وقد وقع الواحد في كتابه « البسيط » في مثل ما وقع فيه الثعلبي والبغوي ، فروى من هذه الإسرائيليات الباطلة التي دسها الزنادقة على الرواة ، ونقلها بعض المفسرين في كتبهم اغتراراً بأنها من أقوال السلف وهم منها براء ، ولم يكتف الوضاعون بأن ألصقوا أمثال هذه الروايات بالصحابة والتابعين ؛ بل رَوَوْا من المرفوع ما يؤيد هذه الفرية ، وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية : (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب) ثم قال : « لما قالها يوسف ، قال له جبريل : يا يوسف اذكر همك . قال ما أبرئ نفسي » ورووا في الموقوف أيضاً نحو ذلك .

(١) الآية ٥١ من سورة يوسف .

(٢) الآيات ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ من سورة يوسف .

(٣) الآية ٨٢ من سورة ص .

وقد فات من دس هذه الرواية الفاسدة أن قوله : (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب) ليس من مقالة يوسف وإنما هو من مقالة امرأة العزيز ، وهو ما يتفق وسياق الآية والواقع ؛ ذلك أن الملك لما أحضر النسوة وسألهن وشهدن ببراءة ساحة يوسف ، لم تجد امرأة العزيز بدأمن الاعتراف : (قالت امرأة العزيز : الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه ، وإنه لمن الصادقين ، ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين) (١) .

فكل ذلك من قولها ولم يكن يوسف حاضراً ثم ، بل كانت مازال في السجن ؛ فكيف يعقل أن يصدر منه هذا القول في مجلس التحقيق الذي عقده الملك ؟ ! ولا تلتفت إلى ما ذكره بعض المفسرين من خلاف في قائل هذا القول ، فالحق ما سمعته ، ولقد انتصر لهذا الرأي الإمام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله ، وذكر العلامة ابن كثير أنه أفردته بتصنيف على حدة .

وهكذا نرى أن ما حيك من روايات في قصة يوسف مختلق ، وليس أدل على ذلك من أنه لم يخرجها أحد من أهل الصحيح ، ولا أصحاب الكتب المعتمدة عند المحدثين الذين يرجع إليهم في ذلك ، وإنما ذكرها الأخباريون ، وبعض المفسرين وديدنهم التساهل في مثل ذلك .

وإذا خلصنا إلى ما رأيت ، فالحق الصحيح في تفسير (هم يوسف) أنه لم يقع من يوسف هم بالفاحشة ، وأن الكلام من قبيل التقديم والتأخير (٢) أي لولا أن رأى برهان ربه ، لكان هم بها ، وكان رجلاً من البشر في ضعفه الطبيعي ، وههنا المعجزة الكبرى ، لأن الآية الكريمة تريد ألا تنفي عن يوسف عليه السلام فحولة الرجولة ، حتى لا يظن به ، ثم هي تريد من ذلك أن يتعلم الرجال ، وخاصة

(١) الآيتان ٥١ ، ٥٢ من سورة يوسف .

(٢) قال صاحب الكشاف : قوله : (لولا أن رأى برهان ربه) جوابه محذوف ، تقديره لولا أن رأى برهان ربه لخاطبها ، فحذف ؛ لأن قوله (وهم بها) يدل عليه ، كقولك : هممت بقتله لولا أني خفت الله ، معناه لولا أني خفت الله لقتلته . (الكشاف ١٠٥ : ٢)

الشبان منهم ، كيف يتسامون بهذه الرجولة فوق الشهوات ، حتى في الحالة التي هي نهاية قدرة الطبيعة حالة ملكة ، مطاعة ، فاتنة ، مختلية ، متعوضة ، متكشفة ، متهالكة ، هنا لا ينبغي أن يأس الرجل ، فإن الوسيلة التي تجعله لا يرى شيئاً من هذا هي أن يرى برهان ربه ، وهذا البرهان يؤوله كل إنسان بما شاء فهو كالمفتاح الذي يوضع في الأقفال كلها فيفضها كلها ، فإذا مثل الرجل لنفسه في تلك الساعة أنه هو هذه المرأة منتصبان أمام الله يراهما ، وأن أمانى القلب التي تهجس فيه ، فيظنها خافية ؛ إنما هي صوت عال يسمعه الله ، وإذا تذكر أنه سيموت ويقبر ، وفكر فيما يصنع الثرى في جسمه هذا ، أو فكر في موقفه يوم تشهد عليه أعضاؤه بما كان يعمل ، أو فكر في أن هذا الإثم الذي يقترفه الآن سيكون مرجعه عليه في أخيه أو ابنته ، إذا فكر في هذا ونحوه رأى برهان ربه يطالعه فجأة ، كما يكون السائر في الطريق غافلاً مندفعاً إلى هاوية ، ثم ينظر فجأة فيرى برهان عينه ، أترونه يتردى في الهاوية حينئذ أم يقف دونها وينجو ؟^(١) .

ورحم الله الإمام جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنها حيث قال: البرهان : النبوة التي أودعها الله في صدره — عليه السلام — حالت بينه وبين ما يسخط الله .

وذهب بعض المحققين إلى أن هم يوسف عليه السلام كان خطرة وحديث نفس من غير اختيار ولا عزم ، وسرعان ما ذهبت الخطرة وبقي الحق واليقين ، والأنبياء ليسوا معصومين من حديث النفس ومراودة الشهوة البشرية ولكنهم معصومون من طاعتها والانقياد إليها ، ولو لم توجد عندهم داعية إلى خطأ لما كانوا مأجورين على ترك المنكرات والمعاصي ، لأنهم يكونون مجبورين على تركها طبعاً ؛ فالعنين لا يؤجر ولا يثاب على ترك الزنى ، لأن الأجر والثواب لا يكونان إلا على عمل ، والترك بغير داعية ليس عملاً ، وأما الترك مع الداعية فهو كف النفس عما تتوق إليه ، فهو عمل نفسي ، وهذا هو الحق الذي يوافق ما دل عليه العقل .

(١) وحى القلم للأستاذ مصطفى صادق الرافعي رحمه الله «١١٧:١ - ١١٨»

وقد فند هذه الإسرائيليات في قصة يوسف عدد من المفسرين، منهم الحافظ ابن كثير حيث قال :

(وأكثر أقوال المفسرين ههنا متلقى من كتب أهل الكتاب، فالإعراض عنه أولى بناء، والذي يجب أن يعتقد: أن الله عصمه وبرأه ونزهه عن الفاحشة وحماه عنها وصانه منها) (١) .

ومهم السيد محمد رشيد رضا حيث قال في تفسير سورة يوسف عندما تعرض لقوله تعالى :

(وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) (٢) قال : (ولكنه رأى من برهان ربه في سريرة نفسه ما هو مصداق قوله تعالى : (والله غالب على أمره) (٣) . وهو : إما النبوة التي تلي الحكم والعلم اللذين آتاه الله إياهما بعد بلوغ الأشد وشاهده قوله تعالى : قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً) (٤) ؛ وإما معجزتها كما قال الله تعالى لموسى في آيتي العصا واليد : (فذانك برهانان من ربك) (٥) .

وأما مقدمتها فمن مقام الصديقة العليا وهي مراقبته الله تعالى ورؤية ربه متجلياً له ناظراً إليه ؛ وفاقاً لما قاله أخوه محمد خاتم النبیین في تفسير الاحسان : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » فيوسف قد رأى هذا البرهان في نفسه ، لاصورة متمثلة في سقف الدار ، ولا صورة سيده العزيز في الجدار ، ولا صورة ملك يعظه بآيات القرآن ، وأمثال هذه الصورة التي رسمتها أخيلة بعض رواة التفسير المأثور بما لا يدل عليه دليل من اللغة ولا العقل ، ولا

(١) البداية والنهاية « ١ : ٢٠٤ » .

(٢) الآية ٢٤ من سورة يوسف .

(٣) الآية ٢١ من سورة يوسف .

(٤) الآية ١٧٤ من سورة النساء .

(٥) الآية ٣٢ من سورة القصص .

الطبع ، ولا الشرع ، ولم يرو في خبر مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم في الصحاح ولا فيما دونها ، وما قلناه هو المتبادر من اللغة ووقائع القصة ومقتضى ما وصف الله به يوسف في هذا السياق وغيره من السورة) .

ثم قال : (ههنا مرتبتان : إحداهما الكف عن المعصية جهاداً للنفس وكبحاً لها خوفاً من الله تعالى ؛ وهي مرتبة الصالحين الأبرار ، ومرتبة الكراهة لها والاشمئزاز منها حياة من الله ومراقبة له واستغراقاً في شهوده . وهي مرتبة الصديقين والنيبين الأخيار ، الذين إذا عرضت لهم الشهوة المستلذة بالطبع ، بالصورة المحرمة في الشرع ، عارضها من وجدان الإيمان وتجلي الرحمن ماتغلب به روحانيتهم الملكية على طبيعتهم الحيوانية ، وهذا مما قد يحصل لمن دون الأنبياء منهم ، فكيف بمن يرون برهان ربهم بأعين قلوبهم ، وينعكس نوره عن بصائرهم فيلوح لأبصارهم كما أشرنا إليه في تفسيره آنفاً ؟

ولهذه المرتبة درجات : منها فقد الشهوة الطبيعية في هذه الحال ، أو فقد الشعور بالقدر على وضعها في الموضع المحرم مع وجودها على أشدها ، ولا عجب فقوى النفس وانفعالاتها الوجدانية تتنازع فيغلب أقواها أضعفها ، حتى إن من الإباحيين والإباحيات من أهل الحرية الطبيعية من يملك في مثل تلك الحالة منع نفسه أن يبيحها لمن يراوده عنها ، لا خوفاً من الله ولا حياة منه ؛ لأنه غير مؤمن به أو بعقابه ، بل وفاء لزوج أو عشيق عاهدته على الاختصاص به فصدقه (١) .

هذا ولعله قد ظهر لنا بكل وضوح بعد ماسقناه من روايات إسرائيلية أكثرها موضوع مخلق ؛ أن ابن تيمية لم يكن دقيقاً في حكمه على البغوي بأنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة ، وأن الكتاني كان أدق حكماً وأصوب رأياً في حكمه على تفسير البغوي بأنه يوجد فيه من المعاني والحكايات ما يحكم بضعفه أو وضعه ، ولعل ابن تيمية - وهو من نعرف بصيرة وحذقاً - لم يطلع

(١) تفسير سورة يوسف للشيخ رشيد رضا « ص ٣٠ - ٣٤ » .

على تفسير البغوي، ولكنه حكم عليه بما حكم لما يعرفه عنه من أنه من رجال الحديث البارزين؛ ومن كان هذا شأنه يستبعد عليه - عادة - أن يغتر بموضوع فيرويه على أنه صحيح لا غبار عليه .

يشهد لما قلناه أن ابن تيمية نفسه قد حكم بالوضع على سبب نزول قوله تعالى : (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) من أنها نزلت في علي حين مر به سائل وهو في الصلاة فطرح له خاتمه ؛ مع أن هذا السبب مروي في تفسير البغوي نفسه^(١). قال ابن تيمية في مقدمته ص ٣٣ : (والموضوعات في كتب التفسير كثيرة ، ومنها الأحاديث الكثيرة الصريحة في الجهر بالبسملة ، وحديث علي الطويل في تصدقه بنجاشته في الصلاة ، فإنه موضوع باتفاق أهل العلم) .

٥ — المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية

التعريف بالمؤلف .

هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي الغرناطي ، الحافظ القاضي . ولي القضاء بمدينة المرية بالأندلس ، ولما تولى توخى الحق وعدل في الحكم ، ويقال : إنه قصد مرسية بالمغرب ليتولى قضاءها ، فصد عن دخولها وصرف منها إلى الرقة بالمغرب ، وكان مولده سنة إحدى وثمانين وأربعمائة ، وتوفي بالرقة سنة ست وأربعين وخمسمائة من الهجرة ، وقيل غير ذلك^(٢) .

نشأ ابن عطية في بيت علم وفضل وكان غاية في الذكاء ، عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير والنحو واللغة والأدب ، وصفه أبو حيان في مقدمة البحر

(١) تفسير البغوي « ٢ : ٥٥ » .

(٢) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون « ص ١٧٤ »

المحيط بأنه : (أجل من صنف في علم التفسير ، وأفضل من تعرض فيه
للتنقيح والتحرير^(١)) .

التعريف بالتفسير .

تفسير ابن عطية له قيمته العلمية بين كتب التفسير عند جميع المفسرين ،
ولقد لحظه مؤلفه من كتب التفسير بالمنقول ، وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة
منها ، وجرده من كثير من الإسرائيليات . يقول ابن خلدون في مقدمته - في
معرض كلامه عن منشأ الإسرائيليات في كتب التفسير النقلي - : (.. فتلقيت
- يعني الإسرائيليات - بالقبول من يومئذ ، فلما رجع الناس إلى التحقيق والتمحيص ،
وجاء أبو محمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب ، فلخص تلك التفاسير كلها وتحرى
ما هو أقرب إلى الصحة منها ، ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب
والأندلس حسن المنحى وتبعه القرطبي^(٢)) .

ونجد ابن تيمية يعقد مقارنة بين تفسير ابن عطية وتفسير الزمخشري فيقول :
(وتفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري ، وأصح نقلاً وبجشاً ، وأبعد عن
البدع ، وإن اشتمل على بعضها ، بل هو خير منه بكثير ، بل لعله أرجح
هذه التفاسير^(٣)) .

والتفسير لا يزال مخطوطاً إلى اليوم ، وقد رجعت إليه في دار الكتب
المصرية فوجدته يمتاز بقله خوضه في هذه الإسرائيليات التي أسرف في نقلها
كثير ممن سبقه من المفسرين ، ويتضح ذلك فيما يلي :

(١) البحر المحيط « ٩٠ : ١ » .

(٢) مقدمة ابن خلدون « ٩٩٨ : ٣ » .

(٣) فتاوى ابن تيمية « ١٩٤ : ٢ » .

موقفه من الاسرائيليات .

١ - يلاحظ من يقرأ تفسير ابن عطية صدق ما ذكره ابن خلدون في حقه ، وإن كان تفسير ابن عطية لم يسلم تماماً من التأثر بالإسرائيليات ، شأن غيره من كتب التفسير التي تتجنب ذكر بعض الإسرائيليات ، وتسوق بعضها ثم تتعقبه ويفوتها البعض الآخر .

فمثلاً يصرح ابن عطية حين يسوق بعضاً من هذه الروايات الإسرائيلية بقوله : أكثر بعض الناس في تفصيلها - أي الهدية التي أرسلتها الملكة بلقيس لسليمان عليه السلام - فرأيت اختصار ذلك لعدم صحته^(١) ، ثم ساق باختصار الرواية التي ذكرناها فيما سبق^(٢) . ويقول في موضع آخر : وأكثر المؤرخون في ذلك - أي في قصص فتية أهل الكهف - ولكن نختصر من حديثهم ما لا يستغنى عنه^(٣) .

ويقول في موضع ثالث : (وروي غير هذا - أي في مقدار سفينة نوح ونوع خشبها - مما لم يثبت فاختصرت ذكره^(٤)) .

٢ - وقالما يترك ابن عطية هذه الإسرائيليات تمر دون تعقيب ، فمن ذلك : أ - أنه نقل عن وهب بن منبه في قوله تعالى : (.. قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً^(٥)) . أنه قال : (تقبي : اسم فاجر معروف في ذلك الوقت) وعقب ابن عطية بقوله : (وهو ضعيف ذاهب مع التخرص^(٦)) .

(١) تفسير ابن عطية ورقة ٨٥ .

(٢) انظر ص ٨١ من هذا الكتاب .

(٣) المحرر الوجيز ورقة ٢٥٦ ج ٣ (تيمورية) .

(٤) المصدر السابق ، ورقة ٢٠٣١ ج ٥ .

(٥) الآية ١٨ من سورة مريم .

(٦) نقلاً عن تفسير القرطبي « ٩١ : ١١ » وعلق ابن كثير بقوله : (هذا قول باطل بلا دليل وهو من أسخف الأقوال) البداية والنهاية « ٦٤ : ٢ » .

ب - وعند قوله تعالى : (وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون^(١)) ، قال : (وأمره - أي رب موسى - بالسير تجاه البحر ، وأمره أن يستعير بنو إسرائيل حلي القبط وأموالهم ، وأن يكثرُوا من أخذ أموالهم كيفما استطاعوا^(٢)) وعلّق عليه بقوله : (هذا مارواه المفسرون) ، ثم قال : (روي أنه - أي فرعون - لحقه ومعه ستائة ألف أدهم من الخيل . وأن بني إسرائيل كانوا ستائة ألف وسبعين ألفاً ، قاله ابن عباس) . وعلّق بقوله : (والذي يقطع به أن موسى عليه السلام خرج يجمع عظيم في بني إسرائيل وأن فرعون تبعه بأضعاف ذلك العدد) أ هـ .

والحق أن تعليق ابن عطية الأول بقوله : (وهذا مارواه بعض المفسرين) غير كاف وشاف ، وكاث الأجدر به ألا يورد هذه القصة في تفسيره ، أو على الأقل يتعقبها ، لكونها من الإسرائيليات الباطلة ، فهذا النص : (وأمره أن يستعير بنو إسرائيل حلي القبط وأموالهم وأن يكثرُوا من أخذ أموالهم كيفما استطاعوا) مقتبس من التوراة ، فقد جاء في سفر الخروج - الاصحاحين الثالث ، والثاني عشر مانصه : (وأعطى - المتكلم هو الله - نعمة لهذا الشعب في عيون المصريين ، فيكون حين تمضون أنكم لا تمضون فارغين ، بل تطلب كل امرأة من جارتها ، ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً ، وتضعونها على بنيكم وبنااتكم ، فسلبون المصريين ، وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى ، فطلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً ، وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين) .

واعتقد أن هذا الكلام من عبث اليهود وتحريفهم ، وتبديلهم ، وإلا فهل يعقل أن يحض الله على السرقة وأكل مال الناس بالباطل !!

(١) الآية ٥٢ من سورة الشعراء .

(٢) تفسير ابن عطية « ورقة ٦٣ ج ٢ » .

ج - وعند الآية ١٨٩ من سورة الشعراء : (فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم .) قال : (ويوم الظلة يوم عذابهم ، وصورته - فيما روي - أن الله تعالى : امتحنهم بحر شديد ...) إلى أن قال : (فأمطرت عليهم تلك السحابة ناراً فأحرقتهم عن آخرهم ، وللناس في حديث يوم الظلة تطويلات لا تثبت ... وذكر الطبري عن ابن عباس أنه قال : من حدثك ما عذاب يوم الظلة فقد كذب ^(١)) .

د - وعند الآية ٧٦ من سورة القصص (وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة) ، قال : (.. وأكثر المفسرون في شأن قارون ، فروي عن خيصة أنه قال : نجد في الإنجيل مكتوباً أن مفاتيح قارون كانت من جلود الإبل ، وكان المفتاح نصف شبر ، وكانت وقرستين بغلاً أو بعيراً لكل مفتاح كنز .. إلخ) ويعقب ابن عطية على ذلك بقوله : (.. وذلك كله ضعيف والنظر يشهد بفساد هذا ، ومن الذي كان يميز بعضها عن بعض ؟ ، وما الداعي لهذا ؟ ، وفي الممكن أن ترجع كلها إلى ما يحصى ويقدر على حمله بسهولة ^(٢)) .

هـ - وعند قوله تعالى : (ويضع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه ... الآية ^(٣)) . قال : وروي في قصص هذه الآية أن نوحاً عليه السلام كان يأتيه أنواع من الحيوان فيضع يمينه على الذكر ويساره على الأنثى ، وروي أن أول ما أدخل في السفينة الهرة ، وآخرها الحمار ، ومسك الشيطان بذنبه فزجره نوح فلم ينبعث ، فقال له : ادخل ولو كان معك الشيطان ، قال ابن عباس : زلت هذه الكلمة على لسانه فدخل الشيطان حينئذ ... وقيل إن نوحاً عليه السلام آذاه تنن الزبل والعذرة ؛ فأوحى الله إليه أن امسح على ذنب الفيل فخرج من أنفه زوج خنزير .. إلخ) .

(١) تفسير ابن عطية ورقة ٧٣ ب (مخطوطة بدار الكتب المصرية) .

(٢) تفسير ابن عطية ورقم ١٢٤ ب ج ٢ .

(٣) الآية ٣٨ من سورة هود .

وعلق على هذا القصص الخرافي بقوله : (قصص لاتصح^(١)) .

٣ - ونجد أحياناً ابن عطية يسوق روايات إسرائيلية بدون إسناد ثم لا يتعقبها بكلمة واحدة فمن ذلك :

أ - ما جاء في تفسيره عند الآية ٣٥ من سورة النمل : (وإني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون) . قال : (وروت فرقة : أن الجن أحست من سليمان أو ظنت به أنه ربما تزوج بلقيس ، فكرهوا ذلك فذموا عنده بقولهم : إنها غير عاقلة ولا مميزة ، وإن رجلها كحافر الدابة ، وطلبوا منه أن يجرب عقلها بتكثير عرشها ، ويجرب أمر رجلها ببناء الصرح لتكشف عن ساقها عنده . قال محمد القرظي^(٢) وغيره : ولما وصلت بلقيس ، أمر سليمان عليه السلام الجن فصنعت له صرحاً ... فيه السمك والضفادع ، وجعل لسليمان في وسطه كرسي فلما وصلته بلقيس ، قيل لها : ادخلي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فرأت اللجة وفزعت وظنت أنها قصد بها الغرق ، وعجبت من كون كرسيه على الماء ورأت ماها لها ، ولم يكن لها بد من امتثال الأمر ، فلما بلغت هذا الحد قال لها سليمان : (إنه صرح مرمود من قوارير) وعند ذلك استسلمت بلقيس وأذغت وأسلمت ، وروي أن سليمان عليه السلام لما أراد زوال شعر ساقها أسفق من حمل موسى عليها ، وقيل : إنها قالت . مامسني حديد قط ، فأمر الجن بالتلطف في زواله فصنعوا النورة ولم يكن قبل في الأمم^(٣)) .

وهذا الخبر الذي رواه ابن عطية ولم يعقب عليه بما يفيد بطلانه يرويه ابن كثير في تفسيره ، ثم يعلق عليه بقوله : (منكر غريب جداً ؛ والأقرب في مثل

(١) تفسير ابن عطية ج٥ ورقة ٢٠٣٣ .

(٢) هو محمد بن كعب القرظي من مسلمة اليهود ، توفي سنة ١٠٨ هـ وقيل سنة

١١٧ هـ - شذرات الذهب « ١٣٦ : ١ » .

(٣) المحرر الوجيز ورقة ٩١ - ٩٢ بتصرف يسير .

هذه السياقات أنها ملتقاة من أهل الكتاب مما وجد في صحفهم كروايات كعب ووهب - ساحبها الله تعالى - فيما نقله إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل من الأوابد والغرائب والعجائب مما كان وما لم يكن وما حروف وبدل ونسخ ، وقد أغناها الله سبحانه وتعالى عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ والله الحمد والمنة (١) .

٦ — السكشاف عن مقائس التنزيل ويعيون الوقايل في وجهه

التأويل للمختصري

التعريف بالمؤلف .

هو أبو القاسم ، محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي . الإمام الحنفي ، المعتزلي ، الملقب بجار الله .

ولد الزمخشري (بزمخشري) إحدى القرى الكبيرة في خوارزم يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رجب سنة سبع وستين وأربعمائة (٢) .

نشأ الزمخشري وتلمذ على محمود بن جرير الضبي الأصفهاني أبي مضر النحوي المتوفى سنة ٥٠٧ . وقد كان الضبي فريده عصره في علم اللغة والنحو (٣) ، فانتفع الزمخشري بمقدرة أستاذه في هذه الناحية ، كما أن الضبي كان شديد العصبية للاعتزال . وهذه الروح المتعصبة المتحمسة بنهائي نفس تلميذه الزمخشري ؛ حتى يروى عنه أنه كان إذا قصد صاحباً له واستأذن عليه في الدخول يقول لمن يأخذ له الأذن : قل له : أبو القاسم المعتزلي بالباب (٤) .

(١) تفسير ابن كثير « ٣: ٣٦٦ » .

(٢) وفيات الأعيان « ١١: ٢ » .

(٣) معجم الأدباء لياقوت « ١٩: ١٢٣ - ١٢٤ » .

(٤) وفيات الأعيان « ٢: ١٠٨ » .

وكانت نفس الزمخشري طامحة طامعة تدفعه إلى التنقل في البلاد ، فترك وطنه وقدم بغداد ، ولقي الكبار وأخذ عنهم ، دخل خراسان مراراً عديدة ، ومادخل بلداً إلا واجتمع عليه أهلها وتلمذوا له وما ناظر أحداً إلا وسلم له واعترف به ، ولقد عظم صيته وطار ذكره حتى صار إمام عصره من غير مدافعة .

وليس عجباً أن يحظى الزمخشري بكل هذا وهو الإمام الكبير في التفسير والحديث^(١) والنحو واللغة والأدب ، وصاحب التصانيف البديعة في شتى العلوم ، ومن أجل مصنفاته . كتابه في تفسير القرآن العزيز الذي لم يصف قبله مثله ، وهو ما نحن بصده الآن ، والمحاجة في المسائل النحوية ، والمفرد والمركب في العربية ، والفائق في غريب الحديث ، وأساس البلاغة في اللغة ، والمفصل في النحو ، ورؤوس المسائل في الفقه ... وغير هذا كثير من مؤلفاته .

وبعد أن طوف الزمخشري بكثير من البلاد - وكان آخرها مكة المكرمة - عاوده الحنين إلى وطنه فاتخذ طريقه إليه إلى أن بلغه حيث وافته منيته بمرجانية خوارزم سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة من الهجرة ، وقد رأى قبره الرحالة ابن بطوطة^(٢) .

التعريف بالتفسير .

هذا التفسير - بصرف النظر عما فيه من الاعتزال - تفسير لم يسبق مؤلفه إليه ، لما أبان فيه من وجوه الإعجاز في غير ما آية من القرآن ، ولما أظهر فيه من جمال النظم القرآني وبلاغته . وليس كالزمخشري من يستطيع أن يكشف لنا عن جمال القرآن ، وسحر بلاغته ، لما برع فيه من المعرفة بكثير من العلوم ، لاسيما

(١) المراد : غريب الحديث .

(٢) رحلة ابن بطوطة ص ٦ الجزء الثالث ، وانظر ترجمة الزمخشري في وفيات الأعيان « ١١٠:٢ » وشذرات الذهب « ١٢١:٤ » وطبقات المفسرين للسيوطي ص ٤١

مابرز فيه من الإلمام بلغة العرب ، والمعرفة بأشعارهم ، وما امتاز به من الإحاطة بعلوم البلاغة والبيان والإعراب والأدب . ولقد أضفى هذا النبوغ العلمي والأدبي على تفسير الكشاف ثوباً جميلاً لفت إليه أنظار العلماء وعلقت به قلوب المفسرين^(١)، فجدد أبا حيان في مقدمة تفسيره يعقد مقارنة بين تفسير ابن عطية وتفسير الزمخشري فيقول : (وكتاب ابن عطية أنقل وأجمع وأخلص ، وكتاب الزمخشري أخص وأغوص .. الخ^(٢)) ، ويقول العلامة ابن خلدون – عند كلامه عن القسم الثاني من التفسير وهو ما يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب – : (ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفسير كتاب الكشاف للزمخشري من أهل خوارزم العراق ، إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد ، فيأتي بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة حيث تعرض له في أي القرآن من طرق البلاغة ، فصار بذلك للمحققين من أهل السنة انحراف عنه ، وتحذير للجمهور من مكانه مع إقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان والبلاغة ، وإذا كان الناظر فيه واقفاً مع ذلك على المذاهب السنية محسناً للحجاج عنها ، فلا جرم أنه مأمون من غوائله ، فلنغتنم مطالعته لغرابة فنونه في اللسان^(٣)) .

موقفه من الاسرائيليات .

لقد كنا نتوقع من الزمخشري أن يقف من الاسرائيليات موقف الناقد ، ولكننا – على العكس – وجدناه متساهلاً لا يرى بأساً بإيراد أسطورة أو خرافة إسرائيلية ، أو قصة غير مستيقنة مادامت لاتطعن عصمة نبي أو تحالف رأياً اعتزالياً ، وبذلك كان موقفه من الاسرائيليات متناقضاً مع منهجه العقلي الذي

(١) التفسير والمفسرون « ٤٣٣ : ١ » .

(٢) البحر المحيط « ١٠٠ : ١ » .

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٤٩١ .

اتخذته في التفسير ، ومخالفاً لمنهج بعض أسلافه من أئمة المعتزلة ^(١) . فمثلاً يقول في الآية : (فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ^(٢)) روي أنه كان ثعباناً ذكراً أشعر فاغراً فاه ، بين لحييه ثمانون ذراعاً ، وضع لحيه الأسفل في الأرض ، ولحيه الأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه ، فوثب فرعون من سريره وهرب وأحدث ولم يكن أحدث قبل ذلك ^(٣) .

ويقول عند قوله تعالى : (حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً) : (وعن بعضهم : خرجت حتى جاوزت الصين ، فسألت عن هؤلاء فقيل : بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة ، فبلغتهم فإذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس الأخرى ، ومعني صاحب يعرف لسانهم ، فقالوا له : جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس ؟ قال : فيينا نحن كذلك إذ سمعنا كهيئة الصلصلة ، فغشي علي ثم أفقت وهم يسحونني بالدهن ، فلما طلعت الشمس على الماء ، إذ هي

(١) كالنظام الذي نقد المفسرين القصصيين بقوله : (لا تسترسلوا إلى كثير من المفسرين وإن نصبوا أنفسهم للعامة وأجابوا في كل مسألة فإن كثيراً منهم يقول بغير رواية على غير أساس ، وكلما كان المفسر أغرب عندهم كان أحب إليهم . وليكن عندكم عكرمة والكلي والسدي والضحاك ومقاتل بن سليمان وأبو بكر الأصب في سبيل واحدة فكيف أثق بتفسيرهم وأسكن إلى صوابهم . الحيوان للجاحظ « ٣٤٣ : ١ - ٣٤٦ » ، وكالجاحظ الذي سخر بالتفسير القصصي الاسطوري فيقول : وبعض أصحاب التفسير يزعم أن الله عاقب الحية حين أدخلت إبليس في جوفها حتى كلم آدم وحواء وخدعها على لسانها بعشر خصال : منها شق اللسان قالوا : فلذلك نرى الحية إذا ضربت للقتل كيف تخرج لسانها لترمي الضارب عقوبة الله كأنها تسترحم . وصاحب هذا التفسير لم يقل ذلك إلا لحيمة كانت عنده تتكلم ولولا ذلك لأنكر آدم كلامها وأنه كان إبليس لا يحتال إلا من جهة الحية ولا يحتال بشيء غير موه ولا مشبه « الحيوان للجاحظ ١٦٤ : ٤ » .

(٢) الآية ٣٢ من سورة الشعراء .

(٣) الكشف « ٣٤٢ : ١ » .

فوق الماء كهيئة الزيت ، فأدخلونا سراً لهم ، فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر فجعلوا يصطادون السمك ، ويطرحونه في الشمس فينضج لهم ^(١) .

ويقول في الآية ٢٤٨ من سورة البقرة: (إن آية ملكه أن يأتكم التابوت فيه سكينه من ربكم) : (والسكينه : السكون والطمأنينه ، وقيل هي صورة كانت فيه من زبرجد أو ياقوت ، لها رأس كـرأس الهر ، وذنب كـذنبه ، وجناحان ، فتثن ، فيزف ^(٢) التابوت نحو العدو وهم يمضون معه ، فإذا استقر ثبـتوا وسكنوا ، ونزل النصر . وعن علي رضي الله عنه : كان لها وجه كوجه الإنسان وفيها ريح هفافة ^(٣)) .

وقد أورد الرواية الأولى الحافظ ابن كثير في تفسيره عن محمد بن إسحق عن وهب بن منبه مما يشعر أنها من الاسرائيليات ^(٤) ، كما أوردها الآلوسي في تفسيره فقال : (وقيل - وليس بصحيح كما قاله الراغب - صورة كانت فيه من زبرجد أو ياقوت ، لها رأس وذنب كـرأس الهرة وذنبها ، فتثن فيزف التابوت ... الخ ^(٥)) .

والرواية الثانية عن علي رضي الله عنه : (كان لها وجه كوجه الإنسان ... الخ) لم تصح عنه ، فإن قيل : فما تفعل بمحدث الصحيحين : إن أسيد بن حضير كان يقرأ في ليلة سورة البقرة فرأى مثل الظلة فيها أمثال السرج ، تغشاه في مكانه حتى أضاء المكان ونفرت الفرس ، فسكت مخافة أن تصيب الفرس ابنه الذي كان قريباً منها ، فذهبت ، فلما أصبح أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال :

(١) الكشف « ٥٧٩:١ » .

(٢) يسرع .

(٣) الكشف « ٢٧٥:١ » .

(٤) تفسير ابن كثير « ٣٠١:١ » .

(٥) روح المعاني « ١٦٩:٢ » .

« تلك السكينة تنزلت لقراءتك ؛ ولو قرأت لأصبحت يراها الناس لاتستتر منهم »
 فهذا يفيد أن السكينة جسم يرى ؟ قلت : حقيقة السكينة هي سكون القلب
 وطمانينته ، أما الحديث فهو من باب مجاز الحذف ، والتقدير : تلك أثر السكينة ،
 وبيان ذلك أن قارئ القرآن تنزل عليه السكينة كما ثبت في صحيح مسلم . فحين
 تلا أسيد رضي الله عنه سورة البقرة نزلت السكينة عليه في قلبه ، وكان من أثر
 نزولها عليه ، وتحققه بها ، إكرام الله له بهذه الكرامة التي أنارت له المكان وما
 فيه^(١) . وفيها إشارة إلى أن القرآن يفتح الأبصار والبصائر وينور البواطن
 والظواهر^(٢) .

وعند قوله تعالى في الآية ١٦٠ من سورة الأعراف : (وقطعناهم اثنتي
 عشرة أسباطاً أمماً ... الآية) ، قال : (قيل إن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم
 وكفروا - وكانوا اثني عشر سبطاً - تبرأ سبط منهم ماصنعوا واعتذروا ، وسألوا
 الله أن يفرق بينهم وبين إخوانهم . ففتح الله لهم نفقاً في الأرض فساروا فيه سنة
 ونصفاً حتى خرجوا من وراء الصين ، وهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا ،
 وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل ذهب به ليلة الإسراء نحوهم . فكلمهم
 فقال لهم جبريل : هل تعرفون من تكلمون ؟ قالوا : لا ، قال : هذا محمد النبي
 الأمي ، فأمنوا به وقالوا : يا رسول الله ، إن موسى أوصانا : من أدرك منكم
 أحمد ، فليقرأ عليه مني السلام ، فرد محمد على موسى - عليها السلام - السلام ، ثم
 أقرأهم عشرين سور من القرآن نزلت بمكة ولم تكن نزلت فريضة غير الصلاة والزكاة ،
 وأمرهم أن يقيموا مكانهم ، وكانوا يسبتون ، فأمرهم أن يجمعوا ويتركوا السبت .
 وعن مسروق : قرئ بين يدي عبد الله ، فقال رجل : إني منهم ، فقال عبد

(١) وثبت في رواية الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأسيد : « تلك
 الملائكة تنزلت لقراءة سورة البقرة ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ماتستتر منهم » أهـ .
 ولعل حمل الرواية السابقة على هذه الرواية أولى لأن خير التفسير ما كان بالوارد .

(٢) انظر بدع التفاسير لعبد الله الغباري ص ٢٨ .

الله - يعني لمن كان في مجلسه من المؤمنين - : وهل يزيد صلاحكم عليهم شيئاً من يهدي بالحق وبه يعدل^(١)) أه .

وهذه قصة واضحة البطلان ، وقد عقب عليها الآلوسي بقوله : (ولا أظنك تجد لها سنداً يعول عليه ، ولو ابتغيت نقفاً في الأرض أو سلباً في السماء^(٢)) .

والعجب من الزمخشري كيف خفي عليه بطلانها !

ونجد الزمخشري يرفض الإسرائيليات التي تطعن عصمة الأنبياء ويزيفها ، فمثلاً عند قوله تعالى : (ولقد فتنا سليمان وألقيناه على كرسیه جسداً ثم أناب) يقول : (.. وأما ما يروى من حديث الخاتم والشیطان ، وعبادة الوثن في بيت سليمان ، فالله أعلم بصحته . حكوا : أن سليمان قد بلغه خبر صيدون - وهي مدينة في بعض الجزائر - وأن بها ملكاً عظيماً الشأن لا يقوى عليه لتحصنه بالبحر ، فخرج إليه تحمله الريح حتى أناخ بها بجنوده من الجن والإنس . فقتل ملكها وأصاب بنتاً له اسمها جرادة من أحسن الناس وجهاً ، فاصطفاه لنفسه وأسلمت وأحبها ، وكانت لا يرفأ دمعتها حزناً على أبيها ، فأمر الشياطين ، فثقلوا لها صورة أبيها ، فكستها مثل كسوته ، وكانت تغدو إليها وتروح مع ولأئدها ، يسجدن له كعادتھن في ملكه ، فأخبر آصف سليمان بذلك ، فكسر الصورة ، وعاقب المرأة ، ثم خرج وحده إلى فلاة وفرش له الرماذ فجلس عليه تائباً إلى الله متضرعاً ، وكانت له أم ولد يقال لها أمينة ، إذا دخل للطهارة ، أو لإصابة امرأة وضع خاتمها عندها - وكان ملكه في خاتمها - فوضعه عندها يوماً وأتاها الشيطان صاحب البحر - وهو الذي دل سليمان على الماس حين أمر ببناء بيت المقدس واسمه صخر - على صورة سليمان فقال : يا أمينة خاتمي ، فتختم به ، وجلس على كرسي سليمان ، وعكفت عليه الطير والجن والإنس ، وغير سليمان عن هيئته ، فأتى أمينة اطلب الخاتم فأنكرته وطرده ، فعرف أن الخاطئة

(١) الكشف « ٥١٣ : ١ » .

(٢) روح المعاني « ٨٤ : ٩ - ٨٥ » .

قد أدركته ، فكان يدور على السيوت يتكفف ، فإذا قال : أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ، ثم عمد إلى السماكين ينقل لهم السمك ، فيعطونه كل يوم سمكتين ، فمكث على ذلك أربعين صباحاً ، عدد ماعبد الوثن في بيته ، فأنكر آصف وعظماء بني إسرائيل حكم الشيطان ، وسأل آصف نساء سليمان ، فقلن : ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة ، وقيل : بل نفذ حكمه في كل شيء إلا فيهن . ثم طار الشيطان ، وقذف الحاتم في البحر فابتلعه سمكة ، ووقعت السمكة في يد سليمان ، فبقر بطنها فإذا هو بالحاتم فتحتم به ووقع ساجداً ورجع إليه ملكه ، وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليه بأخرى ، ثم أوثقها بالحديد والرصاص وقذفه في البحر ، وقيل : لما افتتن كان يسقط الحاتم من يده لا يتماسك فيها ، فقال له آصف : إنك لملفتون بذنبك والحاتم لا يقر في يدك ، فقب إلى الله عز وجل) .

وعقّب الزمخشري على هذه القصة التي تذهب بعصمة الأنبياء ولا تتفق وقواعد الشريعة بقوله : (ولقد أبى العلماء المتقنون قبوله ، وقالوا : هذا من أباطيل اليهود ، والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الأفاعيل ، وتسليط الله إياهم على عبادته حتى يقعوا في تغيير الأحكام ، وعلى نساء الأنبياء حتى يفجروا بهن قبيح . وأما اتخاذ التماثيل فيجوز أن تختلف فيه الشرائع . ألا ترى إلى قوله : (من محاريب وتماثيل) وأما السجود للصورة فلا يظن بنبي الله أن يأذن فيه ، وإذا كان بغير علمه فلا عليه (١)) .

ومثلاً عند قوله : (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه .. الآية) ، قال : (وقد فسرهم يوسف بأنه حلّ الهيمان وجلس منها مجلس الجامع ، وبأنه حلّ تكة سراويله ، وقعد بين شعبها الأربع ، وهي مستلقية على قفاها . وفسر البرهان بأنه سمع صوتاً : إيتاك وإيتاها ، فلم يكثر له ، فسمعه ثانياً . فلم يعمل

(١) الكشف (١٢: ٣ - ١٣) .

به ، فسمع ثالثاً : أعرض عنها ، فلم ينجع فيه حتى مُثِّل له يعقوب عاضاً على أناملته ، وقيل ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من أنامله ، وقيل : كل ولد يعقوب له اثنا عشر ولداً إلا يوسف فإنه ولد له أحد عشر ولداً ؛ من أجل ما نقص من شهوته حين هم . وقيل : صيح به : يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له . وقيل : بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم ، مكتوب فيها : (وإن عليكم لحافظين ، كراماً كاتبين) فلم ينصرف ، ثم رأى فيها : (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً) فلم ينته ، ثم رأى فيها : (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله) ، فلم ينجع فيه ، فقال الله لجبريل عليه السلام : أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة ، فانخط جبريل وهو يقول : يا يوسف أتعلم عمل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الأنبياء ؟ ، وقيل : رأى ثمال العزيز ، وقيل : قامت المرأة إلى صنم كان هناك فستوته وقالت : أستحي منه أن يرانا ؟ فقال يوسف : أستحييت ممن لا يسمع ولا يبصر ، ولا أستحي من السميع البصير العليم بذوات الصدور^(١) .

وهذه القصة التي اغتر البغوي بسندها وزعم أنها مما ارتضاه السلف ونعى على من أنكرها من الخلف — كما سبق أن وضناه — ينكرها الزمخشري كل الإنكار ويفندها بأدلة في غاية القوة ، فيقول : (وهذا ونحوه مما يورده أهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله تعالى وأنبيائه ، وأهل العدل والتوحيد^(٢) ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم — بحمد الله — بسبيل ؛ ولو وجدت من يوسف عليه السلام أدنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره ، كما نعت على آدم زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى أيوب وعلى ذي النون وذكرت توبتهم واستغفارهم ، كيف وقد أثني عليه وسمي مخلصاً ، فعلم بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام الدحض ، وأنه جاهد نفسه مجاهدة أولي القوة والعزم ، ناظراً في دليل التحريم ووجه القبح ، حتى

(١) الكشف (١٠٥ : ٢) .

(٢) المراد بهم هنا المعتزلة .

استحق من الله الثناء فيما أنزل من كتب الأولين ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ومصادق لها ، ولم يقتصر إلا على استيفاء قصته ، وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق في الآخرين ، كما جعله لجدّه الخليل إبراهيم عليه السلام ، وليقتدي به الصالحون إلى آخر الدهر في العفة وطيب الإزار والتثبت في مواقف العثار ، فأخزى الله أولئك في إيرادهم ما يؤدي إلى أن يكون إنزال الله السورة التي هي أحسن القصص في القرآن العربي المبين؛ ليقّتي بني من أنبياء الله في القعود بين شعب الزانية وفي حل تكيته للوقوع عليها ، وفي أن ينهيه ربه ثلاث كرات ، ويصاح به من عنده ثلاث صيحات بقوارع القرآن ، وبالتوبيخ العظيم ، وبالوعد الشديد، وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد غير أنثاء؛ وهو جاثم في مرضه لا يتحلل ولا ينتهي ولا ينتبه حتى يتداركه الله مجبريل ويأجباره ، ولو أن أوقع الزناة وأسطروهم وأحدهم حدقة وأجلحهم وجهاً؛ لقي بأدنى ما لقي به نبي الله كما ذكروا، لمّا بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرك . فياله من مذهب ما أفحشه ومن ضلال ما أبينه (١) !! أه .

وقد استغل الزمخشري رواية بعض أهل السنة لهذه الروايات للطعن عليهم جميعاً ، مع أن الكثير من أهل السنة أعرض عنها بالمرّة ، وبعض من ذكرها فنّدها كالإمام الرازي ، ومن ذكر شيئاً بما قاله الزمخشري وسكت عنه فليس ذلك ناشئاً عن كونه سيء العقيدة ، وإنما هو الشغف برواية الغرائب وذلك مسلك شخصي . والزمخشري يروي بعض الغرائب ولا يتعقبها كما قدمنا ، ويتأول بعض ما يقده في عصمة الأنبياء تأولاً فيه تكلف ظاهر ، ولا حاجة له إليه ما دامت القصة غير صحيحة ، ومن ذلك ما تأوله الزمخشري في قصة (داود وأوريا) التي بينا فيما سبق بطلانها بقوله : كان أهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبه ، وكانت لهم عادة في المواساة بذلك قد اعتادوها ، وقد رويناه أن الأنصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك .. فاتفق أن

(١) الكشف (١٠٦:٢) .

عين داود وقعت على امرأة رجل يقال له : أوربا ، فأحبها ، فسأله النزول عنها ، فاستحيا أن يرده ف تزوجها وهي أم سليمان ... الخ ^(١) .

٧ - مفاتيح الغيب للفخر الرازي

التعريف بالمؤلف .

هو محمد بن عمر بن حسين بن الحسن بن علي ، ويكنى بأبي عبد الله . وقد اشتهر بلقبه « فخر الدين الرازي » وكان يعرف بابن الخطيب أو ابن خطيب الري ، لأن أباه كان خطيب الري وواعظها ^(٢) ، ولد الرازي بمدينة الري في رمضان سنة ٥٤٤ هجرية أو سنة ٥٤٣ هـ على خلاف بين المؤرخين ^(٣) .

ثقافته ومؤلفاته .

كان الرازي في عصره كعبة العلم ، يقصده الطلاب ، وتشدد إليه الرجال من شتى الأقطار والأمصار ، أخذ عنه العلم نحو من ثلاثمائة طالب في الفلسفة وعلم الكلام والفقه والأصول والطب والكيمياء والنحو والأدب والتفسير وغير ذلك من العلوم ^(٤) .

وقد وصفه صاحب كتاب الوافي بالوفيات بقوله : (اجتمع له خمسة أشياء ما جمعها الله لغيره فيما علمته من أمثاله ، وهي : سعة العبارة في القدرة على الكلام ،

(١) الكشف (٢٧٩ : ٢ - ٢٨٠) .

(٢) وفیات الأعيان « ٣ : ٣٨١ » وانظر البداية والنهاية لابن كثير « ٥٥ : ١٣ » .
والوافي بالوفيات « ٤ : ٢٤٨ » .

(٣) وفیات الأعيان « ٣ : ٣٨٤ » والوافي بالوفيات « ٤ : ٢٤٨ » وشذرات الذهب « ٥ : ٢١ » .

(٤) وفیات الأعيان « ٣ : ٣٨٣ » وانظر مفتاح السعادة « ١ : ٤٤٦ »
وعيون الأنباء « ٢ : ٢٣ » ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي « ٥ : ٣٥ » .

وصحة الذهن ، والاطلاع الذي لا مزيد عليه ، والحافظة المستوعبة ، والذاكرة التي تعينه على ما يريد في تقرير الأدلة والبراهين ^(١) .

وقد ألف الرازي في شتى العلوم المعروفة في زمانه ، غير أن أكثر تأليفه تدور حول علم الكلام والفلسفة والتفسير ، فمن تأليفه : الأربعين في أصول الدين ، ومحصل أفكار المتقدمين من العلماء والحكماء والمتكلمين ، والتفسير الكبير « مفاتيح الغيب » وهو الذي تتكلم عنه ، وتفسير سورة الفاتحة ، ورسالة في التنبيه على بعض الأسرار المودعة في بعض سور القرآن العظيم ، وشرح الوجيز للغزالي ، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، وغير ذلك .

وكانت وفاته في الحادي والعشرين من المحرم سنة ٦٠٦ هـ ^(٢) .

التعريف بالتفسير .

اشتهر الفخر الرازي بالتفسير وإن كان مقامه في كل علم من علوم الاسلام لا يقل عن مقامه في التفسير ، إلا أن كتابه في التفسير كان المظهر الأكبر لكل علومه ، إذ أنه يعتبر موسوعة علمية أودع فيها مؤلفها طائفة كبيرة من علوم الاسلام ، وجمع فيها الكثير من أقوال المتقدمين والمتأخرين من أئمة اللغة والتفسير والكلام وغيرها من المعارف والعلوم ، فحيثما أردت فكرة في بحث إسلامي ؛ وجدتها بالتفصيل في هذا الكتاب أو وجدت إشارة تومئ إلى تفصيلها في موضع آخر من كتبه ، فهو ينتهز ورود لفظة ليدخل في بحث منظم له تفريعات وتشقيقات كثيرة ، وهذا أثر من آثار ثقافته الواسعة التي ظهرت في فهمه للقرآن الكريم .

يقول القاضي أبو الحسن علي السبكي عن تفسير الرازي : (فيه مع التفسير

(١) الوافي بالوفيات للصفدي « ٤ : ٢٤٨ » .

(٢) الوافي بالوفيات للصفدي « ٤ : ٢٥٤ » .

كل شيء^(١)) ويقول أبو حيان : (جمع في كتابه التفسير أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير^(٢)) ، ويقول صاحب الاتقان : (ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وشبهها وخرج من شيء إلى شيء ؛ حتى يقضي الناظر العجب من عدم مطابقة المورد للآية^(٣)) .

موقفه من الاسرائيليات .

١ - قلل الرازي في تفسيره من ذكر الاسرائيليات فرفض كل رواية تطعن في عصمة نبي من الأنبياء ، فمثلاً يقول عند تفسير قوله تعالى : (وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب . إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط . . . الآية^(٤)) ، للناس في هذه القصة ثلاثة أقوال . . . فأما القول الأول : فحاصل كلامهم فيها ، أن داود عشق امرأة أوريا ، فاحتال بالوجوه الكثيرة حتى قتل زوجها ثم تزوج بها ، فأرسل الله إليه ملكين في صورة المتخاصمين في واقعة شبيهة بواقعة ، وعرضا تلك الواقعة عليه ، فحكم داود بحكم لزم منه اعترافه بكونه مذنباً ، ثم تنبه لذلك فاستغل بالتوبة .

ويعلق الرازي بقوله : (والذي أدين به وأذهب إليه أن ذلك باطل ويدل عليه وجوه :

الاول : أن هذه الحكاية لو نسبت إلى أفسق الخلق وأشدهم فجوراً لاستنكف منها .

(١) الوافي بالوفيات للصفدي « ٤ : ٢٥٠ » .

(٢) البحر المحیط لأبي حيان « ١ : ٣٤١ » .

(٣) الاتقان « ٢ : ٢٢٦ » .

(٤) الآياتان ٢١ ، ٢٢ من سورة ص .

الثاني : أن حاصل القصة يرجع إلى أمرين : إلى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق وإلى الطمع في زوجته ، أما الأول فأمر منكر ، قال صلى الله عليه وسلم : « من سعى في دم مسلم ولو بشرط كلمة جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله » ، وأما الثاني فمنكر عظيم ، قال صلى الله عليه وسلم : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) وأن أوربا لم يسلم من داود - على زعمهم - لا في روحه ولا في منكوحه .

والثالث : أن الله تعالى وصف داود عليه السلام قبل ذكر هذه القصة بالصفات العشر المذكورة ، ووصفه أيضاً بصفات كثيرة بعد ذكر القصة ، ومثل هذه الصفات تنافي كونه - عليه السلام - موصوفاً بهذا الفعل المنكر والعمل القبيح ^(١) أ هـ .

٢ - كذلك نرى الرازي يرفض كل رواية تعرضت لتفصيلات سكنت عنها القرآن ، ولم يجيء بها حديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن للعلم بها فائدة ؛ فمثلاً يقول في تفسير قوله تعالى : (ولا تقر بها هذه الشجرة ^(٢)) اختلفوا في الشجرة ما هي : فروى مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما : أنها البر والسنبله ، وروى السدي عن ابن عباس وابن مسعود : أنها الكرم ، وعن مجاهد وقتادة : أنها التين ، وقال الربيع بن أنس : كانت شجرة من أكل منها أحدث ؛ ولا ينبغي أن يكون في الجنة حدث .

ويعلق الرازي على ذلك بقوله : (واعلم أنه ليس في الظاهر ما يدل على التعيين ، فلا حاجة أيضاً إلى بيانه ، لأنه ليس المقصود من هذا الكلام أن

(١) تفسير الرازي « ٢٦ : ١٨٩ » .

(٢) الآية ٣٥ من سورة البقرة .

يعرفنا عين تلك الشجرة ، ومالا يكون مقصوداً في الكلام لا يجب على الحكيم أن يبينه ، بل ربما كان بيانه عبثاً^(١) .

ويقول في موضع آخر : (اختلفوا في العصا - عصا موسى - فقال الحسن : كانت عصا أخذها من بعض الأشجار ، وقيل : كانت من آس الجنة ، طولها عشرة أذرع على طول موسى ولها شعبتان تتقدان في الظامة) .

ويعلق الرازي على ذلك بقوله : (والذي يدل عليه القرآن أن مقدارها كان مقداراً يصح أن يتوكأ عليها ، وأن تنقلب حية عظيمة ، ولا تكون كذلك إلا ولها قدر من الطول والغلظ وما زاد على ذلك فلا دلالة عليه . واعلم أن السكوت عن أمثال هذه المباحث واجب لأنه ليس فيها نص متواتر قاطع ولا يتعلق بها عمل ، حتى يكتفى فيها بالظن المستفاد من أخبار الآحاد فالأولى تركها^(٢) .

ويقول في معرض الكلام عن الحجر الذي أمر الله موسى أن يضربه بعصاه : (واختلفوا في صفة الحجر^(٣) فقيل : كان من رخام وكان ذراعاً في ذراع ، وقيل : مثل رأس الإنسان) .

ويعلق الرازي على هذا بقوله : والختار عندنا تفويض علمه إلى الله تعالى^(٤) .

٣ - ويتساهل الرازي أحياناً فيروي لنا قصصاً أشبه بالأساطير دون أن يعلق عليها بشيء مادامت محتملة في رأيه ، ولا تطعن في عصمة نبي وليست مما يرجع إلى الأحكام بحيث يجب فيها تحري الصحة التي يجب بها العمل ، وفي مثل

(١) تفسير الرازي « ٦-٥:٣ » .

(٢) المرجع السابق « ٩٥:٣ » .

(٣) الحجر الوارد في الآية ٦٠ من سورة البقرة « فقلنا اضرب بعصاك الحجر

فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ... الآية » .

(٤) تفسير الرازي « ٩٥:٣ » .

ذلك يتساهل المفسرون كما يقول ابن خلدون^(١)، وهو يروي هذه القصص - لاسيما - قصص الأنبياء - عن مقاتل ووهب بن منبه والكلبي والسدي وغيرهم ، وأحياناً لا يذكر من نقل عنه الخبر أو القصة ويكتفي بقوله : (روي)^(٢)؛ فمثلاً عند تفسير قوله تعالى : (ألم تر كيف فعل ربك بعاد . إرم ذات العماد^(٣)) يقول : روي أنه كان لعاد ابنان : شداد وشديد ، فلما وقبرا ، ثم مات شديد وخلص الأمر لشداد فلما ملك الدنيا ودانت له ملوكها ، فسمع بذكر الجنة ، فقال : أبني مثلها ، فبنى إرم في بعض صحارى عدن في ثلاثمائة سنة ، وكان عمره تسعمائة سنة وهي مدينة عظيمة ، وسورها من الذهب والفضة ، وأساطينها من الزبرجد والياقوت ، وفيها أصناف الأشجار والأنهار ، فلما تم بناؤها سار إليها بأهل مملكته ، فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا . وعن عبد الله ابن قلابه : أنه خرج في طلب إبل له ، فوصل إلى جنة شداد ، فحمل ما قدر عليه بما كان هناك ، وبلغ خبره معاوية فاستحضره وقص عليه وبعث إلى كعب فسأله ، فقال : هي إرم ذات العماد ، وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أسقر قصير على حاجبه خال ، وعلى عنقه خال ، يخرج في طلب إبل له ، ثم التفت فأبصر ابن أبي قلابه فقال : هذا والله هو ذلك الرجل^(٤) أه .

وهذه القصة آثار الوضع عليها لائحة ، وقد علق ابن كثير عليها بقوله : (من زعم أن إرم مدينة من ذهب وفضة ، وهي تنتقل في البلاد فقد غلط وأخطأ وقال مالا دليل عليه^(٥)) .

(١) انظر مقدمة ابن خلدون ص ٢٦٨ .

(٢) انظر على سبيل المثال تفسير الرازي : « ١٨٢:٢٢ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ٢٠٣ » ، « ١٣٣:١٢ » ويراعى أن بعض هؤلاء الذين ينقل عنهم الرازي من أقطاب الروايات الإسرائيلية كوهب بن منبه ، وبعضهم متهم بالكذب كالكلبي ومقاتل والسدي الصغير .

(٣) الآيتان ٧٠٦ ، من سورة الفجر .

(٤) تفسير الرازي « ١٦٨:٣١ » .

(٥) البداية والنهاية لابن كثير « ١٢٥:١ » .

وقد أثارت هذه القصة ابن خلدون فكتب في مقدمته ذا كراً أخطاء المفسرين ناقداً لها ونهم في قبول الأقايصص الموضوعة ، فقال : (وأبعد من ذلك وأعرق في الوهم ، ما يتناقله المفسرون في تفسير سورة « الفجر » في قوله تعالى : (ألم تر كيف فعل ربك بعاد . إرم ذات العماد) ثم روى نفس القصة التي ذكرها الرازي وعلق عليها بقوله : (وهذه المدينة لم يسمع لها خبر من يومئذ في شيء من بقاع الأرض وصحارى عدن التي زعموا أنها بنيت فيها . .) ويعلل ابن خلدون وقوع المفسرين في هذا الخطأ بقوله : (والذي حمل المفسرين على ذلك ما اقتضه صناعة الإعراب في لفظة « ذات العماد » أنها صفة إرم وحملوا العماد على الأساطين ، فتعين أن يكون بناء ، ورشح لهم ذلك قراءة ابن الزبير « بعاد إرم » على الإضافة من غير تنوين ، ثم وقفوا على تلك الحكايات التي هي أشبه بالأقايصص الموضوعة والتي هي أقرب إلى الكذب ، المنقولة في عداد المضحكات . وإلا فالعماد هي عماد الحيام ، وإن أريد بها الأساطين فلا بدع في وصفهم بأنهم أهل بناء وأساطين على العموم بما اشتهر من قوتهم ، لا أنه بناء خاص في مدينة معينة أو غيرها ، وإن أضيفت - كما في قراءة ابن الزبير - فعلى إضافة الفصلة إلى القبيلة كما نقول : « قريش كنانة » و « الياس مضر » و « ربيعة نزار » من غير ضرورة إلى هذا الحمل البعيد الذي يجلب لتوجيه أمثال هذه الحكايات الواهية التي يتنزه كتاب الله عن مثلها بعدها عن الصحة ^(١)) .

وقال الإمام الشيخ محمد عبده - رحمه الله - في هذا الصدد : (وقد يروي المفسرون هنا حكايات في تصوير إرم ذات العماد ؛ كان يجب أن ينزه عنها كتاب الله ، فإذا وقع إليك شيء من كتبهم ونظرت في هذا الموضع منها فتخط ببصرك ما تجده في وصف إرم وإياك أن تنظر فيه ^(٢)) .

(١) مقدمة ابن خلدون - تعليق الدكتور وافي ص ٢٢٨ مطبعة لجنة البيان

العربي ، سنة ١٣٧٦ هـ ١٩٥٧ م .

(٢) تفسير جزء عم ص ٦١ للشيخ محمد عبده . طبع مطابع الشعب .

والحق ماذهب إليه محققوا المفسرين من أن إرم عطف بيان لـ (عاد)
 وأنهم سموا بعاد إرم نسبة إلى جدهم لأن عاداً هو : ابن عرس بن إرم بن سام بن
 نوح كما قال النسابون ، ووصف القبيلة بذات العباد : إما لأنهم كانوا أهل عمد
 وخيام في حلهم وترحالهم ، أو لما كانوا عليه من طول القامة وقوة البنية ، أو
 لكونهم ذوي شرف ورفعة . ومعنى (التي لم يخلق مثلها في البلاد) : أي في
 قوة البنية والضخامة ، وشدة البأس . وتفسير الآيات على هذا الوجه هو الذي
 يتفق وما سيق له الآيات ؛ وهو تخويف المعاندين الموجودين في زمن النبي صلى
 الله عليه وسلم بأنه أهلك من كان قبلهم وكانوا أشد منهم بأساً ، وأعظم سلطاناً ،
 وأكثر أموالاً .

٨ — الجامع لأحكام القرآن للقرطبي

التعريف بالمؤلف .

هو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج ، الأنصاري ، الحزرجي ،
 الأندلسي ، القرطبي ، المفسر .

كان رحمه الله من عباد الله الصالحين ، والعلماء العارفين ، والزاهدين في
 الدنيا المشغولين بما يعينهم من أمور الآخرة وبلغ من زهده أن اطرح التكلف ،
 وصار يمشي بثوب واحد ، وعلى رأسه طاقية ، وكانت أوقاته كلها معمورة بالتوجه
 إلى الله وعبادته تارة وبالتصنيف تارة أخرى ، حتى أخرج للناس كتباً انتفعوا بها .

ومن مصنفاته : كتابه في التفسير المسمى بالجامع لأحكام القرآن — وهو
 ما نحن بصده — وشرح أسماء الله الحسنى ، وكتاب التذكار في أفضل الأذكار ،
 وغير ذلك .

وكان مستقراً بنية أبي الحصب وتوفي ودفن بها في شوال سنة إحدى وسبعين وستائة من الهجرة^(١) .

التعريف بالتفسير .

وصف العلامة ابن فرحون هذا التفسير فقال : (وهو من أجل التفاسير وأعظمها نفعاً ، أسقط منه القصص والتواريخ وأثبت عوضها أحكام القرآن ، واستنبط الأدلة ، وذكر القراءات والاعراب والناسخ والمنسوخ^(٢)) .

وقال القرطبي في مقدمة تفسيره ، مبيناً الطريق الذي رسمه لنفسه ، ليسير عليه فيه : (. . وشرطي في هذا الكتاب إضافة الأقوال إلى قائلها ، والأحاديث إلى مصنفها ، فإنه يقال : من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله ، وكثيراً ما يجيء الحديث في كتب الفقه والتفسير مبهماً لا يعرف من أخرجه إلا من اطلع على كتب الحديث ، فيبقى من لا خبرة له بذلك حائراً لا يعرف الصحيح من السقيم . . ثم قال : وأضرب عن كثير من قصص المفسرين وأخبار المؤرخين إلا ما لا بد عنه وما لا غنى منه للتبيين^(٣)) .

موقفه من الاسرائيليات .

نجد القرطبي يروي أحياناً في تفسيره من غرائب القصص الإسرائيلية مع اعتدال في ذلك كما ذكر في مقدمة تفسيره ، غير أنه لم يسقط هذا القصص بالجملة كما ذكر ابن فرحون ، ونسوق الآن بعض الأمثلة لنبرهن على صدق ما ذهبنا إليه .

(١) انظر الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون (ص ٣١٧ - ٣١٨) . ومنية أبي الحصب : مدينة كبيرة حسنة على شاطئ النيل في الصعيد الأدنى كما قال ياقوت الحموي .

(٢) انظر المصدر السابق (ص ٣١٧ - ٣١٨) .

(٣) تفسير القرطبي « ٢ : ١ - ٣ » .

١ - أ - عند قوله تعالى : (ق . والقرآن المجيد) قال : (.. واختلف في معنى (ق) ماهو ؟ . فقال ابن زيد وعكرمة والضحاك : هو جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء اخضرت السماء منه ، وعليه طرفا السماء ، والسماء عليه مقبية ، وما أصاب الناس من زمرد كان بما تساقط من ذلك الجبل . وقال وهب : أشرف ذو القرنين على جبل قاف ، فرأى تحته جبلاً صغيراً ، فقال له : ما أنت ؟ قال : أنا قاف . قال : فما هذه الجبال حولك ؟ قال : هي عروقي ، ومامن مدينة إلا وفيها عرق من عروقي ، فإذا أراد الله أن يزلزل مدينة أمرني فحركت عروقي ذلك فزلزلت تلك الأرض ، فقال له : يا قاف ، أخبرني بشيء من عظمة الله . قال : إن شأن ربنا لعظيم ، وإن ورائي أرضاً مسيرة خمسمائة عام من جبال تلج يحطم بعضها بعضاً . لولا هي لاحتزقت من حرجهم .. قال : زدني ، قال : إن جبريل عليه السلام واقف بين يدي الله ترعد فرائصه لمخلق الله من كل رعدة مائة ألف ملك ، فأولئك الملائكة وقوف بين يدي الله تعالى ، منكسو رؤوسهم فإذا أذن الله لهم في الكلام قالوا : لا إله إلا الله ... (١) .

ب - وعند قوله تعالى : (ن والقلم وما يسطرون)^(٢) روى عن مجاهد قال : (ن) : الحوت الذي تحت الأرض السابعة . . وكذا قال مقاتل ، ومرة الهمداني ، وعطاء ، والسدي ، والكلبي : إن النون هو الحوت الذي عليه الأرضون . وروى أبو ظبيان عن ابن عباس قال : أول ما خلق الله القلم فجبرى بما هو كائن ، ثم رفع بخار الماء فخلق منه السماء ، ثم خلق النون فبسط الأرض على ظهره فمادت الأرض ، فأثبتت بالجبـال ، وإن الجبال لتفخر على الأرض ، ثم قرأ ابن عباس (ن والقلم) . وقال الكلبي ومقاتل ، اسمه البهموت ، قال الراجز :

مالي أراكم كلكم سكوئا والله ربي خلق البهموتا

(١) تفسير القرطبي « ٢: ١٧ » .

(٢) الآية « ١ » من سورة القلم .

وقال أبو اليقظان والواقدي : ليوثا ، وقال كعب : لوثوثا ، وقال : بلهموثا ، قال كعب : إن إبليس تغلغل إلى الحوت الذي على ظهره الأرضون ، فوسوس في قلبه ، وقال : أتدري ما على ظهرك يا لوثوثا من الدواب والشجر والأرضين وغيرها ، لو ألقيتهم عن ظهرك أجمع ، فهم لوثوثا أن يفعل ذلك ، فبعث الله إليه دابة فدخلت منخره ووصلت إلى دماغه ، فضج الحوت إلى الله عز وجل منها فأذن الله لها فخرجت . قال كعب : فوالله إنه لينظر إليها وتنظر إليه ، إن هم بشيء من ذلك عادت كما كانت ^(١)) أه .

ومثل هذه السخافات تؤلب على الاسلام الطاعنين ، وتضحك منه الملحدون ، وترهق من الدخول فيه المرتادين ، وتزيد في شكوك المرتابين .

والعجب أن القرطبي لم يعقب على ما ذكر بكلمة واحدة ، وليته لم يذكر مثل هذه الحرافات التي شوهدت وجه الاسلام وأساءت إلى كتاب الله الخالد .

ج - وعند قوله تعالى في الآية (٢٥) من سورة الحديد : (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز) .

روى عن الثعلبي أنه قال : (قال ابن عباس : نزل آدم من الجنة ومعه من الحديد خمسة أشياء من آلة الحدادين : السندان ، والكبتان ، والميعة ^(٢) ، والمطرقة ، والابرة ^(٣)) .

وقد علق القاسمي في تفسيره (محاسن التأويل) على هذه الرواية بقوله :

(١) تفسير القرطبي (١٨ : ٢٢٣ - ٢٢٤) .

(٢) المسن الطويل

(٣) تفسير القرطبي (١٧ : ٢٦١) .

(٥٥) وما يذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن آدم عليه السلام نزل من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد: السندان ، والكلبتان ، والميقعة ، والمطرقة ، والابرة فهو كذب لا يثبت مثله (١) .

د - وعند قوله تعالى : (قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين ٥٥٥ الآية (٢)) ، قال : (٥٥) وكان معهم عوج الأعنق ، وكان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعاً . قال ابن عمر ، وكان يحتجن السحاب ، أي يجذبه بجحنه ، ويشرب منه ، ويتناول الحوت من قاع البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه إليها ثم يأكله ، وحضر طوفان نوح عليه السلام ولم يجاوز ركبته ، وكان عمره ثلاثة آلاف وستائة سنة ، وإنه قلع صخرة على قدر عسكر موسى ليرضخهم بها ، فبعث الله طائراً فنقرها ووقعت في عنقه فصرعته ، وأقبل موسى عليه السلام وطوله عشرة أذرع وعصاه عشرة أذرع وترقى في السماء عشرة أذرع ، فما أصاب إلا كعبه وهو مصروع فقتله . وقيل بل ضربه في العرق الذي تحت كعبه فصرعه فمات ووقع على نيل مصر فجسروهم سنة ، أي صار لهم جسراً يعبرون عليه (٣)) هـ .

وإني لأعجب للقرطبي كيف أضاع وقته في كتابة مثل هذه الخرافات التي لا تعطي الفكر إلا خيالا ، ولا تزيد الفؤاد إلا خبالا . وليته إذ سود صفحات كتابه بذكره أنه على بطلانها ، ولكنه لم يفعل مع أن القصة مخالفة للنقل والعقل ، وقد علق عليها ابن كثير في تفسيره فقال : (٥٥) وقد ذكر كثير من المفسرين هنا أخباراً من وضع بني إسرائيل في عظمة خلق هؤلاء الجبارين ، وأن منهم عوج ابن عنق ، وأنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلثمائة وثلاثة وثلاثون ذراعاً وثلث

(١) تفسير القاسمي (١٦ : ٥٦٩٥) بتصرف يسير . ط دار إحياء الكتب العربية طبعة أولى سنة ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م .

(٢) الآية ٢٤ من سورة المائدة .

(٣) تفسير القرطبي (١٦ : ١٢٦ - ١٢٧) .

ذراع تحرير الحساب وهذا شيء يستحي من ذكره ، ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً . ثم لم يزل الحلق ينقص حتى الآن ٥٥) ثم ذكروا أن هذا الرجل كان كافراً وأنه كان ولد زنية ، وأنه امتنع من ركوب سفينة نوح ، وأن الطوفان لم يصل إلى ركبته . . وهذا كذب وافتراء ، فإن الله تعالى ذكر نوحاً دعا على أهل الأرض من الكافرين فقال . . (رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً)^(١) وقال تعالى في الآية ١٢٠ من سورة الشعراء : (فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين) وقال تعالى في الآية ٤٣ من سورة هود : (قال لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) .

وإذا كان ابن نوح الكافر قد غرق فكيف يبقى عوج بن عنق وهو كافر وولد زنية ؟ هذا لا يسوغ في عقل ولا شرع ، ثم في وجود رجل يقال له عوج بن عنق نظر والله أعلم^(٢) .

وذكر ابن قتيبة في « تأويل مختلف الحديث » . قول المعتزلة في تكذيب مثل هذه الأخبار فقال : (قالوا : حديث يكذبه النظر . . قالوا : هذا كذب بين لا يخفى على عاقل ولا على جاهل . وكيف صار في زمن موسى عليه السلام من خالف أهل الزمان هذه المخالفة ؟

و كيف يجوز أن يكون من ولد آدم من يكون بينه وبين آدم هذا التفاوت ؟ ! وكيف يطيق آدمي حمل جبل على رأسه قدره فرسخ في فرسخ ؟ !!!

ونحن نقول : إن هذا حديث لم يأت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن صحابته ، وإنما هو خبر من الأخبار القديمة ، التي يرويها أهل الكتب ، سمعه قوم منهم على قديم الأيام فتحدثوا به^(٣) .

(١) الآية ٢٦ من سورة نوح .

(٢) تفسير ابن كثير (٢ : ٣٨) وانظر البداية والنهاية (١ : ١١٤ ، ٢٧٨) .

(٣) تأويل مختلف الحديث ٢٧٨ - ٢٧٩ .

هـ — وعند قوله تعالى في الآية (٥٧) من سورة مريم: (ورفعناه مكاناً علياً).
روي عن وهب بن منبه أنه قال : (كان يرفع لإدريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لأهل الأرض في زمانه ، فعجب منه الملائكة ، واشتاق إليه ملك الموت فاستأذن ربه في زيارته ، فأذن له ، فأثاه في صورة آدمي ، وكان لإدريس يصوم النهار ، فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل ، ففعل ذلك ثلاث ليال فأنكره إدريس . وقال له : من أنت ؟ قال : أنا ملك الموت . استأذنت ربي أن أصحبك فأذن لي ، فقال إن لي إليك حاجة ، قال : وما هي ؟ قال : أن تقبض روحي ، فأوحى الله تعالى إليه : أن اقبض روحه ، فقبضه ورده الله إليه بعد ساعة ، وقال له ملك الموت : ما الفائدة من قبض روحك ؟ قال : لأذوق كرب الموت فأكون له أشداً استعداداً ، ثم قال إدريس بعد ساعة : إن لي إليك حاجة أخرى ، قال : وما هي ؟ قال : أن ترفعي إلى السماء فأنظر إلى الجنة والنار ، فأذن الله تعالى له في رفعه إلى السموات ، فرأى النار فصعق ، فلما أفاق قال أرني الجنة ، فأدخله الله الجنة ، ثم قال له ملك الموت : اخرج لتعود إلى مقرك ، فتعلق بشجرة ، وقال : لا أخرج منها ، فبعث الله تعالى بينهما ملكاً حكماً ، فقال : مالك لا تخرج ؟ قال : لأن الله تعالى قال : (كل نفس ذائقة الموت) ، وأنا ذاقته . وقال (وإن منكم إلا واردها) وقد وردتها . وقال (وما هم منها بمخرجين) ، فكيف أخرج ؟ فقال الله سبحانه وتعالى للملك الموت : يا ذني دخل الجنة ، وبأمري يخرج ، فهو حي هنالك ، فذلك قوله تعالى : (ورفعناه مكاناً علياً) فإدريس تارة يرتفع إلى الجنة ، وتارة يعبد الله تعالى مع الملائكة في السماء ^(١) . وقد روى ابن كثير خبراً قريباً من هذا عن كعب الأحبار ، وعلق عليه بقوله : (وهذا من الاسرائيليات وفي بعضه نكارة ^(٢)) .

(١) تفسير القرطبي (١١ : ١١٩) .

(٢) البداية والنهاية (١ : ١٠٠) وانظر تفسير ابن كثير .

٩ — مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي

التعريف بالمؤلف .

هو أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، الحنفي . كان — رحمه الله — إماماً كاملاً عديماً النظير في زمانه ، رأساً في الفقه والأصول ، بارعاً في الحديث ومعانيه ، بصيراً بكتاب الله تعالى ، ومن مؤلفاته : متن الوافي في الفروع ، وشرحه : الكافي ، وكنز الحقائق في الفقه أيضاً ، والمنار في أصول الفقه ، والعمدة في أصول الدين ، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل ، وهو التفسير الذي نحن بصدد الكلام عنه .

كانت وفاة النسفي سنة إحدى وسبعائة من الهجرة ، رحمه الله (١) .

التعريف بالتفسير .

هذا التفسير اختصره مؤلفه من تفسير البيضاوي ، ومن تفسير الزمخشري غير أنه ترك ما في الكشف من الاعتزالات ، وجرى فيه على مذهب أهل السنة والجماعة ، كما أنه لم يقع فيما وقع فيه صاحب الكشف من ذكره للأحاديث الموضوعة في فضائل السور .

قال صاحب كشف الظنون فيه : (هو كتاب وسط في التأويلات ، جامع لوجوه الأعراب والقراءات ، متضمن لدقائق علم البديع والإشارات ، موشح بأقوال أهل السنة والجماعة ، خال من أباطيل أهل البدع والضلالة ، ليس بالطويل الممل ولا بالقصير الخجل) أه . وهذا التفسير متداول بين أهل العلم ومطبوع ..

موقفه من الاسرائيليات .

يعتبر النسفي مقلاً في ذكر الاسرائيليات إذا قيس بغيره من المكثرين ؛

(١) انظر الدرر الكامنة (٢ : ٢٤٧) والفوائد البية في تراجم الحنفية (ص ١٢) والتفسير والمفسرون (١ : ٣٠٤) .

غير أنه يذكر أحياناً بعض هذه الاسرائيليات دون أن يتعقبها ، وذلك حيث لا يكون فيها ما يخالف العقل والنقل ، ومن أمثلة ذلك :

١ - أ - عند تفسيره لقوله تعالى في الآية ١٧ من سورة النمل :
(وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون) ، قال : (روي أن معسكره كان مائة فرسخ ، خمسة وعشرون للجن ، وخمسة وعشرون للإنس ، وخمسة وعشرون للطير ، وخمسة وعشرون للوحش . وكانت له ألف بيت من قوارير على الحشب ، فيها ثلاثمائة منكوحه ، وسبعمائة سُريّة ، وقد نسجت له الجن بساطاً من ذهب وإبريسم فرسجاً في فرسخ ، وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب وفضة ، فيقعد وحوله ستائة ألف كرسي من ذهب وفضة ، فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة ، وحولهم الناس ، وحول الناس الجن والشياطين ، وتظله الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه حر الشمس ، وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ^(١)) .

ب - وعند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٣٥) من سورة النمل :
(وإني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون) ، نراه يذكر خبر هدية بلقيس لسليمان وما كان من امتحانها له ^(٢) ، وهو خبر أشبه ما يكون بقصة نسجها خيال شخص مسرف في تخيله ، ومع ذلك لم يعقب عليها ، كما لم يعقب على سابقتها .

٢ - وإذا كان النسفي يروي بعض الاسرائيليات المحتملة ولا يتعقبها ؛ إلا أنه في الكثير الغالب لا يدع رواية إسرائيلية تمس عصمة الأنبياء تمر دون أن ينبه على عدم صحتها ، فمثلاً عندما عرض لتفسير قوله تعالى في الآيتين (٢١ ، ٢٢ من سورة ص) : (وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب ، إذ دخلوا على

(١) تفسير النسفي « ٢ : ٦٠١ » .

(٢) المصدر السابق « ٢ : ٦٠٩ » .

داود ففزع منهم ، قالوا لا تخف . خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط) ، نراه بعد أن يذكر من الروايات ما يتنافى مع عصمة داود عليه السلام ، يقول ما نصه : (. . وما يحكى أنه بعث مرة بعد مرة أوريا إلى غزوة البلقاء ، وأحب أن يقتل ليتزوجها فلا يلقى من المتسمين بالصلاح من أفناء المسلمين فضلاً عن بعض أعلام الأنبياء ، وقال علي رضي الله عنه : من حدثكم بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلده مائة وستين ، وهو حد الفرية على الأنبياء . وروي أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث به وقال : إن كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي أن نلتبس خلافها ؛ وأعظم بأن يقال غير ذلك . وإن كانت على ما ذكرت ، وكف الله عنها ستراً على نبيه فما ينبغي إظهارها عليه ، فقال عمر : لسماغي هذا الكلام أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ^(١) .

ومثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٣٤ من سورة ص) : (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) نراه يذكر من الروايات ما يتنافى مع عصمة سليمان عليه السلام ، ثم يقول ما نصه : (وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان ، وعبادة الوثن في بيت سليمان عليه السلام فمن أباطيل اليهود ^(٢)) .

١٠ — باب التأويل في معاني التنزيل للخازن

التعريف بالمؤلف .

هو علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم ، المعروف بالخازن ، اشتهر

(١) تفسير النسفي (٣ : ١٨٨ » .

(٢) المصدر السابق « ٣ : ١٩٤ » .

بذلك لأنه كان خازن كتب خانقاه السَّمِيساطية ^(١) بدمشق ، ولد ببغداد (سنة ٦٧٨ هـ) ثمان وسبعين وستائة من الهجرة .

قال ابن قاضي شہبة : (كان من أهل العلم ، جمع وألف وحدث ببعض مصنفاته) . وقد خلف - رحمه الله - كتباً جمّة في فنون مختلفة . فمن ذلك لباب التأويل في معاني التنزيل - وهو التفسير الذي نريد الكلام عنه - وشرح عمدة الأحكام ، ومقبول المنقول في عشر مجلدات ، جمع فيه بين مسندي الشافعي وأحمد والكتب الستة والموطأ وسنن الدارقطني ، ورتبه على الأبواب ، وكان - رحمه الله - صوفياً حسن السمّت بشوش الوجه ، كثير التودد للناس . توفي (سنة ٧٤١ هـ) إحدى وأربعين وسبعائة من الهجرة بمدينة حلب ^(٢) .

التعريف بالتفسير .

هذا التفسير اختصره مؤلفه من معالم التنزيل للبغوي وضم إلى ذلك ما نقله ولخصه من تفاسير من تقدم عليه ، وليس فيه - كما يقول - سوى النقل والانتخاب مع حذف الأسانيد وتجنب التطويل والإسهاب .

ومؤلفه مكثّر من رواية التفسير المأثور إلى حد ما ، معني بتقرير الأحكام وأدلتها ، مملوء بالأخبار التاريخية والقصص الاسرائيلي الذي لا يكاد يسلم كثير منه أمام ميزان العلم الصحيح والعقل السليم ^(٣) .

والكتاب مطبوع في سبعة أجزاء متوسطة الحجم ، وهو متداول بين الناس وبخاصة من له شغف بالقصص .

(١) خانقاه : منزل الصوفية ، ونسبت لبانها وهو من مدينة سميساط في تركيا .

(٢) انظر ترجمته في الدرر الكامنة « ٣ : ٩٧ - ٩٨ » ، وطبقات المفسرين

للداودي ، « ص ٣٨ » وشذرات الذهب « ١٣١ : ٦ » والتفسير والمفسرون « ١ : ٣١٠ » .

(٣) التفسير والمفسرون « ١ : ٣١١ » .

موقفه من الاسرائيليات .

يتوسع الحازن في ذكر القصة الإسرائيلي وهو في الغالب لا يعقب على ما يذكر منها ، ولا ينظر إليها بعين الناقد البصير ، وإن كان في بعض المواضع لا يترك القصة تمر دون أن يبين لنا ضعفها أو كذبها ، ولكن على ندره . ولعل ذلك يرجع إلى أن الحازن كان خازن كتب خانقاه السيمسائية بدمشق - كما ذكرنا - وقد لقب بالحازن من أجل ذلك . ومن يقوم على خزانة الكتب وله ولع بالتفسير لابد أن يقرأ كثيراً فيما تحت يديه من كتب التفسير ، ولا بد أن يعجب ببعض منها ويتأثر به فيما يحاول من كتابة التفسير ، ولقد رأينا الحازن قد تأثر إلى حد كبير بالتفسير التي لها عناية بالجانب القصصي ، فأكثر عنها النقل في تفسيره ، وكان أكثر ما تأثر به من ذلك تفسير الثعلبي ، والحازن فوق هذا كله كان متصوفاً واعظاً ؛ ومن هنا أيضاً غلب على تفسيره اللون القصصي كما غلب على الثعلبي رحمه الله . وإذا ما أردنا أن نسوق أمثلة من الجانب القصصي في تفسير الحازن وجدنا أنفسنا أمام قصص كثير وأخبار طوال نختار منها ما يلي :

١ - أ - مثلاً عند تفسير قوله تعالى الآيات (٢١ - ٢٤) من سورة (ص) : (وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب ... الآيات) إلى قوله تعالى : (وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب) ، نراه يسوق قصصاً أشبه ما يكون بالخرافة : كقصة الشيطان الذي تمثل لداود في صورة حمامة من ذهب ؛ فيها من كل لون حسن ، وجناحها من الدر والزبرجد ، فطارت ثم وقعت بين رجله ، وألهته عن الصلاة ، وقصة المرأة التي وقع بصره عليها فأعجبه جمالها ، فاحتال على زوجها حتى قتل رجاء أن تسلم له هذه المرأة التي فتن بها وشغف مجبها ، وغيرها من الروايات الغريبة ، ولكنه يأتي بعد كل هذا فيقول :

(فصل في تنزيه داود عليه الصلاة والسلام عما لا يليق به وينسب إليه) ،

وفند في هذا الفصل كل ماذكره بما يتنافى مع عصمة نبي الله داود عليه السلام^(١).

ب - ولكننا نرى الخازن ير بقتص كثيرة لا يعقب عليها ، مع أن بعضها في غاية الغرابة . ومن ذلك مثلاً ما رواه عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى : (وكلهم باسط ذراعيه^(٢) ..) الآية قال : (كان كلباً أغر ، وعنه أنه كان فوق القلطي ، ودون الكرزي - والقلطي ، كلب صيني - وقيل كان أصفر وقيل كان شديد الصفرة ، يضرب إلى حمرة ، وقال ابن عباس ، كان اسمه قطمير ، وقيل : ريان ، وقيل : صهان ، وقيل : ليس في الجنة دواب سوى كلب أصحاب الكهف ، وحمار بلعم^(٣)) وقد علق ابن كثير في تفسيره على اختلاف المفسرين في لون كلب أصحاب الكهف بقوله : (واختلفوا في لونه على أقوال لاحاصل منها ولاطائل تحتها ولا دليل عليها ولا حاجة إليها ؛ بل هي مما ينهى عنه فإن مستندها وجم بالغيب^(٤)) .

ومارواه عند تفسيره لقوله تعالى : (حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت غملة ...) النخ ، قال : (.. ثم مضى سليمان حتى مر بوادي السدير - واد من الطائف - فأتى على وادي النمل . كذا قال كعب الأجار ، وقيل إنه بالشام ، وقيل هو واد يسكنه الجن وذلك النمل ، وقيل : إن ذلك النمل أمثال الذئاب ، وقيل كالبخاتي ، والمشهور أنه النمل الصغير (قالت غملة) قيل : كانت عرجاء وكانت ذات جناحين ، وقيل : اسمها صاحبة ، وقيل جرسا .. الخ^(٥)) . وقد عقب ابن كثير في تاريخه بقوله : (وقد ذكر وهب أنه مر وهو على البساط

(١) تفسير الخازن « ٣٨:٦ - ٤٢ » .

(٢) الآية ١٨ من سورة الكهف .

(٣) الخازن « ١٦٦:٤ » .

(٤) تفسير ابن كثير « ٧٦:٣ » .

(٥) تفسير الخازن « ١٤٤:٥ » .

بواد بالطائف ، وأن هذه النملة كان اسمها جرسا ، وكانت من قبيلة يقال لهم بنو الشيصان ، وكانت عرجاء وكانت بقدر الذئب ، وفي هذا كله نظر^(١) .

ج - وعند قوله تعالى : (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته ... الآية^(٢)) ، قال : (قال العلماء : كان سليمان يتجرد للعبادة في بيت المقدس السنة والستين ، والشهر والشهرين ، وأقل من ذلك وأكثر ، فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه ، فدخله المرة التي مات فيها ، وكان سبب ذلك أنه كان لا يصبح يوماً إلا وقد نبت في محرابه بيت المقدس شجرة فيسألها ما اسمك فتقول كذا ، فيقول لأي شيء خلقت .. ؟ فتقول : لكذا وكذا ، فيأمرها فتقطع فإن كانت لغرس أمر بها فغرس ، وإن كانت لدواء كتب ذلك حتى نبت الخروب . فقال لها ما أنت ؟ قالت : أنا الخروب ، قال : ولأي شيء نبت ؟ قالت : لمحراب مسجدك .. قال سليمان : ما كان الله ليخر به وأنا حي ، أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس ؟ ثم نزعها وغرسها في حائط له ، ثم قال اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب - وكانت الجن تخبر الإنس أنهم يعلمون من الغيب شيئاً ويعلمون ما في غد - ثم دخل المحراب وقام ليصلي على عادته متكئاً على عصاه فمات قائماً ، وكان للمحراب كوى من بين يده ومن خلفه ، فكانت الجن يعملون تلك الأعمال الشاقة التي كانوا يعملون في حياة سليمان وينظرون إليه ويحسبونه حياً ، ولا ينكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس لطول صلاته وانقطاعه قبل ذلك ، فكثروا يدأبون بعد موته حولاً كاملاً حتى أكلت الأرضة عصا سليمان فخر ميتاً ، فعلموا بموته . قال ابن عباس : فشكرت الجن الأرضة ، فهم يأتونها بالماء والطين في جوف الحش^(٣)) ه .

(١) البداية والنهاية « ١٩:٢ » .

(٢) الآية ١٤ من سورة سبأ . والمنسأة : العصا .

(٣) تفسير الخازن « ٢٣٤:٥ - ٢٣٥ » .

وهذه من الإسرائيليات التي لاتصدق ولا تكذب كما يقول ابن كثير^(١) .

٣ - ونجد الخازن ينقل أحياناً قصصاً إسرائيلياً يخل بمقام النبوة ، ولا يتعقبه بتصحيح أو تكذيب ؛ غير أنه في الكثير الغالب يسوق معه الروايات الصحيحة الواردة في تلك القصة تاركاً الحكم فيها للقارئ ، كما يسوق أحياناً ردود العلماء ومناقشتهم إذا كانت القصة موضع خلاف ، وقد يرجح أحدهم الأقوال ، فمن الإسرائيليات التي لم يتعقبها مع منافاتها لعصمة الأنبياء مارواه عن وهب بن منبه عن تفسيره لقوله تعالى في الآيتين (٨٣ - ٨٤) من سورة الأنبياء : (وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ، فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكري للعالمين) وهي قصة غريبة منكورة لا يكاد يقرها الشرع ولا يصدقها العقل ، لما ذكر فيها من الأمراض المنفرة التي أصابت أيوب عليه السلام ، وأنه ألقى على مزبلة تختلف الدواب عليها .. الخ. وقد فندنا هذه القصة فيما سبق ؛ فارجع إليها إن شئت .

ب - وعند قوله تعالى : (فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها علي فطفق مسحاً بالسوق والأعناق^(٢)) ، قال (حتى توارت أي استتوت الشمس (بالحجاب) أي ما يحجبها عن الأبصار ، يقال إن الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه (ردوها علي) أي ردوا الحيل علي (فطفق مسحاً بالسوق) جمع ساق (والأعناق) أي جعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف . هذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين ، وكان ذلك مباحاً لأن نبي الله سليمان لم يكن ليقدم على محرم ولم يكن ليتوب عن ذنب ، وهو ترك الصلاة بذنب آخر ، وهو عقر الحيل . وقال محمد بن إسحق : لم يعنفه الله تعالى على عتر الحيل ، إذ كان ذلك أسفاً على ما فاته من فريضة ربه عز وجل ، وقيل إنه ذبحها

(١) البداية والنهاية « ٣١:٢ » .

(٢) الآيتان ٣٢ ، ٣٣ من سورة (ص) .

وتصدق بلحومها، وقيل معناه أنه حبسها في سبيل الله تعالى وكوى سوقها وأعناقها بكبي الصدقة، وحكي عن علي رضي الله عنه أنه قال: (معنى - (ردوها عليّ) يقول يأمر الله تعالى الملائكة الموكلين بالشمس ردوها عليّ، فردوها عليه فصلی العصر في وقتها)، قال الإمام فخر الدين: بل التفسير الحق المطابق لألفاظ القرآن أن تقول: إن رباط الحيل كان مندوباً إليه في دينهم كما أنه كذلك في ديننا. ثم إن سليمان عليه الصلاة والسلام احتاج إلى الغزو فجلس، وأمر بإحضار الحيل وأمر بإجرائها وذكر أني لا أحبها لأجل الدنيا ونصيب النفس، وإنما أحبها لأمر الله تعالى وتقوية دينه، وهو المراد بقوله: (عن ذكر ربي) ثم إنه عليه الصلاة والسلام أمر بإعادتها وإرجائها حتى توارت بالحجاب، أي غابت عن بصره، ثم أمر برد الحيل إليه وهو قوله تعالى: (ردوها عليّ) فلما عادت إليه طفق يمسح سوقها وأعناقها، والغرض من ذلك المسح أمور:

الأول: التشريف لها لكونها من أعظم الأعوان في دفع العدو.

الثاني: أنه أراد أن يظهر أنه في ضبط السياسة والمملكة يبلغ إلى أنه يباشر الأمور بنفسه.

الثالث: أنه كان أعلم بأحوال الحيل وأمراضها وعيوبها من غيره، فكان يمسح سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض، فهذا التفسير الذي ذكرناه ينطبق عليه لفظ القرآن ولا يلزمنا شيء من تلك المنكرات والمخدورات. والعجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة. فإن قيل: فالجمهور قد فسروا الآية بتلك الوجوه فما قولك فيه؟ فنقول: لنا هنا مقامان:

المقام الأول: أن ندعي أن لفظ الآية لا يدل على شيء من تلك الوجوه التي ذكرناها، وقد ظهر - والحمد لله - أن الأمر كما ذكرنا ظهوراً لا يرتاب عاقل فيه.

المقام الثاني: أن يقال: هب أن لفظ الآية لا يدل عليه، إلا أنه كلام

ذكره الناس فما قولك فيه ؟ وجوابنا : إن الدلائل الكثيرة قامت على عصمة الأنبياء عليهم السلام ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات ^(١) أه .

ولم يرجح الخازن أياً من هذه الأقوال ، وقد أيّد صاحب المنار رأي الرازي المتقدم ، فقال : (حاسب الله القصاص ، فلقد شوها كتب التفسير بقصصهم ، استعرض سليمان نبي الله وملك بني إسرائيل الخيل ، فقال : « إني أحببت حب الخير » المعقود بنواصي الخيل لا عن هوى نفسي ولكن » عن ذكر ربي » ووجه الذي أمر برباط الخيل للدفاع عن الحق فما زالت تعرض « حتى توارت بالحجاب » فقال « ردوها عليّ » لأراها مقبلة ومدبرة لأختبر حالها فقد قيل إنه كان عالماً بها وبأمراضها ، أو لآتمتع بمسح سوقها وأعناقها فردوها عليه « فطفق مسحاً بالسوق والأعناق » كما هو شأن محبي الخيل في كل جيل وزمان . فأي دليل أم أية شبهة في هذه الآيات على أن سليمان عليه السلام ترك صلاة العصر شغلاً بالخيل حتى غربت الشمس ، وأنه انتقم منها بقطع سوقها وأعناقها ، ولو كان المسح هو القطع لكان قوله تعالى : (وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم) بمعنى أقطعوها وأن قوله : (ردوها إليّ) خطاب للملائكة الموكلين بالشمس يأمرهم بردها بعد غروبها ليصلي العصر ؟! ، وأي حاجة لتطويل الفقهاء البحث في هذه : هل هي أداء أو قضاء ^(٢) !!) .

ويبدو لي أن الحق مع صاحب المنار وأن الضمير في قوله : (ردوها) يعود على الصافنات . والمعنى - كما قال - إن سليمان أمر أتباعه برد الخيل عليه ليمسحها ويختبر عيوبها . أما من قال بأن الخطاب للملائكة الموكلين بالشمس فردوها فصلّى العصر في وقته ، فمستبعد لأنه لم تكن لسليمان عليه السلام سلطة على الملائكة يأمرهم برد الشمس فيردوها ، وهي لم ترد على أحد قبله منذ خلق الله الدنيا ، ثم

(١) تفسير الخازن «٤٦:٦» وانظر الرازي «٢٠٦:٢٥ - ٢٠٧» .

(٢) مجلة النار ج ٣ ص ٥٠٠ سنة ١٣٢٠ هـ .

لو صح هذا التفسير لوجب أن يكون نظم الآية : ردوها عليّ فضلي ، ولكن نظمها الحالي يؤكد أن المردود عليه الحيل الذي طفق يمسح سوقها وأعناقها .

ج - ومن هذا القبيل - أي سوقه للروايات الصحيحة والباطلة الواردة في الآية دون ترجيح لإحداها على الأخرى - ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : (ولقد فتننا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب^(١)) ، فقد ذكر أولاً رواية وهب بن منبه في القصة - وقد تقدمت^(٢) - ولم يعقب عليها ، ولكنه ذكر بجوارها أقوال المحققين فقال : (قال القاضي عياض وغيره من المحققين : لا يصح ما نقله الأخباريون من تشبيه الشيطان به ، وتسليطه على ملكه ، وتصرفه في أمته بالجور في حكمه ، وإن الشياطين لا يسلطون على مثله ، وقد عصم الله تعالى الأنبياء من مثل هذا ، والذي ذهب إليه المحققون أن سبب فتنة سليمان ما أخرجه الشيخان في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال سليمان : لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى ، فقال له صاحبه - إن شاء الله - فلم يقل إن شاء الله ، فطاف عليهن جميعاً فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل . وإيم الله الذي نفسي بيده لو قال : إن شاء الله ، لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون^(٣) » .

د - وكذلك فعل في قصة (هم يوسف) فقد نقل الأقوال المنسوبة إلى الساف في (الهم القيسح) ثم نقل قول المحققين ، كالفخر الرازي وغيره الذين تزها سيدنا يوسف عليه السلام عما لا يليق به وينسب إليه^(٤) .

(١) الآية ٣٤ من سورة (ص) .

(٢) انظر ص ٢٤٦ من هذا الكتاب .

(٣) تفسير الخازن « ٤٦:٦ - ٥٠ » .

(٤) المرجع السابق « ٢٢٤:٣ - ٢٢٦ » .

هـ - وعند قوله تعالى في الآية (٤٤) من سورة النمل : (قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) قال : (واختلفوا في أمر بلقيس بعد إسلامها ، فقيل انتهى أمرها إلى قولها : أسلمت لله رب العالمين ، ولا علم لأحدوراء ذلك لأنه لم يذكر في الكتاب ولا في خبر صحيح . وقال بعضهم تزوجها سليمان ، وكره مارأى من كثرة شعر ساقها فسأل الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموصى ، فقالت المرأة إني لم يسنني حديد قط ، فكره سليمان الموصى ، وقال : إنها تقطع ساقها ، فسأل الجن فقالوا : لاندري ، فسأل الشياطين فقالوا : نحتال لك حتى تكون كالفضة البيضاء ، فاتخذ النورة والحمام ، فكانت النورة والحمامات من يومئذ ، فلما تزوجها سليمان أحبها حباً شديداً وأقرها على ملكها ^(١)) .

وهذه الفرية تدل على خبث واضعها وقد زيفناها فيما سبق فارجع إليها إن شئت ^(٢) .

و - وفي قصة الغرائق ذكر أقوال المثبتين لها والنافين ، وحجج كلا الفريقين وعقب بقوله : (والله تعالى أعلم ^(٣)) .

وعلى كل حال فموقف الخازن هذا خير من موقف غيره من المفسرين الذين ينقلون سقيم الروايات ويندرون صحيحها ، فيظن بعض من يقرؤها في كتبهم على أنها صحيحة .

١١ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير

التعريف بالمؤلف .

هو الإمام الحافظ ، الحجة ، المحدث ، المؤرخ ، الثقة ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير ، القرشي ، الدمشقي ، الشافعي .

(١) تفسير الخازن « ٥ : ١٢٥ » .

(٢) انظر ص ٢٨٥ من هذا الكتاب

(٣) تفسير الخازن « ٥ : ١٨ - ٢٠ »

بدأ الاشتغال بالعلم على يدي أخيه عبد الوهاب ، ثم اجتهد في تحصيل العلوم على العلماء الكبار في عصره ؛ فسمع من ابن الشحنة ، والآمدي ، وابن عساكر ، وغيرهم ، كما لازم المزي ، وقرأ عليه تهذيب الكمال ، وصاهره على ابنته ، وأخذ عن ابن تيمية وفتن بحبه ، وامتنح بسببه .

وكان من أفاض العلماء في عصره .. أثنى عليه معاصروه ، وتلاميذه ومن بعدهم الشاء الجم . فقال الذهبي عنه في المعجم المختص : (الامام المفتي المحدث البارع ، فقيه متقن ، محدث متقن ، مفسر نقال) .

وقال تلميذه شهاب الدين بن حجي : (كان أحفظ من أدر كناه لمتون الأحاديث ، وأعرفهم بتخريجها ورجالها وصحيحها وسقيمها ، وكان أقرانه وشيوخه يقولون له بذلك) .

وقال العلامة العيني : (.. كان قدوة العلماء والحفاظ ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ . وكان له اطلاع عظيم في الحديث والتفسير والتاريخ ، واشتهر بالضبط والتحرير ، وانتهى إليه علم التاريخ والحديث والتفسير ، وله مصنفات عديدة مفيدة) .

وكان - رحمه الله - من أوسع العلماء اطلاعاً على أقوال أهل الملل والنحل وخاصة مذاهب المسيحيين ، كما يدل عليه كلامه في مواضع كثيرة في التفسير والتاريخ اللذين يعتبران أهم مؤلفاته ، بل يكفي في الدلالة على سعة اطلاعه في ذلك أن يكون تلميذ شيخ الاسلام ابن تيمية ، الذي ألف موسوعته النفيسة في ذلك « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » وهو مطبوع معروف .

وكان مولده سنة سبعائة أو بعدها بقليل ، وتوفي في شعبان سنة أربع وسبعين وسبعائة من الهجرة ، ودفن بمقبرة الصوفية خارج باب النصر من دمشق ،

عند شيخه ابن تيمية ، وكان قد كف بصره في آخر عمره ، رحمه الله رحمة واسعة (١) .

التعريف بالتفسير .

تفسير الحافظ ابن كثير من أجود كتب التفسير المأثور ، بعد تفسير إمام المفسرين أبي جعفر الطبري ، وقد حرص مؤلفه على أن يفسر القرآن بالقرآن أولاً ، ما وجد إلى ذلك سبيلاً ، ثم بالسنة الصحيحة التي هي بيان لكتاب الله ، ثم يذكر كثيراً من أقوال السلف في تفسير الآي ، وهو يذكر الأحاديث في أكثر المواضع بأسانيدھا من دواوين السنة ومصادرها ، وكثيراً ما يذكر تعليل الضعيف منها ، ولكنه يحرص أشد الحرص على أن يذكر الأحاديث الصحاح وإن ذكر منها الضعاف .

فكتابه بجانب أنه تفسير للقرآن ، معلم ومرشد لطالب الحديث ، يعرف به كيف ينقد الأسانيد والمتون ، وكيف يميز الصحيح من غيره ، فهو كتاب في هذا المعنى تعليمي عظيم ، ونفعه جليل كثير .

ويمتاز ابن كثير في تفسيره وتاريخه بالتنبيه على بطلان كثير من منكرات الاسرائيليات وكيف تسربت إلى الإسلام ، ومن أين أتت ، ولا عجب ؛ فهو حافظ ، وله بصر بالنقد ومعرفة بفنون الحديث وأحوال الرجال ، بالإضافة إلى اطلاعه الواسع على أقوال أهل الملل والنحل . وقد طبع هذا التفسير الطبعة الأولى بمطبعة بولاق من سنة ١٣٠٠ - ١٣٠٢ هـ ، ثم طبعه السيد رشيد رضا رحمه الله ، ومعه تفسير البغوي في تسع مجلدات من سنة ١٣٤٣ - ١٣٤٧ هـ ، ثم تداولته المطابع في مصر بعد ذلك .

(١) انظر طبقات المفسرين للداودي «ص ٣٢٧» والدرر الكامنة «١: ٣٧٣ - ٣٧٤» وشذرات الذهب «٦: ٢٣١ - ٢٣٢» وانظر التفسير والمفسرون «١: ٢٤٢ - ٢٤٣» ، وعمدة التفسير «١: ٢٢ - ٣٦» .

وقد قام أخيراً الشيخ أحمد شاكر رحمه الله بتحقيقه واختصاره بعد أن جرده من الأسانيد والإسرائيليات وسمى هذا المختصر (عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير) ، وقد توفي رحمه الله قبل اتمامه .

موقفه من الاسرائيليات .

للحافظ ابن كثير كلمات قوية في شأن الاسرائيليات وروايتها ، وقد رسم في بعضها خطته نحوها ، وذلك بقوله : (والذي نسلكه في هذا التفسير الاعراض عن كثير من الأحاديث الاسرائيلية لما فيها من تضييع الزمان ، ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم فإنهم لا تفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمها كما حوره الأئمة الحفاظ المتقنون من هذه الأمة .. الخ^(١)) .

ونحن إذا تتبعنا كتابه في التفسير نجد أحياناً يحكي بعض الاسرائيليات ثم يعقب عليها بما يفيد بطلانها .

فمثلاً ، عند تفسيره لأول سورة (ق) نراه يعرض لمعنى هذا الحرف في أول السورة (ق) فيقول : (وقد روي عن بعض السلف أنهم قالوا : (ق) جبل محيط بجميع الأرض يقال له جبل قاف ، وكان هذا — والله أعلم — من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس لما رأى من جواز الرواية عنهم بما لا يصدق ولا يكذب ، وعندى أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم ، يلبسون به على الناس أمر دينهم ، كما افتري في هذه الأمة — مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها — أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وما بالعهد من قدم ، فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول المدى وقلة الحفاظ والنقاد فيهم ، وشرهم الخور ، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه ، وتبديل كتب الله وآياته ، وإلما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله : « وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج » فيما قد يجوز العقل ، فأما فيما تحيله العقول ، ويحكم فيه بالبطلان ، ويغلب على الظنون كذبه ، فليس من

(١) تفسير ابن كثير « ٣ : ١٨١ - ١٨٢ » .

هذا القليل والله أعلم . وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين وكذا طائفة كثيرة من الخلف من الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن المجيد ، وليس بهم احتياج إلى أخبارهم والله الحمد والمنة (١) .

ومثلاً عند قوله تعالى في الآية ٥٠ من سورة الكهف : (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ... الآية) ذكر أقوالاً في « إبليس » واسمه ، ومن أي قبيل هو ؟ ثم عقب على ذلك بقوله : (وقد روي في هذا آثار كثيرة عن السلف غالبها من الاسرائيليات التي تنقل لينظر فيها - والله أعلم - بحال كثير منها ، ومنها ما يقطع بكذبه لمخالفته للحق الذي بأيدينا ، وفي القرآن غنية عن كل ماعده من الأخبار المتقدمة ، لأنها لاتكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان (٢) .

ومثلاً عند تفسيره لقوله تعالى : (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ...) الآيات ٥١ - ٥٦ من سورة الأنبياء . أشار إلى حال إبراهيم عليه السلام مع أبيه ، ونظره إلى الكواكب ثم قال : (وما قصه كثير من المفسرين وغيرهم فعامتها أحاديث بني إسرائيل ، فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم قبلناه لموافقه الصحيح ، وما خالف شيئاً من ذلك ردناه ، وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة ، لا نصدقه ولا نكذبه ، بل نجعله وقفاً . وما كان من هذا الضرب منها فقد رخص كثير من السلف في روايته ، وكثير من ذلك مما لا فائدة فيه ولا حاصل له مما ينتفع به في الدين ، ولو كانت فائدته تعود على المكلفين في دينهم لينته هذه الشريعة الكاملة الشاملة (٣) .

ومثلاً عند تفسيره لقوله تعالى : (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك

(١) تفسير ابن كثير « ٤ : ٢٢١ » .

(٢) تفسير ابن كثير « ٣ : ٨٩ » .

(٣) تفسير ابن كثير « ٣ : ١٨١ - ١٨٢ » .

سليان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت . . الآية) . أورد الحافظ ابن كثير قصة هاروت وماروت ثم عقب عليها بقوله : (وقد روي في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد ، والسدي ، والحسن البصري ، وقتادة ، وأبي العالية والزهري ، والريبع بن أنس ، ومقاتل بن حيان وغيرهم ، وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل ؛ إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ، وظاهر سياق القرآن ، إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب ، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن الكريم على ما أراده الله تعالى والله أعلم بحقيقة الحال ^(١)) .

وعند قوله تعالى : (... وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وفتناك فتوناً ...) الآية ٤٠ من سورة طه ، ساق حديث الفتون بطوله ثم علق عليه بقوله : (وهو موقف من كلام ابن عباس ، وليس فيه مرفوع إلا قليل منه ، وكأنه تلقاه ابن عباس مما أبيض نقله من الاسرائيليات عن كعب الأجر أو غيره والله أعلم . وسمعت شيخنا أبا الحجاج المزي يقول ذلك أيضاً ^(٢)) .

وأحياناً نجد الحافظ ابن كثير يسوق بعض الاسرائيليات التي تحتل الصدق والكذب ، ثم لا يتعقبها ومن ذلك : أنه روى عن وهب بن منبه في قوله تعالى : (فألقاها فإذا هي حية تسعى ^(٣)) قوله : (. . فألقاها على وجه الأرض ثم حانت منه نظرة ؛ فإذا بأعظم ثعبان نظر إليه الناظرون يدب يلتمس ؛ كأنه يبتغي شيئاً يريد أخذه ، يمر بالصخرة مثل الخليفة ^(٤) من الإبل فيلتقمها ، ويطعن

(١) تفسير ابن كثير « ١ : ١٤١ » .

(٢) المرجع السابق « ٣ : ١٤٨ - ١٥٣ » .

(٣) الآية ٢٠ من سورة طه .

(٤) الخلفة من الإبل : الحامل .

بالناب من أنيابه في أصل الشجرة العظيمة فيجثها ، وعيناه تتقدان ناراً وقد عاد
 المحجن منها عرفاً ، قيل شعره مثل النيازك^(١) ، وعاد الشعبان منها مثل القلب
 الواسع ، فيه أضراس وأنياب لها صريف^(٢) ، فلما عين ذلك موسى ولى مدبراً
 ولم يعقب ، فذهب حتى أمعن ورأى أنه قد أعجز الحية ، ثم ذكر ربه فوقف
 استحياء منه ، ثم نودي : يا موسى أن ارجع حيث كنت ، فرجع موسى وهو
 شديد الخوف ، فقال : (خذها) يمينك (ولا تخف سعيدها سيرتها الأولى)
 وعلى موسى حينئذ مدرعة^(٣) من صوف . فلما أمره بأخذها لف طرف المدرعة على
 يده ، فقال له ملك : أرايت يا موسى لو أذن الله بما تحاذر أكانت المدرعة تغني عنك
 شيئاً ؟ قال : لا ولكنني ضعيف ومن ضعف خلقت ، فكشف عن يده ثم
 وضعها على فم الحية حتى سمع حس الأضراس والأنياب ، ثم قبض فإذا هي عصاه
 التي عهدا ، وإذا يده في موضعها الذي كان يضعها إذا توكأ بين الشعبين^(٤) .
 ومن هذا القليل ما جاء في صفة ضر أيوب من الأمراض المنفرة^(٥) .

١٢ — الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي

التعريف بالمؤلف .

هو الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي
 الشافعي ، ولد في رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة ، وتوفي والده وله من العمر
 خمس سنوات وسبعة أشهر ، وأسند وصايته إلى جماعة منهم الكمال بن الهمام ،

(١) النيازك : جمع نيزك : وهو الرمح القصير .

(٢) الصريف : الصوت .

(٣) المدرعة : قيص كالدرع .

(٤) تفسير ابن كثير « ٣ : ١٤٥ » .

(٥) انظر « إسرائيليات لم يتعقبها تفسير ابن كثير » « ١ : ١٧٩ » .

فأولاه عنايته ، وختم القرآن وله من العمر ثمانين ، وحفظ كثيراً من المتن . وأخذ عن شيوخ كثيرين ؛ وعدهم تلميذه الداودي فبلغ بهم واحداً وخمسين ، كما عد مؤلفاته فبلغ بها ما يزيد على الخمسمائة مؤلف ، وشهرة مؤلفاته تغني عن ذكرها . وكان السيوطي - رحمه الله - آية في سرعة التأليف ، حتى قال تلميذه الداودي : عاينت الشيخ وقد كتب في يوم واحد ثلاثة كراريس تأليفاً وتحريراً .

وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه ، ولقد أخبر عن نفسه أنه يحفظ مائتي ألف حديث ، قال : ولو وجدت أكثر لحفظت . وتوفي ليلة الجمعة تاسع عشر من جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة هـ في منزله بروضة المقياس ، فرضي الله عنه وأرضاه ^(١) .

التعريف بالتفسير .

عرف الجلال السيوطي نفسه هذا التفسير ، وبين لنا الحامل له على تأليفه ، وذلك بمجموع ما ذكره في آخر كتاب الإتيان له ، وما ذكره في مقدمة الدر المنثور نفسه ، فقال في آخر الإتيان : (وقد جمعت كتاباً مسنداً فيه تفاسير النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فيه بضعة عشر ألف حديث ما بين مرفوع وموقوف ، وقد تم في أربع مجلدات ، وسميته (ترجمان القرآن) أه ^(٢) .

وقال في مقدمة الدر المنثور : (. . . وبعد ، فلما ألفت كتاب ترجمان القرآن - وهو التفسير المسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - وتم بحمد الله في مجلدات ، فكان ما أوردته فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرجة منها واردات ^(٣) ، رأيت قصور أكثر الهمم عن تحصيله ، ورغبتهم في الاختصار على

(١) انظر شذرات الذهب «٥١: ٨-٥٥» والتفسير والمفسرون «٢٥١: ١-٢٥٢»

(٢) الإتيان «٢: ١٨٣»

(٣) أي طرقات كثيرة .

متون الأحاديث دون الإسناد وتطويله ، فلخصت منه هذا المختصر ، مقتصرأ فيه على متن الأثر ، مصدرأ بالعزو والتخريج إلى كل كتاب معتبر ، وسميته بالدر المنثور في التفسير المأثور (أ هـ .

ومن هاتين العبارتين يتبين لنا أن السيوطي اختصر كتابه الدر المنثور من كتابه ترجمان القرآن ، وحذف الأسانيد مخافة الملل ، مع عزوه كل رواية إلى الكتاب الذي أخذها منه .

والسيوطي رجل مغرم بالجمع وكثرة الرواية . وهو — مع جلالة قدره ومعرفته بالحديث وعلمه — لم يتحر الصحة فيما جمع ، فقد وجدنا في تفسيره (الدر المنثور) من الروايات ما الله أعلم بصحته . وفيها من الموضوعات ما حكم جمع من الحفاظ بطلانه ، بل في كتابه هذا ما وافق هو على وضعه في كتبه الأخرى كالألء المصنوعة ، ولعله اكتفى بذكر السند والتخريج عن التنصيص على الوضع ، فالكتاب يحتاج إلى تصفية حتى يتميز لنا عنه من ميمنه ، وهو مطبوع في ست مجلدات ومتداول بين أهل العلم ، وقد اقتصر مؤلفه على سرد الروايات عن السلف في التفسير بدون أن يعقب عليها . فهو كتاب جامع فقط يروي عن السلف في التفسير. أخذه السيوطي من البخاري ومسلم والنسائي والترمذي وأحمد وأبي داود، وابن جرير وابن أبي حاتم وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا ، وغيرهم ممن تقدمه ودون التفسير^(١) .

موقفه من الإسرائيليات .

يذكر السيوطي في كل آية ما ورد فيها من الأحاديث والآثار والأخبار الإسرائيلية مستوعبأ في ذلك غاية الاستيعاب ، غير أنه — كما قلنا — لا يبين رتبة الأحاديث إلا قليلاً ، ولا يتعقب المدسوس من هذه الإسرائيليات وإن كان يروي بجانب

(١) انظر التفسير والمفسرون « ٢٥٢:١ - ٢٥٤ » .

الباطل منها الصحيح ؛ غير أنه لا يميز بين هذا وذاك إلا بعزوها إلى مصادرها .

فمثلاً عند الآية ٣٠ من سورة المائدة : (فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين) قال : وأخرج ابن جرير وابن عساكر عن سالم بن أبي الجعد قال : إن آدم لما قتل أحد ابنيه الآخر ، مكث مائة عام لا يضحك حزناً عليه ، فأتي على رأس المائة ، فقيل له : حياك الله ويياك ، وبشر بغلام ، فعند ذلك ضحك . وأخرج ابن جرير ، عن غياث بن إبراهيم ، عن أبي إسحاق الهمداني ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : لما قتل ابن آدم أخاه بكى آدم فقال :

تغيرت البلاد ومن عليها فلون الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذي لون وطعم وقل بشاشة الوجه المليح
فأجيب آدم عليه السلام :

أبا هاويل قد قتل جميعاً وصار الحي كاليت الذبيح
وجاء بشيرة قد كانت منها على خوف فجاء بها يصيح^(١) أه

وقد تقد الأئمة سند الرواية ، قال الإمام أحمد في غياث بن إبراهيم النخعي : ترك الناس حديثه ، وروى عباس عن يحيى : ليس بثقة . وقال الجوزجاني : كان - فيما سمعت غير واحد يقول - يضع الحديث ، وقال البخاري : تركوه^(٢) .

وقد طعن في نسبة الشعر إلى آدم كل من الزنخسري ، وابن كثير ، والقروطي ، والآلوسي ، ورشيد رضا : فقال الزنخسري في تفسيره : (وروي أن آدم مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك ، وأنه رثاه بشعر ؛ وهو كذب بحت

(١) الدر المنثور « ٢٧٦:٢ - ٢٧٧ » .

(٢) ميزان الاعتدال « ٣٣٧:٣ » .

وما الشعر إلا منحول ملحون ، وقد صح أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الشعر (١) .

وقال ابن كثير : (وهذا الشعر فيه نظر ، وقد يكون آدم عليه السلام قال كلاماً يتحزن به بلغته ؛ فألفه بعضهم إلى هذا) (٢) .

وقال القرطبي : (قال ابن عباس : ما قال آدم الشعر ، وإن محمداً والأنبياء كلهم في النهي عن الشعر سواء) (٣) .

وقال الألوسي في تفسيره : (عن ابن عباس أنه قال : من قال إن آدم عليه السلام قد قال شعراً فقد كذب ، إن محمداً صلى الله عليه وسلم والأنبياء كلهم في النهي عن الشعر سواء ، كما جاء أن آدم قال شعراً في رثاء هابيل بالسريانية ، فلم يزل ينتقل حتى وصل إلى يعرب بن قحطان . وكان يتكلم العربية والسريانية ، فنظر فيه ، فقدم وأخر ، وجعله شعراً عربياً ، وذكر بعض علماء العربية أن في ذلك الشعر خطأ أو إقواءً وارتكاب ضرورة ، والأولى ألا ينسب إلى يعرب ؛ لما فيه من الركاكة الظاهرة) (٤) .

وقال رشيد رضا : (وقد ذكروا في ذلك روايات غريبة لا يمكن أن يعرف مثلها إلا بوحى من الله ، وهي لم ترو عن أحد من رسل الله . ومنها أن آدم رثى هابيل بشعر عربي ، فنعرض عن هذه الروايات التي لاتصح ولا تفيد) (٥) .

وعند قوله تعالى : (وهل آتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب . .) الآية .

ذكر السيوطي في الدر في قصة سيدنا داود عليه السلام من الروايات ما

(١) الكشف « ٤١٣ : ١ » .

(٢) البداية والنهاية « ١١٥ : ٦ » .

(٣) تفسير القرطبي « ١٤٠ : ٦ » .

(٤) تفسير الألوسي « ١١٥ : ٦ » .

(٥) تفسير المنار « ٣٤١ : ٦ » .

تقشعر منه الأبدان ، ولا يوافق عقلاً ولا نقلاً ، ولم يتعقب ما ذكر بشيء^(١) ، وقد زيفنا هذه الروايات فيما سبق عند الكلام عما أورده مقاتل بن سليمان من روايات باطلة في تفسيره .

ومن هذا القبيل ما ذكره السيوطي في الدر عند قوله تعالى : (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) من روايات إسرائيلية باطلة في قصة سليمان بن داود عليها السلام وخاتمه^(٢) ، وقد نبه السيوطي في تخريج أحاديث الشفاء إلى أنها إسرائيلية تلقاها ابن عباس عن أهل الكتاب .

د - وعند قوله تعالى : (واذا كر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب . اركض برجليك هذا مغتسل بارد وشراب) روى السيوطي عن قتادة قال : (ابتلي سبع سنين وأشهرأ ، فألقي على كئاسة بني إسرائيل ، تختلف الدواب في جسده) وروي عن ابن عباس قال : (إن الشيطان عرج إلى السماء قال : يا رب سلطني على أيوب ، قال الله : قد سلطتك على ماله وولده ، ولم أسطك على جسده ، فنزل فجمع جنوده ، فقال لهم : قد سلطت على أيوب فأروني سلطانكم ، فصاروا نيراناً ، ثم صاروا ماء ، فبينما هم بالمشرق إذا هم بالمغرب ، وبينما هم بالمغرب إذا هم بالمشرق ، فأرسل طائفة منهم إلى زرع ، وطائفة إلى أهله ، وطائفة إلى بقره ، وطائفة إلى غنمه ، وقال : إنه لا يعتصم منكم إلا بالمعروف ، فأتوه بالمصائب بعضها على بعض ، فجاء صاحب الزرع ، فقال : يا أيوب ألم تر إلى ربك ؟ أرسل على زرعك عدواً ، فذهب به ، وجاء صاحب الإبل ، فقال : يا أيوب ألم تر إلى ربك ؟ أرسل على إبلك عدواً فذهب بها ، ثم جاء صاحب البقر ، فقال : ألم تر إلى ربك ؟ أرسل على بقرك عدواً فذهب بها . وتفرد هو بينه فجمعهم في بيت أكبرهم ، فبينما هم يأكلون ويشربون ، إذ هبت ريح ، فأخذت أركان البيت ، فألقته

(١) الدر المنثور « ٥ : ٣٠٠ - ٣٠٤ » .

(٢) انظر هذه القصة وتفنيدها في ص ٢٤٦ - ٢٤٨ من هذا الكتاب .

عليهم ، فجاء الشيطان إلى أيوب بصورة غلام ، فقال : يا أيوب ألم تر إلى ربك ، جمع بنيك في بيت أكبرهم ، فينأهم يأكلون ويشربون إذ هبت ريح فأخذت بأركان البيت فألقته عليهم ، فلو رأيتهم حين اختلطت دماؤهم ولحومهم بطعامهم وشرابهم !!

فقال له أيوب : أنت الشيطان ، ثم قال له : أنا اليوم كيوم ولدتني أمي ، فقام فخلق رأسه ، وقام يصلي ، فرن إبليس رنة سمع بها أهل السماء وأهل الأرض ثم خرج إلى السماء ، فقال : أي رب ، إنه قد اعتصم فسلطني عليه ، فإني لا أستطيعه إلا بسلاطتك . قال : قد سلطتك على جسده ، ولم أسطك على قلبه ، فنزل فنفع تحت قدمه نفخة قرّح ما بين قدميه إلى قرنيه ، فصار قرحة واحدة ، وألقي على الرماد ، حتى بدا حجاب قلبه . . الخ (١) .

هذا التزديد المنفر في تصوير ضر أيوب ليس له سند صحيح في الإسلام ، ويتنافى مع منصب النبوة ومع ماقرره علماء التوحيد : من أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون عن كل ماينفر الناس منهم : كالجذام ، والجذري ، وسائر الأمراض المنفرة ، وإلا أقعدهم المرض المنفر للناس عن قربانهم والدنو منهم ، ومن ثم لم تحصل الفائدة المرجوة من بعثهم .

وأصحاب كتب الحديث المعتمدة لم يذكروا شيئاً مما أشرنا إليه ، قال ابن حجر في الفتح : (وأصح ماورد في قصتهم ما أخرجه ابن أبي حاتم ، وابن جرير ، وصححه ابن حبان ، والحاكم عن أنس : أن أيوب عليه السلام ابتلي فلبث في بلائه ثلاث عشرة سنة ، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه ، فكانا يغدوان إليه ويروحان ، فقال أحدهما للآخر : لقد أذنب أيوب ذنباً عظيماً ، وإلا لكشف عنه هذا البلاء ، فذكره الآخر لأيوب ، فحزن ودعا الله حينئذ فخرج حاجة وأمسكت امرأته بيده فلما فرغ أبطأت عليه ، فأوحى الله إليه : أن

(١) الدر المنثور « ٣١٥:٥ » .

ار كض^(١) برجلك ، ف ضرب برجله الأرض ، فنبعت عين فاغتسل منها فرجع صحيحاً^(٢)) وقد رويت القصة مطولة جداً عن وهب بن منبه ومحمد بن إسحق ؛ بما يدل على أصل هذه القصة ، وأنها بما حملة أهل الكتاب ، ثم جاء القصص والمولعون بالغرائب فزادوا فيها وأذاعوها . . فقد ذكر بعض الباحثين أن المبالغين في ضر أيوب إنما اعتمدوا على ما جاء عند أهل الكتاب في السفر المسمى بـ (سفر أيوب)^(٣) .

وقد دل القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ على أن أيوب ابتلي في نفسه ، وأنه صبر حتى صار مضرب الأمثال ، قال تعالى : (إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب) . فالبلاء مما لاشك فيه ، والذي ينبغي أن نعتقده أن بلاءه لم يصل إلى هذا الحد من أن جسمه أصبح قرحة ، وأنه ألقى على كناسة بني إسرائيل ، وأيوب عليه السلام أكرم على الله من أن يلقى على كناسة تختلف في جسمه الدواب ، وأن يصير قرحة ينفر الناس منها ، والأنبياء إنما يبعثون من أوساط قومهم ، فأين كانت عشيرته فتواريه وتعمل على رعايته وحفظه ، بل أين كان أتباعه والمخلصون له ؟ اللهم إن هذا لا يقره عقل ولا نقل يعتمد عليه .

وقد طعن في القصة السيد رشيد رضا ، فقال : (والذي عليه الماسمون ولا سيما أهل السنة منهم ؛ أن الله تعالى حفظ الأنبياء من العاهات المنفرة للطباع لأنها منافية لحكمة التبليغ ، وقالوا : إن هذا من أصول الإيمان الواجب اعتقادها وتكذيب من خالفها^(٤))

(١) أر كض : اضرب .

(٢) فتح الباري « ٢٢٦ : ٦ » وقد رواه أيضاً ابن كثير في تفسيره « ٣٩ : ٤ » .

(٣) انظر قصص الأنبياء : لعبد الوهاب النجار (ص ٣٥١) . وانظر سفر

أيوب (ص ٢) .

(٤) مجلة المنار السنة الثانية العدد ٢٦ جمادى الأولى سنة ١٣١٧ هـ ص ٤١١-٤١٢

ويعجبني ما قاله القاضي أبو بكر بن العربي رضي الله عنه : (ولم يصح عن أيوب في أمره الا ما أخبرنا الله عنه في كتابه في آيتين : الأولى قوله تعالى : (وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر) والثانية : (أني مسني الشيطان بنصب وعذاب) .

وأما النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يصح عنه أنه ذكره بحرف واحد ؛ إلا قوله : (بينا أيوب يغتسل ؛ إذ خر عليه جراد من ذهب .. الحديث) (١) وإذا لم يصح عنه فيه قرآن ولا سنة إلا ما ذكرناه . فمن الذي يوصل السامع إلى أيوب خبره ، أم على أي لسان سمعه ؟ والاسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات ، فأعرض عن سطورها بصرك ، واصمم عن سمعها أذنيك ، فإنها لا تعطي فكرك إلا خيالا ولا تريد فؤادك إلا خيالا (٢) أه

والظاهر أن مرض أيوب كان من النوع الذي يشتد ألمه ، ولا يظهر أثره على ظاهر الجلد ؛ كأمراض العظام والمفاصل ونحوها من الأمراض الباطنية ، ولا يزال الناس يستشفون بياه العيون الكبرى من أمثال هذه الأمراض إلى يومنا هذا .

ومن ذلك ما جاء في تفسيره لقوله تعالى : (إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض .. الآية) .

قال : (وأخرج ابن أبي حاتم ، وابن مردويه وابن عدي ، وابن عساكر ، وابن النجار ، عن حذيفة قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يأجوج ومأجوج ، فقال :

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء وانظر تفسير ابن كثير (٤ : ٤٠)

(٢) تفسير القرطبي (١٥ : ٢١٠) . ليست الاسرائيليات كلها مرفوضة رفضاً باتاً كما يقول ابن العربي ، بل منها ما يقبل على البتات كالروايات التي وافقت ما في شرعنا . ومنها ما يتوقف فيه ونحو روايته ، ولا يرفض منها على البتات إلا ما خالف الشرع أو العقل كما بيناه سابقاً ، وقد يحمل كلام ابن العربي على خصوص ما كان من قبيل قصة أيوب المذكورة .

« يأجوج أمة ، ومأجوج أمة ، كل أمة بأربعائة ألف أمة ، لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف رجل من صلبه ، كل قد حمل السلاح » قلت : يا رسول الله صفهم لنا . قال : « هم ثلاثة أصناف : صنف منهم أمثال الأرز » قلت : وما الأرز : قال : « شجر بالشام ، طول الشجرة عشرون ومائة ذراع في السماء » وصنف منهم عرضه وطوله سواء ، عشرون ومائة ذراع قال رسول الله ﷺ : « وهؤلاء الذين لا يقوم لهم جيل ولا حديد ، وصنف منهم يفترش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى ، لا يميرون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه ، ومن مات منهم أكلوه ، مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية (١) » .

وقد ذكر هذا أيضا القرطبي في تفسيره ، وهو موضوع كما قال الحافظ ابن الجوزي (٢) وغيره .

١٣ — السراج المنير في إرشادنا على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للخطيب السريني

التعريف بالمؤلف .

هو الامام شمس الدين محمد بن محمد الشزيني ، القاهري ، تلقى العلم عن كثير من مشايخ عصره (٣) ، وكان رحمه الله على جانب عظيم من الصلاح والورع ، توفي في عصر يوم الخميس ثاني شعبان سنة سبع وسبعين وتسعمائة من الهجرة . ومن أهم مؤلفاته شرحه لكتاب المنهاج ، وكتاب التنبية ، وهما شرحان عظيمان ، أقبل

(١) الدر المنثور « ٤ : ٢٥٠ »

(٢) اللآلئ المصنوعة « ١ : ٩٠ » .

(٣) منهم الشيخ أحمد البرلسي ، والنور المحلي ، والبدر المشهدي ، والشهاب الرملي ، وغيرهم .

الناس على قراءتها ، وكتابتهما في حياته ، وتفسيره لكتاب الله تعالى وهو الذي نحن بصدده الآن^(١) .

التعريف بالتفسير .

هذا التفسير مطبوع في أربعة أجزاء كبار ، وقد قرأت فيه فوجده تفسيراً سهلاً المأخذ ، تمتع العبارة ، ليس بالطويل الممل ، ولا بالقصير المخل ، نقل فيه صاحبه بعض تفسيرات مأثورة عن بعض السلف ، كما أنه يذكر أحياناً أقوال من سبقه من المفسرين كالزحشي ، واليباضي ، والبغوي ، والفخر الرازي ، حتى ليكاد يعتبر خلاصة للتفسير التي سبقته مع الدقة والإيجاز ، ويغلب على هذا التفسير الجانب القصصي بالنسبة لغيره من بقية جوانب التفسير^(٢) .

موقفه من الاسرائيليات .

يذكر الخطيب الشربيني في تفسيره بعض القصص الاسرائيلي الغريب ، وذلك بدون أن يتعقب ما يذكره منه .

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في الآية ٦ من سورة النمل : (وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير . .) الخ الآية .

نراه يروي خبراً طويلاً عن كعب الأحبار فيه : أنه صاح ورششان^(٣) عند سليمان عليه السلام ، فقال ، أتدرون ما يقول ؟ قالوا : لا . قال : إنه يقول : لدواللموت وابنوا للخراب . وصاحت فاختة^(٤) . فقال : أتدرون ما تقول ؟ قالوا : لا . قال : فإنها تقول ليت ذا الحلق لم يخلقوا . وصاح طاووس ،

(١) انظر التفسير والمفسرون « ١ : ٣٢٨ - ٣٢٩ »

(٢) التفسير والمفسرون « ١ : ٣٣٩ » وما بعدها .

(٣) نوع من الطيور يشبه الحمام .

(٤) طير يشبه الحمام أيضاً .

فقال : أتدرون ما يقول ؟ : قالوا : لا . فقال : فإنه يقول : كما تدين تدان . . إلى آخر ما ذكره من صيحات حيوانات متعددة ، ومعاني هذه الصيحات ، ثم يروي ما يشبه هذا عن مكحول وعن فرقد السبخي ، كما يروي بعد ذلك أن جماعة من اليهود ، سألوا ابن عباس عن معاني ما تقوله بعض الطيور وما كان من جواب ابن عباس عن ذلك ؛ وهو شبهه بما تقدم أيضاً ، ومع كون القصة في نهاية الغرابة والبعد ؛ فإن الخطيب يمر عليها من الكرام ولا يعقب عليها بكلمة واحدة ^(١) .

— ومثلاً — عند تفسيره لقوله تعالى في الآية -- ٣٤ — من سورة النمل أيضاً : (وإني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون) .

نراه يقص لنا عن وهب بن منبه وغيره قصة غريبة ، فيها بيان نوع هدية بلقيس لسليمان ، وما كان من اختبارها له ، وما كان من سليمان عليه السلام من إجابته على ما اختبرته به ، وإظهاره لعظمة ملكه وقوة سلطانه ، مما يبعث الدهشة ويثير العجب ، ومع ذلك لا يعقب على ما رواه بكلمة واحدة ^(٢) . وقد علقنا على هذه التزييدات فيما سبق .

ومثلاً عند تفسيره للآية ١٢٣ من سورة الصافات وهي قوله تعالى : (وإن إلياس لمن المرسلين) نراه يقول : (تنبيه) أذكر فيه شيئاً من قصته عليه السلام ، ثم يروي لنا قصة طويلة وعجيبة عن علماء السير والأخبار ، وبعد الفراغ منها لا يتعقبها بتصحيح أو تضعيف ^(٣) .

ولكن الخطيب إن مر على مثل هذه القصص بدون أن يعقب عليها ، لا يرضى لنفسه أن يمر على قصة فيها ما يخل بمقام النبوة ، إلا بعد أن يعقب عليها بما يظهر بطلانها وعدم صحتها .

(١) السراج المنير « ٣ : ٤٣ — ٤٤ » ،

(٢) السراج المنير « ٣ : ٥٤ — ٥٥ » .

(٣) المرجع السابق « ٣ : ٣٦٦ — ٣٦٩ » .

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى : في الآيات (٢١-٢٤) من سورة (ص)
(وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب . .) الآيات ، نراه يذكر لنا عبارة
الفخر الرازي التي ذكرها في تفسيره ^(١) ؛ لتفنيد الروايات الباطلة في هذه القصة
وتقرير ما هو لائق في حق نبي الله داود عليه السلام ^(٢) .

١٤ — روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي

التعريف بالمؤلف .

مؤلف هذا التفسير هو العلامة ، المحقق ، شهاب الدين ، السيد محمدود
الآلوسي . البغدادي ، مفتي بغداد .

ولد في سنة سبع عشرة ومائتين بعد الألف من الهجرة النبوية ، في جانب
الكرخ من بغداد ، وقد توفي رحمه الله في يوم الجمعة الخامس والعشرين من ذي
القعدة سنة سبعين ومائتين بعد الألف من الهجرة ودفن مع أهله في مقبرة الشيخ
معروف الكرخي في الكرخ .

كان رحمه الله شيخ العلماء في العراق ، جمع كثيراً من العلوم حتى أصبح
علامة في المنقول والمعقول ، واشتغل بالتدريس والتأليف وهو ابن ثلاث عشرة
سنة ، وتخرج عليه جماعات من الفضلاء من بلاد مختلفة كثيرة .

وكان رحمه الله عالماً باختلاف المذاهب ، مطلعاً على الملل والنحل ، سلفي
الاعتقاد ، شافعي المذهب ، إلا أنه في كثير من المسائل ، يقلد الإمام الأعظم ،
أبا حنيفة النعمان رضي الله عنه ، وكان في آخر عمره يميل إلى الاجتهاد .

ولقد خلف — رحمه الله — للناس ثروة علمية كبيرة ، ونافعة ، فمن ذلك

(١) انظر صفحة ٢٩٨ - ٢٩٩ من هذا الكتاب .

(٢) السراج المنير « ٣ : ٣٨٤ - ٣٨٦ » .

تفسيره لكتاب الله وهو الذي نحن بصدد الآآن ، وحاشيته على القطر ، وشرح السلم في المنطق ، وقد فقد . ومنها الأجوبة العراقية على الأسئلة اللاهوتية ، ودره الغواص في أوهم الناس ، والنفحات القدسية في المباحث الإمامية (١) .

التعريف بالتفسير .

هذا التفسير من أجل التفاسير وأوسعها ، وأجمعها ، نظم فيه روايات السلف بجانب آراء الخلف المقبولة ، وألف فيه بين مايفهم بطريق العبارة ، وما يفهم بطريق الإشارة .

وقد أحسن تلخيص ما في البيضاوي ، وحواشيه ، وأبي السعود من نكات وفوائد ، والآلوسي سلفي المذهب ، سني العقيدة كما قلنا . ولهذا نراه كثيراً ما يفند آراء المعتزلة والشيعة ، وغيرهم من أصحاب المذاهب المخالفة لمذهبه .

ولو أننا جمعنا ردود الآلوسي على الشيعة ، حصلنا على مجلد كبير من ردوده العامة المركزة ، البعيدة عن الإسراف والتعصب (٢) .

وردود الآلوسي على النصارى في غاية الروعة ، فهو في حاجته لهم لا يستند إلا على كتبهم وأقوالهم ، ويرتكز عليها في تفنيد عقائدهم (٣) .

وتفسير الآلوسي جامع خلاصة ماسبقه من التفاسير ، فتراه ينقل عن تفسير ابن عطية ، وتفسير أبي حيان ، وتفسير الكشاف ، وتفسير أبي السعود ، وتفسير البيضاوي ، وتفسير الفخر الرازي ، وغيرها من كتب التفسير .

ومن مميزات هذا التفسير ، أن صاحبه يمحس فيه الروايات ، ويدقق فيه

(١) انظر التفسير والمفسرون « ٣٥٢:١ - ٣٥٤ » .

(٢) انظر على سبيل المثال روح المعاني « ٣٣٧:١ » و « ٣١٧:٤ - ٣٢١ »

و « ١٩٢:٦ - ١٩٦ » و « ١٠٨:١٣ » .

(٣) انظر روح المعاني « ١٧٩:٣ - ١٨٠ » و « ٣٠:٦ - ٣١ » و « ١٤:٢٢ »

الأخبار ، فيرفض الإسرائيليات رفضاً باتاً ، يقول الشيخ قاسم القيسي مفتي بغداد (المتوفى سنة ١٩٥٥ م) في كتابه تاريخ التفسير ما نصه : وأما تفسير العلامة الآلوسي المسمى بروح المعاني ، فليس له في الجمع والتحقيق ثاني ، اشتمل على تسع مجلدات ضخام ، حوت من الدقائق والحقائق ما لا يسع شرحه كلام . وهو خال من الأباطيل والإسرائيليات والروايات الواهية والخرافات ، وجامع للمعقول والمنقول .

موقفه من الاسرائيليات .

١ - يسمي الآلوسي أصحاب الإسرائيليات بـ (أرباب الأخبار) ولا يتق بهؤلاء الأخباريين ، ويرفض قبول رواياتهم ، ويتمنى لو لم ترد في كتب الإسلاميين ، حيث يقول في معرض تفنيده لقصة من هذه القصص التي أوردها : (وبألت كتب الإسلام لم تشتمل على هذه الخرافات التي لا يصدقها العاقل ، لأنها أضغاث أحلام) (١) .

ومن أمثلة ما أورده في تفسيره :

إنه عند تفسيره لقوله تعالى : (.. وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر) (٢) يقول : (.. واختلف في كيفية تلقي ذلك العلم منها ، فقال مجاهد : إنهما لا يصل إليهما أحد من الناس ، وإنما يختلف إليهما شيطانان في كل سنة اختلافة واحدة ، فيتعلمان منها . وقيل - وهو الظاهر - أنها كانا يباشران التعاليم بأنفسهما في وقت من الأوقات ، والأقرب أنها ليسا إذ ذاك على الصورة الملكية . وأما ما أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم ، والحاكم - وصححه - والبيهقي في سننه عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت : قدمت علي امرأة من أهل دومة الجندل تبغني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته ،

(١) روح المعاني « ١ : ٣٤٣ » .

(٢) الآية ١٠٢ من سورة البقرة .

تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به . قالت : كنت لي زوج غاب عني ، فدخلت على عجوز فشكوت إليها فقالت : إن فعلت ما أمرك أبعده يأتيك . فلما كان الليل جاءني بكليين أسودين ، فركبت أحدهما ، وركبت هي الآخر ، فلم يكن كشيء حتى وقفنا بيبابل ، فإذا أنا برجلين معلقين بأرجلهما ، فقالا : ما جاء بك ؟ فقلت : أتعلم السحر فقالا : إنما نحن فتنة فلا تكفري وارجعي ، فأبيت ، وقلت : لا . قالا : فاذهي إلى ذلك التور فبولي به ... إلى أن قالت : فذهبت فبليت فيه : فرأيت فارساً مقنعاً بجديد خرج مني حتى ذهب إلى السماء ، وغاب عني حتى ما أراه ، فجئتهما وذكرتهما فقالا : صدقت ، ذلك إيمانك خرج منك) .

ويقول الآلوسي معقّباً على هذه القصة : (إن اتهام هذه المرأة أولى من اتهام العقل في قبول هذه الحكاية التي لم يصح منها شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١)) .

٢ - وينكر الآلوسي في موضع آخر من تفسيره الروايات التي ذكرها بعض أهل الأخبار عن ماهية البيت الحرام وقدمه ؛ فيقول عند قوله تعالى : (.. وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل)^(٢) ما نصه : (وقد ذكر أهل الأخبار في ماهية البيت وقدمه وحدثه ، ومن أي شيء كان باباه ؟ وكم مرة حج آدم ؟ ومن أي شيء بناه إبراهيم ؟ ومن ساعده على بناءه ؟ ومن أين جاء بالحجر الأسود ؟ !!) ويعقب الآلوسي بقوله : (.. أشياء لم يتضمنها القرآن العظيم ، ولا الحديث الصحيح ، وبعضها يناقض بعضاً ، وذلك على عاداتهم في نقل ما دب ودرج ، ومن مشهور ذلك : أن الكعبة أنزلت من السماء في زمان آدم ، ولها بابان إلى المشرق والمغرب ، فحج آدم من أرض الهند ، واستقبلته الملائكة أربعين

(١) روح المعاني « ٣٤٣ : ١ » .

(٢) الآية ١٢٧ من سورة البقرة .

فرسخاً ، فطاف بالبيت ودخله ، ثم رفعت في زمن طوفان نوح عليه السلام ، ثم نزلت مرة أخرى في زمن إبراهيم فزارها ، ورفع قواعدها وجعل بابها باباً واحداً ، ثم تمخض أبو قبيس فانشق عن الحجر الأسود ، وكان ياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة ، نزل بها جبريل في زمان الطوفان إلى زمن إبراهيم ، فوضعه إبراهيم مكانه ، ثم اسود بملامسة النساء الحيض .. الخ (١) .

٣ - ويلاحظ أن الآلوسي شديد النقد للإسرائيليات التي حشاها كثير من المفسرين تفاسيرهم وظنوها صحيحة ، مع سخوية منه أحياناً . فمثلاً عند قوله تعالى : (قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً) (٢) يقول : (ونقل بعض القصاصين أن الملائكة كانت تمر عليه - أي على موسى عليه السلام - حينئذ فيلكزونه بأرجلهم ، ويقولون يا بن النساء الحيض ، أطمعت في رؤية رب العزة !) ويعلق على هذا فيقول : (وهو كلام ساقط لا يعول عليه بوجه ، فإن الملائكة عليهم السلام مما يجب تبرئتهم من إهانة الكليم بالوكز بالرجل والفحش في الخطاب) (٣) ويضي الآلوسي في تفنيد مثل هذه الإسرائيليات ، فعند تفسيره لقوله تعالى في الآية ١٢ من سورة المائدة : (ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل ، وبعثنا منهم اثني عشر نبياً) نجده يقص علينا قصة عجيبة عن عوج بن عنق ، يرويها عن البغوي ، ولكنه بعد الفراغ منها يقول ما نصه : (وأقول : قد شاع أمر عوج عن العامة ، ونقلوا فيه حكايات شنيعة ، وفي فتاوى العلامة ابن حجر ، قال الحافظ العباد بن كثير : قصة عوج وجميع ما يحكون عنه هذيان لا أصل له ، وهو من مختلقات أهل الكتاب ، ولم يكن قط على عهد نوح عليه السلام ، ولم يسلم من الكفار أحد ، وقال ابن القيم : من الأمور التي يعرف بها كون الحديث موضوعاً أن

(١) روح المعاني « ١ : ٣٨٤ » .

(٢) الآية ١٤٣ من سورة الأعراف .

(٣) روح المعاني « ٩ : ٤٦ » .

يكون مما تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه كحديث عوج بن عتق . وليس العجب من جرأة من وضع هذا الحديث ، وكذب على الله تعالى ، إنما العجب من يدخل هذا الحديث في كتب العلم من التفسير ، وغيره ولا يبين أمره . ثم قال : ولا ريب أن هذا وأمثاله من صنع زنادقة أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء والسخرية بالرسول الكرام عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم (١) هـ .

وعند تفسير قوله تعالى في الآية ٣٨ من سورة هود : (.. ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه ..) الآية . نجده يروي أخباراً كثيرة في نوع الحشب الذي صنعت منه السفينة ، وفي مقدار طولها وعرضها وارتفاعها ، وفي المكان الذي صنعت فيه ، ثم يعقب على ذلك بقوله : (وسفينة الأخبار في تحقيق الحال - فيما أرى - لاتصلح للركوب فيها ، إذ هي غير سالمة من عيب ، فالخري مجال من يميل إلى الفضول أن يؤمن بأنه عليه السلام ، صنع الفلك حسبما قص الله تعالى في كتابه ، ولا نخوض في مقدار طولها وعرضها وارتفاعها ، ومن أي خشب صنعها ، وبكم مدة أتم عملها ؟ إلى غير ذلك ، مما لم يشرحه الكتاب ، ولم تبينه السنة الصحيحة) (٢) .

ومن هذا الباب أيضاً . رفضه لمن تكلم بالأرقام عن عمر الكون والأرض ، وما مضى منها وما بقي ، ومبدأ النشأة الإنسانية ، ومدة بقائها في هذا العالم ، وقدر زمان لبثها في هذا البرزخ يقول : (كل ذلك من المغيبات التي لا يعلمها إلا الله ، وإن جميع ما ورد فيها أمور ظنية لا سند يعول عليه لأكثرها) (٣) ومنه أيضاً ، رفضه لكثير من الروايات المروية عن كيفية موت سليمان ، فقد ذكر أنها غير صحيحة وحديث خرافة (٤) .

(١) روح المعاني « ٨٦ : ٨٧ » .

(٢) روح المعاني « ٤٥ : ١٢ » .

(٣) روح المعاني « ١٣٥ : ٧ » .

(٤) المرجع السابق « ٢٧ : ١٢٣ ، ١٣٤ » .

ونجد الآلوسي يشدد النكير على من يس عصمة الأنبياء عليهم السلام فعند قوله تعالى : (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) ^(١) يذكر رواية الواحدي التي ذهب فيها إلى تحقيق الهم القبيح منه عليه السلام ، فيقول : معقباً عليه : (ومن أمعن النظر في الحجج وأنصف ؛ جزم أنه لم يبق في يد الواحدي ومن وافقه إلا مجرد التصلف وتعدد أسماء المفسرين ، ولم يجد معهم شبهة في دعواهم المخالفة لما شهدت له الآيات الينيات ، سوى روايات واهيات . وبراءة المعصوم عن تلك الرذيلة ، وإحالة التقصير على الرواة أولى بالصير إليه ، على أن أساطين النقل المتقنين لم يرووا في ذلك شيئاً مرفوعاً في كتبهم ، وجل تلك الروايات بل كلها مأخوذ من مسألة أهل الكتاب) ^(٢) .

وعند قوله تعالى : (إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت) ^(٣) قال : (والمواد به صندوق كان يتبرك به بنو إسرائيل فذهب منهم ، واختلف في تحقيق ذلك ، فقال أرباب الأخبار : هو صندوق أنزله الله تعالى على آدم عليه السلام ، فيه تمائيل الأنبياء جميعهم ، وكان من عود الشمشاذ نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين ، ولم يزل ينتقل من كريم إلى كريم ؛ حتى وصل إلى يعقوب ثم إلى بنيه ، ثم ، وثم إلى أن فسد بنو إسرائيل وعصوا بعد موسى عليه السلام ، فسلط الله تعالى عليهم العماقة ، فأخذوه منهم ، فجعلوه في موضع البول والغائط ، فلما أراد الله تعالى أن يملك طالوت سلط عليهم البلاء ؛ حتى إن كل من أحدث عنده ابتلي بالبواسير ، وهلك من بلادهم خمس مدائن ، فعملوا أن ذلك بسبب استهانتهم به ، فأخرجوه وجعلوه على ثورين ، فأقبلا يسيران ، وقد وكل الله تعالى بهما أربعين من الملائكة يسوقونها حتى أتوا طالوت . . الخ) وعلق الآلوسي

(١) الآية ٢٤ من سورة يوسف .

(٢) روح المعاني « ١٢ : ٢١٥ » .

(٣) الآية ٢٤٨ من سورة البقرة .

ساخرآ . . (ولم أر حديثاً صحيحاً مرفوعاً يعول عليه يفتح قفل هذا الصندوق ، ولا فكرياً كذلك) (١) .

٤ - وقد تتبع الآلوسي الروايات الضعيفة والمنكرة والموضوعة ، ونبه على وضعها ، فلقد أورد مثلاً أحاديث في فضل بلاد الشام ، ثم شك فيها ، وعلق عليها بقوله : (والأحاديث في فضل الشام كثيرة ، وقد جمعها غير واحد إلا أن في الكثير منها مقالاً وسبب الوضع كان قوياً) (٢) .

ومثلاً عند قوله تعالى : (إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين) (٣) فقد روى بأنهم إلى اليوم أحياء ، سترهم الله عن أعين الناس ، وسيظهرون مع المهدي ، ويكونون من جملة أنصاره ثم يموتون . ويقول الآلوسي مفنداً ، والكل بما لا صحة له (٤) وروي عن ابن عباس قال : كان لصاحبة سليمان - أي بلقيس - اثنا عشر ألف قيل . . وقيل كان تحت يدها أربعمئة ملك . كل ملك على كورة ، تحت كل ملك أربعمئة ألف مقاتل ، ولها ثلاثمئة وزير يديرون ملكها ، ولها اثنا عشر ألف قائد كل قائد تحت يده اثنا عشر ألف مقاتل) ويقول الآلوسي : (وهذه الأخبار إلى الكذب أقرب منها إلى الصدق ، ولعمري إن أرض اليمن لتكاد تضيق عن العدد الذي تضمنه الخبران الأخيران ، وليت شعري ما مقدار عدد رعيتهما الباقيين الذين تحتاج إلى هؤلاء العسكري والقواد والوزراء لسياستهم وضبط أمورهم وتنظيم أحوالهم) (٥) .

(١) روح المعاني « ٢ : ١٦٨ - ١٦٩ » .

(٢) المرجع السابق « ٢ : ١٩٥ » .

(٣) الآية ٩٨ من سورة يونس .

(٤) روح المعاني « ١١ : ١٩٢ » .

(٥) روح المعاني « ١٩ : ١٩٧ - ١٩٨ » وانظر « ١٢ : ٥٣ - ٥٥ و ١٣ :

٩٧ - ٢٤٠ » .

ونجد الآلوسي أحياناً يأتي إلى بعض القصص الاسرائيلية وينكر ظاهرها ، ثم يفسرها تفسيراً إشارياً بعيداً كل البعد عن الحق وروح الاسلام ، ففي الآية الكريمة ١٠٢ من سورة البقرة : (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) الآية .. نقل قصة إسرائيلية أنكرها .. وخلاصتها : أن الملائكة تعجبت من مخالفة بني آدم وقالوا لربهم لو كنا مكانهم ماعصيناك فقال لهم : اختاروا ملكين فاختروهما ، فهبطا إلى الأرض ، فحكما بين الناس ، فافتتا بامرأة يقال لها زهرة ، فطلبها ، فامتنعت ؛ إلا أن يعبدا صنماً ، أو يشربا خمرأ ، أو يقتلا نفساً ، ففعلوا . ثم تعلمت منهما ما صعدت به إلى السماء ، فصعدت ومسخت هذا النجم ، فأرادا الخروج فلم يمكنهما ، فخير بين عذاب الدنيا والآخرة فاخترتا عذاب الدنيا ، فهما الآن يعذبان فيها !! وعلى الرغم من إنكار الآلوسي على بعض العلماء لأخذهم بظاهر القصة ، اعتبرها هو من الرموز والاشارات ، فقال : (يراد من الملكين العقل العملي والعقل النظري ، اللذان هما من عالم القدس ، ومن المرأة المسماة بالزهرة النفس الناطقة .. ألخ) (١)

ولا أدري - سبحانه الله - كيف أعطى هذه القصة مدلولاً رمزياً وهي خرافية وهو نفسه أنكرها ظاهراً . !! عجباً للآلوسي إذا كانت القصة موجودة فكيف ينكر ظاهرها ، وإن لم تكن موجودة ، فكيف أعطائها ذلك المدلول !. والحق أن نزعة التصوف عند الآلوسي أوقعته في مثل هذه الشطحة البعيدة (٢).

(١) روح المعاني (١ : ٣٤٠ ، ٣٤١) .

(٢) كان الآلوسي - رحمه الله - متصلاً بالنقشبندية ، ودرس التصوف على شيخها خالد النقشبندي ولذلك فإنه في تفسيره يتطرق في مناسبات كثيرة إلى التصوف وينقل عن كبار المتصوفين آراءهم في مختلف نواحي الحياة الروحية وغيرها كالشيخ عبد القادر الجيلاني ، والشيخ ابن عربي ، والشيخ عبد الكريم الجيلي ، والامام الغزالي ، والجنيد ، والبغداددي ، رحمهم الله أجمعين .

(انظر روح المعاني ٨١/١ - ١٧٠ ، ١٥٥/٤ - ١٥٦ - ١٠٧/٧ - ١٠٨ -

١١٣ ، ٢٢ / ١٠١) .

وقريب من هذا الباب ما ذكره الآلوسي في موضع من تفسيره قال :
(اصطحب قيس بن خرشة ، وكعب الأخبار حتى إذا بلغا صفين ، وقف كعب
ثم نظر ساعة ، ثم قال : ليراقن بهذه البقعة من دماء المسلمين شيء لا يهراق ببقعة
من الأرض مثله .. فقال قيس : ما يدريك فإن هذا من الغيب الذي استأثر الله
تعالى به ؟ فقال كعب : ما من الأرض شبراً إلا مكتوب في التوراة الذي أنزل الله
تعالى على موسى ، ما يكون عليه ، وما يخرج منه إلى يوم القيامة) وعلق عليه
الآلوسي بقوله : (ولعل ذكر ذلك من باب الرمز كما ندعيه في القرآن)^(١) .

وقد أثار هذا التأويل الصوفي الذي ذكره الآلوسي ثائرة السيد رشيد رضا ،
فقال في تفسيره مندداً : (وأنا أظن أن هذا القول موضوع على كعب ، وتأول
الآلوسي له هذا القول الظاهر بطلانه بالبداهة بقوله : ولعل ذلك من باب الرمز كما
ندعيه في القرآن أه . وما ذكرت هذا إلا للتعجيب من فتنة هذه الروايات الباطلة
إلى أي حد ، أو أي زمن وصل تأثيرها السيء ، حتى إن هذا النقادة قد اغتر بمثل
هذا منها وتأوله . بما هو باطل مثله ، فإنه لم يصح عن أحد من أئمة المسلمين الذين
يعتد بعلمهم بكتاب الله تعالى أنه ليس في العالم أوفى الأرض شبر إلا وقد كتب
فيه (أي القرآن) ما يقع فيه وما يخرج منه ، وإنما قال مثل هذا بعض المجازفين ،
والخاليين من الصوفية على أنه من الكشف الذي يدعونه)^(٢) .

هـ - والعجيب أن الآلوسي مع رفضه الشديد للاسرائيليات يفوته أحياناً
بعضها ، وينساق في تيارها ، فمثلاً عند قوله تعالى : (وكتبناه في الألواح من كل
شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء ..)^(٣) قال : (واختلف في عدد الألواح وفي
جوهرها ومقدارها ، وكاتبها ، فقليل كانت عشرة ألواح ، وقيل كانت سبعة وقيل

(١) روح المعاني (٩ : ٥٦) .

(٢) تفسير المنار (٩ : ١٩٠ - ١٩١)

(٣) الآية ١٤٥ من سورة الأعراف

لوحين ، وأنها كانت من زمرد أخضر ، أمر الرب تعالى جبريل عليه السلام فجاء بها من عدن ، وروى ذلك عن مجاهد ، وأخرج أبو الشيخ عن ابن جريج قال : أخبرت أن الألواح كانت من زبرجد ، وعن سعيد بن جبير قال : كانوا يقولون : إنها كانت من ياقوتة . وأنا أقول : إنها كانت زمرد ، وأخرج ابن أبي حاتم وغيره عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الألواح التي أنزلت على موسى كانت من سدر الجنة ، كان طول اللوح اثني عشر ذراعاً » وعن الحسن أنها كانت من خشب ، نزلت من السماء ، وأن طول كل عشرة أذرع . وقيل أمر الله موسى عليه السلام بقطعها من صخرة صماء لينها له ، فقطعها بيده وتقفها بأصابعه . ثم قال : والختار عندي أنها من خشب السدر^(١) .

وقد علق السيد رشيد رضا على هذه الروايات ، فقال : (وأما تلك الروايات الكثيرة في جوهرها ، ومقدارها وطولها ، وعرضها ، وكتابتها ، وما كتب فيها فكلها من الإسرائيليات الباطلة ، التي نقلها إلى المسلمين أمثال كعب الأجبار ، ووهب بن منبه ، فاغتر بها بعض الصحابة والتابعين — إن صحت الروايات عنهم — وقد حص السيوطي منها في الدر المنثور ثلاث ورفات — أي ست صفحات واسعات من القطع الكبير — وليس منها شيء يصح أن يسمى درة ، وإن كان منها أن الألواح من الياقوت أو من الزمرد أو من الزبرجد كما أن منها أنها من الحجر أو من الخشب . وقد أعجبنى من الحافظ ابن كثير أنه لم يذكر من تلك الروايات على سعة اطلاعه ، وقد تبع في هذا عمدته في التفسير ابن جرير رحمهما الله تعالى ، ولكن ذكر بعضها الآلوسي من المتأخرين تبعاً لغيره^(٢)) .

ومثلاً عند قوله تعالى : (فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً^(٣)) يقول : (والمشهور أنها — أي العصا — آس من الجنة ، طولها عشرة

(١) روح المعاني « ٩ : ٥٧ » .

(٢) تفسير المنار « ٩ : ١٨٤ » .

(٣) الآية ٦٠ من سورة البقرة .

أذرع ، طول موسى عليه السلام ، ولها شعبتان تتقدان في الظلمة توارثها صاغراً
عن كابر ، حتى وصلت إلى شبيب ، ومنه إلى موسى عليه السلام (ونقل أيضاً
أن عدد بني إسرائيل أثناء التيه كان ستائة ألف ، ماعدا دوابهم وسعة المعسكر
اثني عشر ميلاً)^(١) أهو والذي يدل عليه القرآن الكريم أن مقدارها كان مقداراً
يصح أن يتوكأ عليها ، وأن تنقلب حية عظيمة ، ولا تكون كذلك إلا ولها
قدر من الطول والغلظ ، وما زاد على ذلك فلا دلالة عليه^(٢) .

وإيراد الآلوسي لمثل هذه الأخبار الواهية دون أن يعقب عليها ؛ يؤيد
ما ذكرناه من قبل ، من أنه يندر أن يخلو كتاب من كتب التفسير القديمة
والحديثة من الإسرائيليات .

ولقد كان أولى بالآلوسي - وهو النقادة البصير - أن يتجنب الحوض في
رواية الإسرائيليات إلا بمقدار ما يحتاج إليه في ردها وإبطالها . ولكننا رأينا
أحياناً يروي بعض القصص الإسرائيلية ثم يعتذر عن روايته له بأنه
قصد من وراء روايته لها إشباع شهوة المولعين بالأخبار وذلك حيث
يقول عند تفسيره قوله تعالى : (وإذا وقع القول عليهم ...) بعد أن ذكر
روايات كثيرة في صفة الدابة ، وبعد أن أتبعها بما ذكره صاحب البحر في شأنها
قال : (وإنما نقلت بعض ذلك دفعاً لشهوة من يجب الاطلاع على شيء من أخبارها
صدقاً كان أو كذباً)^(٣) .

١٥ - تفسير المنار لرشيد رضا

التعريف بالمؤلف .

هو السيد محمد رشيد بن السيد علي رضا ، ولد في ٢٧ من جمادى الأولى سنة

(١) روح المعاني « ١ : ٢٧٠ » .

(٢) انظر تفسير الرازي « ٤ : ٩٥ » .

(٣) روح المعاني « ٢ : ٢٢ » .

١٢٨٢ هـ في قرية تسمى القامون على شاطئ البحر المتوسط من جبل لبنان ، تبعد عن مدينة طرابلس الشام زهاء ثلاثة أميال ^(١) .

نشأ السيد محمد رشيد رضا في طرابلس الشام ، وفيما تلقى العلم عن شيوخها ، وأهمهم الشيخ حسين الجسر عليه رحمة الله . وقد وسع ثقافته ب مطالعته الخاصة ، فقد انتفع بكتب شيعي الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله ، وذكر أنه لا يعرف في كتب علماء السنة أنفع في الجمع بين النقل والعقل من كتبها ، وأنه لم يطمئن قلبه بـذهب السلف تفصيلاً إلا بممارسة هذه الكتب . وقد ظل الشيخ رشيد إلى أواخر حياته يعتز بأراء هذين الإمامين ويستشهد بهما ، وينقل عنها ، وطبع بعض كتبها ^(٢) ، كما أنه وسع ثقافته باطلاعه على الأنجيل ، والنقل عنها والنقد لها ، ومذاكرته لأدباء النصارى ولدعاة الدين والمبشرين التابعين لجمعية الولايات المتحدة الأميركية في لبنان ، والاطلاع على كتبهم وجرائدهم ^(٣) .

ولقد بزغ نجم الشيخ رشيد رضا بعد هجرته إلى مصر واتصاله بالشيخ محمد عبده في رجب سنة ١٣١٥ هـ ، وكان أول اقتراح عرضه عليه أن يكتب تفسيراً للقرآن على نهج ما كان يكتب في جريدة العروة الوثقى ، وبعد أخذ ورد بين الشيخين اقتنع الأستاذ الامام بأن يقرأ دروساً في التفسير بالجامع الأزهر .

ولم يلبث إلا قليلاً حتى قام بالقاء دروسه في التفسير على طلابه ومريديه .

(١) معجم المؤلفين « ٩ : ٣١٠ » ورشيد رضا الامام المجاهد ص ١٩ ، وكتاب رشيد رضا لشكيب أرسلان ص ٨١١ .

(٢) « مثل الصوفية والفقراء » و « قاعدة جديدة في التوسل والوسيلة » و « الاجتماع والافتراق في الحلف بالطلاق » و « خلاف الأمة في العبادات » وهذه الكتب لابن تيمية .

(٣) انظر مجلة المنار م ١٤ ص ٤٢ وتفسير المنار « ١ : ٨٢ » وانظر : السيد رشيد رضا .. عصره وحياته وجهوده الأدبية واللغوية . رسالة دكتوراة مخطوطة في كلية الدراسات العربية في جامعة الأزهر للشيخ أحمد الشرباصي ص ٢٠٩ .

وكان الشيخ رشيد - رحمه الله - ألزم الناس لهذه الدروس ، وأحرصهم على تلقيها وضبطها ، فكان يكتب بعض ما يسمع ثم يزيد عليه بما يذكره من دروس الشيخ بعد ذلك ^(١) . ثم قام بنشر ما كتب على الناس في مجلة المنار .

ولهذا كله نستطيع أن نقول: إن الشيخ رشيد رضا هو الوارث الأول لعلم الأستاذ الإمام ، إذ أنه أخذ عنه فوعى ما أخذ ، وألف في حياته وبعد وفاته ؛ فكان لا يحمي عن منهجه ، أو ينحرف عن أفكاره سواء في النواحي الفكرية أو السياسية أو الاجتماعية .

وكانت وفاة السيد رشيد رضا يوم الخميس ٢٣ من جمادى الأولى سنة ١٣٥٤ ،

(١) يحسن بنا أن نوضح طريقته في النقل عن الأستاذ الإمام : فقد أخذ رشيد يكتب تفسير الأستاذ الإمام وينشره في مجلة (المنار) ابتداء من الجزء السادس من المجلد الثالث من المنار ، فنشر أولاً مقدمة التفسير وهي ما ألقاه الشيخ وأملاه في الدرس الأول ليلة الخميس غرة المحرم سنة ١٣١٧ هـ .

ويقول رشيد في تصوير طريقته في النقل عن الأستاذ الإمام :

(كنت في البداية لا أكاد أزيد على خلاصة ما يقرره في الدرس إلا قليلاً ، إذ لم يكن في نيتي تجريد ما يكتب منه في المنار وجعله كتاباً مستقلاً ، ثم رأيت من الواجب بسط القول فيه وطبع التفسير على حديثه عند سنوح الفرصة ، ففعلت بإجازته رحمه الله تعالى واستحسانه ، فكان المختصر نصف الجزء الأول من سورة البقرة ، عرضته عليه بعد ذلك فقرأه وزاد الكلام في الملائكة ، وأجاز باقي ما كتبناه كما هو ، فكانه الذي كتبه) « تفسير المنار » ١٠١ : ١ .

ولم يتبع الشيخ رشيد طريقة واحدة في النقل عن الأستاذ الإمام ، بل اضطرب بين جملة طرق ؛ فهو أحياناً يلخص ، وقد يفصل ويوضح ، وقد يعلق ويوثق ، وقد يزيد ويضيف ، وقد يستدرك ويعقب ، وقد ينقد ويعارض . وهو قد تنقل بين الطرق كل هذا التنقل دون علامات مميزة واضحة بين كلامه وكلام الأستاذ الإمام وكلام غيرهما ، ومن هنا ضاع بعض المعالم في تفسير الأستاذ الإمام وأصبح من العسير تجريده ، على أن الأستاذ الإمام ، كتب بعض السور بنفسه .

ودفن في قرافة المجاورين بالقاهرة بجوار ضريح الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده
رحمها الله تعالى (١) .

التعريف بالتفسير .

تفسير المنار من أضخم آثار السيد رشيد رضا ، فقد شهر به ، وكان موضع
العناية والتقدير من كثيرين (٢) .

ولقد نشر الشيخ رشيد (تفسير المنار) فصولاً ومقالات في مجلة المنار . ثم
عاد فطبع هذا التفسير المسمى بتفسير القرآن الحكيم والمشهور بتفسير المنار في
اثنى عشر جزءاً ، ابتداء بأول القرآن ، وانتهى عند قوله تعالى في الآية (١٠١)
من سورة يوسف : (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر
السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين) .

(١) رشيد رضا الإمام المجاهد للدكتور إبراهيم العدوي ص ٢٨٢ .

(٢) فقد ألقى المستشرق الألماني (هنري لاوست) محاضرات استغرقت أربعة
أشهر عن تفسير المنار في جامعة « الكوليج دي فرانس » في باريس خلال العام الدراسي
١٩٥٧-١٩٥٨ ، كما عني به « جولد زيهر » في كتابه (مذاهب التفسير الاسلامي) .
وعني به (تشارلز آدمز) في كتابه « الإسلام والتجديد في مصر » ، الذي ترجمه
الأستاذ عباس محمود العقاد .

وكتب جويه الفرنسي « دراسة بالفرنسية عن مدرسة المنار » .

أما بالنسبة إلى المؤلفين العرب : فقد كتب حول هذا التفسير فضيلة أستاذنا
الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه « التفسير والمفسرون » كما كتب الدكتور عبد الله
محمود شحاتة رسالة ماجستير عن منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم ، وكتب
الدكتور أحمد الشرباصي رسالة دكتوراة عن (السيد رشيد رضا - صاحب المنار -
عصره وحياته وجهوده الأدبية واللغوية) . وذكر الأمير شكيب أرسلان « تفسير
المنار » أكثر من مرة في كتابه الذي جمع فيه رسائل رشيد رضا إليه . وكتب الدكتور
إبراهيم أحمد العدوي صفحات عن هذا التفسير في كتابه (رشيد رضا الامام المجاهد) .

ثم عاجلته المنية قبل أن يتم تفسير القرآن كله ^(١) .

منهجه .

أما منهجه فيه فهو عين ما نهجه الأستاذ الامام ، فلا تقييد بأقوال المفسرين ، ولا تحكم للعقيدة في نص القرآن ، ولا خوض في إسرائيليات ^(٢) ولا تعيين لمبهمات ، بل شرح للآيات ، بأسلوب رائع ، ودفاع عن القرآن يرد أكثر ما أثير حوله من شبهات ، وعناية بجوانبه اللغوية والبلاغية ، ومعالجة لأعراض المجتمع بناجع دوائه ، وبيان لسنن الله في خلقته ^(٣) .

موقفه من الاسرائيليات .

لم يكن الشيخ رشيد رضا - كما ينم على ذلك حديثه عن تفاسير الأقدمين - كغيره من المفسرين الذين عثوا بالاسرائيليات ، فجعلوا منها شروحات لمبهمات

(١) كان من أصدقاء رشيد رضا العالم السوري الشيخ محمد بهجة البيطار فواصل الأستاذ البيطار تفسير سورة يوسف حتى نهايتها وقد نشر تفسير هذه السورة مستقلاً في كتاب يحمل اسم السيد رشيد رضا رحمه الله .

ولقد كتب الأستاذ البيطار مقدمته كما نشر في الجزء الثاني من المجلد الخامس والثلاثين من مجلة المنار .

ثم توقف صدور المنار وانقطع التفسير ، ثم حاول الأستاذ الشهيد حسن البنا أن يواصل التفسير ، فبدأ من حيث انتهى السيد رشيد رضا رحمه الله والأستاذ البيطار ، وكتب فصلاً تفسيراً لجانب من سورة الرعد ، نشر في الأعداد الستة التي أصدرها من المنار ، ثم وقف المنار نهائياً عن الصدور ، فانقطع بذلك التفسير . (انظر السيد رشيد رضا « صاحب المنار ») رسالة دكتوراة مخطوطة بكلية الدراسات العربية ص ٤٤٩ ، للشيخ الشرباصي .

(٢) هكذا يزعم الشيخ رشيد ، وسنبين فيما يأتي أنه خاض - كغيره - في رواية الاسرائيليات ولكن بلون آخر .

(٣) التفسير والمفسرون (٣ : ٢٤٥) .

القرآن ؛ بل وجدناه على العكس من ذلك ينفر منها ، وينعى على المفسرين التفاتهم إليها واشتغالهم بها .

يقول في مقدمة المنار :

(كان من سوء حظ المسلمين أن أكثر ما كتب في التفسير يشغل قارئه عن هذه المقاصد العالية والهداية السامية ، فمنها ما يشغله عن القرآن بباحث الاعراب . . وبعضها يلغته عنه بكثرة الروايات وما مزجت به من خرافات الاسرائيليات) . . إلى أن قال : (وغرضنا من هذا كله أن أكثر ما روي في التفسير المأثور أو كثيره حجاب على القرآن ، وشاغل لتاليه عن مقاصده العالية ، المزكية للأنفس المنورة للعقول ، فالفضلون للتفسير المأثور لهم شاغل عن مقاصد القرآن بكثرة الروايات التي لا قيمة لها سنداً ولا موضوعاً ^(١) .

وإذا نحن تتبعنا أقواله في الاسرائيليات ، وجدناه ينقدها نقداً مرأً ، ويقسو أحياناً في حكمه على روايتها ، الذين ربما يكونون قد رويوها بحسن نية أو ربما تكون موضوعة عليهم ^(٢) .

فمثلاً عند قوله تعالى : (وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء . .) قال : (وأما تلك الروايات الكثيرة ، في جوهرها ومقدارها وطولها وعرضها وكتابتها وما كتب فيها ، كلها من الاسرائيليات الباطلة التي بثها في المسلمين أمثال كعب الأخبار ووهب بن منبه ، فاغتر بها بعض الصحابة والتابعين - إن صحت الروايات عنهم - وقد خُص منها السيوطي في الدر المنثور ثلاث ورقات - أي ست صفحات واسعات من القطع الكبير - وليس منها شيء يصح أن يسمى درة ^(٣)) .

(١) تفسير المنار « ١ : ٧ - ١٠ » .

(٢) اعترف رشيد رضا بالوضع على كعب الأخبار ، فقال في موضع من تفسيره : (وأنا أظن أن هذا القول موضوع على كعب) تفسير المنار « ٩ : ١٨٥ » .

(٣) تفسير المنار « ٩ : ١٨٤ » .

ومثلاً عند قوله تعالى: (وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً وأوحينا إلى موسى
إذ استسقاء قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم
كل أناس مشربهم ... الآية (١)) .

قال (.. إن ما في كتب التفسير عندنا من صفة ذلك الحجر وحجمه وشكله ؛
ككونه كرأس الشاة أو أكبر ، وكونه يوضع في الجوالق ، أو يحمل على ثور أو
حمار ، كل ذلك من الخرافات الاسرائيلية التي كانوا يتلقونها بالقبول .. وقد نقل
ابن كثير مع احتراسه كثيراً منها . وفي عرائس المجالس عن وهب بن منبه أن
موسى كان يقرع لهم أقرب حجر فتنفجر منه عيون . فقالوا : إن فقد موسى عصاه
متنا عطشاً ، فأوحى الله إليه بأن يكلم الحجارة فتطيعه ، فقالوا : كيف بنا إذا
مضينا إلى الأرض التي ليس فيها حجارة ؟ ، فأمر الله موسى أن يحمل معه حجراً
فحيثما نزل ألقاه ... الخ ، وهذا من الخرافات التي اختلقها وهب ، وليس لها
أصل عند اليهود ولا عند المسلمين ، ولولا جنون الرواة بكل ما يقال عن بني إسرائيل
لما قبلوا من مثله أن يشرب مئات الألوف أو الملايين من حجر صغير يحمل ، كما
قبلوا من مزاعمه أن رأس الرجل من قوم هود عليه السلام كان كالقبة العظيمة !! ،
وقد عدوه مع أمثال هذه الخرافات ثقة في الرواية (٢) .

ونجد صاحب المنار حينما يعرض لمبهات القرآن لا يجاوز في شرحه لها
ما يحتمله مضمون النص ، وهو ينعى على المفسرين الذين أفاضوا في تفاصيل قصة
أو حادثة وردت في القرآن بصورة مبهمة ، لأن غالب هذه الإفاضة لا تعتمد على
طريق موثوق به ، بل تعتمد غالباً على النقل من الإسرائيليات .

مثال ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى : (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات
فأتمهن) حيث قال :

(١) الآية ١٦٠ من سورة الأعراف .

(٢) تفسير المنار « ٩ : ٣٤٣ » .

(والمراد منها هنا مضمونها من أمر ونهي . روى عكرمة عن ابن عباس ، قال : لم يتبل أحد بهذا الدين فأقامه كله إلا إبراهيم ، ابتلاه الله بثلاثين خصلة من خصال الاسلام ، واستنبطها ابن عباس بالعدد من أربع سور ليس فيها خطاب له عليه السلام . هذا هو المتبادر ، ولكن المفسرين لم يألوا في تفسير الكلمات والحجط في تعيينها : فقال بعضهم : إنها مناسك الحج .. وزعم آخرون أن الكلمات هي الحصال العشر التي تسمى خصال الفطرة ، وهي : قص الشارب ، والمضمضة ، والاستنشاق ، والسواك ، وفرق الرأس ، وتقليم الأظافر ، وحلق العانة ، والختان ، وتنف الإبط ، والاستنجاء ، وقيل غير ذلك .

قال الأستاذ الامام عند إيراد قول المفسر (الجلال) في تفسير الكلمات أنها الحصال العشر : إن هذا من الجراءة الغريبة على القرآن ، ولا شك عندي أن هذا مما أدخله اليهود على المسلمين ليتخذوا دينهم هزواً ، وأي سخافة أشد من سخافة من يقول : إن الله تعالى ابتلى نبياً من أجل الأنبياء بمثل هذه الأمور وأثنى عليه بإتمامها ، وجعل ذلك كالتميـد لجعله إماماً للناس وأصلاً لشجرة النبوة ، وإن هذه الحصال لو كاف بها صبي ميمز لسهل عليه إتمامها ولم يعد ذلك منه أمراً عظيماً ..

والحق أن مثل هذا يؤخذ كما أخبر الله تعالى ولا ينبغي تعيين المراد به إلا بنص عن المعصوم (١) .

وإذا كان الشيخ رشيد قد قاوم طوفان الخرافات والاسرائيليات والأساطير التي تسربت إلى رحاب التفسير ، فإن انراه يتجاوز الحد في ذلك حتى إنه لينكر بعض الأخبار الصحيحة ، ويزعم أنها من قبيل الاسرائيليات لمجرد غرابتها ، فمثلاً طعن في قصة الجساسة والدجال ونزول عيسى وغير ذلك من أحاديث الفتن وأشراف الساعة .

(١) تفسير المنار « ١ : ٤٥٣ - ٤٥٤ » .

فقال : (وجملة الأقوال في حديث الجساسة أن ما فيه من العلل والاختلاف والإشكال من عدة وجوه يدل على أنه مصنوع، وأنه - على تقدير صحة - ليس له كله حكم المرفوع، وكذا يقال في سائر أحاديث الدجال المشكلة ^(١)) وقال: (ومنه يعلم أيضاً أن يد بطل هذه الاسرائيليات الأكبر كعب الأبحار قد لعبت لعبها في مسألة الدجال « في كل واد أثر من ثعلبة ^(٢) »).

وقال أيضاً - بعد أن شكك في أحاديث الفتن وأشراف الساعة - : (فكل حديث مشكل المتن ، أو مضطرب الرواية أو مخالف لسنن الله تعالى أو لأصول الدين أو نصوصه القطعية أو للحسيات وأمثالها من القضايا اليقينية ، فهو مظنة لما ذكرنا ، فمن صدق رواية بما ذكر ولم يجد فيها إشكالا فالأصل فيها الصدق ، ومن ارتاب في شيء منها ، أو أورد عليه بعض المرتابين أو المشككين إشكالا في متونها ، فليحمله على ما ذكرنا من عدم الثقة بالرواية لاحتمال كونها من دسائس الاسرائيليات أو خطأ الرواية بالمعنى ، أو غير ذلك بما أشرنا إليه ^(٣)) أ هـ .

ونقول في الرد عليه :

أما حديث الجساسة فقد سبق الجواب عنه عند الكلام عن أقسام الإسرائيليات .

وأما أحاديث الدجال ونزول المسيح في آخر الزمان فهي صحيحة ، فقد أخبر النبي صلوات الله وسلامه عليه في غير ما حديث بالدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان حكماً عادلاً بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، وعلى يديه يكون قتل الدجال ، وكل هذا

(١) تفسير المنار « ٩ : ٤٥٧ » .

(٢) المرجع السابق « ٩ : ٤٥٨ » .

(٣) المرجع السابق « ٩ : ٤٦٦ - ٤٦٧ » .

مروي من طرق متكاثرة في الصحيحين^(١) وغيرهما من كتب السنة المعتمدة .

وأما قوله : (فكل حديث مشكل المتن أو مضطرب الرواية أو مخالف لسنن الله ... الخ) فهو كلام حق في ذاته ، وقد قاله المحققون في الأمارات التي تعرف بها الأحاديث الموضوعة ، ولكن الخطأ إنما يعرض في التطبيق ، فما يكون مشكلاً عنده لا يكون مشكلاً عند آخر ، وما يتراءى لبعض الناس أنه مخالف للسنن الكونية ، قد لا يكون مخالفاً عند التحقيق والتدقيق ، وما يعتبره البعض مخالفاً للقطعي أو للحس قد لا يعتبره الآخر كذلك ، وكثيراً ما تستبعد بعض العقول أموراً ليست من إلفها وتراها من قبيل المستحيلات ، ثم لا تلبث أن تتحقق هذه الأمور المستبعدة وتصبح من الأمور المألوفة ، ولو أنكرها أو استبعدها أحد اليوم لعد في زمرة المجانين كما أشرنا إلى ذلك من قبل . ومن ثمّ دخلت المغالطات الكثيرة على السيد رشيد رضا وغيره ممن عرضوا لنقد الحديث ، وذلك لأنهم جعلوا جل غايتهم التزييف والهدم ، فمن ثمّ تلمسوا أوهى الأسباب وركبوا كل صعب في سبيل إظهار بعض الأحاديث بمظهر المخالف لما ذكر ، أما العلماء المحققون المثبتون فقد احتاطوا غاية الاحتياط في التطبيق وتأنوا في الحكم بالخالف ، فمن ثمّ جاءت أحكامهم على الأحاديث ورواياتها صائبة ، والعجيب أن السيد محمد رشيد رضا يناقض نفسه بطعنه في مثل هذه الأحاديث الصحيحة ، فقد أشار إلى خطأ من يقول : إن الدليل العقلي هو الأصل فيرد إليه الدليل السمعي ؛ ويجب تأويله لأجل موافقته له مطلقاً ، ويعلق على هذا بقوله : (والحق كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية : أن كلاً من الدليلين إما قطعي وإما غير قطعي ، فالقطيان لا يمكن أن يتعارضا ، حتى ترجح أحدهما على الآخر ، وإذا تعارض ظني من كل منهما مع قطعي وجب ترجيح القطعي مطلقاً ، وإذا تعارض ظني مع ظني من كل منهما رجحنا المنقول على المعقول ، لأن ما ندركه بغلبة الظن من

(١) صحيح مسلم بشرح النووي « ١٦ : ٥٨ - ٧٨ » وانظر صحيح البخاري

كتاب الفتن - باب ذكر الدجال « ٩ : ٧٤ - ٧٦ »

كلام الله ورسوله أولى بالاتباع مما ندركه بغلبة الظن من نظرياتنا العقلية التي يكثر فيها الخطأ جداً^(١) .

ومثلاً عند قوله تعالى : (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين ، فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم ، فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون^(٢)) .

أورد تفسير الجلال للآية بما رواه الإمام البخاري في (كتاب التفسير) معنى الآية ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة ، فدخلوا يزحفون على أستاههم فبدلوا وقالوا : حطة . حبة في شعرة) أه . ولكن الشيخ رشيد لم يرتض هذا القول المروي في أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى ، فعلق عليه بقوله : (ومنشأ هذه الأقوال الروايات الإسرائيلية ، وللإهود في هذا المقام كلام كثير ، وتأويلات خدع بها المفسرون ولا نجيز حشوها في تفسير كلام الله تعالى . وأقول : إن ما اختاره الجلال مروي في الصحيح ولكنه لا يخلو من علة إسرائيلية^(٣)) .

وصاحب المنار كان مع شدة لومه على المفسرين الذين يزجون بالإسرائيليات في تفاسيرهم ويتخذون منها شروحات لكتاب الله ؛ نجده أحياناً ينقل عن الكتاب المقدس أخباراً يفسر بها بعض مجملات القرآن ومبهماتـه ، أو يرد بها على أقوال بعض المفسرين ، ولو كان تفسيرهم للآية بما هو مروي في الصحيح ، أو يستدل

(١) تفسير المنار « ٢٥٣ : ١ » وانظر دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين ص ٢٣٣ .

(٢) الآية ٥٨ من سورة البقرة .

(٣) تفسير المنار « ٣١٤ : ١ » وانظر تفسير الجلالين ص ٩ طبعة المطبعة السعيدية

سنة ١٩٣٨ .

بمخالفة نصوص التوراة المتداولة لما رواه كعب ووهب أو خلوها مما قالاه على كذبهما واختلاقيهما ، بالرغم من أنه يعترف بأن التحريف والتبديل في كتب أهل الكتاب قد استمر حتى عصرنا هذا ، وأن بعض الأقوال موضوع على كعب !.

فمثلاً عند تفسير قوله تعالى : (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات ... الآية) ذكر بعض الأقوال في تفسير الطوفان ولكنه لم يرتضها ، وإنما ارتضى ما جاء في سفر الخروج الذي فسّر الطوفان بالمطر والبرد . قال : (جاء في الفصل التاسع من سفر الخروج ؛ ثم قال الرب لموسى بكرّ في الغداة ، وقف بين يدي فرعون وقل له : كذا قال الرب إله العبرانيين ، أطلق شعبي ليعبدوني ، فإنني في هذه المرة منزلّ جميع ضرباتي على قلبك وعلى عبيدك وشعبك لكي تعلم أنه ليس مثلي في جميع الأرض ، وأنا الآن أمد يدي وأضربك أنت وشعبك بالبلاء ، فتضمحل من الأرض ، غير أنني لهذا أبقى لك أريك قوتي ، ولكي يخبروا باسمي في جميع الأرض وأنت لم تنزل مقاوماً لشعبي ، ها أنا ممطر في هذا الوقت من غديّ برداً عظيماً جداً لم يكن مثله في مصر منذ يوم أسست إلى الآن) .

ثم ذكر وقوع البرد من نار من السماء ، ووصف عظمته وشموله لجميع بلاد مصر ، وأن فرعون طلب موسى وهارون واعترف لهما بخطئه ، وطلب منهما أن يشفعا إلى الرب ليكف هذه النكبة عن مصر ، ووعدهما بإطلاق بني إسرائيل ، وقال في ختام ذلك : فخرج موسى من المدينة من لدن فرعون وبسط يديه إلى الرب ، فكفت الرعود والبرق ولم يعد المطر يهطل على الأرض ^(١) .

ثم عاد السيد رشيد عند قوله تعالى : (وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا . ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على

(١) تفسير المنار « ٨٨ : ٩ - ٨٩ » .

أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم^(١)) فقال :

هذا وإن في قصة موسى وهارون في سفر الخروج ما يفسر استجابة هذا الدعاء بما يوافق ما قلناه هنا من إرسال الله التوازل على مصر وأهلها ولجوء فرعون إلى موسى عند كل نازلة منها ؛ ليدعو ربه فيكشفها عنهم حتى إذا ما كشفها قسّى الرب قلب فرعون ، فأصر على كفره ، وقد فصلنا هذا في تفسير قوله : (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات ... الآية) . . . ومنه نعلم أن كل ما خالفها من أقوال المفسرين في معنى الطمس على أموالهم فهو من أباطيل الروايات الإسرائيلية التي كان من مقاصد كعب الأخبار وأمثاله منها — كما نرى — صد اليهود عن الإسلام بما يرويه في تفسير المسامين للقرآن مخالفاً لما هو متفق عليه عندهم^(٢) .

ولا أدري كيف ساغ للشيخ رشيد أن يقول : (ومنه نعلم أن كل ما خالفها — أي التوراة — من أقوال المفسرين فهو من أباطيل الروايات الإسرائيلية التي كان من مقاصد كعب ... الخ) وهو الذي أطال القول في بيان تحريف التوراة والإنجيل ، فكيف جعل الآية^(٣) معصومة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ؟ وأن كل ما خالفها من أقوال المفسرين فهو باطل ! ألا يجوز أن يكون كعب قد اطلع على غير التوراة من كتب اليهود بما لم يطلع عليه السيد رشيد رضا فرواه لنا كما قرأه ؟

وهل التوراة المتداولة اليوم هي نفس التوراة التي كانت بيد كعب ؟ ! .

ومثلاً عند تفسير قوله تعالى : (وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) . قال : (وفي سفر الخروج من تاريخ التوراة أن

(١) الآية ٨٨ من سورة يونس .

(٢) تفسير المنار « ١١ : ٤٧٤ » .

(٣) أي آية التوراة المتداولة اليوم .

الله تعالى أنبا موسى بأنه يقسي قلب فرعون؛ فلا يخفف العذاب عن بني إسرائيل، ولا يرسلهم مع موسى، حتى يريه آياته وأنه بعد الدعوة زاد ظلاماً وعتواً، فأمر الذين يسخرون بني إسرائيل في الأعمال الشاقة بأن يزيدوا في القسوة عليهم، وأن يمنعهم من التبن الذي كانوا يعطونهم إياه لعمل اللبن - الطوب - ويكلفهم أن يجمعوا التبن ويعملوا كل ما كانوا يعملون من اللبن، لا يخفف عنهم منه شيء فأعطى الله تعالى موسى وأخاه هارون من الآيات البينات، فحاول فرعون معارضتها بسحر السحرة؛ فلما آمن السحرة برب العالمين - رب موسى وهارون لعلمهم أن ماجاء به ليس من السحر، وإنما هو تأييد من الله تعالى، ورأى مارأى بعد ذلك من آيات الله لموسى؛ سمح بخروج بني إسرائيل، بل طردهم طرداً، وفي سفر الخروج أنهم خرجوا في شهر أبيب، وكانت إقامتهم في مصر ٤٣٠ سنة^(١).

ومثلاً عند تفسير قوله تعالى: (وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تدبحوا بقرة قالوا : أنتخذنا هزواً ؟ قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) قال: (وإن ما أشار إليه الأستاذ من حكم التوراة المتعلق بقتل البقرة هو في أول الفصل الحادي والعشرين من سفر تثنية الاشتراع؛ ونصه:

١ - إذا وجد قتيل في الأرض التي يعطيك الرب إلهك لتملكها واقعاً في الحقل لا يعلم من قتله .

٢ - يخرج شيوخك وقضاتك ويقسون إلى المدن التي حول القتل .

٣ - فالمدينة القربى من القتل يأخذ شيوخ تلك المدينة عجلة من البقر لم يحرق عليها ولم تحرق بالنير .

٤ - وينحدر شيوخ تلك المدينة بالعجلة إلى واد دائم السيول لم يحرق فيه ولم يزرع ويكسرون عنق العجلة في الوادي .

(١) تفسير المنار « ١: ٣٢٤ - ٣٢٥ » .

٥ - ثم يتقدم الكهنة - بنو لاوي - لأنه إياهم اختار الرب إلهك ليخدموه ويباركوا باسم الرب وحسب قولهم تكون كل خصومة وكل ضربة .

٦ - ويغسل جميع شيوخ تلك المدينة القريبون من القتل أيديهم على العجلة المكسورة العتق في الوادي .

٧ - ويصرخون ويقولون : أيدينا لم تسفك هذا الدم وأعينا لم تبصر .

٨ - اغفر لشعبك إسرائيل الذي فديت يارب ، ولا تجعل دم بريء في وسط شعبك إسرائيل ؛ فيغفر لهم . أه .

فعلم من هذا أن الأمر بذبح البقرة كان لفصل النزاع في واقعة قتل . . . وأما قوله : (فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريككم آياته لعلمكم تعقلون) . . فهو بيان لإخراج مايكتمون ، ويروون في هذا الضرب روايات كثيرة ، قيل إن المراد اضربوا المقتول بلسانها ، وقيل بذنبها ، وقالوا إنهم ضربوه فعادت إليه الحياة ، وقال : قتلتني أخي أو ابن أخي فلان إلى آخر ما قالوه . والآية ليست نصاً في مجمله فكيف بتفصيله ؛ والظاهر مما قدمنا : (يقصد عبارة التوراة التي ذكرها) أن ذلك العمل كان وسيلة عندهم للفصل في الدماء عندالتنازع في القاتل ، إذا وجد القاتل قرب بلد ، ولم يعرف قاتله ؛ ليعرف الجاني من غيره فمن غسل يده وفعل مارسم لذلك في الشريعة برىء من الدم ، ومن لم يفعل ثبتت عليه الجناية ، ومعنى إحياء الموتى على هذا حفظ الدماء التي كانت عرضة لأن تسفك بسبب الخلاف في قتل تلك النفس ، أي يحياها بمثل هذه الأحكام وهذا الإحياء على حد قوله تعالى : (ومن أحيها فكأنما أحيانا الناس جميعاً) . وقوله : (ولكم في القصص حياة) فالإحياء هنا معناه الاستبقاء كما هو المعنى في الآيتين . ثم قال (ويريككم آياته) بما يفصل بها في الخصومات ، ويزيل

من أسباب الفتن والعداوات فهو كقوله : (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ^(١)) .

وأكثر ما يستعمل مثل هذا التفسير في آيات الله في خلقه الدالة على صدق رسله ^(٢)) .

ونحن - والحق يقال - في حيرة شديدة من تصرف الأستاذ رشيد ، ذلك أنه اعتبر ما جاء في التوراة ثابتاً صحيحاً معتمداً يجوز صرف القرآن عن ظاهره وتأويله على مقتضاه ؛ مع الإعراض عما أجمع عليه المفسرون !

فقد نقل ابن جرير الطبري التفسير المشهور لهذه القصة بأسانيده عن أرباب التأويل ومنهم حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنها ، وذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري « ٧ : ٢٥١ » أن قصة البقرة أوردها آدم ابن أبي إياس في تفسيره قال : حدثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى : (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) قال : كان رجل من بني إسرائيل غنياً ، ولم يكن له ولد ، وكان له قريب وارث ، فقتله ليورثه ، ثم ألقاه على مجمع الطريق ، وأتى موسى فقال : إن قريبي قتل وأتى إليّ أمر عظيم ، وإني لا أجد أحداً يبين لي قاتله غيرك يا نبي الله ، فنأدى موسى في الناس : من كان عنده علم من هذا فليبينه ، فلم يكن عندهم علم ، فأوحى الله إليه قل لهم : فليذبحوا بقرة فعجبوا وقالوا : كيف نطلب معرفة من قتل هذا القتل فنؤمر بذبح بقرة ؟ وكان ما قصه الله تعالى : (قال : إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر) يعني لا هرمة ولا صغيرة (عوان بين ذلك) أي نصف بين البكر والهرمة (قالوا ادع لنا ربك يبين ما هي . . . الآية) (قال : إنه يقول : إنها بقرة لا ذلول) أي لم يذلها العمل (تثير الأرض) يعني ليست بذلول فتثير الأرض (ولا تسقي

(١) الآية ١٠٥ من سورة النساء .

(٢) تفسير المنار « ١ : ٣٤٣ - ٣٥١ » .

الحِث (يقول : ولا تعمل في الحِث (مُسَلِّمَة) أي من العيوب (لأشياء فيها) أي لا بياض ، (قالوا الآن جئت بالحق) قال : ولو أن القوم حين أمروا بذبح بقرة اشتروا أي بقرة كانت لأجزاء عنهم ؛ ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم ، ولولا أنهم استثنوا ، فقالوا : (وإنا إن شاء الله لمهتدون) لما اهتمدوا إليها أبداً ، فبلغنا أنهم لم يجدوها إلا عند عجوز ، فأغلت عليهم في الثمن ، فقال لهم موسى : أنتم شددتم على أنفسكم ، فأعطوها ما سألت ، فذبحوها وأخذوا عظماً منها ، فضربوا به القتييل ، فعاش فسمي لهم قاتله ، ثم مات مكانه ، فأخذ قاتله وهو قريبه الذي كان يريد أن يرثه ، فقتله الله على أسوأ عمله . ثم قال الحافظ ابن حجر : وأخرج ابن جرير هذه القصة مطولة من طريق العوفي ، عن ابن عباس ، ومن طريق الشَّذِّي ، كذلك وأخرجها هو وابن أبي حاتم ، وعبد بن حميد بإسناد صحيح عن محمد بن سيرين عن عبيدة بن عمرو السلمي أحد كبار التابعين (١) .

ونقول أخيراً للسيد رشيد :

إن مبالغته في تحكيم العقل جعله يستبعد حصول مثل هذه المعجزة لسيدنا موسى عليه السلام ؛ فمن ثمَّ أول الآية لصالح التوراة ! ولا أدري كيف خفي عليه - وهو المدافع عن الإسلام - أنه يوجد في هذا الزمن نوع من الإلحاد خفي المآل ، وهو تأويل كل آية أو حديث صحيح يدل على معجزة رسول من الرسل ، حتى يكون مفادها أمراً غير خارق للعادة . وهذا النوع أخطر أنواع الإلحاد ؛ لأنه سبيل إلى إنكار الأديان السماوية ، وإلى هدمها من أساسها ، لأن أساس إثباتها المعجزات التي أجزاها الله تعالى على أيدي الرسل عليهم الصلاة والسلام .

ويعجبني ما قاله الشيخ محمود شلتوت رحمه الله في كتابه تفسير القرآن الكريم رداً على الشيخ رشيد رضا وأستاذه الامام : (. . هذا ضيعها ؛ وبذلك يتبين أنها توافقاً على أن الآيات مسوقة لبيان حكم تشريعي لا لبيان حادث

(١) فتح الباري « ٢٥١:٧ » .

تاريخي ، ولكننا إذا نظرنا إلى النص في هذه الآيات وما ذيل الكلام به من قوله تعالى : (فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريككم آياته لعلكم تعقلون . ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة (١)) .

وجدنا هذا النص إن لم يمنع من الحمل على إرادة الحكم التشريعي ، فلا أقل من أن يبعده إبعاداً ، وذلك بأن كلمة (اضربوه) واضحة في أن يضرب المقتول ببعض البقرة المذبوحة ، وليس في الكلام إشارة تتعلق بالقاتل الخفي ولا إشارة إلى غسل أيدي أهل الحي من دماء البقرة ، وقوله تعالى : (كذلك يحيي الله الموتى) يدل على أن الإحياء المشبه به - وهو الإحياء في هذا المقام - إحياء حقيقي بعدموت تسلب فيه الروح ، وليس إحياءً حكماً يحصل بمعرفة القاتل والاقتصاص منه حتى يكون بمثابة : (ولكم في القصاص حياة) كما يريد الشيخان . ولو كان الأمر كما يقرران لما صح تقرير إحياء الموتى للبعث والجزاء ، بهذا النوع من الإحياء الحكمي المجازي ، ولو أن قائلًا قال : إن الله يحيي النفوس الجاهلة بالعلم وكذلك يحيي الموتى من قبورهم ؛ لما كان مثل هذا التشبيه والقياس سائغاً ، وإن قوله تعالى : (ويريككم آياته) لو اوضح في الإراءة البصرية للآيات الكونية ، لا في الإراءة العقلية للأحكام الشرعية ، حتى يكون من قبيل (لتحكم بين الناس بما أراك الله) وإن قوله بعد ذلك : (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) ليدل على أنهم رأوا حالة مادية من شأنها أن تؤثر في النفوس ومن شأن القلوب أن ترق لها ، وأن تتجرد من القسوة والعناد عنها ، ومع ذلك لقد قسوا واشتدت قسوتهم ، وكانت قلوبهم كالحجارة أو أشد ، وكل هذا لا يتفق وما يريد الشيخان من حمل الآية على المعنى التشريعي ، فهذا الحمل تأويل منها ؛ لكنه تأويل لا تساعد عليه اللغة وما هو المعهود من كلام العرب (٢) .

(١) الآيتان ٧٣ - ٧٤ من سورة البقرة .

(٢) تفسير القرآن الكريم للشيخ محمود شلتوت رحمه الله « ص ٤٤ - ٤٥ » .

الباب الرابع

الفصل الأول

موازنة بين الاسرائيليات في كتب التفسير وبين مصائد رها في أسفار أهل الكتاب

يجدر بنا بعد أن أوردنا نماذج من الاسرائيليات في كتب التفسير أن نعقد موازنة بينها وبين ما وقع تحت أيدينا من أسفار أهل الكتاب ؛ ليتبين لنا مصدرها فلا نغتر بها وإن ذكرت في كتب التفسير المعتمدة .

١ - ففي قصة داود مع زوجة أوريا : جاء في الإصحاحين الحادي عشر والثاني عشر من سفر صموئيل الثاني : (وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك ، فرأى من على السطح امرأة تستحم ، وكانت المرأة جميلة المنظر جداً ، فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد : أليست هذه « بثشبع بنت أليعام امرأة أوريا الحي » فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمئها ، ثم رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة ، فأرسلت وأخبرت داود وقالت : إني حبلت ، فأرسل داود إلى يوثاب يقول : أرسل إلى أوريا الحي ، فأرسل يوثاب أوريا إلى داود ، فأتى أوريا إليه ، فسأل

داود عن سلامة يؤاب وسلامة الشعب ونجاح الحرب ، وقال داود لأوريا : انزل إلى بيتك واغسل رجلك ، فخرج أوريا من بيت الملك وفام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل إلى بيته ، فأخبروا داود قائلين : لم ينزل أوريا إلى بيته ، فقال داود لأوريا : لماذا لم تنزل إلى بيتك ؟ فقال أوريا لداود : إن التابوت وإسرائيل وههنا ساكنون في الحيام ، وسيدي يؤاب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء ، وأنا آتي إلى بيتي لأكل وأشرب وأضطجع مع امرأتي ؟ وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر ، فقال داود لأوريا : أقم هنا اليوم أيضاً وغداً أتركك ، فأقام أوريا في أورشليم ذلك اليوم وغده ، ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكره ، وخرج عند المساء ليضطجع في مضجعه مع عبيد سيده وإلى بيته لم ينزل ، وفي الصباح كتب داود مكتوباً إلى يؤاب وأرسله بيد أوريا وكتب في المكتوب يقول : اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت . وكان يؤاب يحاصر المدينة فجعل أوريا في الموقع الذي علم أن رجال البأس فيه ، فخرج رجال المدينة وحاربوا يؤاب ، وسقط بعض الشعب من عبيد داود ، ومات أوريا الحثي أيضاً ، فلما سمعت امرأة أوريا أنه مات أوريا رجليها ، ندبت بعلمها ، ولما مضت المناحة أرسل داود وضماً إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابناً .

ويختتم الإصحاح بقوله: (وأما الأمر الذي فعله داود فقبح في عيني الرب^(١)).

(١) هنالك نصوص أخرى في التوراة تناقض ما جاء في هذه القصة ، فمثلاً جاء في سفر صموئيل الثاني في الإصحاح الثاني والعشرين على لسان داود قوله : « يكافئني الرب حسب بري ، حسب طهارة يدي ، يرد علي لأني حفظت طرق الرب ولم أعص إلهي لأن جميع أحكامه أمامي ، فرائضه لا أحيد عنها) . وهذا السفر يقول عنه اليهود إنه كتب بالهام وهو واجب التسليم وكل ما فيه صدق عندم ومحال أن يكون الزنا من البر وإتباع وصايا الله والمحافظة على شريعته . ووردت نصوص أخرى في هذا المعنى في الإصحاح الثالث من الملوك الأول وفي الإصحاح السادس من أخبار الأيام الثاني .

وقد نقل مقاتل بن سليمان وغيره من المفسرين هذه الفرية على سيدنا داود عليه السلام من كتب أهل الكتاب فقال : (مكث داود عليه السلام ما شاء الله عز وجل يصوم نصف الدهر ويقوم نصف الليل ، إذ صلى في الحراب فجاء طير حسن ملون فوق إليه ، فتناوله فصار إلى الكوة ، فقام ليأخذه فوق الطير في بستان فأشرف داود فرأى امرأة تغتسل ، فتعجب من حسنها ، وأبصرت المرأة ظله فنفضت شعرها فغطت جسمها فزاده ذلك بها عجباً ودخلت المرأة منزلها ، وبعث داود غلاماً في أثرها ، فإذا بتسامع امرأة أوريا بن حنان ، وزوجها في الغزو في بعث اللقاء الذي بالشام مع ثواب بن سوريا ابن أخت داود عليه السلام ، فكتب داود عليه السلام إلى ابن أخته بعزيمة ، أن يقدم أوريا فيقاتل أهل اللقاء ولا يرجع حتى يفتحها أو يقتل ، فقدمه فقتل رحمه الله . فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود فولدت له سليمان بن داود (١) أ هـ .

وأظنك ترى الشبه واضحاً بين ما ورد في كتب العهد القديم في سفر صموئيل وما ورد في تفسير مقاتل ، فليس هنالك اختلاف بين القصتين سوى أن سفر صموئيل اتهم داود بالزنا مع امرأة أوريا ، وأن مقاتلاً جعله يحتال على قتل زوجها ليظفر بها . وكلاهما افتراء على نبي من أنبياء الله الذين وصتهم كتب اليهود بالنقائص واتهمهم بالزنى وشرب الخمر وارتكاب الكبائر .

ويمكن إرجاع هذا الاختلاف في هذه القصة وفي غيرها بما سنعرض له إلى أمور منها :

أ - تعدد ترجمة التوراة على مر العصور ، فمثلاً نجد ابن قتيبة في كتابه « المعارف » يقارن بين ما يرويه وهب بن منبه من التوراة وبين التوراة المترجمة الموجودة بين يديه ويبين أحياناً ما بينها من خلاف (٢) .

(١) تفسير مقاتل « ٣ : ١٢٦٦ - ١٢٦٨ » .

(٢) انظر المعارف لابن قتيبة « ص ٩ - ١٠ - ١٢ - ١٥ - ١٦ » .

وقد لمسنا مثل هذا الاختلاف عندما قارنا بين ما نقله ابن إسحق من نصوص التوراة ، وبين ما يقابلها من نصوص التوراة المتداولة اليوم ^(١) .

ب - ومنها أن هذه الإسرائيليات المبثوثة في كتب التفسير ليس مصدرها التوراة فقط ؛ بل إن كثيراً منها روي ونقل عن شروح التوراة وغيرها من كتب اليهود .

ج - ومنها تصرف رواة الإسرائيليات من المسلمين فيها : إما بتلطيف بعض عباراتها ، وتغيير ما جاء فيها بما يتنافى مع الأصول الشرعية ، فمثلاً قصة أوريا اتهم سفر صموئيل داود فيها بالزنا ؛ بينما جاءت هذه القصة في بعض كتب التفسير ملطفة ، فصاحب الكشف يقول فيها : كان أهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبه ، وكانت لهم عادة في المواساة بذلك قد اعتادوها ، وقد روي أن الأنصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك ، فاتفق أن عين داود وقعت على امرأة رجل يقال له أوريا فأحبها ، فسأله النزول عنها ، فاستحيا أن يرده فتزوجها وهي أم سليمان وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فأثره أهلها . . . الخ ^(٢) .

فأنت ترى أن الزمخشري يرتضي قصة النزول عن الزوجة ، وقصة الخطبة على الخطبة ، ولا يرى ذلك إخلالاً بعصمة داود ولا مساساً بمقام النبوة ، ويستشهد على ذلك بما كان من تنازل الأنصار للمهاجرين عن أزواجهم في مبدأ الهجرة ، ويرى أن الآية تدل على ذلك ^(٣) ، وقد سبق أن عقبنا على هذا التكلف من الكشف بما يناسبه .

(١) انظر تفسير الطبري « ١٠ : ١٨٢ - ١٨٣ » وقارن بسفر العدد الإصحاح الرابع عشر .

(٢) الكشف « ٢٧٩ : ٢ - ٢٨٠ » .

(٣) التفسير والمفسرون « ١ : ٤٨٠ » .

ولما أن يأتي الاختلاف في الروايات الإسرائيلية من تزييدات القصص ،
ومجيئهم بالغرائب ، وإكثارهم من الرقائق بقصد استئالة وجوه العامة استدرازا
لما في أيديهم . ومن ذلك ما رواه ابن جرير عن السدي وغيره في صفة الجبارين .
فقد ذكر أن أحدهم أخذ اثني عشر من بني إسرائيل ، فجعلهم في حجزته - موضع
الإزار - وكان يدخل في كم الواحد منهم اثنان . وذكر في صفة فاكهتهم : أن
عنقود العنب الواحد لا يستطيع حمله أقل من خمسة أنفس ، وأن الرمانة كانت
من سعة الحجم بحيث يستطيع خمسة أنفس أو أربعة أن يدخلوا في شطرها إذا
نزع حبها^(١) .

وقد جاء في الإصحاح الثالث عشر من سفر العدد صفة هؤلاء الجبارين ،
وصفة فاكهتهم ولكن بدون هذه المبالغة ، فقد جاء في السفر المذكور ما نصه :
(وقد رأينا هناك الجابرة - بني عناق - فكنا في أعينهم كالجراد ... إلى أن
قال : وأتوا - أي النقباء الاثنا عشر الذين أرسلهم موسى إلى أرض الجابرة
ليتحسسوا أخبارهم - إلى وادي أشكول وقطفوا من هناك زرجونة^(٢) بعنقود
واحد من العنب وحملوه بالدقترانة^(٣) بين اثنين مع شيء من الرمان والتين ..
وبمقارنة النصين يتبين كيف كان يبالغ هؤلاء القصص .

٢ - وفي قصة ابتلاء الله لأيوب عليه السلام : جاء في الإصحاح الثاني
من سفر أيوب ما نصه : وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب ، وجاء
الشیطان أيضاً في وسطهم ليمثل أمام الرب . فقال الرب للشیطان : هل جعلت
قلبك على عبدي أيوب ، لأنه ليس مثله في الأرض رجل كامل ومستقيم ، ويتقي الله
ويجيد عن الشر ، وإلى الآن هو متمسك بكرمه . ها هو في يدك ولكن احفظ

(١) جامع البيان « ١١٠ : ١١١ - ١١٧ » .

(٢) الزرجونة : القضيب من شجر الكرم .

(٣) الدقترانة : خشبة يعرش بها الكرم .

نفسه . فخرج الشيطان من حضرة الرب وضرب أيوب بقروح رديء من قدميه إلى هامته ، فأخذ لنفسه شقفة^(١) ليحتك بها وهو جالس في وسط الرماد ... الخ .

وقد أورد السيوطي في تفسيره الدر المنثور رواية في تصوير ضر أيوب مقاربة لما ورد في سفر أيوب فقال : (إن الشيطان عرج إلى السماء ، قال : يارب سلطني على أيوب عليه السلام ، قال الله : قد سلطتك على ماله وولده ولم أسلطك على جسده .. ثم خرج - أي الشيطان - إلى السماء فقال : أي رب إنه قد اعتصم ، فسلطني عليه ، فإني لا أستطيعه إلا بسلطانك . قال : قد سلطتك على جسده ولم أسلطك على قلبه ، فنزل فنفتح تحت قدمه نفخة قروح ما بين قدميه إلى قرنيه ، فصار قرحة واحدة ، وألقي على الرماد حتى بدا حجاب قلبه ...^(٢)) .

وروى ابن جرير عن وهب بن منبه ، قال : (.. فوجد - أي إبليس - لعنه الله - أيوب ساجداً .. فأناه من قبل الأرض في موضع وجهه ، فنفتح في منخره نفخة اشتعل منها جسده ، فترهل ، ونبتت ثآليل مثل أليات الغنم . ووقعت فيه حكة لا يملكها ، فحك بأظافره حتى سقطت كلها ، ثم حك بالعظام ، وحك بالحجارة الحشنة وبقطع المسوح الحشنة ، فلم يزل يحكه حتى نفذ لحمه وتقطع ، ولما نغل جلد أيوب وتغير وأنتن أخرجه أهل القرية فجعلوه على تل - وقيل على مزبلة - وجعلوا له عريشاً ورفضه خلق الله غير امرأته .. الخ^(٣)) . ويلاحظ أن الروایتين قد اتفقتا فيما أصاب أيوب عليه السلام من مرض منفر يخل بعصمة الأنبياء ، وزادت روايات التفسير على رواية التوراة في مبالغتها في تصوير ضر أيوب .

(١) شقفة : فخارة .

(٢) الدر المنثور « ٣١٥:٥ » . وجاء في دائرة المعارف الإسلامية ٣م تحت مادة أيوب : (وحكى كتاب المسلمين عن أيوب حكايات كثيرة أخذوا مادتها من سفر أيوب ، ومن تفسير اليهود للتوراة المسمى (هجاده) ووصف كعب الأخبار حتى شكل أيوب .

(٣) تفسير الطبري « ٤٥:١٧ » .

٣ - وفي صفة آدم وعوج بن عنق ذكر في التلمود بعض المبالغات المكذوبة والخرافات، فعن آدم ذكر أنه كان طويلاً جداً فكانت رجلاه في الأرض ورأسه في السماء^(١) ، وعن عوج بن عنق ذكر أنه نجا من الطوفان لأنه سار بجانب سفينة نوح . وكان يتغذى كل يوم بالفي ثور ومثلها من الطيور ، ويشرب ألف صاع من الماء تقريباً .

ومن أخباره أنه لما اقترب من عاصمة جيش بني إسرائيل الجرار ، اقتلع جبلاً مساحته ثلاثة فراعص ، وحمله على رأسه ، وذهب لمقابلة الجيش ، فسلط الله على الجبل نملًا كانت تقرضه بأسنانها ؛ حتى حفر فيه حفراً موصلاً لرأس الملك ، فسقط الجبل حول عنقه على هيئة طوق ، فانتهر موسى الفرصة وحضر ومعه بلطة طولها عشرة أذرع ، وقفز في الهواء بعلو عشرة أذرع ، وضرب رأس الملك ، ففضى عليه الخ^(٢) .

وقد ذكر مثل هذه الأقوال بعض المفسرين ، فقد ذكر الثعلبي أن آدم لما أهبطه الله إلى الأرض ، كادت رأسه تمس السماء لطوله حتى صلح ... الخ^(٣) .

وذكر القرطبي : أن عوج بن عنق نجا من الغرق لأن طوفان نوح عليه السلام لم يجاوز ركبته .. وأنه قلع صخرة على قدر عسكر موسى ليرضخهم بها ، فبعث الله طائراً فنقرها ، ووقعت في عنقه فصرعته . وأقبل موسى عليه السلام وطوله عشرة أذرع وعصاه عشرة أذرع ، وترقى في السماء عشرة أذرع فما أصاب إلا كعبه وهو مصروع ، فقتله^(٤) .

(١) من التلمود « ص ٣٥ » .

(٢) المرجع السابق « ص ٣٦ » .

(٣) تفسير الثعلبي « ١ ورقة ١٠٦ » .

(٤) تفسير القرطبي « ١٦ : ١٢٦ - ١٢٧ » .

وقد اتفقت رواية القرطبي مع رواية التوراة في بيان كيفية مصرع عوج على يد موسى عليه السلام ، وزادت رواية التلمود بمبالغتها في صفة آدم وعوج .

٥ - وفي قصة سفينة نوح جاء في سفر التكوين ذكر حجم السفينة ، ومن ركب فيها ، وكيفية جريانها بعد حدوث الطوفان ، فقال السفر مانصه : (اصنع لنفسك فلكاً من خشب جُفْرٍ ^(١) نجعل الفلك مساكناً ، وتطليه من داخل وخارج بالقار ، وهكذا تصنعه ثلاثمائة ذراع يكون طول الفلك ، وخمسين ذراعاً عرضه ، وثلاثين ذراعاً ارتفاعه ، وتصنع كوى للفلك ، وتصنع باب الفلك ؛ في جانبه مساكناً سفلية ، ومتوسطة ، وعلوية ، تجعله ففعل نوح حسب كل ما أمره به الله ^(٢)) ثم قال : (وكان المطر على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة ، في ذلك اليوم عينه دخل نوح وسام وحام ويافث بنو نوح وامرأة نوح وثلاث نساء بنيه معهم إلى الفلك ... وتعاضمت المياه كثيراً جداً على الأرض فتغطت جميع الجبال الشاخحة التي تحت كل السماء خمس عشرة ذراعاً في الارتفاع ^(٣)) .

وقد روى مثل هذا القول الثعلبي في تفسيره ، فذكر نوع خشب السفينة ومقدار طولها وعرضها وارتفاعها قال : (كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع ، وعرضها ستمائة ذراع ، وكانت ثلاث طبقات : طبقة فيها الدواب والوحوش ، وطبقة فيها الطير ، وطبقة فيها الانس ^(٤)) ثم روى عن قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب عدد من ركب في السفينة فقال : (لم يكن في السفينة إلا نوح وامرأته وثلاثة أولاد له : سام ويافث وحام ونساؤهم ، فجميع من كان في السفينة ثمانية ^(٥)) .

ونلاحظ أن هذه الرواية مع مطابقتها لنص سفر التكوين إلا أن قوله

(١) هو خشب الساج « نوع من أنواع الخشب » .

(٢) ، (٣) سفر التكوين الاصحاح السادس وما بعده .

(٤) ، (٥) تفسير الثعلبي « ٤ : ورقة ٥ - ٧ » .

تعالى : (ونجني ومن معي من المؤمنين) يدل على أن من ركب معه غير أهله طائفة
من آمن به .

وكذلك روى مثل ذلك القرطبي في تفسيره وزاد على الثعلبي بيان مقدار
ارتفاع الماء عند الطوفان ، فقال : (وجاء في التفسير أن الماء جاوز كل شيء بخمسة
عشر ذراعاً ^(١) ، وهذا موافق لنص التوراة .

ثم نقل الثعلبي عن التوراة فقال : (ويزعم أهل التوراة أن الله أمره أن
يضع الفلك من خشب الساج وأن يصنعه أزور ^(٢) ، وأن يطليه بالقار من داخله
وخارجه ، وأن يجعله كهيئة الديك ، وأن يجعل طوله ثمانين ذراعاً ، وعرضه
خمسین ذراعاً ، وبابه في عرضه ، وطوله في السماء ثلاثين ذراعاً ، والذراع إلى
المنكب ، وأن يجعله ثلاث طبقات : سفلى ووسطى وعليا ، وأن يجعل فيها كوى ،
ففعل نوح كما أمره الله ^(٣) .

ويلاحظ أن مانقله الثعلبي من التوراة مخالف لما نقلناه منها ؛ وهذا يدل على
مانبها إليه من قبل من أن التوراة تختلف من عصر إلى عصر بفعل الترجمة وغيرها .

هـ - وفي قصة خلق آدم وزوجه وخروجها من الجنة ، جاء في سفر
التكوين في الإصحاحين الثاني والثالث ما نصه : (وجبل الرب الإله آدم تراباً من
الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية ، وغرس الرب الإله جنة في
عدن شرقاً ، ووضع هناك آدم الذي جبله ، وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة
شبيهة للنظر ، وجيدة للأكل ، وشجرة الحياة في وسط الجنة ، وشجرة معرفة الخير
والشر ... وأخذ الرب الإله آدم ووضع في جنة عدن ... وأوصى الرب الإله
آدم قائلاً : من جميع شجر الجنة أكلًا تأكل ، وأما شجرة معرفة الخير والشر

(١) تفسير القرطبي « ٩ : ٣٨ » وانظر « ٩ : ٣١ - ٣٧ » .

(٢) أزور : له زور كزور الطير . والزور الصدر .

(٣) تفسير الثعلبي « ٤ : ورقة ٦ »

فلا تأكل منها ، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت ، وقال الرب الإله ليس جيداً أن يكون آدم وحده؛ فأصنع له معيناً نظيره .. فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام ، فأخذ واحدة من أضلاعه وملاً مكانها لحماً .. وبني الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة ، وأحضرها إلى آدم ، فقال آدم : هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي ، هذه تدعى امرأة لأنها من امرئ أخذت . وكانت الحية أحيل حيوانات البرية التي عملها الرب الإله ، فقالت للمرأة : أحقاً قال الله لا تأكل من كل شجر الجنة ؟ فقالت المرأة للحية : من ثم شجر الجنة نأكل ، وأما ثم الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكل منه ولا تمساه لئلا تموتا ، فقالت الحية للمرأة : لن تموتا ، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تتفتح أعينكما ، وتكونان كالله عارفين الخير والشر . فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل ، وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر ، فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً منها فأكل ؛ فانفتحت أعينها وعلم أنها عريانة فخطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر ، وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة فاخبتا آدم وامراته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة ، فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت ؟ فقال : سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاخبت ، فقال من أعلمك أنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك ألا تأكل منها ؟ فقال آدم : المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت ، فقال الرب الإله للمرأة : ما هذا الذي فعلت ؟ فقالت المرأة : الحية أغوتني فأكلت ، فقال الرب الإله للحية : لأنك فعلت هذا ملعونة من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية ، على بطنك تسعين ، وتراباً تأكلين كل أيام حياتك ، وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها ، هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه . وقال : للمرأة تكثيراً أكثر أتعاب حياتك ، بالوجع تلدين أولاداً .. وقال لآدم لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً لا تأكل منها ؛ ملعونة الأرض بسببك ، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك ، وشوكاً وحسكاً تنبت لك وتاكل عشب الحقل ... الخ) .

ونقرأ في تفسير الطبري ، فنراه يروي لنا عن وهب بن منبه وابن إسحاق وغيرهما بعض ماورد في سفر التكوين ، فيقول : (فبعث ملك الموت .. فأخذ من وجه الأرض وخلط ، فلم يأخذ من مكان واحد ، وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء ؛ فلذلك خرج بنو آدم مختلفين ٠٠٠ إلى أن قال : ثم ألقى السنة على آدم — فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة — ثم أخذ ضلعاً من أضلاعه من شقه الأيسر ولأم مكانه لحماً ، وآدم نائم لم يهب من نومته ، حتى خلق الله من ضلعه تلك زوجته حواء ، فسواها امرأة ليسكن إليها . فلما كشف عنه السنة وهب من نومه ، رآها إلى جنبه فقال — فيما يزعمون والله أعلم — لمحي ودمي وزوجتي فسكن إليها ^(١) . وعن وهب بن منبه قال : (لما أسكن الله آدم وذريته ونهاه عن الشجرة ، وكانت غصونها متشعب بعضها في بعض وكان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم ، وهي الثمرة التي نهى الله آدم عنها وزوجته ، فلما أراد إبليس أن يستزلها ، دخل في جوف الحية ، وكانت للحية أربع قوائم كأنها بختية ، من أحسن دابة خلقها الله — فلما دخلت الحية الجنة ، خرج من جوفها إبليس ، فأخذ من الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته ، فجاء بها إلى حواء ، فقال : انظري إلى هذه الشجرة ما أطيب ويحيا ، وأطيب طعمها ، وأحسن لونها . فأخذت حواء فأكلت منها ثم ذهبت إلى آدم ، فأكل منها فبدت لهما سوءاتهما ، فدخل آدم في جوف الشجرة ، فناداه ربه : يا آدم أين أنت ؟ قال : أنا هنا يارب ، قال : ألا تخرج ؟ قال : أستحي منك يارب ، قال : ملعونة الأرض التي خلقت منها لعنة تتحول ثمرها شوكة .. ثم قال : يا حواء أنت التي غورت عبيدي فإنك لا تحملي حملًا إلا حملته كرهاً ، فإذا أردت أن تضعي ما في بطنك أشرفت على الموت مراراً . وقال للحية : أنت التي دخل الملعون في جوفك حتى غر عبيدي ، ملعونة أنت لعنة تتحول قوائمك في بطنك ، ولا يكون لك رزق إلا التراب . أنت عدوة بني آدم وهم أعداؤك ، حيث لقيت أحداً منهم أخذت بعقبه ، وحيث لقيك شدخ رأسك ^(٢)) .

(١) تفسير الطبري « ١ : ٤٥٩ ، ٤٥١ » .

(٢) تفسير الطبري « ١ : ٥٢٥ - ٥٢٦ » .

ويلاحظ أن رواية الطبري وافقت نص التوراة في كيفية خلق حواء وتعها بنسلها وعداوة الحية لنسل آدم . . النخ وخالفته بزيادة أن إبليس دخل الجنة بواسطة الحية لإغواء حواء ؛ بينما جعلت التوراة الحية هي التي أغوت حواء . وقد ورد عن النصارى ما يوافق رواية الطبري : أي أن إبليس دخل في الحية وتوسل بها إلى إغواء حواء ^(١) . كما يلاحظ في نص التوراة أيضاً أن الذي دل حواء على الأكل من الشجرة هي الحية ، وليس فيها ذكر لإبليس . قال الحافظ ابن كثير معقّباً على ذلك : (وهذا الذي في التوراة التي بأيديهم غلط منهم وتحريف وخطأ في التعريب ، فإن نقل الكلام من لغة إلى لغة لا يكاد يتيسر لكل أحد ؛ ولا سيما ممن لا يعرف كلام العرب جيداً ، ولا يحيط علماً بفهم كتابه أيضاً ، فلهذا وقع في تعريبهم لها خطأ كثير لفظاً ومعنى ^(٢)) .

٦ - وفي قصة الذبيح يذكر لنا الإصحاح الثاني والعشرون من سفر التكوين أنه كان إسحق لا إسماعيل ، فيقول ما نصه : (. . وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم ، فقال له يا إبراهيم . قال ها أنذا ، فقال : خذ ابنك وحيدك الذي تحبه « إسحق » . . إلخ) .

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن الذبيح هو إسحاق ، فقد روى القرطبي في تفسيره عن سعيد بن جبير ، قال : (أرى إبراهيم ذبح إسحق في المنام ، فسار به مسيرة شهر في غداة واحدة حتى أتى به المنحر من منى . فلما صرف الله عنه الذبيح وأمره أن يذبح الكبش ، فذبحه وسار به مسيرة شهر في روحة واحدة طويت له الأودية والجبال ^(٣)) .

قال الحافظ ابن كثير معقّباً : (الظاهر من القرآن بل كأنه نص على أن

(١) تفسير المنار « ٨ : ٣٥٦ » .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير « ١ : ٧٨ » .

(٣) تفسير القرطبي « ١٥ : ١٠٠ » .

الذبيح هو إسماعيل ؛ لأنه ذكر قصة الذبيح ، ثم قال بعده : «وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ^(١)» ومن جعله حالاً فقد تكلف . ومستنده أنه إسحق وإنما هو من الإسرائيليات وكتابهم فيه تحريف ، ولا سيما هنا قطعاً لا محيد عنه . فإن عندهم أن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه «وحيدة» وفي نسخة من المعربة «بكره» إسحاق . فلفظة إسحاق هنا مقحمة مكذوبة مفتراة ؛ لأنه ليس هو الوحيد ولا البكر ؛ ذاك إسماعيل . وإنما حملهم على هذا حسد العرب ، فإن إسماعيل أبو العرب الذين يسكنون الحجاز الذين منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإسحاق والد يعقوب وهو إسرائيل الذين ينتسبون إليه ، فأرادوا أن يحجروا هذا الشرف إليهم ، فصرخوا كلام الله ، وزادوا فيه وهم قوم بُهت . ولم يقرؤا بأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء . ومن قال بأنه إسحاق طائفة كثيرة من السلف وغيرهم ، وإنما أخذوه - والله أعلم - من كعب الأخبار أو صحف أهل الكتاب ، وليس في ذلك حديث صحيح عن المعصوم حتى نترك لأجله ظاهر الكتاب العزيز ، ولا يفهم هذا من القرآن بل المفهوم ، بل المنطوق ، بل النص على التأمل ، على أنه إسماعيل . وما أحسن ما استدل محمد بن كعب القرظي على أنه إسماعيل وليس بإسحاق من قوله : « فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب » قال : فكيف تقع البشارة بإسحاق وأنه سيولد له يعقوب ، ثم يؤمر بذبح إسحاق وهو صغير قبل أن يولد له . هذا لا يكون لأنه يناقض البشارة المتقدمة والله أعلم ^(٢) .

٧ - وفي خرافة مصارعة يعقوب للاله ، نصت التوراة على أن يعقوب التقى في بعض أسفاره بالرب في الطريق فتصارعا إلى الصباح ، وكاد يعقوب يغلبه ، ولكن اعتراه عرق النسا ، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حوقاً فخذه ، فالتخلع حق فخذه يعقوب في مصارعته معه وقال : (أطلقني لأنه قد طلع الفجر ، فقال : لا أطلقك إن لم تباركني فقال له : ما اسمك ؟ فقال : يعقوب ، فقال ، لا يدعى

(١) الآية ١١٢ من سورة الصافات .

(٢) البداية والنهاية « ١ : ١٥٩ » .

اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل ، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت .
وسأل يعقوب وقال : أخبرني باسمك . فقال : لماذا تسأل عن اسمي ؟ وباركه
هناك فدعا يعقوب اسم المكان فيثئيل قائلاً : لأنني نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت
نفسي وأشرقت له الشمس إذ عبر فتوئيل وهو يجمع على فخذة ، لذلك لا يأكل
بنو إسرائيل عرق النساء على حق الفخذ إلى هذا اليوم ، لأنه ضرب حق فخذ يعقوب
على عرق النساء ^(١) أهـ .

وقد روى السيوطي في الدر المنثور عدة روايات مستقاة من الاسرائيليات
فقال : (وأخرج عبد بن حميد عن أبي مجاز في قوله : « إلا ما حرم إسرائيل على نفسه »
قال : إن إسرائيل هو يعقوب ، وكان رجلاً بطيشاً ، فلقني ملكاً فعالجه ،
فصرعه الملك ، ثم ضرب على فخذة فلما رأى يعقوب ما صنع به ، بطش به ،
فقال : ما أنا بتاركك حتى تسميني اسماً ، فسماه إسرائيل ، فلم يزل يوجعه ذلك
العرق حتى حرمه من كل دابة ^(٢)) . .

وقد عقب الأستاذ الشيخ محمد عبده بقوله : (أما قول الجلال وغيره : إن
يعقوب كان به عرق النساء فنذر إن شفي لا يأكل لحم الإبل ؛ فهو دسيسة من اليهود ،
وقيل إنه نذر أنه لا يأكل هذا العرق) ، ثم أورد نص عبارة التوراة السابقة .

وقال صاحب المنار معلقاً : (وكل ذلك من الإسرائيليات وصحة السند في
بعضها عن ابن عباس أو غيره - كما زعم الحاكم - لا يمنع أن يكون مصدرها
إسرائيلياً . والأقرب ما قاله الأستاذ الإمام ، لأنه هو الذي تقوم به الحجة لاسيما
عند المطلع على التوراة . ولو أريد بإسرائيل يعقوب نفسه ، لما كان هناك حاجة
إلى قوله : (من قبل أن تنزل التوراة) لأن زمن يعقوب سابق على نزول التوراة
سبقاً لا يشبه فيه ، فيحتس منه . . والمتبادر عندي : أن المراد بما حرمه إسرائيل

(١) سفر التكوين الاصحاح الثاني والثلاثون .

(٢) الدر المنثور « ٢ : ١٥٢ »

على نفسه ما امتنعوا عن أكله ، وحرموه على أنفسهم بحكم العادة والتقليد ؛ لا بحكم من الله كما يعهد مثل ذلك في جميع الأمم . ومنه تحريم العرب للبحائر والسوائب وغير ذلك مما حكاه القرآن عنهم في سورتي المائدة والأنعام ^(١) .

٨ - وفي العهد الجديد يقول يوحنا اللاهوتي في الاصحاح الرابع من رؤياه : (... وحول العرش أربعة حيوانات ... والحيوان الأول شبه أسد ، والحيوان الثاني شبه عجل ، والحيوان الثالث له وجه مثل وجه الإنسان ، والحيوان الرابع شبه نسر طائر) .

وجاء في تفسير مقاتل لآية الكرسي ما يأتي : (يحمل الكرسي أربعة أملاك : ملك وجهه على صورة الإنسان وهو سيد الصور ، وملك وجهه على صورة سيد الأنعام وهو الثور ، وملك وجهه على صورة سيد الطير وهو النسر ، وملك على صورة سيد السباع وهو الأسد ^(٢)) .

وهكذا يتضح لنا من هذه الموازنة أن كثيراً من الإسرائيليات المبثوثة في كتب التفسير منقولة بنصها من أسفار أهل الكتاب ، مع وجود اختلاف يسير بين النصين أحياناً مرجعه إلى تعدد ترجمة التوراة وتزايد القصص والوضايع ، كما أشرنا إلى ذلك من قبل .

(١) تفسير المنار « ٤ : ٤ » .

(٢) تفسير مقاتل « ١٢١ : ١ - ١٢٢ » .

الفصل الثاني

المستشرقون والإسرائيليّات

لما هاجمت الجيوش الصليبية بلاد الإسلام كانت مدفوعة إلى ذلك بدافعين :

الأول : دافع الدين والعصية العمياء التي أثارها رجال الكنيسة في شعوب أوروبا مفتقرين على المسلمين أبشع المفتريات ، محرضين النصارى أشد تحريض على تخليص مهد المسيح من أيدي الكفار (أي المسلمين) ؛ فكان جمهرة المقاتلين من جيوش الصليبيين من هؤلاء الذين أخرجتهم العصية الدينية من ديارهم عن حسن نية ، وقوة عقيدة ، إلى حيث يلاقون الموت والقتل والتشريد حملة بعد حملة ، وجيشاً بعد جيش .

الثاني : دافع سياسي استعماري ، فلقد سمع ملوك أوروبا بما تتمتع به بلاد الاسلام ، وخاصة بلاد الشام وما حولها من طمأنينة ومدينة وحضارة لا عهد لهم بمثلها ، كما سمعوا الشيء الكثير عن ثرواتها ومصانعها وأراضيها الخصبة الجميلة ، فجاؤوا يقودون جيوشهم باسم المسيح ، وما في نفوسهم - في الحق - إلا الرغبة في الاستعمار والفتح والاستئثار بخيرات المسلمين وثرواتهم .

وشاء الله أن ترتد الحملات الصليبية كلها مدحورة بعد حروب دامت مائتي سنة ، وأن يقضى على الإمارات التي استولوا عليها ، وأن ترجع هذه الحملات إلى ديارها تحمل في قلوبها الحسرة ، وفي جباهها الهزيمة . ولكنها في الواقع كانت

تحمل في عقولها شيئاً من نور الإسلام ، وفي أيديها ثمار الحضارة التي كانت بلادهم محرومة منها .

وإذا كانت الشعوب الأوروبية قد رضيت من الغنيمة بالإياب ، فإن ملوكها وأمراءها رجعوا مصممين على الاستيلاء على هذه البلاد مهما طال الزمن و كثرت التكاليف ، ورأوا بعد الإخفاق في الاستيلاء عليها عسكرياً ؛ أن يتجهوا إلى دراسة شئونها وعقائدها تمهيداً لغزوها ثقافياً وفكرياً ، ومن هنا كانت النشأة الأولى لجمعية المستشرقين التي مازالت تواصل عملها حتى اليوم ، والتي كانت في عهد قريب تتألف من رجال الدين المسيحي أو اليهودي الذين هم - ولا شك - أشد الناس كرهاً للإسلام ، وتعصباً عليه .

ولئن كان فريق من العلماء المنصفين قد غزا هذا الوسط التبشيري المتعصب فعني بالدراسات العربية والإسلامية في جو يتسم أكثره بالإنصاف ؛ إلا أنه لا يزال - حتى اليوم - أكثر الذين يشتغلون منهم بهذه الدراسات من رجال الدين الذين يعنون بتحريف الإسلام ، وتشويه جماله ، أو من رجال الاستعمار الذين يعنون ببليلة أفكار الأمة الإسلامية في ثقافتها ، وتشويه حضارتها في أذهان المسلمين . وتتسم بحوث هؤلاء بالظواهر الآتية :

١ - سوء الظن بكل ما يتصل بالإسلام في أهدافه ومقاصده .

٢ - سوء الظن برجال المسلمين وعلمائهم وعظماهم .

٣ - تصوير المجتمع الإسلامي في مختلف العصور - وخاصة في العصر الأول - بمجتمع متفكك تقتل الأثنية رجاله وعظماءه .

٤ - تصوير الحضارة الإسلامية تصويراً دون الواقع بكثير ، تهويناً لشأنها واحتقاراً لآثارها .

٥ - الجهل بطبيعة المجتمع الإسلامي على حقيقته ؛ والحكم عليه من خلال ما يعرفه هؤلاء المستشرقون من أخلاق شعوبهم وعادات بلادهم .

٦ - إخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها حسب أهوائهم ، والتحكم فيما يرفضونه ويقبلونه من النصوص .

٧ - تحريفهم للنصوص في كثير من الأحيان تحريفاً مقصوداً ، وإساءتهم فهم العبارات حين لا يجدون مجالاً للتحريف .

٨ - تحكمهم في المصادر التي ينقلون منها ، فهم ينقلون مثلاً من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث ، ومن كتب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه ، ويصححون ما ينقله (الدميري) في كتاب (حياة الحيوان) ويكذبون ما يرويه (مالك) في (الموطأ) .. كل ذلك انسياقاً مع الهوى ، وانحرافاً عن الحق .

بهذه الروح التي أوضحنا خصائصها بحثوا في كل ما يتصل بالاسلام والمسلمين من تاريخ ، وفقه ، وحديث ، وتفسير ، وأدب ، وحضارة . وقد أتاح لهم تشجيع حكوماتهم ، ووفرة المصادر بين أيديهم ، وتفرغهم للدراسة ، واختصاص كل واحد منهم بفن أو ناحية من نواحي ذلك الفن ، يفرغ له جهده في حياته كلها ، ساعدهم ذلك كله على أن يصبغوا بحوثهم بصغة علمية ، وأن يحيطوا بثروة من الكتب والنصوص ما لم يحيط به كثير من علمائنا اليوم الذين يعيشون في مجتمع مضطرب في سياسته وثروته وأوضاعه ، فلا يجدون متسعاً للتفرغ لما يتفرغ له أولئك المستشرقون . وكان من أثر ذلك أن أصبحت كتبهم وبحوثهم مرجعاً للمثقفين منا ثقافة غربية ، والملمين بلغات أجنبية . وقد خدع أكثر هؤلاء المثقفين بحوثهم واعتقدوا بقدرتهم العلمية ، وإخلاصهم للحق . . ! وجروا وراء آرائهم ينقلونها كما هي ، ومنهم من يفاخر بأخذها عنهم ، ومنهم من يلبسها ثوباً إسلامياً جديداً ^(١) !

(١) السنة ، ومكانها في التشريع الاسلامي للأستاذ الدكتور مصطفى السباعي
رحمه الله ص ٣٦٤ - ٣٦٦ .

نتقل من هذه المقدمة الضرورية إلى بيان موقف المستشرقين من الإسرائيليات .

لقد نظر هؤلاء المستشرقون في كتب الحديث ، والتفسير ، والتاريخ ، وراحوا يتصيدون مافيا من روايات واهية ، وإسرائيليات مدسوسة ، بقصد تشويه الاسلام ، متظاهرين بمظهر البحث العلمي البريء ، ولم يكلفوا أنفسهم مؤونة البحث عن مدى قربها أو بعدها عن الصواب ، فوجدناهم يحيطون القرآن الكريم بإرجاف هائل يستمد عناصره من الإسرائيليات القديمة ، وتريدوا فيها ماشاء لهم هوام ؛ حتى رأينا منهم لوناً جديداً من الاسرائيليات في هذه التآليف التي يصورونها عن الاسلام ونبي الاسلام وأحكام الاسلام ^(١) .

(١) يهدف المستشرقون من وراء ذلك إلى خلق التخاذل الروحي ، وإيجاد الشعور بالنقص في نفوس المسلمين والشرقيين عامة ، وحلمهم من هذا الطريق على الرضا والخضوع للتوجيهات الغربية . .

وللمستشرقين نشاط غريب في إصدار المجلات والنشرات والكتب ، ولعل أخطر ما قام به المستشرقون حتى الآن هو إصدار « دائرة المعارف الاسلامية » بعدة لغات ، وكذلك إصدار موجز لها بنفس اللغات الحية التي صدرت بها الدائرة وقد بدؤوا في الوقت الحاضر في إصدار طبعة جديدة تظهر في أجزاء . ومصدر الخطورة في هذا العمل هو أن المستشرقين عبأوا كل قوام وأقلامهم لإصدار هذه الدائرة وهي مرجع لكثير من المسلمين في دراساتهم على مافيا من خلط وتحريف وتعصب سافر ضد الاسلام والمسلمين .

وليس نشاط المستشرقين موجهاً فقط إلى المسلمين ، إنهم يفتحون عيونهم لكل الاتجاهات ، وم يقظون لكل حركة قد تعوق سيرهم أو تفسد خططهم ، فإن حاول أحدهم أن يبدو محايداً ، أو يتخفف من أفعال التعصب تجذب بقية المستشرقين يهبون في وجهه يطالبونه بأن يكون (موضوعياً) ، وأن يستخدم الطريقة العلمية ويلجأ إلى النقد ذي المستوى العالي وهكذا . . ولا يعرف العقل ولا المنطق حداً لما يقوم به المستشرقون من تحريف للتاريخ الاسلامي وتشويه لمبادئ الاسلام وثقافته ، وإعطاء المعلومات الخاطئة عنه وعن أهله ، وكذلك يجاهدون بكل الوسائل لينتقصوا من الدور الذي لعبه الاسلام في تاريخ الثقافة الانسانية . إن المستشرقين جميعاً فيهم قدر مشترك في هذا الجانب ، والتفاوت - إن وجد بينهم - إنما هو في الدرجة فقط فبعضهم أكثر تعصباً ضد الاسلام ، وعداوة له من البعض الآخر ، ولكن يصدق عليهم جميعاً أنهم أعداؤه . وإذا كان الاستشراق قام على =

وسأورد فيما يلي أمثلة من مفتريات المستشرقين وتلاميذهم ، ثم أرد عليها .

١ - قصة الفرائق :

قال المستشرق (يوسف شاخت) في دائرة المعارف الاسلامية تحت مادة « أصول » مانصه :

(إن أول مصادر الشرع في الاسلام وأكثرها قيمة هو الكتاب ، وليس هناك من شك في قطعية ثبوته وتنزهه عن الخطأ على الرغم من إمكان سعي الشيطان لتخليطه) ، ثم استشهد بقوله تعالى في الآية ٥١ من سورة الحج : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) أه .

ونرد هذا الزعم الباطل ، فنقول :

إن كلامه متناقض ، فبينما يعترف بقطعية ثبوت القرآن الكريم ، وتنزهه عن الخطأ ، إذ به يقول : (على الرغم من إمكان سعي الشيطان لتخليطه) ، واستشهاده بالآية لإثبات تخليط الشيطان يدل على عدم فهمه لمعناها الصحيح ، واعتماده هو وغيره^(١) على ما جاء في بعض كتب التفسير من روايات في سبب

= أكتاف الرهبان والمبشرين في أول الأمر ثم اتصل من بعدم المستعمرين ، فإنه مازال حتى اليوم يعتمد على هؤلاء وأولئك ولو أن أكثرهم يكرهون أن تنكشف حقيقتهم ويؤثرون أن يختفوا وراء مختلف العناوين والأسماء .

(انظر كتاب « المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الاسلام » للدكتور محمد الجبي ص ١٢ وما بعدها) .

(١) انظر كتاب تاريخ الشعوب الاسلامية للمستشرق بروكلمان ص ٣٧ ، وكتاب الاسلام لألفريد جيوم ص ٣٥ - ٣٦ حيث صرح هذان المستشرقان باعتمادهما على ما جاء في كتب التفسير من روايات لا أساس لها من الصحة ، وقد ذكرنا هذه الروايات لإثبات زعمهما .

نزول الآية : فقد روى السيوطي في الدر ، قال : أخرج ابن جرير ، وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، بسند صحيح عن سعيد بن جبير قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة (النجم) فلما بلغ هذا الموضع : (أفرأيت اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) ألقى الشيطان على لسانه : تلك الغرائق العلى ، وإن شفاعتهن لترجى . قالوا ماذا ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا ، ثم جاء جبريل بعد ذلك قال : اعرض علي ما جئت بك به ، فلما بلغ تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترجى ، قال جبريل : لم آت بك بهذا ، هذا من الشيطان ، فأنزل الله (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ... الآية (١)) .

وأخرج البزار ، والطبراني ، وابن مردويه بسند رجاله ثقات من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ : (أفرأيت اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) . تلك الغرائق العلى ، وإن شفاعتهن لترجى ففرح المشركون بذلك وقالوا : قد ذكر آلهتنا ، فجاء جبريل فقال : أقرأ علي ما جئت بك به ، فقرأ أفرأيت اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى . تلك الغرائق العلى ، وإن شفاعتهن لترجى ، فقال : ما آتيتك بهذا ، هذا من الشيطان . فأنزل الله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى .. إلى آخر الآية (٢) أه .

وهذا الطريق وطريقان آخران مرسلان عند ابن جرير هما معتمد المثبتين للقصة كابن جرير والسيوطي .

هذه هي قصة الغرائق التي تصيدها المستشرقون ووقفوا يؤيدونها طويلاً لأنهم وجدوا فيها بغيتهم في الطعن في الإسلام . والقصة ظاهرة التهاوت ينقضها قليل من التمحيص ، وقد تولاه العلماء بالنقد والهدم منذ عهد محمد بن إسحق في

(١) الدر المنثور « ٣٦٦:٤ » .

(٢) نفس المصدر « ٣٦٦:٤ » .

القرن الثاني الهجري إلى عهد الأستاذ الإمام محمد عبده في القرن الرابع عشر ،
ونالوها بصنف مختلفة من التوهين الحاطم .

أ - نقدوا سندها نقداً مراً ، إذ سئل عنها محمد بن إسحق (المتوفى سنة
١٥٠ هـ) فقال : هذا من وضع الزنادقة ، وصنف في تفنيدها كتاباً ^(١) . وقال
البيهقي : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل . ثم أخذ يتكلم في أن رواة هذه
القصة مطعون فيهم .

وقال أبو حيان في تفسيره : (وليس في الصحاح ولا في التصانيف الحديثة
شيء مما ذكروه . فيجب اطراحه ولذلك نزهت كتابي عن ذكره فيه ^(٢)) ، وقال
القاضي عياض في الشفاء : (إن هذا حديث لم يخرج به أحد من أهل الصحة ، ولا
رواه ثقة بسند سليم متصل ؛ وإنما أولع به وبثله المفسرون والمؤرخون المولعون
بكل غريب والمتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم ، وصدق القاضي بكر بن
العلاء المالكي حيث قال : لقد بلي الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير ، وتعلق
بذلك الملحدون مع ضعف نقلته ، واضطراب رواياته ، وانقطاع إسناده ،
واختلاف كلماته فقائل يقول : إنه في الصلاة ، وآخر يقول : قالها في نادي ،
قومه ، حين أنزلت عليه السورة ، وآخر يقول : قالها وقد أصابته سنة ، وآخر
يقول : بل حدث نفسه فسها ، وآخر يقول : إن الشيطان قالها على لسانه وإن
النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال : ما هكذا قرأت . . . إلى
غير ذلك من اختلاف الرواة ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين
والتابعين ، ولم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب . وأكثر الطرق عنها فيهم
ضعيفة واهية ^(٣)) .

(١) انظر البحر المحيط لأبي حيان « ٣٨١ : ٦ » .

(٢) البحر المحيط « ٣٨١ : ٦ » .

(٣) الشفاء للقاضي عياض « ١١٧ : ٢ » وما بعدها طبعة عثمانية .

ومع ماسمعنا من قول المحققين في القصة ؛ فقد حكمت الصنعة والقواعد على الحافظ ابن حجر فصيح القصة ، وجعل لها أصلاً ، قال في الفتح ^(١) في تفسير سورة الحج بعد ما ساق الطرق الكثيرة : (وكلها - سوى طريق سعيد بن جبير - إما ضعيف وإما منقطع ؛ لكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلاً مع أن لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيحين ؛ أحدهما : ما أخرجه الطبري من طريق يونس بن يزيد عن ابن شهاب : حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فذكر نحوه . والثاني : ما أخرجه أيضاً من طريق المعتمر بن سليمان وحماد بن سلمة فرقها عن داود بن أبي هند عن أبي العالية) .

ثم قال الإمام ابن حجر : (وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر وهي قوله : ألقى الشيطان على لسانه ، تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى ، فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره لأنه يستحيل عليه صلى الله عليه وسلم أن يزيد في القرآن عمداً ما ليس منه ، وكذا سهواً إذا كان مغيراً لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته . وقد سلك العلماء في ذلك مسالك . . وبعد أن ذكرها رجح منها هذا المسلك : (وقيل كان صلى الله عليه وسلم يرتل القرآن فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات ، ونطق بتلك الكلمة محاكياً نغمته بحيث سمعه من دنا ، فظنها من قوله وأساءها ، قال : وهذا أحسن الوجوه ^(٢)) .

والذي أجيب به على الحافظ من جعله لهذه القصة أصلاً واحتجاج بالمرسل فيها وتأويله لها ما يلي :

١ - إن جمهور المحدثين لم يحتجوا بالمرسل وجعلوه من قسم الضعيف لاحتمال أن يكون المحدثون غير صحابي ، وحينئذ يحتمل أن يكون ثقة ، وغير ثقة فلا يؤمن أن يكون كذاباً . والإمام مسلم قال في مقدمة صحيحة : (والمرسل

(١) فتح الباري « ١٠ : ٥٤ » طبعة الحلبي .

(٢) فتح الباري « ١٠ : ٥٥ » طبعة الحلبي .

في أصل قولنا وقول أهل العلم بالأخبار ليس بحجة (وذكر نحواً من ذلك ابن الصلاح في مقدمته (١)) .

٢ - الاحتجاج بالمرسل - عند من يحتج به - إنما هو في الفرعات التي يكفي فيها الظن ، أما الاحتجاج به على إثبات شيء يصادق العقيدة ، وينافي دليل العصمة فغير مُسلّم .

٣ - ضعف هذا التأويل الذي ارتضاه الحافظ عند النظر والتأمل ، فهو يوقع متأوله فيما فر منه ، وفتح هذا الباب خطر على الرسالات .

والحق أن نسج القصة منها تأول فيها المتأولون مهلهل متداع لا يثبت أمام البحث ، وأن أغلب البلاء دخل على الاسلام من المراسيل والمنقطعات . . قال الشيخ محمد عبده رحمه الله : (إن العصمة من العقائد التي يطلب فيها اليقين ، فالحديث الذي يفيد خرقها ونقضها لا يقبل على أي وجه جاء ، وقد عد الأصوليون الخبر الذي يدل على تلك الصفة من الأخبار التي يجب القطع بكنهها . هذا لو فرض اتصال الحديث فما ظنك بالمراسيل ، وإنما الخلاف في الاحتجاج بالمرسل ، وعدم الاحتجاج به فيما هو من قبيل الأعمال وفروع الأحكام لا في أصول العقائد ومعاهد الإيمان بالرسول وما جاؤوا به ، فهي هفوة من ابن حجر يغفرها الله له (٢) .

ب - كذلك نقدوا متن القصة في نواح مختلفة منها :

١ - مصادمة القصة للقرآن : فإن ما أفادته هذه الروايات المرسلة المهلهلة يخالف لقوله تعالى : (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) ، وقوله : (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) ، وقوله : (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين) ، وقوله : (وما ينطق

(١) مقدمة ابن الصلاح ص ٥٨ .

(٢) تفسير الفاتحة مع ثلاث مقالات تفسيرية للشيخ محمد عبده (المقالة الثانية :

مسألة الغرائيق ص ٨٥ - ٨٦) .

عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى) ، وقوله : (قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إليّ) ، (وقوله إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) .

٢ - سياق سورة النجم يأتى القصة : فالسياق يجري بقوله تعالى : (لقد رأى من آيات ربه الكبرى . أفرايتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى . ألكم الذكر وله الأنثى . تلك إذا قسمة ضيزى . إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى) ، وهذا السياق صريح في أن اللات والعزى أسماء سماها المشركون هم وآباؤهم ما أنزل الله بها من سلطان ، فكيف يحتمل أن يجري السياق بما يأتى : (أفرايتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى - تلك الغرائق العلى ، وإن شفاعتن لترنجى - ألكم الذكر وله الأنثى . تلك إذا قسمة ضيزى إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) ، إن هذا السياق المشتمل على الدس والتزديد فيه من الفساد والاضطراب والتناقض ، ومن مدح اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وذمها في أربع آيات متعاقبة ، ما لا يسلم به عقل ولا يقول به إنسان ولا تبقى معه شبهة في أن حديث الغرائق مفترى وضعه الزنادقة لغايتهم ، وصدقه من يستسيغون كل غريب ، ولو كان بعيداً عن العقل والمنطق .

وحجة أخرى ساقها الشيخ محمد عبده رحمه الله حيث كتب يفند قصة الغرائق فقال : (وصف العرب لآلهتهم بأنها الغرائق لم يرد في نظمهم ولا في خطبهم ، ولم ينقل عن أحد أن ذلك الوصف كان جارياً على ألسنتهم ، وإنما ورد (الغرنوق) و (الغرنيق) على أنه اسم لطائر مائي أسود وأبيض ، والشاب الأبيض الجميل . ولا شيء من ذلك يلائم معنى الآلهة أو وصفها عند العرب ^(١)) .

(١) مجلة المنار العدد الثالث ، السنة الرابعة ، وانظر تفسير الفاتحة مع ثلاث مقالات تفسيرية للشيخ محمد عبده (المقالة الثانية : مسألة الغرائق ص ٩٩) طبعة مطبعة الموسوعات بمصر سنة ١٣١٩ هـ .

٣ - مناقضتها للعصمة : فقد قام الدليل القطعي وأجمعت الأمة على عصمته عليه الصلاة والسلام . وكل ما جاءت به الروايات الباطلة ممتنع في حقه أن يقوله من قبل نفسه عمداً أو سهواً لمكان العصمة . قال القاضي عياض : (وقد قررنا بالبراهين والإجماع على عصمته صلى الله عليه وسلم من جريان الكفر على قلبه أو لسانه ، لا عمداً ولا سهواً . وأن يتشبه عليه ما يليقه الملك بما يليقه الشيطان أو يكون للشيطان عليه سبيل ، أو أن يتقوّل على الله - لا عمداً ولا سهواً - ما لم ينزل عليه ، وقد قال الله تعالى : (ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل ... الآية) ، وقال تعالى : (إذا لأذقناك ضعف الحياة و ضعف المات ... الآية ^(١)) أه . ولو جاز شيء من ذلك لذهبت الثقة بالأنبياء ، ووجد المارقون سبيلاً للتشكيك في الأديان .

٤ - بعض الروايات ذكرت أن فيها نزل قوله تعالى : (وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلاً . ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً) .

فهاتان الآيتان تردان القصة ، لأن الله ذكر أنهم كادوا يفتنونه ولولا أنه ثبته لكاد يركن إليهم ، ومعنى ذلك : أن الله عصمه وثبته حتى لم يكدر ركن إليهم . وقد انتفى قرب الركون فضلاً عن الركون ، فالأسلوب القرآني جاء على أبلغ ما يكون في تنزيه ساحته صلى الله عليه وسلم عن ذلك ^(٢) . وهم يروون في أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون . بل افترى بمدح آلهم ، وهذا ضد مفهوم الآية ، وهو توهين للخبر لو صح فكيف ولا صحة له . ولقد طالبتة ثقيف وقريش إذا مرّ بآلهم أن يقبل بوجهه إليها ، ووعدوه بالإيمان به إن فعل فما فعل ، وما كان ليفعل .

(١) الشفاء « ١١٩:٢ » .

(٢) انظر شرح القاري على الشفاء « ١٧٦:١ » .

وإذا كانت القصة غير ثابتة من جهة النقل والعقل ، فما معنى الآية إذن ؟
وللأجابة على ذلك أقول :

إن التمني في الآية معناه : تشهي حصول الأمر المرغوب فيه ^(١) ، والأمنية من هذا المعنى : أي ما من نبي أو رسول إلا وغاية مقصوده ، وجلّ أمانيه ، أن يؤمن قومه ، وكان نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك في المقام الأعلى . قال تعالى : (فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً) وقال : (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) . وعلى ذلك يكون معنى الآية : وما أرسلنا من قبلك رسولا بشرع جديد كإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، أو نبياً مجدداً لشرع جاء به رسول قبله كأنبياء بني إسرائيل ، إلا إذا تمنى هداية قومه وإيمانهم ، ألقى الشيطان في سبيل أمنيته هذه العقبات ، ووسوس في صدور الناس ، فتأروا في وجهه ، وجادلوه حيناً ، وحاربوه حيناً آخر ، حتى إذا أراد الله هدايتهم أزال تلك الوسوس التي ألقاها الشيطان في نفوسهم ، ووقفهم لإدراك الحق وإجابة داعي الله .

وبذلك ينسخ الله ما ألقى الشيطان من الشبهات ، ويحكم آياته بنصر الحق وأهله على الباطل وحزبه ، وينشئ من ضعف أنصاره قوة ، ومن ذلهم عزة ، وتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، ليجعل ما يلقي الشيطان في سبيل دعوات الأنبياء فتنة للضعفاء ، وليعلم الذين أوتوا العلم أن ما جاء به الرسل هو الحق ؛ فتخبت له قلوبهم وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم ^(٢) .

(١) قال أبو العباس أحمد بن يحيى : التمني حديث النفس بما يكون وبما لا يكون . وقال : والتمني سؤال الرب . وفي الحديث « إذا تمنى أحدكم فليكثر فإنما يسأل ربه » وقال ابن الأثير : التمني تشهي حصول الأمر المرغوب فيه ، وحديث النفس بما يكون وما لا يكون . وكل ما قيل في معنى التمني على هذا الوجه (مسألة الغرائيق) للشيخ محمد عبده ص ٩٣ .

(٢) المقالة الثانية : مسألة الغرائيق للشيخ محمد عبده ص ٩٤ وما بعدها .

٢ - قصة زينب وزيد بن حارثة .

يتعمد المستشرقون عند البحث في كل ما يختص بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن يتشبثوا ببعض النصوص الواردة في كتب التفسير أو التاريخ ، ويفترضوها صحيحة رغم بطلانها ويستغلونها في ترويح مفترياتهم على نبي الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم .

فالمستشرق لا يكتب عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلا ليتحدث عن أسطورة الغرائق ، وزواج محمد بزینب ، وتعدد زوجات نبي الاسلام ، وما شابه ذلك .

وما اتفق خصوم الاسلام عن سوء نية على شيء كما اتفقوا على خطة التبشير في موضوع الزواج على الخصوص .

وقصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزینب هي تكأتمهم في الطعن على نبي المسلمين والاستدلال بذلك على عدم صحة نبوته ، وللأسف الشديد إن هؤلاء المستشرقين والمبشرين قد اعتمدوا في افتراءاتهم على ماورد في بعض كتب التفسير من روايات إسرائيلية دسها أسلافهم^(١) ، فمن ذلك ما ذكر الزنجشيري في سبب نزول قوله تعالى : (وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك ... الآية^(٢)) قال : (أمسك عليك زوجك) يعنى زينب بنت جحش رضي الله عنها ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصرها بعدما أنكحها زیداً ، فوقع في نفسه ، فقال : سبحان الله مقلب القلوب ، وذلك أن نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها ، ولو أرادتها لاختطبها ، وسمعت زينب بالتسيحة فذكرتها لزید ، ففطن وألقى الله في نفسه كراهة صحبتها ، والرغبة عنها لرسول

(١) هذه الفرية دسها يوحنا الدمشقي في العهد الأموي .

(٢) الآية ٣٧ من سورة الأحزاب .

الله صلى الله عليه وسلم... إلخ^(١) . وقد ذكر مثل هذا السبب الثعلبي والنسفي في تفسيره والجلال المحلي وغيره^(٢) .

وروى القرطبي في تفسيره عن مقاتل أنه قال : (زوج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش من زيد ، فمكثت عنده حيناً ، ثم إنه عليه السلام أتى زيدا يوماً يطلبه فأبصر زينب قائمة ، كانت بيضاء جميلة جسيمة من أتم نساء قريش فهو بها ، وقال : سبحان الله مقلب القلوب ! فسمعت زينب بالسيحة فذكرتها لزيد ، ففطن زيد فقال : يا رسول الله ائذن لي في طلاقها ، فإن فيها كبراً ، تعظم علي ، وتؤذي نبي بلسانها ، فقال صلى الله عليه وسلم : (أمسك عليك زوجك واتق الله) وقيل : إن الله بعث رجلاً فرفعت الست وزينب متفضلة^(٣) في منزلها ، فرأى زينب فوقعت في نفسه ، ووقع في نفس زينب أنها وقعت في نفس النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك لما جاء يطلب زيدا ، فجاء زيد فأخبرته بذلك ، فوقع في نفس زيد أن يطلقها . وقال ابن عباس : (وتحفي في نفسك الحب لها^(٤)) أه .

الرواية الصحيحة في سبب النزول :

هذه الرواية الباطلة التي دسها أعداء الاسلام واغتربها بعض المفسرين ، ولطخوا بها صفحات تفاسيرهم ، ولم ينظروا في إخلالها بمقام الرسالة ، وما يليق بتلك الأخلاق النبوية التي شهد الله لها بالعظمة ، لا يؤيدها نقل صحيح ولا عقل سليم . ولم نجد شيئاً منها في كتب الحديث المعتمدة ، والذي جاء في الصحيح يخالف هذا :

(١) الكشاف « ٢ : ٤٣١ » وقد ذكر الزنجشري هذا السبب ولم يتعقبه بتصحيح أو تضعيف .

(٢) تفسير النسفي « ٣ : ٦٧ » وانظر تفسير الجلالين ص ٣٥٤ ، ولم يتعقبا ما ذكرناه أيضاً .

(٣) تفضلت المرأة : لبست ثياب مهنتها . أو كانت في ثوب واحد .

(٤) تفسير القرطبي « ١٤ : ١٩٠ » .

روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك ، أن هذه الآية : (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) ، نزلت في شأن زينب بنت جحش ، وزيد بن حارثة ^(١) . واقتصر على هذا القدر ، ولم يذكر شيئاً من هذا الخلط . وذكر الحافظ ابن حجر في شرحه للحديث : أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش وكانت أمها أمة بنت عبد المطلب عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله أراد أن يزوجه زيد بن حارثة مولاه ، فكرهت ذلك ، ثم رضيت بما صنع رسول الله ، فزوجها إياه ، ثم أعلم الله عز وجل نبيه - بعد - أنها من أزواجه ، فكان يستحي أن يأمر زيداً بطلاقها ، وكان بين زيد وزينب ما يكون بين الناس ، فأمره رسول الله أن يمك عليه زوجه ، وأن يتقي الله ، وكان يخشى أن يعيب عليه الناس ، ويقولوا : تزوج امرأة ابنه ، وكان قد تبنى زيداً ^(٢) .

وعن علي بن الحسين ، قال : كان الله تبارك وتعالى أعلم بنبيه صلى الله عليه وسلم أن زينب ستكون من أزواجه ، فلما أتاه زيد يشكوها ، قال : اتق الله وأمسك عليك زوجك . قال الله : (وتخفي في نفسك ما الله مبديه ^(٣)) .

هذا هو السبب الصحيح المعتمد ، وما ينبغي أن تفسر به الآية ، أما تلك الروايات الباطلة فقد طعن فيها المحققون من المفسرين . قال الإمام أبو بكر بن العربي : (.. قد بينا في السالف من كتابنا هذا ، وفي غير موضع عصمة الأنبياء صلوات الله عليهم من الذنوب ، وحققنا القول فيما ينسب إليهم من ذلك ، وعهدنا إليكم عهداً لن تجدوا له رداً : أن أحداً لا ينبغي أن يذكر نبياً إلا بما ذكره الله ولا يزيد عليه ، فإن أخبارهم مروية ، وأحاديثهم منقولة بزيادات تولاهم أحد

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير « ٦ : ١٤٧ » .

(٢) فتح الباري « ٨ : ٤٢٥ » .

(٣) تفسير الطبري « ٢١ : ١١ » .

رجلين : إما غبي عن مقدارهم ، وإما بدعي لا رأي له في برهم ووقارهم ، فيدس تحت المقال المطلق الدواهي ، ولا يراعي الأدلة ولا النواهي ...) إلى أن قال : (وهذه الروايات كلها ساقطة الأسانيد ، إنما الصحيح منها ما روي عن عائشة أنها قالت : لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلقمًا من الوحي شيئًا لكم هذه الآية : (وإذ تقول للذي أنعم الله عليه) يعني بالاسلام ، (وأنعمت عليه) يعني بالعقوبة فأعقته ، (أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تحشاه .. إلى قوله : وكان أمر الله مفعولاً) . وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوجها ، قالوا : تزوج حليّة ابنه ، فأنزل الله تعالى (ما كان محمد أبًا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تبناه وهو صغير ، ولبث حتى صار رجلًا ، يقال له : زيد بن محمد ، فأنزل الله تعالى : (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم ..) وما وراء هذه الرواية غير معتبر . فأما قولهم : إن النبي صلى الله عليه وسلم ، رآها فوقعت في قلبه فباطل ، فإنه كان معها في كل وقت وموضع ، ولم يكن حينئذ حجاب فكيف تنشأ معه ، وينشأ معها ويلحظها في كل ساعة ، ولا تقع في قلبه إلا إذا كان لها زوج ، وقد وهبت نفسها ، وكرهت غيره ، فلم تحظر بباله ، فكيف يتجدد له هوى لم يكن ؟ ! حاشا لذلك القلب المطهر من هذه العلاقة الفاسدة . وقد قال الله له : (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه) والنساء أفنت الزهوات ، وأنشر الرياحين ، فيخالف هذا في المطلقات فكيف في المنكوحات المحبوسات .

وإنما كان الحديث أنها لما استقرت عند زيد جاءه جبريل : إن زينب زوجك ، ولم يكن بأسرع أن جاءه زيد يتبرأ منها ، فقال له : اتق الله ، وأمسك عليك زوجك . فأبى زيد إلا الفراق ، وطلقها ، وانقضت عدتها ، وخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على يدي مولاه زوجها ، وأنزل الله القرآن المذكور فيه خبرهما هذه الآيات التي تلونها وفسرناها ، فقال : واذكر يا محمد إذ تقول للذي أنعم الله

عليه وأنعمت عليه : أمسك عليك زوجك ، واتق الله في فراقها ، وتخفي في نفسك ما الله مبديه: يعني من نكاحك لها ، وهو الذي أبداه لاسواه .

وقد علم النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى إذ أوحى إليه أنها زوجته لا بد من وجود هذا الخبر وظهوره ، لأن الذي يخبر الله عنه أنه كائن لا بد أن يكون لوجوب صدقه في خبره ، هذا يدل على براءته من كل ما ذكره متسور من المفسرين ^(١))

وقال الامام الحازن في تفسيره : (فإن قلت ما ذكره في تفسير هذه الآية وسبب نزولها من وقوع محبتها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم عندما رآها ، وإرادته طلاق زيد لها ، فيه أعظم الحرج ، وما لا يليق بمنصبه صلى الله عليه وسلم من مدعيه لما نهي عنه من زهرة الحياة الدنيا ؟ قلت : هذا إقدام عظيم من قائله ، وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله . وكيف يقال رآها فأعجبته وهي بنت عمته ، ولم يزل يراها منذ ولدت ، ولا كان النساء يحتجن منه صلى الله عليه وسلم ، وهو زوجها زيدا ، فلا شك في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يأمر زيداً بما ساء كما وهو يجب تطبيقه إياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين . وأصح ما في هذا الباب ما روي عن سفيان بن عيينة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، قال : سألت زيد العابد بن علي بن الحسين ، قال : ما يقول أبو الحسن في قوله تعالى : (وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) ، قلت : يقول : لما جاء زيد إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إني أريد أن أطلق زينب ، أعجبه ذلك وقال : أمسك عليك زوجك واتق الله . فقال علي بن الحسين : ليس كذلك فإن الله عز وجل قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه وأن زيداً سيطلقها ، فلما جاء زيد وقال : إني أريد أن أطلقها ، فقال له أمسك عليك زوجك : فعاتبه الله ، وقال : لم قلت أمسك عليك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك ؟

(١) أحكام القرآن لابن العربي « ٣ : ١٥٣١ - ١٥٣٢ » .

وهذا هو الاولى والأليق بحال الأنبياء وهو مطابق للتلاوة لأن الله تعالى أعلم أنه يبيدي ويظهر ما أخفاه ، ولم يظهر غير تزويجها منه ، فقال تعالى : (زوجناكها) ، فلو كان الذي أظهره النبي صلى الله عليه وسلم محبتها وإرادة طلاقها ، لكان يظهر ذلك ؛ لأنه لا يجوز أن يخبر أنه يظهره ثم يكتمه ولا يظهره ، فدل على أنه إنما عوتب على إخفاء ما علمه الله أنها ستكون زوجته ، وإنما أخفى ذلك استحياء أن يخبر زيدا أن التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي ، وهذا قول حسن مرضي وكم من شيء يتحفظ منه الانسان ويستحي من اطلاع الناس عليه ، وهو في نفسه مباح متسع ، وحلال لامقال فيه ، ولا عيب عند الله ، وربما كان الدخول في ذلك المباح سلماً إلى حصول واجبات يعظم أثرها في الدين ، وإنما جعل الله طلاق زيد لها ، وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم إياها ، لإزالة حرمة التبني ، وإبطال سنته كما قال الله تعالى : (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم) وقال : (لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم ^(١)) . وقال الامام القرطبي : (فأما ماروي أن النبي صلى الله عليه وسلم هوي زينب امرأة زيد - وربما أطلق بعض الجمان لفظ : عشق ، فهذا إنما يصدر عن جاهل بعصمة النبي صلى الله عليه وسلم عن مثل هذا أو مستخف بمجرمته ^(٢)) .

وقال الحافظ ابن كثير : (ذكر ابن أبي حاتم ، وابن جرير هاهنا آثاراً عن بعض السلف رضي الله عنهم ، أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتهم - فلا نوردها ^(٣)) .

(١) تفسير الخازن « ٥ : ٢١٦ » .

(٢) تفسير القرطبي « ١٤ : ١٩١ » .

(٣) تفسير ابن كثير « ٣ : ٤٩١ » .

إسرائيليات حول القرآن الكريم

وإذا كنا قد تكلمنا عن المستشرقين ، واعتمادهم على الإسرائيليات التي في كتب التفسير للطعن على الإسلام ، فإن هذا يجعلنا نستطرد إلى الكلام عن إسرائيليات المستشرقين ؛ التي أثاروها حول القرآن نفسه بصفته كتاب المسلمين المقدس ، ودستورهم الخالد ، أنزله الله على نبيه صلى الله عليه وسلم ليبين للناس كل ما يحتاجون إليه في صلاح معاشهم ومعادهم .

ولما كان للقرآن الكريم هذه الدرجة في الأهمية والخطورة ؛ وجه المستشرقون - كما وجه أهل الإلحاد من قبل - كل همهم إلى الطعن عليه وإثارة الشبهات من حوله، ليزعزعوا ثقة المسلمين في كتاب ربهم ؛ يقول العلامة الكوثري:

(ونرى في المدة الأخيرة اهتماماً خاصاً من مستشرق الغرب بنشر مؤلفات علماء الإسلام الأقدمين ؛ مما يتعلق بالقرآن الكريم وعلومه من كتب القراءة وكتب الرسم وشواذ القراءات ، وكتب الطبقات ، بل يواصلون سعيهم في ذلك ، وفي نشر ما للأقدمين من المؤلفات في الحديث والفقه واللغة إلى غير ذلك من المشرقيات ، ومسعى أغلبيةهم ينم عن قصدهم لإحياء عهد الصليبيين بطريقة أخرى في الحملات الممثلة تعصباً وجهلاً نحو النور الوضاء الذي أشرق من القرآن الكريم على هذه الكرة المظلمة ، حتى استنارت البصائر بذلك النور الوهاج ، فدخل الناس في دين الله أفواجاً ، فتبدلت الأرض غير الأرض ، وغاية هذا الفريق مكشوفة جداً مهما تظاهروا بظهور البحث العلمي البريء كذباً وزوراً وخداعاً) (١) .

(١) مقالات الكوثري ص ١٧ .

وقد عني أعداء الإسلام قديماً وحديثاً بإثارة الشبه حول القرآن الكريم ليفتنوا المسلمين عن دينهم ، ويصدوا غير المسلمين عن الدخول في الإسلام، أما أعداؤه قديماً ؛ فمنهم فريق من اليهود والمجوس والزنادقة دخلوا في الإسلام ظاهراً ليكيدوا له في الخفاء : فمنهم من أولوا القرآن ، وحملوا آياته على معان باطنية تقلب العقائد والتكاليف الإسلامية رأساً على عقب ، ومنهم من أظهر التشيع لأهل البيت ، ووضعوا أحاديث مكذوبة في فضل علي والنيل من أبي بكر وعمر ، وزعموا أن عثمان والصحابة حرفوا القرآن ، وحذفوا منه كلمات وسوراً في فضل علي حسداً وبغياً ، وذكروا من هذه الكلمات والسور ما يضحك منه أقل عارف باللغة العربية وأسراها . وقد قام علماء الأمة ببيان زيفهم ، ورد كيدهم في نحرم ، ومازوا الأحاديث الصحيحة من الأحاديث الموضوعة ، فأثاروا للناس سبيل الهدى ، والصراط المستقيم .

وأما أعداء الإسلام حديثاً ، فمنهم جماعات تألفت في أوروبا وأمريكا للدعاية المسيحية ، وأرسلت رسلها إلى أقطار المعمورة ، ودعتهم بالمبشرين ، وأغدقت عليهم الأموال الطائلة ، وقد جعلت حكومات الاستعمار من هؤلاء المبشرين مطايا لأغراضها ؛ إذ عرفت أنه لا يمكن أن تثبت أقدامها في أمة إلا بتفريق كلمة أبنائها ، وعرفت أن هذا التفريق لن يكون إلا بالخطاط الأخلاق ، وتزلزل العقيدة الصحيحة ، وعرفت أن المبشرين ، وإن لم ينجحوا في نشر المسيحية — ولا سيما بين الأمم الإسلامية لأن عظمة الإسلام وبساطته ، وأخذته بحكم العقل والعلم لا تجعل لأية دعاية دينية أملاً في النجاح بين أبنائه — فقد ينجحون بعض النجاح في إفساد العقيدة الإسلامية من طريق التشكيك في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي أن القرآن من عند الله ؛ بما يثيرونه من مطاعن حوله سندكر أمثلة منها بعد قليل .

وقد أخلص هؤلاء المبشرون للكنايس والجماعات التي استخدمتهم وحكومات الاستعمار التي شجعتهم ، وأتقنوا فن الدعاية الكاذبة ، وقالوا : إن

الغاية تبرر الوساطة . ولذا تراهم تارة يكشفون القناع ، وطوراً يستترون بحجاب الحداغ فينبثون سمومهم باسم البحث العلمي الخالص ، والتحليل التاريخي الصادق ، ودعوى أنهم مستشرقون لا مأرب لهم إلا حب الشرق وأهله والدفاع عن تاريخه المجيد دون تحن وانحراف .

ومن أخطر هذا الفريق المموه (جولد زيهر) المجري الدم، اليهودي النحلة، العريق في عدااء الاسلام ، الماضي في هذا السبيل طول حياته . يقول الشيخ محمد زاهد الكوثري عنه - في معرض حديثه عن كتابات المستشرقين ضد الاسلام - : (محتال ماهر في توليد مايشاء من نصوص يتصيداها من مصادر تعجبه باعتبار غايته، مغالطاً في تحميلها مالا تحتمله من المعاني عند أهل البصيرة ، ومتجاهلاً اختلاف منازل تلك المصادر في الثقة والتعويل) (١) .

وأهم مؤلفات هذا المستشرق التي ترجمت إلى العربية كتاب (العقيدة والشريعة في الاسلام) ، وكتاب (مذاهب التفسير الاسلامي) . وسنكتفي باختيار ثلاث شبه أثارها هذا المستشرق اليهودي في كتابيه المذكورين ونزيفها .

الشبهة الاولى .

يقول جولد زيهر في كتابه (مذاهب التفسير ص ٤ - ٥) :

(.. فلا يوجد في كتاب تشريعي - اعترفت به طائفة دينية اعترافاً عقدياً على أنه نص منزل أو موحى به - من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد في نص القرآن ، وفي جميع الشوط القديم للتاريخ الاسلامي لم يحوز الميل إلى التوحيد العقدي للنص إلا انتصارات طفيفة) وقال أيضاً: وقد قرر الخليفة عمر: أن القرآن صواب كله ، وفي رواية : كاف شاف ، ما لم تجعل آية رحمة عذاباً وآية عذاب

(١) من عبر التاريخ للكوثري ص ٢٦ .

رحمة) (الطبري ج ١ ص ١٠)^(١) أي ما دام لم يحصل اختلاف أساسي في معنى الألفاظ فالمعول إذن في المرتبة الأولى على المعنى الذي يستنبط من النص لا على الاحتفاظ المتناهي بقراءة معينة^(٢) .

(ويمكننا أن نستخلص من التجارب في هذه المرحلة ، أنه فيما يتعلق بإقامة النص المقدس في الإسلام الأول ، كانت تسود حرية مطردة إلى حد الحرية الفردية ؛ كأنما سواء لدى الناس أن يرووا النص على وجه لا يتفق بالكلية مع صورته الأصلية)^(٣) .

وقال : (ليس هناك نص موحد للقرآن ، ومن هنا نستطيع أن نلمح في صياغته المختلفة أولى مراحل التفسير . والنص المتلقى بالقبول (القراءة المشهورة) الذي هو لذاته غير موحد في جزئياته ، يرجع إلى الكتابة التي تمت بعناية الخليفة الثالث عثمان ، دفعاً للخطر المائل من رواية كلام الله في مختلف الدوائر على صور متغايرة وتداوله في فروض العبادة على نسق غير متفق ، فهي إذن رغبة في التوحيد ذات حظ من القبول)^(٤) .

الشبهة الثانية .

ويقول في كتابه (العقيدة والشريعة في الإسلام) مانصه : (..ومن العسير أن نستخلص من القرآن نفسه مذهباً عقدياً موحداً متجانساً ، وخالياً من المتناقضات) ثم يعرض لمسألة الجبر والاختيار فيتساءل : (وهل يصح أن يحرم

(١) نسب جولد زهير إلى الطبري قوله : (إن الخليفة عمر قد قرر . . . الخ علماً بأن الطبري قد روى هذه الرواية مرفوعة ، ولم يقف بها عند عمر رضي الله عنه (انظر تفسير الطبري ١ : ٢٥ - ٢٧ الحديث ١٦ ، ١٧ طبعة دار المعارف) .

(٢) مذاهب التفسير الاسلامي ص ٤٩ .

(٣) نفس المصدر ص ٤٨ .

(٤) مذاهب التفسير الاسلامي ص ٦ .

الله الناس من كل حرية واستقلال في أعمالهم ، وأن يحدد سلوكهم حتى في أدنى التفاصيل ، وأن يحرم الخطيء أو الآثم من إمكان فعل الخير ، وأنه كما يقول : (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) (١) وأنه مع هذا كله يعاقبهم إذا ما عصوا ، ويقذف بهم إلى العذاب الخالد ! ؟) إلى أن يقول : (وليس في الاسلام على ما نرجح مسألة مذهبية يمكن أن نستخلص بشأنها من القرآن تعاليمًا متناقضة كذلك التي نبحثها الآن) (٢) .

الشبهة الثالثة .

قال جولد زهير : (أخذ محمد في إحدى السور المكية (٣) قصة التوراة دون تسمية الابن المعين للتضحية) (٤) . وقال أيضاً : (ولقد أفاد من تاريخ العهد القديم وكان ذلك في أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء (٥) وقال : (فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية ؛ عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها) (٦) وقال : (وقد كانوا - يقصد أحبار اليهود ورهبان النصارى - أساتذة له) (٧) وقال : (أما المذاهب والقواعد الوضعية فكانت ذات طابع انتخابي وقد أسهم في تكوين عناصر هذه المذاهب والقواعد الدين اليهودي والدين المسيحي . . . وكذلك بعض عناصر القرآن المسيحية نعرف أنها وصلت إلى محمد عن طريق التقاليد أو

(١) من الآية ٧ من سورة البقرة .

(٢) العقيدة والشريعة في الاسلام ص ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٩ - ٩٠ .

(٣) الآيات ١٠٠ - ١١٠ من سورة الصافات .

(٤) مذاهب التفسير الاسلامي جولد زهير ص ٩٩ .

(٥) العقيدة والشريعة في الاسلام ص ١٥ .

(٦) العقيدة والشريعة في الاسلام لجولد زهير ص ١٢ .

(٧) المرجع السابق ص ٢٠ .

الروايات المتواترة المحرفة ؛ وعن ابتداعات المسيحية الشرقية القديمة (١) .

ونقول في الجواب عن الشبهة الأولى :

إن الجهود العظيمة التي قام بها الصحابة في جمع القرآن واستنساخه - كما بينها كتب السنة - لم يرفها هذا المستشرق جمعاً للقرآن واستنساخاً يكفل نشر القرآن الثابت بيقين ، وإهمال ماسواه بما لم يثبت قرآنيته يقيناً ، بل رأى فيها - بعد إنكاره الأحرف السبعة - مجرد محاولة ذات حظ من القبول لتوحيد نص القرآن الذي بات مضطرباً لكثرة قراءات الصحابة واختياراتهم الشخصية !! ولم يكن هذا الاضطراب في نص القرآن - حسب زعمه - إلا نتيجة للحرية الفردية التي كانت سائدة في تلاوة القرآن .

ويكرر (جولد زيهر) هذه الفكرة بأنه لم يكن هناك نص موحد للقرآن ، ثم جرى توحيد النص القرآني في عهد عثمان للخلاص من قراءة القرآن في صور لفظية متغايرة . وسيكون جوابنا عليه ذا شقين : نتكلم في الشق الأول : حول جمع القرآن ، ونتكلم في الشق الثاني : حول توقيفية القراءة .

١ - جمع القرآن .

كتب القرآن كله في حياة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وحفظه أصحابه رضي الله عنهم سوراً وآيات ، وكلمات وحروفاً مع الضبط والإتقان ، ولم ينتقل الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى الرفيق الأعلى ، إلا والقرآن محفوظ في الصدور ، مكتوب في السطور ، وتركهم أمة واحدة على دين واحد وكتاب واحد .

ولما بويع أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالخلافة ، صادفته في أول عهده صعاب شديدة أثارت مخاوف المسلمين جميعاً ، فإن الوحدة الإسلامية التي تمت في

(١) العقيدة والشريعة ص ٢٤ - ٢٥ .

عهد رسول الله ﷺ كادت تضرب حين وفاته ، وذلك أنه ارتد قوم عن دين الله ، ومنع قوم الزكاة ، فرأى أبو بكر رضي الله عنه أنه لا بد من القضاء على هذه الثورة الطاغية في مهدها بقتال هؤلاء وأولئك ، حتى يدعوا للطاعة . ومن أعظم المواقع التي اشتبك فيها المؤمنون والمرتدون موقعة اليمامة في أواخر سنة إحدى عشرة للهجرة ، وقد استشهد في هذه الموقعة عدد من القراء ؛ قال القرطبي في مقدمة تفسيره : كان القتلى من القراء في هذه الغزوة سبعمائة ، وكان ذلك سبب جمع القرآن في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، واختار أبو بكر زيدا لهذه المهمة الجليلة ، ولذا قال له حين كلفه بالجمع : إنك شاب عاقل ، لانتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فشرع زيد يجمع القرآن من كل ما كتب فيه مما عنده ، وعند غيره من الرقاع ، وقطع الأديم ، والعصب ، والأكتاف ، وغيرها ، مع موازنة ذلك بعضه ببعض ، وموازنته بما في صدره وصدر غيره من الحفاظ ، يراقبه ويعاونه في ذلك كله أبو بكر وعمر وغيرهما من كبار الصحابة ، حتى وصل إلى الغاية التي ابتغها منه أبو بكر ، والتي ترضي الله ورسوله ؛ فكتب القرآن المتواتر المتلو^(١) كله في صحف من الورق ، مرتباً الآيات في سورها على ما وقف عليه الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه الكرام .

وبما يدل على أن هذا الجمع كان بغاية الدقة عناية الخلفاء به ، وإجماع الأمة عليه حتى إن أبا بكر حفظ هذه الصحف في حياته ، ثم حفظها بعده عمر ، ثم حفظتها بعده حفصة أم المؤمنين ، ثم طلبها عثمان لنسخ المصاحف بمحض من جمهور الصحابة ، وأقروا جميع ما فيها مع أنهم كانوا في غاية الحرص على كتاب الله لا يقبلون فيه شيئاً لم يقطعوا بسماعه من النبي صلى الله عليه وسلم ، لا يخشون في ذلك أميراً ولا كبيراً . يقول الدكتور هيكل في كتابه (الصديق أبو بكر ص ٣٤٣) : (وقد كانت هذه الدقة في جمع القرآن متصلة بإيمان زيد بالله ، فالقرآن كلام الله

(١) فلم يجمع منسوخ التلاوة يؤيد هذا خلو ما جمعه من آية الرضاع ، وآية الرجم وغيرهما مما ورد في الأخبار أنه كان قرآناً ونسخت تلاوته .

جل شأنه ، فكل تهاون في أمره ، أو إغفال للدقة في جمعه ، وزر ما كان أحرص زيدا في حسن إسلامه ، وجميل صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتنزه عنه ، ولقد شهد المنصفون من المستشرقين بهذه الدقة حتى يقول (سير ولیم مویر) : والأرجح أن العالم كله ليس فيه كتاب غير القرآن ظل اثني عشر قرناً بنص هذا مبلغ صفائه ودقته .

ولما تولى الخلافة عثمان رضي الله عنه ، وفي عهده اتسعت الفتوح وتفرق المسلمون في الأمصار ، فأخذ كل مصر عن رجل من القراء ، وكانت وجوه القراءة التي يقرأون بها القرآن مختلفة باختلاف الأحرف التي أنزل عليها القرآن ، فكان بعضهم يرد على بعض فيقول أحدهم : قراءتي هي الصواب ، ويقول الآخر بل قراءتي أنا وما أخذت به ، وليس من وراء هذا إلا اللجاج والتكفير والتأثير ، وشبح الفتنة الموهجاء . وقد نجحت بوادر هذه الفتنة في غزوة أرمنية ، وكانت حذيفة بن اليمان من جملة من غزا معهم ، ورأى تشاحنهم ؛ فسار إلى عثمان وأخبره بما رأى وقال : إن الناس قد اختلفوا في القرآن ، حتى إنني والله لأخشى أن يصيهم مثل ما أصاب اليهود والنصارى من الاختلاف أه . (١) .

ففرع عثمان لذلك فزعاً شديداً ، فأرسل إلى حفصة : أن أرسلني إلينا بالصحف فننسخها في المصاحف ثم نردها إليك ، فنسخ منها مصاحف ، فبعث بها إلى الآفاق (٢) .

وقد كتبت مصاحف عثمان بإشراف حفظة القرآن ، وعليه الصحابة ، وولاية زيد بن ثابت الذي تلقى العرضة الأخيرة ، وعمل على جمع صحف أبي بكر

(١) تفسير الطبري « ٦٢:١ » .

(٢) المرجع السابق في نفس الموضوع ، وانظر صحيح البخاري كتاب التفسير باب جمع القرآن .

كما سبق أن قلنا ، فعلى الرغم من اعتمادهم على صحف أبي بكر رضي الله عنه وعلى الرغم من حفظهم للقرآن فقد كانوا يستوثقون فيما يختلفون فيه من الآيات ، فيسألون عنها من تلقاها من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد اختط عثمان رضي الله عنه بموافقة الصحابة رضي الله عنهم منهجاً حكيماً لكتابة المصاحف ، يجعله كفيلاً بما هيء له من كونه إماماً يرجع إليه عند الاختلاف ، ومصباحاً يتهدى به عند النزاع ، وذلك المنهج يتضمن النقاط السبع الآتية :

١ - ألا يكتب فيه إلا ما يتيقن كونه قرآنًا بنقل عدد التواتر له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دون ما نقله الأحاد مهما كانوا ثقات حفاظاً .

٢ - ألا يكتب إلا ما استمر متلوّاً طوال حياة الرسول صلى الله عليه وسلم دون ما نسخت تلاوته لأن منسوخ التلاوة ليس بقرآن وإن بقي حكمه .

٣ - أن مجرد من كل ما ليس قرآنًا كالذي كان يكتبه بعض الصحابة في مصاحفهم الخاصة شرحاً لمعنى ، أو بياناً لناسخ أو منسوخ ، أو نحو ذلك .

٤ - أن يكتب القرآن كله في ذلك المصحف مرتب الآيات في سورها على ما وقفهم عليه النبي صلى الله عليه وسلم .

٥ - أن يكتب مرتب السور على ما نشاهده اليوم في المصاحف .

٦ - أن تكتب منه مصاحف متعددة ليرسل إلى كل مصر واحد منها للرجوع إليه .

٧ - أن يكتبوه بلسان قريش عند اختلافهم كما قال عثمان : (إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء ، فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم)^(١) .

فهل هذا الجمع الذي تم بأقصى عناية ودقة غير موحد في جزئياته - كما

(١) انظر رسالة في جمع القرآن والرد على ما يثار حوله من مطاعن ص ١١٣ وما بعدها لمحمد فريد العبادي (رسالة دكتوراة مخطوطة في مكتبة كلية أصول الدين) .

يقول جولد زهير - وأنه ليس إلا مجرد رغبة في التوحيد ، ذات حظ من القبول!؟ وهل يقول منصف اطلع على أدوار جمع القرآن بأن هذا الجمع لم يحوز في جميع الشوط القديم للتاريخ الإسلامي إلا انتصارات طفيفة على حد زعم هذا المستشرق!؟

٢ - توقيفية القراءة:

روى البخاري في صحيحه : « أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف فاقروا كيف شئتم »^(١) ، وكلمة (أنزل) تفيد أن الأحرف وحي من الله تعالى إلى نبيه عليه الصلاة والسلام ، وأن القراءات توقيفية ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتلقى الأحرف من الوحي إذ كان جبريل ينزل بها .

والصحابه رضوان الله عليهم كانوا واقفين عند اللفظ المنزل لا يتجاوزونه إلى ما سواه ، ولو كان لكل واحد الحرية في قراءة القرآن - كما يزعم جولد زهير - أكان ينكر على الآخرين استعمال تلك الحرية ؟ بل أكان أحدهم يأخذ غيره من تلايبيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يترافعان إليه ..!؟

وإليك حديث عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم حين اختلفا في القراءة فتحاكما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما أن عمر بن الخطاب قال : سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته ، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكدت أساوره في الصلاة ، فتصبرت حتى سلم فلبته بردائه فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : كذبت ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما أقرأك ، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت يا رسول الله : إني سمعت هذا يقرأ بسورة

(١) صحيح البخاري . كتاب التفسير . باب أنزل القرآن على سبعة أحرف « ٢٢٧ : ٦ » .

الفرقان على حرف لم تقرئنها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أرسله ، اقرأ يا هشام » فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « كذلك أنزلت » ، ثم قال لي : « اقرأ يا عمر » فقرأت القراءة التي أقرأني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كذلك أنزلت ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه ^(١) » . وفي رواية : « فأني ذلك - الأحرف السبعة المنزلة - قرأت ما أصبتم » وفي رواية : « كلها - أي الأحرف السبعة - كاف شاف » وفي حديث ابن عباس عند البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أقرأني جبريل على حرف ، فراجعته فلم أزل استزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف) وفي رواية : (الله يأمرك أن تقرأ أمتك على سبعة أحرف ، فأما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا) وهذا واضح جداً في أن المساحة بإباحة الاختلاف في أحرف القراءات ليست بالتشبيهي والهوى حتى يجوز لكل أحد أن يغير الكلمة بمرادها في لغته ، أو اللفظة بلفظة أخرى لأنها أكثر شيوعاً عند القوم ، ولأنها تفهم الفكرة أكثر ، ولأنها أكثر بلاغة ، بل العمدة في اختلاف القراءات السماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي تلقى هذه الأحرف التي يقع الاختلاف في دائرتها من جبريل عن الله تعالى ، وفي هذه الروايات كلها وغيرها ما يقطع بمنظر العقل وصحة النقل أن القرآن جميعه بأحرفه السبعة التي وقع فيها الاختلاف منزل من عند الله على رسوله عليه السلام . وهذا ما اتفق عليه المسلمون وأجمعت عليه الأمة .

وبذلك يتبين زيف ما ادعاه هذا المستشرق من أن المعول عليه في المرتبة الأولى هو الحرص على المعنى والفكرة دون الاحتفاظ باللفظ وبقراءة معينة .

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير - باب إنزال القرآن على سبعة أحرف

ونقول في الجواب عن الشبهة الثانية :

إن هذه المسألة (الجبر والاختيار) التي عرض لها جولد زيهر ، أمر خاض فيه علماء الأديان والأخلاق من زمن بعيد ، واقتروا فيه على مذاهب شتى ، وقد تكون القضية قضية اختلاف بين علماء المسلمين على فهم النصوص والآيات حول موضوع معين ، أما تصويرها بتهمة وجود التناقض في القرآن ، فذلك عمل لا يصدر عن منصف ، وقد حلها المؤمنون بما هو هدى وحق ، ووقفوا بين النصوص ، وفهموا الفهم الصحيح ، فالثواب والعقاب منوطان بإرادة الإنسان واختياره ، واختيار الإنسان من البدييات التي لا ينكرها عاقل . وقد منح الله الإنسان وسائل الفعل وآلاته ، وركب فيه العقل الذي يدبر ويختار مصيره ، وطالبه بإثبات الخير والرغبة عن الشر ، والإنسان لا يحس بقاسر ولا مكره له في هذه الحياة .

وقد جاء مع هذا في الدين - وثبت عقلاً - أن أعمال الناس معلومة لله في الأزل ، وأن إرادة الله تعلقت بما يوجد من هذه الأعمال ، وأن الله يوجد على أيدي العباد ، وذلك هو القضاء والقدر ، ولكن الله أراد للناس أعمالهم على حسب استعدادهم وإرادتهم التي لا يشعرون بأي دافع يدفعهم إليها . والقدر محجوب عن الإنسان ، ولو أن أحداً علم ما قضى الله به عليه ثم فعله امتثالاً ؛ لكان له الحجة على الله . وبذلك نفهم نحو قوله تعالى في الكفار : (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) (١) فإن مفاده أن هؤلاء آثروا الكفر اختياراً منهم ، فأراد الله لهم ما اختاروا . والكلام في مثل هذا على التمثيل وليس بصحيح أن إرادة العبد تتحد بإرادة الله ، فكثيراً ما يريد العبد الشيء ولا يقع ، وذلك دليل على أن الله لم يرده . ولنعلم في هذا المقام أن إرادة الله ليست من صفات التأثير حتى تدفع العبد إلى إرادة الأشياء ، وكان حرياً بالباحث أن يراجع جيداً قول علماء الكلام في هذا المبحث (٢) .

(١) سورة البقرة الآية ٧ .

(٢) انظر تعليق الأستاذ محمد يوسف موسى على هامش كتاب العقيدة

والشرعة ص ٨٩ .

ونقول في الجواب عن الشبهة الثالثة :

إذا كان بعض المسلمين قد تأثروا بالإسرائيليات التي تناقلها بعض المفسرين عن أهل الكتاب وأفلق المصلحون - أو كادوا - في تطهير العقول منها، والرجوع بها إلى الجادة الإسلامية ، فإن بعض المستشرقين - وعلى رأسهم جولد زيهر - يتخذ من ذلك أو من وجود تشابه بين بعض قصص القرآن الكريم والتوراة ذريعة إلى الزعم بأن محمداً اقتبس قصص القرآن وتعاليمه من التوراة والانجيل ، وللمستشرقين عامة ولع خاص بموضوع اليهودية والنصرانية عند الجاهليين، وولعهم بذلك مبعثه في الغالب حرصهم على إراءة أن الإسلام دين مسروق من إحدى هاتين الديانتين أو من الديانتين معاً، وأن ماورد فيه هو: إما نقل بتفهم من الكتب المقدسة وشروحها ، وإما مسخ وتشويه لنقل وقع بغير فهم ولا علم . ثم هم في ذلك طوائف : طائفة تزعم أن أكثر ما نراه في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي هو من يهود ؛ لذلك تجهد نفسها لتجد سبباً قريباً أو بعيداً تستند إليه فيما تدعيه ، وهذه الطائفة أكثرها من المستشرقين اليهود ، وهم في أحكامهم هذه مندفعون بدافع العصبية والعاطفة ، وطائفة أخرى تزعم أن ما نراه في الإسلام هو من النصرانية^(١) ، وأن أثر النصرانية في الجاهليين كان كبيراً ، وأن الرسول تعلم من النصارى كما زعمت قريش من قبل وأشير إلى ذلك في القرآن الكريم ، وهذه الطائفة تقول قولها هذا عن عاطفة وعصبية أيضاً ؛ لأن أغلب أفرادها من المستشرقين النصارى ، على أن هناك فريقاً آخر يتوسط بين الطائفتين فيقدم اليهودية أحياناً ، ويقدم النصرانية حيناً آخر ، وقد يذهب في بعض الأحيان إلى إشراكها معاً .

(١) قال المستشرق (كارادة فو) في دائرة المعارف الإسلامية تحت مادة (إنجيل) : وكان محمد أكثر معرفة بالإنجيل المنحولة منه بالإنجيل الصحيحة ، ولم تصل إليه تلك المعرفة من مصادر مسيحية خالصة . وإنما نقلت إليه على يد يهود اعتنقوا النصرانية ويستدل على هذا بنوع القصص الذي ورد في القرآن .

وإذاً فقول جولد زهر : أخذ محمد في إحدى السور المكية قصة التوراة . الخ ، وقوله : إن بعض عناصر القرآن المسيحية وصلت إلى محمد عن طريق التقاليد ، أو الروايات المحرفة ، وعن ابتداعات المسيحية الشرقية . الخ قول خاطيء ، وفرية روجها هو وغيره من المستشرقين . والحقيقة المجردة هي : أن اليهودية دين سماوي والإسلام دين سماوي ، ومصدر الوحي في القرآن وغيره من الكتب السماوية واحد وهو الله جل وعلا ، وقد كان القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية ، فمن الطبيعي أن يكون في القرآن بعض ما في هذه الكتب والرسالات السماوية من أنباء وقصص - وإن كان بعضها على نحو أبسط وأوجز - هذا لا عجب فيه ولو كان الأمر غير هذا لكان هو العجب . ومن هنا كان خطأ بعض المستشرقين خطأ كبيراً في المنهج حين يتعرضون لشيء مما حوى القرآن من تلك الأنباء ، وذلك القصص ، متخذين التوراة وحدها المقياس للحقيقة والمصدر لكل شيء من أخبار الماضين ، متناسين أن كلا من التوراة والقرآن من عند الله الذي أودع في كل من الكتابين ما شاء الله من العقائد وقصص الماضين .

لا معنى إذاً للقول بأن القرآن أخذ هذه القصة أو تلك عن التوراة أو الادعاء بأن الرسول كان يعرف التوراة وأخذ عنها هذا وذاك ، لا محل لاعتراضه ما دام كل من الكتابين من عند الله . ثم كيف يفسر هؤلاء المتعنون استئصال القرآن على قصص وأنباء لم تجيء في التوراة بل لم تشر إليها ، إن كانت هي المصدر الذي أخذ منه الرسول ما أخذ في هذه الناحية !؟

كذلك لا معنى للقول بأن رهبان النصارى كانوا أساتذة للرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنه اقتبس القرآن عن الروايات المسيحية المحرفة . وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم آمياً لا يقرأ ولا يكتب كما ثبت بالتواتر الصحيح في التاريخ ، وكما نص الله عليه في القرآن الكريم بقوله : (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تحطه يمينك إذاً لارتاب المبطلون) ثم أنعم الله عليه بالنبوة والرسالة ، وبعثه إلى الناس كافة بهذا القرآن الكريم ، وجعله مصدقاً لما بين يديه من التوراة

والإنجيل ، وكتب الأنبياء السابقين إجمالاً لها من غير تفصيل ، وجعل كتابه (مهيماً) على هذه الكتب أي رقيباً عليها كما قال تعالى : (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه) وهذا الرجل الأمي لم يقرأ شيئاً من كتبهم ، ولم يبلغه من الكتب التي في أيدي النصارى - مع ما فيها من الاختلاق - قليل ولا كثير ، ومع ذلك فإنه لا يذكر إنجيل عيسى عليه السلام في القرآن إلا باللفظ المفرد (إنجيل) فلو كان هذا القرآن من عند غير الله ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم عرف هذه الروايات ، لجاء التعبير عنها في القرآن - ولو مرة واحدة بلفظ الجمع (أنجيل) .

نعم إن بعض المشركين زعم أنه تعلم بعض الشيء من غيره ، وقد قال الله ذلك في القرآن عنهم ، ثم رد عليهم قولهم بأقوى رد ، فخرست ألسنتهم وألسنة غيرهم ، فلم يدع أحد منهم ولا من أهل الكتاب بعد ذلك مع كفرهم به ، وعداوتهم له ، وتربصهم به وبالمسلمين ، أن يجدوا حجة تنصرهم عليه ، إذ علموا أنهم لو عادوا إلى هذه الدعوى لكانت حجتهم داحضة ، ودعواهم كاذبة ، فإنه نشأ بينهم وعرفوا تاريخ حياته وأحواله تفصيلاً وإجمالاً ، ولم يجدوا من يصدقهم من أهل عصرهم المشاهدين الحاضرين في أنه تعلم كل هذه العلوم والشرائع من بعض القارئين والكاثرين في مكة ، وقد اتصل المسلمون بالنصارى واليهود بعد الفتح الإسلامي للبلاد اتصالاً وثيقاً ، وقامت في بعض الأوقات حرب الجدال الديني بين الفريقين واحتدمت ، ومع ذلك فإنه لم يزعم أحد - فيما نعلم - من أعداء المسلمين أن القرآن مقتبس كله أو بعضه من التوراة أو الأنجيل أو الآراء المسيحية ، إلا في هذه العصور المتأخرة حينما ضعف شأن الدول الإسلامية مادياً ، وقام المستشرقون وفي أعقابهم المبشرون بالهجوم العلني على المسلمين ، بعد أن وضعوا أيديهم على أكثر بلاد الإسلام (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) .

إن الذي يأتي بهذا القرآن ، وبما فيه من تشريع تقطعت دونه أعناق الأمم ، وبما فيه من توحيد وتمجيد لله ، وبما فيه من القصص والأخبار الصادقة ، وبما فيه من المواعظ والحكم ، وبما فيه من مكارم الأخلاق ، هذا القرآن الذي أعجز الانس والجن أن يأتوا بسورة من مثله ، وهو الهدى ، ودين الحق . أقول : إن الذي أتى بكل هذا في كتاب واحد لن يعقل أن يكون تعلمه من كتب يحكم عليها هو بأنها محرقة مبدلة ، أو كلمات يسمعها عرضاً على ألسنة بعض أهل الكتاب في جزيرة العرب .



المستغربون

وكما وجد هؤلاء المستشرقون في حياة الأمة الإسلامية ، ووجدت لهم دسائس ذكرنا بعضها ، وجد لهم تلاميذ من أبناء المسلمين ؛ تعلم بعضهم في أوروبا ، واستهوى البعض الآخر مناهج المستشرقين وبحوثهم ومعارفهم ، فصاروا منجذبين إليها أشد الانجذاب ، متأثرين بها أعمق التأثر ، لا يكادون يجيدون عنها ، أو يرضون بسواها ، أو يحسون بأي التواء أو زيغ فيها . ومن الممكن أن نسمي هذا الفريق (المستغربين) دلالة على نزوعهم هذا المنزع الغربي في أسلوبه المنهجي ولونه الدراسي ، ومعارفه المتصيدة من أي مصدر كان ، والتي تسيطر على إنشائها وافتعالها أهواء العداوة للإسلام .

هؤلاء (المستغربون) قد غلب عليهم الوهم بأنهم غرباء عن ماضي الإسلام ، وأن موقفهم من رجاله كموقف وكلاء النيابة من المتهمين ، بل لقد أوغل بعضهم في الحرص على الظهور أمام الأغيار بمظهر المتجرد عن كل آصرة له بماضي العروبة والاسلام؛ ثلاثتهم - في زعمه - بالعصية لهما ، فوضع نفسه موضع التهمة بالتعامل عليهما ، جرياً وراء بعض المستشرقين في ارتياحهم حيث تجب الطمأنينة ، وفي ميلهم مع الهوى عندما يدعوهم الحق إلى التثبت ، وفي إنشائهم الحكم وارتياحهم إليه قبل أن تكون في أيديهم أسباه الدلائل عليه . ومن الملاحظ أن هؤلاء الذين ينخدعون من المسلمين بالمستشرقين من أعداء الإسلام لا يوقعهم في الفخ الذي نصبه لهم هؤلاء إلا أحد أربعة أمور غالباً :

١ - إما جهلهم بحقائق التراث الإسلامي ، وعدم اطلاعهم عليه وعلى ينابيعه الصافية .

٢ - وإما انخداعهم بالأسلوب العلمي (المزعوم) الذي يدعيه أولئك الحُصوم .

٣ - وإما رغبتهم في الشهرة والتظاهر بالتححرر الفكري من ربة التقليد كما يدعون .

٤ - وإما وقوعهم تحت تأثير (أهواء) و (انحرافات) فكرية لا يجدون مجالاً للتعبير عنها إلا بالتستر وراء المستشرقين والكتابين . تقع أنظار الواحد من هؤلاء المستغربين على بحث فجح لمستشرق ناشيء ، فينتحل ذلك البحث من غير تعب ، ويزعمه لقراءنا مبتكراً من عنده ، وينقله لنا محرف الأعلام ، متضارب الأحكام ، ملتهب الحماسة في التحامل ؛ حتى على الفضائل عندما ينظر إليها بعينه أو بعين من ترجم عنه ومن وراء منظار أسود .

وكلا الفريقين - فيما نرى - يستحق منا الدراسة كما يستحق الحذر والحيطه في كل ما يصدر عنه من كتابات ، سواء في الدين ، أو اللغة أو التاريخ ، لأن المستغربين يعاونون المستشرقين - من حيث يدرون أحياناً ومن حيث لا يدرون في أكثر الأحيان - في إشاعة الشك والريبة في الإسلام وحملة ، وبعبارة أخرى إن هؤلاء المستشرقين يصدرون لنا بضائعهم بما فيها من دس وتحريف ، فيأتي المستغربون فيروجون هذه البضائع ويبذلون جهودهم الحائنة ، أو الخاطئة ، في الدعوة إليها والإغراء بها . وبذلك يتبين لنا أن كلا من المستشرقين والمستغربين خطر يهدد أمتنا وبلادنا وثقافتنا .

ويعجبني ما قاله بعض الباحثين في التحذير من خطر هؤلاء المستغربين :

(هناك مستشرقون مصريون ولدوا في بلادنا هذه ، ولكن عقولهم وقلوبهم تربت في الغرب ، وغت أعوادهم مائلة إليه ، فهم أبداً تبع لما جاء به .. إنهم من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا ، بيد أنهم خطر على كيانتنا ، لأنهم كفار بالعروبة والإسلام ، أعوان - عن اقتناع أو مصلحة - للحرب الباردة التي يشنها الاستعمار علينا بعد الحرب التي مزق بها أمتنا الكبيرة خلال قرن مضى ... وهم سفراء فوق

العادة لإنجلترا وفرنسا وأمريكا (دول التصريح الثلاثي) الذي خلق إسرائيل وحماها ، والفرق بينهم وبين السفراء الرسميين أن هؤلاء لهم تقاليد تفرس عليهم الصمت ، وتطبع حركاتهم بالأدب . أما أولئك المستشرقون السفراء فوظيفتهم الأولى أن يثرثروا في الصحف وفي المجالس ، وأن يحتلقوا كل يوم مشكلة موهومة ليسقطوا من بناء الإسلام لبنة ، وليذهبوا بجزء من مهابتهم في النفوس ، وبذلك يحققون الغاية الكبرى من الزحف المشترك الذي تكاثفت فيه الصهيونية والصليبية في العصر الحديث .

إن هذا النفر من حملة الأقلام الملوثة أخطر على مستقبلنا من الأعداء السافرين ، فإن النفاق الذي برعوا فيه يخدع الأغرار بالأخذ عنهم ، وقد يقولون كلمات من حق تمهيداً لألف كلمة من الباطل تحيي عقبا^(١)) أ هـ .

وكما ذكرنا طرفاً من مفتريات المستشرقين ، نذكر فيما يلي طرفاً آخر من مفتريات تلاميذهم من المستغربين ، فنقول :

زعم بعض المؤلفين من هؤلاء المستغربين أن قصص القرآن الكريم — وهو كلام الله سبحانه — يستوي وما كتبه ويكتبه القصص والرواة فيما يجوز عليه من خيال وشعر وفن وأباطيل وأساطير ، ومجاراته المخاطبين ، وبجاملة مشاعرهم ، وموافقة معارفهم ، وأن القرآن الكريم في سبيل البلاغة الأدبية ، والفن القصصي لم يلتزم الصدق والحق في رواية أخباره ، وإنما قصد إلى التأثير البلاغي فقط ، ومن ثمّ فالمؤلف ينفي عن القصص القرآني إعجازه التاريخي لأنه — في زعمه — غير واقعي ، وقد اعتذر عن ارتكابه إثم دعواه فنية القصص القرآني ؛ بأنه إنما يفعل ذلك انقاداً للقرآن من طعن كتاب الغرب بأن أخباره تتناقض مع أخبار كتبهم المقدسة ، ويستشهد على صدق دعواه بما قاله الشيخ محمد عبده في تفسير المنار : (إن القصص

(١) عن مقدمة كتاب (ظلام من الغرب) للأستاذ الشيخ محمد الغزالي .

جاءت في القرآن لأجل الموعظة والاعتبار لا لبيان التاريخ^(١) ، وقد سبقه إلى هذا الزعم — أي إلى أسطورية القصة في القرآن الكريم — مؤلف آخر فقال : (للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا عنها أيضاً ، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي ، فضلاً عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة إسماعيل وإبراهيم إلى مكة^(٢)) .

ونقول في الجواب :

١ — يتناول القرآن الكريم قصص الأنبياء والمرسلين ويذكر طوعاً من معجزاتهم ، ومن المقرر أنه ليس الغرض من ذلك استقراء الوقائع ، ولا تحديد الأزمان ، ولا تناول الظروف والملابسات ، ولا تسجيل مجرد الحوادث والأشخاص ، ولا البحث التاريخي الاصطلاحي والفني ، وإنما الغرض من ذلك الهداية والعظة والعبرة ، وتقرير قواعد هذه الهداية في النفوس بذكر هذه القصص وعرض وقائعها أمام السامعين والقارئ .

والقرآن الكريم يصرح بهذا في وضوح فيقول : في الآية ١١١ من سورة يوسف : (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ، ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) ، ومن المقطوع به كذلك عند كل مسلم أن كل ما ذكره القرآن في هذه الناحية حق لا شك فيه ، وأن علم التاريخ الاصطلاحي لا يمكن أن يأتي بحقيقة تخالف ما جاء في قصة من القصص التي ذكرها القرآن الكريم ، نعم إنه قد يعجز عن أن يصل بوسائله الفنية المجردة إلى بعض ما ذكره القرآن الكريم فيكون ما ذكره القرآن زائداً

(١) الفن القصصي في القرآن الكريم للدكتور محمد أحمد خلف الله ص ٤٥ ،

وانظر ص ٢٧ — ٢٨ ، ١٨٢ .

(٢) في الشعر الجاهلي للدكتور طه حسين « نقلاً عن كتاب « تحت راية

القرآن » للرافعي ص ١٤٥ وما بعدها .

عن علم التاريخ المجرد ، وقد يعجز التاريخ المجرد عن أن يجسد الدليل بأسلوبه الخاص على ماورد في القرآن الكريم ، ولكن يجب أن يلاحظ أن عجز علم التاريخ عن المعرفة أو الاستدلال ، ليس معناه عدم صحة ما جاء في القرآن ، فليس انتفاء العلم بالشيء دليلاً على عدم وجوده .

وهنا المزلق ؛ فالمؤرخون قسمان :

قسم لا يؤمن بالقرآن الكريم ولا يتخذ حجه ديناً - ومن هذا القسم المستشرقون - وهؤلاء يقولون : إن القرآن لا يصح أن يكون كتاباً تاريخياً يعتمد عليه في بحوثه الفنية المجردة عن أي اعتبار آخر ، وهم مدفوعون إلى هذا القول بحكم عقيدتهم ولا ينتظر منهم غير ذلك ، لأنهم لم يلتزموا التصديق والإيمان بالقرآن من قبل .

وقسم آمن بالقرآن وقام عنده الدليل على صدقه ، وعلى هؤلاء حينئذ واجبات :

أولها : أن يكون أصدق الأدلة التاريخية عندهم وأثبتها ما جاء في هذا القرآن عن الأمم والعصور التي أرخ لها أو تناولها آياته .

وثانيها : أن يردوا عنه تكذيب الصنف الأول إن حاولوا ذلك أو أرادوه ، وأن يقيموا لهم الدليل على خطئهم بالأسلوب التاريخي الفني ولن يعجزهم ذلك متى أرادوه .

ولكن بعض الباحثين من هذا القسم يحاول أن يتشبه بأولئك ، فيجرد من شخصيته المؤمنة بالقرآن شخصية أخرى يدعي أنها تاريخية بحجة لا تهم بأي اعتبار آخر ، ثم يضي في بحثه متمصاً هذه الشخصية الجديدة ، وينسى شخصيته الأولى فيزل ويهوي . والمؤلفان اللذان ذكرنا أقوالهما سابقاً - وهما صاحب (الفن القصصي في القرآن الكريم) وصاحب كتاب (في الشعر الجاهلي) متأثران في

دعواهما بالخيالية الفنية في الأدب الأوروبي الحديث ، وبآراء أسانذتها من المستشرقين ، فقد قال بعضهم : إن بعض القصص القرآني كقصة أصحاب الكهف ، وقصة موسى في سورة الكهف قد بنيت على بعض الأساطير^(١) ، وقال أحد المبشرين بأن قصة اسماعيل ملفقة^(٢) .

٢ - وهذه الفرية - أسطورة القصة القرآنية - قد سبق إليها المبطلون والمشركون في عهد نبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه ، فقد حكى الله مقالاتهم بقوله : (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً) ثم دحض زعمهم الباطل بقوله : (قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض) ، وجاء في القرآن الكريم أيضاً قوله : (وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين . ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون) .

٣ - والقرآن نفسه يقرر إعجازه التاريخي بأسلوب قطعي لا مجال فيه للشبهة أو الظن أو الاجتهاد ، يقرر ذلك حين يقص على نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم ، قصص الأمم الغابرة ، وقصص إخوانه الأنبياء السابقين ، ثم يختم هذه القصص بالمن عليه بأنه لولا إخبار القرآن له بها ما كان يعلمها ، قاصداً بذلك أنه الوحي الإلهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وقاصداً في الوقت نفسه تقرير الإعجاز بهذا العلم التاريخي الذي سماه المبطلون : (أساطير الأولين)

(١) راجع مادة (أصحاب الكهف) ومادة (الياس) من دائرة المعارف الإسلامية .

(٢) هو صاحب كتاب (ذيل مقالة في الإسلام) وقد سمي نفسه : هاشم العربي . انظر كتاب (نقض مطاعن في القرآن للشيخ محمد أحمد عرفة ص ١٠٢ - ١٠٤) وقد رد على كتاب (في الشعر الجاهلي) فريق من العلماء والأدباء منهم الأستاذ الشيخ محمد الحضر حسين رحمه الله في كتابه (نقض كتاب في الشعر الجاهلي) والأستاذ محمد فريد وجدي رحمه الله في كتاب (نقد كتاب الشعر الجاهلي) والأديب مصطفى صادق الرافعي رحمه الله في كتابه (تحت راية القرآن) .

وجاراهم على زعمهم من أشرنا إليهما فقالا ما قالاه عن قصص القرآن . ولنستمع الآن إلى تقرير الإعجاز التاريخي في بعض نصوص القرآن ، ولنتأمل في هذا التأكيـد الإلهي بأن قصصه قد رويت بالحق .

قال تعالى – وهو أصدق القائلين – (وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون) .

وقال أيضاً : (وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) ، (وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين) ، وقال : (وما كنت ثاوياً في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا) ، وقال : (ذلك من أبناء الغيب نوحيا إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) ، وقال : (إن هذا هو القصص الحق) ، وقال : (نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق) وقال : (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) .

٤ – ونحن كمسلمين يجب أن نسلم برواية القرآن إذا ناقضت رواية التوراة، لأن القرآن الكريم آخر كتاب سماوي، وهو إلى جانب ذلك بريء من التحريف؛ كما يقرر الله سبحانه ذلك مراراً في مواضع متعددة من القرآن الكريم عندما يندد بمواقف اليهود في توراتهم التي ملأوها تحريفاً وفساداً ، وقد اعترف مؤرخوهم أنفسهم قبل القرآن بتناقضها وتحريفها – كما فصلنا ذلك في مبحث التحريف والتبديل – وعلى ذلك يزول عجبنا من التناقض الذي نجده بين قصص القرآن الكريم وقصص التوراة ، ومع ذلك فالتوراة لم تستوف تاريخ كثير من الأنبياء : فهي مثلاً لم ترو حادثة إلقاء النمرود لإبراهيم في النار ، وموقفه مع أبيه وقومه ، ولا رحلته إلى الحجاز ، ولم تتحدث المراجع اليهودية عن أخبار عاد وثمود ، ولا عن تسخير الجبال والطير لداود ، وتسخير الجن والريح لسليمان ، وغير ذلك من الأخبار التي انفرد بها القرآن الكريم . وبناء على ذلك فليس بنا حاجة إلى هذا التمثل البعيد الذي طالعنا به المؤلف بزعمه أن قصص القرآن أسطوري ، ليرد بذلك

طعون المستشرقين وكتاب الفرنجة بزعمهم وجود مخالفات تاريخية في القرآن الكريم ، جاعلين توراتهم المحرفة مقياساً لهذا الزعم الباطل .

٥ - إن ماقصده الشيخ محمد عبده ، وغيره من المفسرين القدامى والمحدثين من قولهم : إن القصص القرآني جاء للموعظة والعبرة لا لبيان التاريخ : هو أن لا يصرف المسلمون عن هذه الغاية السامية إلى البحث عن تفاصيل هذا القصص ؛ كلون كلب أهل الكهف وعددهم ، وأوصاف ذي القرنين ... الخ ، ولم يقصدوا مجال من الأحوال أن المعاني التاريخية لهذا القصص قابلة للنقد، وللخلاف والإنكار كما زعم صاحب « القصص الفني في القرآن الكريم » .

ثم كيف تحدث العبرة والموعظة الحلقة في قصة أسطورية مفتراة؟!

٦ - أما الإنكار التاريخي لوجود إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وهجرتهما إلى مكة - بالرغم من اعتراف المؤلف أن القرآن أكد وجودهما - فهو تكذيب صريح لقوله تعالى في سورة إبراهيم حكاية عنه عليه الصلاة والسلام : (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً ، واجنبنني وبني أن نعبد الأصنام ، رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم . ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا) وقوله تعالى : (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) ، ولا أظن مؤمناً بالله وكتابه ورسوله يقول ذلك .

وقد أسرف بعض هؤلاء المستغربين في الطعن على القرآن العظيم ، وعلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، فقال : (لا شك أن الباحث الناقد ، والمفكر الجريء الذي لا يفرق في نقده بين القرآن وبين أي كتاب أدبي آخر ، يلاحظ أن في القرآن أساليب متعارضين ، لا تربط الأول بالثاني صلة ولا علاقة ، مما يدفعنا إلى الاعتقاد بأن هذا الكتاب قد خضع لظروف مختلفة أو تأثر ببيئات

متباينة ، فمثلاً نرى القسم المدني أو (اليربي) تلوح عليه أماراة الثقافة والاستنارة، ويمتاز القسم المكي بالهروب من المناقشة وبالحلو من المنطق ، فيقول : (قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون) إلى قوله (لكم دينكم ولي دين) ، ويمتاز كذلك بتقطع الفكرة ، واقتضاب المعاني ، وقصر الآيات ، والحلو التام من التشريع والقوانين ، كما يكثر فيه القسم بالشمس والقمر والنجوم .. أما القسم المدني فأفكاره منسجمة متسلسلة ترمي أحياناً إلى غايات اجتماعية وأخلاقية ، ويناقش الخصوم بالحجة الهادئة والبرهان الساكن الرزين ؟ فيقول : (لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا) ، كما أن هذا القسم ينفرد بالتشريعات الإسلامية كالمواريث والوصايا ، والزواج ، والطلاق ، واليوع ، وسائر المعاملات ، ولا شك أن هذا أثر واضح من آثار التوراة ، والبيئة اليهودية التي ثقفت المهاجرين إلى يثرب ثقافة واضحة يشهد بها هذا التغيير الفجائي الذي ظهر على أسلوب القرآن^(١) .

ثم قال : مخاطباً طلابه (وهناك موضوع آخر يجب أن أنبهكم إليه ، وهو مسألة هذه الحروف العربية غير المفهومة التي تبتدىء بها بعض السور مثل : (ألم) و (ألر) و (طس) و (كهيعص) و (حم عسق) ... ألخ ، فهذه كلمات ربما قصد منها التعمية أو التهويل ، أو إظهار القرآن في مظهر عميق مخيف ، أو هي رموز وضعت لتمييز بين المصاحف المختلفة ، ثم ألحقها مرور الزمن بالقرآن فصارت قرآناً^(٢) . أه .

(١) وهذا يتضمن أن النبي صلى الله عليه وسلم تعلم من اليهود حسب زعمه ، وأن القرآن من عمله ، فلما اكتسب ثقافة من اليهود ظهر ذلك في أسلوب القرآن المدني، وهذا الزعم هو عين ما يردده المستشرقون ، وقد زيفناه فيما سبق (انظر ص ١٣) وما بعدها من هذا الكتاب) .

(٢) نقد القرآن الكريم : أملاء الدكتور طه حسين على طلبة كلية الآداب بالجامعة المصرية سنة ١٩٢٧ ، وانظر كتاب (نقض مطاعن في القرآن الكريم) للشيخ محمد أحمد عرفة ص ٤ وما بعدها .

وقد رد على هذه المفتريات عدد من العلماء الأفاضل منهم صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد أحمد عرفة في كتابه (نقض مطاعن في القرآن الكريم) والشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني رحمه الله في كتابه (مناهل العرفان في علوم القرآن) ^(١) وغيرها . والرجوع إلى هذين الكتابين سهل ميسور .

... وهكذا لم يترك علماء الشريعة الأجلاء منفذاً لأي مستشرق متور أو مستغرب مأجور ، فأتوا على شبه القوم من القواعد ، وكشفوا عن جهلهم الفاضح ، وكذبهم الآثم ، وضللهم المبين ، وجاهدوا هذه الحملات الظالمة المتلاحقة بأقلامهم حتى ردوا كيد أصحابها إلى نحورهم ، وسهامهم إلى صدورهم؛ فجزاهم الله عنا وعن الإسلام خير الجزاء (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) .



(١) انظر (١٩٩:١) من كتاب مناهل العرفان .

الخاتمة

وتشتمل على أربع نقاط :

- ١ — آثار الإسراء والنبات .
- ٢ — مسؤولية المفسرين الذين رووها في كتبهم .
- ٣ — واجب المفسرين إزاءها .
- ٤ — مقترحات .

١ - آثار الإسرائيليات

لا شك أن لرواية الإسرائيليات أثراً سيئاً على الاسلام وعقائده المسلمين ، فمن ذلك :

أ - أنها فتحت لأعداء الله من المبشرين والمستشرقين منفذاً ينفذون منه إلى الطعن في الشريعة الغراء ، وفي الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، وذلك لأننا وجدنا أن هؤلاء المستشرقين اتخذوا من هذه الإسرائيليات الباطلة المبنوثة في كتب التفسير ، وفي غيرها من الكتب دعامة من دعائم منهجهم في البحث لتشويه سمعة الإسلام عن قصد ، ووسمه - وهو دين الحق والعقل والفطرة - بميسم الجهل والخرافات حتى يجعلوا منها حجاباً بين الإسلام ومن يريد أن يعتنقه ، وحتى ينفروا أبناءه منه .

ب - استهوت بحوث هؤلاء المستشرقين - المبنية على الروايات الباطلة التي رواها المفسرون والأخباريون ومن على شاكلتهم ممن لا يميزون بين الغث والسمين - بعض الكتاب المسلمين المعاصرين الذين لم يتسلحوا بعرفة حقيقة الدين ، وحقيقة هذه الروايات الدخيلة على الإسلام ، فساروا على نهجهم في الاستخفاف بالدين ، والغض من شأنه . ورددت هذه المفتريات باسم العلم حيناً ، وحرية البحث حيناً آخر ؛ وقد قام بعض الأجلة من علماء الأزهر بالجهاد في هذا الميدان فلم من الله الجزاء ، ومن المسلم الغيور كل تقدير وإجلال .

ج - إن كثيرين ممن ليسوا من أهل الحديث والمتفرغين له ؛ لم يتنبهوا إلى هذه الإسرائيليات واغترتوا بها ، وأوردوها في احتجاجاتهم ومناظراتهم ، وتآليفهم ، وهذا أمر بالغ الخطورة على الدين وأهله ؛ لأن جمهور الناس وعامتهم تقبلوا هذه

الإسرائيليات على أنها صحيحة لا غبار عليها ، وأذاعوها بين الناس مع أن بعضها مدسوس على الإسلام مشوه له ، وقد ساعد على ذلك وجودها في كتب مشهورة ، مؤلفوها أجلاء ، كما ساعد على انتشارها ضعف دراسة السنة ، والجهل بأحوال الرواة ، فبقيت راسخة في النفوس ، وقد عز على الهداة والمصلحين انتزاع هذه الأباطيل من عقول العامة وأشباههم .

د - اعتبرت هذه الإسرائيليات عقبات وأشواكاً في طريق التقدم الفكري الإسلامي ، لأنها كانت بعض ما شغل علماء المسلمين بتخيلة الطريق منها ، فكان همّ جهابذتهم أن يقفوا منبهين إلى خطئها وتحذرين من خطرها ، وكانت لهم في بيان الأحاديث الموضوعة مؤلفات قيمة ، وكان لهم بجوار ذلك مؤلفات أخرى في قواعد القبول والرد للمرويات وقواعد الجرح والتعديل للرواة وغير ذلك مما يرجع إلى علم الحديث دراية .

هـ - ألحقت هذه الإسرائيليات بالتفسير الصحيح لأي الكتاب الكريم زعزعة واضطراباً ، وشغلت أذهان المسلمين بحيث صار جلّ أسئلتهم لمن يشتغل بالقرآن من العلماء عنها ، وكادت تغطي على ما في القرآن من مبادئ وأحكام ، ووصايا هي جوهر القرآن الذي فيه الهدى والذكرى والموعظة .

و - مزقت المسلمين شيعاً وأحزاباً ، فقد بث اليهود عقائد مختلفة ، ودسوا أحاديث موضوعة ، مما أثار موجة من الجدل العنيف ، والتعصب الذميم بين المسلمين^(١) .

(١) كان لليهود أثر غير قليل في بعض المذاهب الإسلامية ، فمثلاً فكرة القدر والاختيار التي كانت مدار جدل حاد ، وفشت في الأوساط الإسلامية فشو المرض المعدي أصلها أهل الكتاب . وقد قيل إن أول من تكلم في القدر رجل من أهل العراق كان نصرانياً فأسلم ، ثم تنصر وأخذ عنه معبد الجهنّي ، وغيلان الدمشقي . (انظر تراث الإسلام ١ : ٢٧٥) .

وكان البطريق يوحنا الدمشقي يحمل لواء خصومة المسلمين وبث السموم بينهم ، وقد عاش وأبوه في قصر عبد الملك بن مروان ، ولف كتاباً للنصارى يدفع فيه دعوة المسلمين لدينهم (المرجع السابق ١ : ٢٤٧ - ٢٤٨) .

٢- مسؤولية المفسرين الذين رَوَوْها في كتبهم

اغتر كثير من المفسرين بوجود هذه القصص المروية عن أهل الكتاب والمبثوثة في كتبهم ، فنقلوها في تفاسيرهم بكل ما فيها من حق وباطل . ومع ورود النهي الشديد عن تصديق أهل الكتاب أو تكذيبهم فيما لا نعرف صحته أو بطلانه ، ووجوب تكذيبهم فما نعرف كذبه ، وتصديقهم فيما نعرف صدقه ، رأينا بعض المفسرين يصدقونهم فيما صح عندنا كذبه ، وما ثبت لنا عن المعصوم صلى الله عليه وسلم أنه باطل واقتراء .

ورغم تحذير بعض هؤلاء المفسرين من هذه الإسرائيليات وتقديم بعضها في كتبهم ، نراهم عند التطبيق قد ساقوا كثيراً منها وبخاصة عند توضيح جزئيات قصص القرآن ، وتعيين مبهماتنا ، وتفصيل كيفياتها ووقائعها وظروفها .

والحق أن هذه الروايات التي امتلأت بها كتب التفسير قد استغرقت حيزاً كبيراً من هذه الكتب ، وكادت تشغل المفسرين وتستغرق جلّ تفكيرهم ، وأعتقد أن المسؤولية الأولى عن هذه الإسرائيليات التي امتلأت بها كتب التفسير لا تقع على عاتق أهل الكتاب - كما هو قائم في الأذهان - وإنما تقع على عاتق الرواة والمدونين القدماء ، سواء في ذلك الذين رووا ودونوا أجوبة أهل الكتاب وشروحيهم لأول مرة في كتب لم تصل إلينا ، والذين دونوها في الكتب التي وصلت إلينا نقلاً عن الكتب المتقدمة . وكلهم مفروض فيه القدرة على تمييز الغث من السمين ، والباطل من الحق ، والكذب من الصدق ، وعلى إدراك ما في هذه

الروايات من غلو ومبالغات لا يصح كثير منها في عقل أو منطق أو واقع ، ولا يؤيدها أثر صحيح . ولا شك أن هناك مفسرين وقفوا من بعض هذه الروايات موقف المنكر الناقد - كما مر بنا - غير أن الحق يقتضي أن نقول : إن هذا لم يكن شاملاً ولا عاماً ، وإن الناقدين والمنكرين أنفسهم رووا كثيراً منهم - في مناسبات كثيرة بدون نقد أو إنكار كما أوضحنا ذلك في مناسبات عديدة .

وقد اعتذر بعض العلماء عن المفسرين في ملء تفاسيرهم بالإسرائيليات :

قال العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثري رحمه الله في مقالاته ص ٣٤ :
(إن كثيراً من المفسرين دونوا ما يظنون به أن له نفعاً لتبيين بعض النواحي في أنباء القرآن الحكيم من معارف عصرهم المتوارثة من اليهود وغيرهم ، تاركين أمر غربتها لمن بعدهم من النقاد ؛ حرصاً على إيصال تلك المعارف إلى من بعدهم ، لاحتمال أن يكون فيها بعض فائدة في إيضاح بعض ما أجمل من الأنباء في الكتاب الكريم ، لا لتكون تلك الروايات حقائق في نظر المسلمين يراد اعتقاد صحتها والأخذ بها على علاتها بدون تمحيص ، فلا تترتب على من دون الإسرائيليات ما دام قصده هكذا .

وقد اعتذر سليمان بن عبد القوي الطوفي عن المفسرين في ملء تفاسيرهم بالإسرائيليات بحمل قصدهم على ذلك ، في كتابه (الاكسير في قواعد التفسير)
وضرب لذلك مثلاً صنيع رواة الحديث حيث عنوا بأدى ذي بدء يجمع الروايات كلها تاركين أمر التمييز بين صحاحها وضعافها لمن بعدهم من النقاد . وهذا اعتذار وجهه) .

وإذا كان بعض المفسرين الذين وقفوا من رواية الإسرائيليات موقفاً متشدداً ، كابن كثير ، قد استباح لنفسه أن يروي عند تفسيره لبعض الآيات بعض ما يحتمل الصدق والكذب من الإسرائيليات اعتماداً على قول رسول الله

صلى الله عليه وسلم : (. . . وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) . . . إذا كان بعض المفسرين يستسيح ذلك عند تفسيره لبعض الآيات ؛ فإن هذا المسلك لم يلق لدى بعض العلماء قبولاً . فالعلامة الشيخ أحمد شاكر رحمه الله يقول ناقداً لمسلك ابن كثير في روايته لهذا النوع من الإسرائيليات في تفسيره : (إن إباحة التحدث عن بني إسرائيل شيء ، وذكر ذلك في تفسير القرآن وجعله قولاً أو رواية في معنى الآيات أو في تعيين ما لم يعين فيها أو تفصيل ما أجمل فيها شيء آخر ، لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله ما يوهن أن هذا الذي لا نعرف صدقه ولا كذبه مبين لمعنى قول الله سبحانه ، ومفصل لما أجمل فيه ، وحاشا لله وكتابه من ذلك . وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم - إذ أذن بالتحدث عنهم - أمرنا أن لا نصدقهم ولا نكذبهم . فأي تصديق لرواياتهم وأقوالهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله ، ونضعها منه موضع التفسير والبيان . اللهم غفراً ^(١)) .

والحق أن الكلام الذي قاله الشيخ أحمد شاكر منطقي معقول ، وأن اعتذار الطوفي وغيره من المفسرين لا يعفيهم أبداً من المسؤولية ، ولا يعفي من نقل عنهم جيلاً بعد جيل تلك الروايات الغريبة العجيبة التي شغلت الحيز الكبير من كتب التفسير ، وأدت إلى تشويش الأذهان ، فوجود هذه الإسرائيليات في أسفار اليهود وكتبهم لا يسوغ إيرادها في كتب التفسير على علامتها؛ حيث توهم من يقرأها أنها بيان للقرآن وتوضيح لأهدافه ، مع أنها صارفة للذهن عما اقتضت حكمة التنزيل إirاده ، وبعضها من عمل القصاص ، ووضع الحديث ، وأهل الدس والكيد من اليهود .

وقد عاب صاحب البحر المحيط على المفسرين الذين يضمنون تفاسيرهم مثل هذه الموضوعات والإسرائيليات فقال : (. . . وكذلك ذكروا ما لا يصح

(١) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير ص ١٤٠، تحقيق أحمد محمد شاكر.

من أسباب النزول ، وأحاديث في الفضائل ، وحكايات لا تناسب ، وتواريخ
إسرائيلية ، ولا ينبغي ذكر هذا في علم التفسير (١) .

هذا وإن على عاتق علمائنا واجباً كبيراً نحو التفسير بالرواية ، ألا وهو نقد
هذه المجموعة المروية من التفسير النقلي متناً وسنداً ؛ لنستبعد منها كثيراً مما
لا يستحق البقاء ، ونزيح الناظرين في كتاب الله من الاتصال به إذا ما حاولوا تفهم
الآية ، فلا يقفون عند شيء لا أساس له ، وذلك ما سنفصله فيما يلي :



(١) البحر المحيط . المقدمة « ١ : ٥ » .

٣ - واجب المفسرين إزاء هذه الإسرائيليات

أ - علمنا أن كثرة النقل عن أهل الكتاب بدون تفرقة بين الصحيح والعليل دسيسة دخلت في ديننا ، واستفحل خطرها ، وقد نحا هذا النحر عدد من المفسرين زادوا في قصص القرآن ماشاؤوا من كتب التاريخ والإسرائيليات ، ولينهم اقتصروا على النقل من التوراة والإنجيل والكتب المعتمدة لدى أهل الكتاب ، ولكنهم أخذوا جميع ما سمعوه عنهم من غير تفرق بين غث وسمين ، ولا تمييز بين حق وباطل ، ولقد ظلت هذه الأكاذيب في كتبنا يتشبث بها الكائدون للإسلام والمسلمين .

ب - كما علمنا أن قوله صلى الله عليه وسلم : (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم) قاعدة تقضي بتصديق ما صدقه الشرع الإسلامي ، وتكذيب ما كذبه ، والتوقف فيما سوى ذلك ، وهذه القاعدة ينبغي على المفسر أن يتقيد بها ، ولا يجوز أن يعدل عنها بأي حال من الأحوال .

ج - وبعد هذا وذاك نقول :

إنه يجب على المفسر أن يكون يقظاً إلى أبعد حدود اليقظة ، ناقداً إلى نهاية ما يصل إليه النقاد من دقة وروية ؛ حتى يستطيع أن يستخلص من هذا الهشيم المركوم من الإسرائيليات ما يناسب روح القرآن ، ويتفق مع العقل والنقل ، كما يجب عليه أن لا يرتكب النقل عن أهل الكتاب إذا كان في سنة نبينا صلى الله عليه وسلم بيان لمجمل القرآن^(١) .

(١) فنلاً حيث وجد لقوله تعالى : « ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه =

كذلك يجب على المفسر أن يلحظ أن الضروري يتقدر بقدر الحاجة ، فلا يذكر في تفسيره شيئاً من ذلك إلا بقدر ما يقتضيه بيان الإجمال ؛ ليحصل التصديق بشهادة القرآن فيكف اللسان عن الزيادة . قال الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده : (وقد قلت لكم غير مرة : إنه يجب الاحتراس في قصص بني إسرائيل وغيرهم من الأنبياء ، وعدم الثقة بما زاد على القرآن من أقوال المؤرخين والمفسرين ، فالمشتغلون بتحرير التاريخ والعلم اليوم يقولون معنا : إنه لا يوثق بشيء من تاريخ تلك الأزمنة التي يسمونها أزمنة الظلمات إلا بعد التحري ، والبحث ، واستخراج الآثار ، فنحن نعذر المفسرين الذين حشوا كتب التفسير بالقصص التي لا يوثق بها لحسن قصدهم ، ولكننا لانعول على ذلك ، بل نهى عنه ونقف عند نصوص القرآن لا نتعدها ، وإنما نوضحها بما يوافقها ، إذا صحت روايته ^(١) .

ويجب على المفسر أيضاً أن يمتنع من جهة معتدلاً ليس فيه إفراط أو تفريط في موقفه من القصص القرآني ، وذلك بالوقوف عند ما ورد في القرآن الكريم مع الاحتفاظ بدلالة الألفاظ اللغوية على معانيها وإفادتها لواقع هي تعبير صحيح عنه ، دون تريد عليه بما لم يرد فيه ، اعتماداً على روايات لا سند لها كما صنع المفرطون ^(٢) . ودون تحيف لمعانيها باعتبار أن الكلام تخيل لا يعبر عن واقع كما فعل المفرطون ^(٣) ، ودون صرف للألفاظ عن معانيها الوضعية إلى معان

= جسداً ثم أناب « محمل في السنة النبوية الصحيحة ؛ وهو قصة ترك «إن شاء الله» والمؤاخذه عليه ؛ فلا تترك قصة صخر المارد » انظر التفسير والمفسرون ١ : ١٨١ وانظر ص ٢٤٦ وما بعدها من هذا الكتاب .

(١) تفسير المنار « ١ : ٣٤٧ » .

(٢) وهو منهج جمهور المفسرين ويقوم على الإفراط في تحكيم الروايات الواردة من طرق مختلفة في فهم القصة القرآنية ، واعتبار كل ما ورد متصلاً بالقصة بياناً وتفصيلاً لما جاء في القرآن وذلك يتمثل في كثير من كتب التفسير حينما تصل إلى قصص الأنبياء مع أنهم كما نراه في حالة بني إسرائيل في التيه ؛ وكما نراه في وصف المائدة التي أنزلها الله . (٣) انظر ردنا على صاحب كتاب الفن القصصي في القرآن الكريم ص ٤٢٠ وما بعدها من هذا الكتاب .

أخرى ، من غير صارف يمنع إجراء الكلام على ظاهره كما فعل أهل التأويل الذين حرفوا كثيراً من القرآن عن مواضعه ، وتنكبوا قانون العربية التي نزل بها ^(١) .

وعلى المفسر أن لا يكتفي بالاعتماد على ذكر السند في كتاب كبير كتفسير ابن جرير ، فقد يذكر ابن جرير أو غيره أشياء غير صحيحة ، ويسوق أسانيداً ثم لا يبين المجروح من رجال السند ولا المعدل منهم ، وعذره في ذلك أن أحوال الرجال كانت معروفة لأهل ذلك الزمان فيستطيعون أن يحكموا في ضوء هذه المعرفة بقبول الخبر أو برده ^(٢) . أما نحن في هذا الزمان المتأخر فقد أهملنا هذا الميزان ولم نعن بمعرفة حال الأسانيد والرجال ، لذا فلا معدى للمفسر — في عصر هذا شأن علمائه — عن الاسترشاد بكتب الجرح والتعديل قبل أن يقدم على نقل رواية من الروايات الموجودة في كتب التفسير .

وإذا لاحظ المفسر أن المتقدمين اختلفوا في تعيين مبهم من مبهمات القرآن الكريم ، وتوضيح جزئية من قصصه ، وكثرت أقوالهم ونقولهم فيها ، فلا مانع من نقل المفسر لهذه الأقوال جميعاً ، على أن ينبه على الصحيح منها ، ويبطل الباطل ، وليس له أن يحكي الخلاف ويطلقه ولا ينبه على الصحيح من الأقوال ، لأن مثل هذا العمل يعد ناقصاً لا فائدة فيه ما دام قد خلط الصحيح بالعليل ، وجرد الأقوال من الأسانيد ، ووضع أمام القارئ من الأقوال المختلفة ما يسبب

(١) وكثيراً ما يقصده بعض الباحثين دفعاً لما يثيره خصوم القرآن على القرآن ، ويدخل في هذا القسم تأويل إحياء الموتى المنسوب لعيسى عليه السلام بإحياء الروحي ، وحل النمل في قصة سليمان على أنه قبيلة ضعيفة ، وتأويل الكواكب في قصة إبراهيم بأنها جواهر نورانية نورها عقلي لا حسي ، وما نقله بعض الصوفية بأن المائدة التي أنزلها الله عبارة عن حقائق المعارف فإنها غذاء الروح كما أن الأطعمة غذاء البدن . . الخ (انظر تفسير القرآن الكريم للشيخ محمود شلتوت رحمه الله ص ٤٤ وما بعدها) .

(٢) وهذه طريقة لبعض المؤلفين القدامى . ولعل هذه الطريقة كانت مستساغة في أيامهم لظهور المقصود ، ولكن تبين لنا الآن أنها جرت مشاكل وطعونا عدة أتعبت العلماء بعدم ، فليتهم لم يسلكوها .

له الحيرة والاضطراب . يشير إلى ما قلناه من جواز نقل الخلاف عن المتقدمين شريطة استيفاء الأقوال وتزيف الزائف منها ، وتصحيح الصحيح ، وأن من الخير أن يمسك الإنسان عن الحوض فيما لا طائل تحته ، ما جاء في الآية (٢٢) من سورة الكهف : (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب . ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً ولا تستفت فيهم منهم أحداً) فقد اشتملت هذه الآية الكريمة - كما يقول ابن تيمية - على الأدب في هذا المقام ، وتعليم ما ينبغي في مثل هذا ، فإنه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال ، ضعف القولين الأولين ، وسكت عن الثالث ، فدل على صحته ، إذ لو كان باطلاً لرده كما ردها ، ثم أرشد أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته ، فقال في مثل هذا : (قل ربي أعلم بعدتهم) فإنه ما يعلم بذلك إلا قليل من الناس ممن أطلعه الله عليه ، فلهذا قال : (فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً) أي لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته ، ولا تسألهم عن ذلك فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب ^(١) .

على أن من الخير للمفسر أن يعرض كل الإعراض عن هذه الإسرائيليات ، وأن يمسك عما لا طائل تحته بما يعد صارفاً عن القرآن وشاغلاً عن التدبر في حكمه وأحكامه ؛ وبدهي أن هذا أحكم وأسلم . قال ابن العربي منفراً من الإسرائيليات : (فأعرض عن سطورها بصرك ، واصم عن سماعها أذنك ، فإنها لا تعطي فكرك إلا خيالاً ، ولا تريد فؤادك إلا خيالاً ^(٢)) . وقال ابن كثير : (وفي القرآن غنية عن كل ما عده من الأخبار المتقدمة ، لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان ، وقد وضع فيها أشياء كثيرة ، وليس لهم من الحفاظ المتقين الذي ينفون عنها تحريف الضالين ، وانتحال المبطلين كما لهذه الأمة

(١) مقدمة ابن تيمية ص ٢٧ ، وانظر التفسير والمفسرون « ١ : ١٨٣ » .

(٢) تفسير القرطبي « ١٥ : ٢١٠ » .

من الأئمة والعلماء والسادة والأتقياء والبررة والنجباء من الجهابذة النقاد ، والحفاظ الجياد الذين دونوا الحديث وحرروه ، وبينوا صحيحه من حسنه من ضعفه ، من منكره ، وموضوعه ومتروكه ومكذوبه ، وعرفوا الوضاعين والكذابين والمجهولين ، وغير ذلك من أصناف الرجال ، كل ذلك صيانة للجناب النبوي والمقام المحمدي ، خاتم الرسل سيد البشر صلى الله عليه وسلم ، أن ينسب إليه كذب ، أو يحدث عنه بما ليس منه ، فرضي الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم^(١) .

وقال الشيخ محمود شلتوت رحمه الله : (وقد تتبع بعض المفسرين غرائب الأخبار التي ليس لها سند صحيح ، وأغدقوا من شرها على الناس وعلى القرآن ، وكان جديراً بهم أن يقيموا بينها وبين الناس سداً يقيم البلبلة الفكرية فيما يتصل بالغيب الذي استأثر الله بعلمه ، ولم ير فائدة لعباده في أن يطلعهم على شيء منه . وإذا كان للناس بطبيعتهم ولع بسماع الغرائب وقراءتها ، فما أشد أثرها في إلهائهم عن التفكير النافع فيما تضمنه القرآن من آيات العقائد والأخلاق وصالح الأعمال^(٢) .

* * *

(١) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير . تحقيق أحمد شاكر « ١ : ١٥ - ١٦ »

(٢) الفتاوى ص ٥٦ .

٤ - مقترحات

من أجل ما تقدم أقترح على العلماء وبخاصة علماء الأزهر الشريف ما يلي:

١ - نقد هذه المجموعة المركومة من التفسير النقلي على هدي قواعد القوم في نقد الرواية متناً وسنداً ، ثم يستبعد منها الكثير الذي لا يستحق البقاء ، ولست أظن أن هذا العمل الشاق المضي يستطيع أن يقوم به فرد وحده ، بل لابد من جماعة كبيرة تتفرغ له ويتسع أمامها الزمن ، وتتوفر لديها جميع المصادر والمراجع التي تتعلق بالموضوع وتتصل به .

٢ - تخريج الأحاديث الواردة في كتب التفسير كما فعل الحافظ الزيلعي في كتابه (نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية) ، وكما فعل ابن حجر في كتابه (الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف) ، وبذلك نغيز الحيث من الطيب ، ولا يؤخذ الكل بمعيار واحد .

٣ - إلقاء المحاضرات التي تنبه الأذهان إلى خطر هذه الإسرائيليات ، والرقابة على الأئمة والخطباء والمتصوفة والقصاص وأضرابهم ممن تشيع على ألسنتهم الإسرائيليات ويذكرونها لاستمالة العامة ، كما يجب أن تفرض رقابة دقيقة على الكتب التي تدرس في دور العلم ومعاهده ، وبخاصة كتب التفسير والوعظ والتصوف ونحوها . ولكي يخرج هذا العمل الجليل كاملاً يجب أن يتولاه عدد من كبار العلماء ذوي الاختصاص .

٤ - بذل الجهود لإعادة طبع كتب السنة المعتمدة وبخاصة تلك التي

نهت على الموضوعات والإسرائيليات وأن يحقق وينشر القسم الذي ما زال مخطوطاً منها ومجهولاً لكثير من الباحثين حتى تتم الفائدة المرجوة منها .

هـ - أن تؤلف كتب أو رسائل خاصة تجمع فيها الإسرائيليات الموجودة في كتب التفسير - كل على حدة - ثم ينبه على زيفها ، فمثلاً تؤلف رسالة خاصة تستقصى فيها الإسرائيليات الموجودة في تفسير الثعلبي ، وأخرى يستقصى فيها ما في تفسير الخازن . . . وهكذا . . . وبهذه الطريقة نجمع جميع الإسرائيليات الموجودة في كتب التفسير ليتحاشى الناس سمومها .

. . . وبعد : فلما كان القرآن الكريم هو عماد الإسلام فإن واجب علماء المسلمين نحوه واجب جد جسيم وعظيم . . . واجبهم أن يتنبهوا لكل ما ألقى به من مفتريات وأباطيل ، وما يثار حوله من شكوك وأوهام ، وما يوجه إليه من طعون تستهدف الإساءة إليه ، بل القضاء عليه . . . لذلك أقترح على طلاب الدراسات العليا في كلية أصول الدين أن تعالج رسائلهم التي يتقدمون بها للحصول على مؤهل علمي عال هذا الجانب الذي يس كتابهم ؛ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . . . وبهذا يكون الأزهر الشريف قد أسدى للإسلام والمسلمين أجل خدمة ، وقام بأقدس واجب عليه نحو دينه ، وليس سوى الأزهر من نعلق عليه آمالنا ورجاءنا . . . والله نسأل أن يوفقنا لخدمة كتابه ، وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل . .

★ ★ ★

بسم الله الرحمن الرحيم

تقرير عن هذا الكتاب

تقرير عن الرسالة المقدمة من السيد رمزي محمد كمال نعناعة للحصول على درجة العالمية « الدكتوراة » وموضوعها الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، والتي تمت مناقشتها يوم الإثنين ١٦ من ذي القعدة سنة ١٣٨٨ هـ الموافق ٢٠١٩/٣/٢٠. احتوت هذه الرسالة على مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة .

أما المقدمة : فقد تكلم فيها عن مراحل التفسير منذ نشأته إلى أن تم تدوينه ، فتكلم عن التفسير أولاً في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وعهد الصحابة ، وثانياً عن التفسير في عهد التابعين ، وتكلم ثالثاً عن التفسير في عصور التدوين ، موضحاً سمات كل مرحلة ومميزاتها ومركزاً الحديث على منهج التفسير بالمأثور وما تطرق إليه من عوامل الضعف وذلك لصلته بموضوع الرسالة .

ثم تكلم عن علاقة القرآن الكريم بالكتب السماوية الأخرى ومنزلته منها، وبين بالدليل أن الإسلام في لغة القرآن ليس اسماً لدين خاص ؛ وإنما هو اسم لجميع الأديان (إن الدين عند الله الإسلام) فالإسلام هو الذي نادى به كل الأنبياء وانتسب إليه أتباعهم ، ثم عرض لبيان علاقة القرآن الكريم بغيره من الكتب السماوية وهي على حالتها الأولى قبل التحريف والتبديل ، ثم علاقته بهابعد أن طال عليها الأمد وتناولها التحريف والتبديل . ونظراً لأن التوراة والإنجيل

من أهم المصادر التي يستقى منها القصص الإسرائيلي ؛ فقد استطرد صاحب الرسالة إلى الكلام عن تحريفها وتبديلها مبتدئاً بالتوراة ، فتكلم عنها وعن محتوياتها ومصادرها وما نالها من التحريف ؛ مدلاً على ذلك بأدلة من واقع ماورد بها . ثم تحدث عن الإنجيل ، فعرف بالأنجيل الأربعة وبمحتوياتها ومصادرها وما نالها من التحريف مدلاً على ذلك بأدلة من واقع هذه الأنجيل .

وتناول في الباب الأول من الرسالة : معنى كلمة « الإسرائيليات »
فبين مفهومها وأنها تشمل عند إطلاقها كل دخیل على التفسير حتى ولو كان مصدره غير إسرائيلي ، وذلك من باب التغليب ، ثم فصل القول في أقسام الإسرائيليات ؛ فبين أنها تنقسم إلى أقسام متعددة باعتبارات مختلفة موضعاً ذلك بالأمثلة ، ثم تحدث عن حكم رواية الإسرائيليات مستعرضاً أدلة المنع وأدلة الجواز ، وانتهى إلى التوفيق بينهما ، ورجح جواز روايتها مشروطاً بقيود استنبطها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسلك صحابته رضوان الله عليهم .

ثم عرض صاحب الرسالة لبيان كيف امتزجت الثقافة الإسرائيلية بالثقافة الإسلامية وكيف تسربت الإسرائيليات إلى تفسير القرآن الكريم ، فذكر أولاً لمحة تاريخية عن هجرة اليهود إلى جزيرة العرب ، وبين دورهم الذي لعبوه بعد استقرارهم فيها وأثر ثقافتهم في جيرانهم من العرب قبل الإسلام وبعده ، ثم بين طرق تسرب هذه الثقافة الإسرائيلية إلى الثقافة الإسلامية ، وأن هذا التسرب لم يقتصر على كتب التفسير وحدها وإنما تعداها إلى غيرها من كتب التاريخ والمذاهب الكلامية وغيرها .

وأما الباب الثاني : فقد تناول فيه الحديث عن الإسرائيليات في دور الرواية مبيناً بالأدلة موقف الصحابة من روايتها وأنهم كانوا مقلين ومحتاطين في ذلك ، ثم دفع عنهم تهم الطاعنين عليهم بالتوسع في رواية الإسرائيليات والانخداع بروايتها من مسامي أهل الكتاب ، وقد اقتضى ذلك التعرض لموقف من اشتهر برواية الإسرائيليات من الصحابة ، مبيناً مسلكهم في روايتها ، مفنداً كل ما قيل فيهم

من تهم ، كابن عباس ، وأبي هريرة ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن سلام ، وقيم الداري .

ثم عرض لموقف التابعين من الإسرائيليات وركز على اثنين من رواياتهما وهما : كعب الأحبار ، وهب بن منبه ، وأورد مطاعن بعض المعاصرين عليهما وفند هذه المطاعن . ثم عرض بعد ذلك لموقف تابع التابعين من الإسرائيليات ، وترجم لثلاثة من الذين اشتهروا بروايتها وهم : ابن جريج ، والكلبي ، وابن إسحق ، وأوضح حقيقة موقفهم من رواية الإسرائيليات .

ثم تكلم صاحب الرسالة عن الإسرائيليات في دور التدوين ؛ فأوضح أن الإسرائيليات قد استفحل خطرهما بعد عصر تابع التابعين ، وأرجع ذلك إلى وجود طائفة من القصاص الذين لهم شغف برواية الإسرائيليات ، وإلى ترجمة التوراة وشروحها إلى اللغة العربية الأمر الذي يسر للمفسرين رجوعهم إليها واستمدادهم منها . وختم صاحب الرسالة هذا الباب بكلمة عن الإسرائيليات في كتب الحديث وكتب التاريخ موضحاً دور القصاص والزنادقة في ذلك .

وأما الباب الثالث : فقد عنون له بعنوان « الإسرائيليات في كتب التفسير » وهو أهم مباحث الرسالة . وفيه بين موقف المفسرين من الإسرائيليات بإيجاز ، وأنهم جميعاً من عهد ابن جرير الطبري إلى عهد السيد محمد رشيد رضا قد وقعوا في روايتها ؛ ولكن على تفاوت بينهم في ذلك قلة وكثرة ، وسكوتاً عنها وتعقيباً عليها ، وذلك بالرغم من تحذير بعضهم من روايتها وحملاته الشديدة على من رواها في تفسيره .

ثم بين موقف عدد من المفسرين من رواية الإسرائيليات في تفاسيرهم عارضاً نماذج مما أوردوه منها في كتبهم ، ناقداً لها متناً وسنداً .

وأما الباب الرابع : وهو آخر أبواب الرسالة فقد عقد فيه موازنة بين الإسرائيليات في كتب التفسير وبين مصادرها في أسفار أهل الكتاب ؛ مستخلصاً

من هذه الموازنة أن كثيراً من الإسرائيليات المبثوثة في كتب التفسير منقولة بنصها أو قريب منها من أسفار أهل الكتاب وأرجع ما يكون بين النصين من خلاف إلى اختلاف الترجمة وتزيدات القصاص والوضايع .

ثم تحدث عن المستشرقين والإسرائيليات ، فمهد لحديثه بمقدمة تاريخية عن نشأة الاستشراق ؛ مبيناً خططه وأهدافه التي ترمي إلى تشويه جمال الإسلام وإثارة الشكوك من حوله . مستطرداً إلى انخداع بعض المثقفين من المسلمين ثقافة غربية بما يكتبه هؤلاء المستشرقون ، مبيناً خطر هؤلاء وهؤلاء على الإسلام وعقائد المسلمين ، مع إيراده لبعض شبه المستشرقين ومن حطب في حبلهم من المسلمين وتقنيده لهذه الشبه بالحجة الواضحة .

وأما الخاتمة : فقد حمّل صاحب الرسالة المفسرين مسؤولية روايتهم للإسرائيليات ونقلهم لها في تفاسيرهم ، ورفض اعتذار بعض العلماء عنهم ؛ مبيناً أن هذا الاعتذار لا يعفيهم أبداً من المسؤولية لأنهم جميعاً مفروض فيهم القدرة على تمييز الغث من السمين والباطل من الحق .

ثم بين واجب المفسرين إزاء هذه الإسرائيليات ، وأن على المفسر أن يكون يقظاً إلى أبعد حدود اليقظة ، نافذاً إلى نهاية ما يصل إليه النقد من دقة وروية ؛ حتى يستطيع أن يستخلص من هذا الهشيم المروك من الإسرائيليات ما يناسب روح القرآن ويتفق مع العقل والنقل .

وختم صاحب الرسالة رسالته بذكر مقترحات اقترحها لتنقية كتب التفسير من الإسرائيليات ونفي خبثها عن كتاب رب العالمين .

وقد تناول صاحب الرسالة كل ما تقدم من أبحاث بعبارة علمية سليمة ، وعالجها ببصيرة مدركة لدقائقها ، ملمة بكل جوانبها ، مع إبداء رأيه عند اختلاف الرأي في دقة وبراعة ، تكشف عن شخصيته كباحث قرأ من المراجع المختلفة ما شاء الله أن يقرأ ، ونقد منها ما يستحق النقد ، وتوصل إلى نتائج علمية قيمة ،

فبين موقف العلماء وواجبهم نحو الدفاع عن الاسلام ومحاربة الإسرائيليات ،
ورسم لذلك منهجاً قيماً بين فيه كيف يجب أن تكون الجهود المبذولة لمكافحة
هذه الإسرائيليات ، وشرح الوسائل العلمية التي يكون بها الكفاح ، وعدّد
لذلك طرقاً اقترحها وهي طرق ناجحة متى التزمت ؛ سواء ما كانت منها بتنقيح
الكتب المحتوية على الإسرائيليات أو التعليق عليها أو إرشاد الطلاب إلى سلوك هذا
الميدان في رسائلهم ومحاضراتهم ، وكيف يجب أن تستغل وسائل النشر من صحافة
وإذاعة في الكشف عن خطر هذه الإسرائيليات ، وتبنيه الجماهير إلى أثرها السيء
على العقيدة . وهي مقترحات عملية إن اتبعت . وبالجملّة فقد ناقشته اللجنة مناقشة
علمية في كل آرائه المبتكرة وتعليقاته على آراء العلماء السابقين ، ورأت منه
اطلاعاً واسعاً وعلماً نافعاً .

لذلك رأت اللجنة منحه درجة العالمية « الدكتوراة » مع مرتبة
الشرف الثانية .

أعضاء اللجنة : ١ - محمد علي أبو الروس ٢ - محمد محمد أبو زهرة
٣ - أحمد السيد الكومي .

إمضاء
مراقب الكلية



الفهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم بقلم الشيخ عبد الحميد السائح	٥ - ٦
خطبة الكتاب	٧ - ١٠
المقدمة	١١ - ٧٠
المبحث الاول : في نشأة التفسير وتطوره	١١ - ٢٤
١ - التفسير في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد أصحابه	١١ - ١٦
٢ - التفسير في عهد التابعين	١٦ - ١٨
٣ - التفسير في عصور التدوين	١٨ - ٢١
٤ - منهج التفسير بالمأثور وضعف الرواية بالمأثور وأسبابه	٢١ - ٢٤
المبحث الثاني: علاقة القرآن الكريم بالكتب السماوية الأخرى	
ومنزله منها	٢٥ - ٣٠
١ - علاقة القرآن الكريم بالكتب السماوية السابقة وهي	
على حالتها الأولى	٢٦ - ٢٨
٢ - علاقة القرآن الكريم بالكتب السماوية السابقة وهي	
على حالتها الثانية (حالة التبديل والتحريف)	٢٩ - ٣٠
المبحث الثالث : في بيان ما طرأ على التوراة والانجيل	
من تحريف وتبديل	٣١ - ٧٠

٣٣ - ٣١	١ - التوراة :
٣٥ - ٣٤	أ - تعريفها
٤١ - ٣٥	ب - محتوياتها
٤٣ - ٤١	ج - تأليفها
٥٤ - ٤٣	د - مصادرها
	هـ - تحريفها
	٢ - الانجيل :
٥٧ - ٥٥	أ - تعريفه
٦٠ - ٥٧	ب - تأليفه
٦١ - ٦٠	ج - محتوياته
٦٨ - ٦١	د - تحريفه
٧٠ - ٦٨	هـ - مصادره
	الباب الاول :
٧٥ - ٧١	الفصل الاول : ١ - معنى الاسرائيليات
٨٥ - ٧٦	٢ - أقسام الاسرائيليات
٩٧ - ٨٦	٣ - حكم رواية الاسرائيليات
١٠٥ - ٩٨	آراء بعض العلماء في رواية الاسرائيليات
١٠٠ - ٩٨	١ - رأي ابن تيمية
١٠٣ - ١٠٠	٢ - رأي ابن كثير
١٠٥ - ١٠٣	٣ - رأي الامام البقاعي
	الفصل الثاني : امتزاج الثقافة الاسرائيلية بالثقافة الاسلامية
١١٦ - ١٠٦	وتسربها إلى تفسير القرآن الكريم

الباب الثاني :

- الفصل الاول : الاسرائيليات في دور الرواية ١١٧ - ١٩٧
- ١ - موقف الصحابة من الاسرائيليات ١١٧ - ١٢٢
- ٢ - من اشتهر برواية الاسرائيليات من الصحابة
- أ - ابن عباس ١٢٣ - ١٣٢
- أشهر الطرق عن ابن عباس ١٢٤ - ١٢٥
- رجوع ابن عباس إلى أهل الكتاب ١٢٦
- اتهم ابن عباس بالتوسع في الأخذ عن أهل الكتاب ١٢٦ - ١٢٨
- الوضع على ابن عباس وأسبابه ١٢٨
- نقد بعض الروايات التي رويت عن ابن عباس في كتب التفسير ١٢٨ - ١٣٢
- ب - أبو هريرة ١٣٢ - ١٤٣
- عدة ما روي عنه من الحديث ١٣٣
- أصح الطرق عن أبي هريرة ١٣٣ - ١٣٤
- هل كان أبو هريرة تلميذاً لكعب الأحبار؟ ١٣٤ - ١٤٣
- ج - عبد الله بن عمرو بن العاص ١٤٣ - ١٥٩
- منبع ثقافته ١٤٤ - ١٤٧
- عبد الله بن عمرو وروايته عن رسول الله ﷺ ١٤٧ - ١٥١
- عبد الله بن عمرو ورواية الاسرائيليات ١٥٢ - ١٥٣
- عبد الله بن عمرو ليس تلميذاً لكعب الأحبار ١٥٣ - ١٥٩
- د - عبد الله بن سلام ١٥٩ - ١٦١
- هـ - تميم الداري ١٦١ - ١٦٤

- ١٦٦ - ١٦٤ موقف التابعين من الاسرائيليات
من اشتهر برواية الاسرائيليات من التابعين
- ١٨٣ - ١٦٧ ١ - كعب الأجار
١٦٨ طعن بعض المعاصرين فيه وتفنيد ذلك
- ١٩٢ - ١٨٣ ٢ - وهب بن منبه
١٨٥ - ١٨٤ ثقافته
- ١٨٦ - ١٨٥ مؤلفاته
- ١٨٧ - ١٨٦ مطاعن بعض التابعين على وهب
- ١٨٨ - ١٨٧ ثناء العلماء عليه
- ١٩٢ - ١٨٨ تفنيد ما تقدم من المطاعن على وهب
- ١٩٣ - ١٩٢ موقف تابعي الاسرائيليات
من اشتهر برواية الاسرائيليات من تابعي التابعين
- ١٩٥ - ١٩٣ ١ - ابن جريج
- ١٩٦ - ١٩٥ ٢ - الكلبي
- ١٩٧ - ١٩٦ ٣ - ابن اسحاق
- ١٩٨ الفصل الثاني : الاسرائيليات في دور التدوين
- ٢٠٨ - ١٩٩ الاسرائيليات في الحديث
- ٢١٣ - ٢٠٩ الاسرائيليات في كتب التاريخ
- الباب الثالث :
- ٣٦٧ - ٢١٤ الاسرائيليات في كتب التفسير :
- ٢١٩ - ٢١٤ ١ - موقف المفسرين من الاسرائيليات باجمال
- ٢١٩ - ٢١٤ ٢ - موقف المفسرين من الاسرائيليات بالتفصيل
- ٢٩ - ٤٤٩ - الاسرائيليات :

- ١ - التفسير الكبير المنسوب لمقاتل بن سليمان ٢١٩ - ٢٣٣
- ٢ - جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري ٢٣٤ - ٢٤٩
- ٣ - الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ٢٤٩ - ٢٦٢
- ٤ - معالم التنزيل للبغوي ٢٦٢ - ٢٨٠
- ٥ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ٢٨٠ - ٢٨٦
- ٦ - الكشف للزحشري ٢٨٦ - ٢٩٦
- ٧ - مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٢٩٦ - ٣٠٣
- ٨ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٠٣ - ٣٠٩
- ٩ - مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ٣١٠ - ٣١٢
- ١٠ - لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ٣١٢ - ٣٢١
- ١١ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٢١ - ٣٢٧
- ١٢ - الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي ٣٢٧ - ٣٣٦
- ١٣ - السراج المنير في الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للخطيب الشربيني ٣٣٦ - ٣٣٩
- ١٤ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي ٣٣٩ - ٣٥٠
- ١٥ - تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ٣٥٠ - ٣٦٧

الباب الرابع :

- الفصل الاول : موازنة بين الاسرائيليات في كتب التفسير ٣٦٨ - ٣٨٢
- وبين مصادرها في أسفار أهل الكتاب

الفصل الثاني :

٣٨٣ - ٤٠٠	المستشرقون والاسرائيليات
٤٠١ - ٤١٦	اسرائيليات حول القرآن الكريم
٤١٧ - ٤٢٦	المستغربون
٤٢٧ - ٤٤٠	اخلاصة
٤٢٨ - ٤٢٩	١ - آثار الاسرائيليات
٤٣٠ - ٤٣٣	٢ - مسؤولية المفسرين الذين رووا الاسرائيليات
٤٣٤ - ٤٣٨	٣ - واجب المفسرين ازاء هذه الاسرائيليات
٤٣٩ - ٤٤٠	٤ - مقترحات
٤٤١ - ٤٤٥	تقرير عن الكتاب
٤٤٦ - ٤٥١	الفهرس



فهرس الأعولم (٠)

أ

الآمدي ٣٣٢

أبان بن سمعان ١٢٣

إبراهيم عليه السلام ٣٤ ، ٤٨ ، ٣٩

٧١ ، ٨٤ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٢٩

١٥٢ ، ١٦٦ ، ٢١٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧

٢٢٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٥٤

٢٩٥ ، ٣٢٥ ، ٣٤٢ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨

٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٩٤ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤

٤٣٦

إبراهيم بن أبي يحيى ٢٢٠

إبليس ٢٠٦ ، ٢١١ ، ٢١٢

٢٢٥ ، ٢٤٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٣٠٦

٣٢٥ ، ٣٧٣ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩

أبي بن كعب ٢٥٠

ابن الأثير ١٦٣ ، ٢٦٣ ، ٢٩٤

أحمد أمين ١٦٩ ، ١٢٠ ، ٢٣٤

آدم عليه السلام ٢٧ ، ٣٣ ، ٣٤

٤٧ ، ٦٠ ، ١٦٢ ، ١٢٩ ، ١٥٢

٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٢٥ ، ٢٤٢

٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٦

٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٦٩ ، ٢٩٤

٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٤٢

٣٤٥ ، ٣٦٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧

٣٧٨ ، ٣٧٩

آسيا بنت مزاحم ٢١٣

أصف ٢٩٣

الآلوسي (صاحب التفسير) ٨٨

١٩٤ ، ٢٠٢ ، ٢١٨ ، ٢٦١ ، ٢٩٠

٢٩٢ ، ٣٣٠ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١

٣٤٣ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧

٣٤٨ ، ٣٥٠

(٠) لم أذكر في هذا الفهرس أسماء رجال السند إلا الصالحة، ولا أسماء أصحاب الكتب المخرجة للأحاديث والآثار، ولا أسماء مؤلفي الكتب حينما ترد أسماءهم إلى جانب كتبهم في الحواشي، والسبب في إهمالي لهذه الأسماء هو عدم الفائدة من ذكرها. وألفت نظر القارئ الكريم إلى أن يسقط في بحثه في هذا الفهرس مايلي: (أ، أبو، ابن، ابن أبي) وكذلك ألفت النظر إلى أن الاسم قد يتكرر في الصحيفة الواحدة أكثر من مرة في المتن أو الحاشية.

الأسود بن يزيد ١٧
 أسيد بن حضير ٢٩٠ ، ٢٩١
 أشعيا « النبي » ١٥٦
 أصرم وصرم ٢٧٠
 أقليما بنت آدم ٢٦٧
 أكهارن (عالم لاهوتي) ٦٤
 إلياس عليه السلام ١١٥ ، ٢١٢
 أليفر (من أتباع أيوب عليه السلام)
 ٢٤٤

أمة المغيث بنت آدم ٢٦٧
 أميمة بنت عبد المطلب ٣٩٧
 أمين الحولي ٧٤
 أندرياس (عالم لاهوتي) ٤٠
 أنس بن مالك ١٥٤ ، ١٦١ ، ٢٠٣
 ٢٣٣ ، ٣٢٣ ، ٣٩٧
 أنيتو كس (من ملوك الفرنجة) ٣٦
 أوربا بن حنان ٢٠٤ ، ٢٢٩ ،
 ٢٣٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٣١٢
 ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧١
 إيلخا (من أصحاب الكهف) ٢٥٢
 أيوب عليه السلام ٢٤٣ ، ٢٩٤ ،
 ٣١٧ ، ٣٢٧ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤
 ٣٣٥ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣

ب

بتسامع = بتشبع (امرأة أوربا
 ابن حنان) ٢٢٩ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠

١٣٥ ، ١٧١ ، ١٨١ .
 أحمد بن حنبل ١٠٠ ، ١٢٤ ، ١٧٠
 ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٧
 ٢٠٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦
 ٢١٧ ، ٣٣٠ .
 أحمد بن أبي دؤاد ١١٣ .
 أحمد شاكر ٧٧ ، ٧٨ ، ١٠٠ ،
 ١٣٤ ، ١٤٢ ، ١٥٢ ، ١٦٤ ، ١٩٢
 ٢٣٥ ، ٣٢٤ ، ٤٣٢ .
 أحمد الشرباصي ٣٥٣ .
 أحمد شلي ٦٨ .
 أحمد بن عبد الله بن سلام ١٩٨
 أحمد بن يحيى (أبو العباس) ٣٩٤
 أخناتون ٤٢ .
 إدريس عليه السلام ٢٥٧ ، ٣٠٩
 ابن إسحاق (محمد بن إسحاق) ٩٩
 ١١٣ ، ١٨٦ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٩
 ٢١٢ ، ٢٤٨ ، ٢٦٧ ، ٣١٧ ، ٣٧١
 ٣٨٨ ، ٣٨٩ .
 إسحاق عليه السلام ١٢١ ، ١٢٩
 ١٣٠ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ .
 أسطوس ٢٢٤
 إسماعيل عليه السلام ١٢١ ، ١٢٩
 ١٣٠ ، ٢٢٦ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٣٧٩
 ٣٨٠ ، ٤٢٢ ، ٤٢٤ .
 أبو إسماعيل الترمذي ٢٢١
 الإسماعيلي ٢١٠

البخاري ١٣٢ ، ٥٣ ، ٥٢ ، ٥١
 ٢٦٢ ، ٢٢٠ ، ١٩٥ ، ١٩٤ ، ١٧٠
 ٣٣٠
 مختصر ٢٤٢ ، ٣٦
 البراء بن عازب ٤٥
 أبو بردة بن أبي موسى الأشعري ١٦٠
 برنابا « صاحب الانجيل » ٥٩
 بري (عالم لاهوتي) ٥٦
 بشر المريسي ١٥٧ ، ١١٣
 بشير بن سعيد (أوبشر) ٢٠٥ ، ١٣٩
 بصرة بن أبي بصرة الغفاري ١٣٧
 ابن بطال ٩٣
 ابن بطوطة ٢٨٧
 البغدادي (من أهل التصوف) ٣٤٧
 البغوي ١٣٠ ، ٢١٧ ، ٢٦٢ ،
 ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧١
 ٢٧٥ ، ٢٧٩ ، ٢٩٤ ، ٣٣٧
 البقاعي ٨٧ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١٠٣ ،
 ١٠٤
 أبو بكر الأصم ١١١ ، ١٩٣
 أبو بكر الصديق ١٠٧ ، ١٤٤ ،
 ١٤٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣
 ٢٥٩ ، ٤٠٢ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨
 ٤٠٩
 أبو بكر بن العربي ٢١ ، ٣٣٥ ،
 ٣٩٧ ، ٤٣٧
 البكائي (زياد البكائي) ٢٠٩

البليخي ١٣٤
 بلد (من أتباع أيوب عليه السلام) ٢٤٤
 بلقيس (الملكة) ٢٨٢ ، ٢٨٥
 ٣١١ ، ٣٢١ ، ٣٣٨ ، ٣٤٦
 بوذا ٦٩
 بولس (الرسول) ٣٧ ، ٥٦ ، ٥٧
 ٥٩ ، ٧٠
 البيضاوي ٣٣٧
 البيهقي ٣٨٩

ت

الترمذي ٢٣٤
 تشارلز آدمز (مستشرق) ٣٥٣
 تيم الداري ٨٢ ، ٨٩ ، ١٢٣ ، ١٦١
 ١٦٣
 ابن تيمية ١٧ ، ٥٢ ، ٦١ ، ٩٨
 ١٠٠ ، ١٢٤ ، ١٧٠ ، ٢١٥ ، ٢١٧
 ٢٢٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٦٣
 ٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٢٢
 ٣٢٣ ، ٣٥١ ، ٣٥٩ ، ٤٣٧
 ابن التين ٧٩ ، ١٧٣

ث

ثاوفيلس (صديق لوقا صاحب
 الانجيل ٥٨
 الثعلبي ٢١ ، ١٧١ ، ٢١٠ ، ٢١٧
 ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ،

لجوزجاني ١٩٠٠ ، ١٩٦٠ ، ٢٦٢ ، ٣٣٠

ابن الجوزي ٨٤ ، ١٧٤ ، ٢٠٣ ، ٢٥٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٣٣٦

جولد زهير (مستشرق) ١٢٦ ،

١٣٤ ، ٣٥٣ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ،

٤٠٦ ، ٤١٠ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ،

جيسون = جنتبور (قيل : إنه

الفي الذي قتله الخضر) ٢٣٠

جويه (مستشرق) ٣٥٣

ح

أبو حاتم = ابن حبان ١٧٠ ، ١٧٣ ،

١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٩ ،

٢١٠ ، ٢٢٠

ابن أبي حاتم ١٩ ، ١٧٠ ،

حاجي خليفة ١٨٥

الحاكم (صاحب المستدرک) ١٤٣ ،

١٩٦ ، ٢١٠

حام بن نوح ٤٩ ، ٥٠ ، ٢١٢ ،

٢٦٠ ، ٣٧٥

أبو حليمة الاسفراييني ٢٣٥

ابن حجر ٥٢ ، ٧٩ ، ٩٢ ، ٩٣ ،

٩٥ ، ١٥٨ ، ١٦٣ ، ١٧٣ ، ١٨٧ ،

٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٣٦ ، ٣٣٣ ، ٣٩٠ ،

٣٩١ ، ٣٩٧ ، ٤٣٩

حذيفة بن اليان ٧٨ ، ٧٩ ، ٣٣٥

٢٦٠ ، ٢٦٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٤ ، ٣٧٥ ،

٣٩٦ ، ٤٣٨٦

ثواب بين سوريا (ابن أخت داود

عليه السلام) ٢٢٩

الثوري ٢٢ ، ١٩١ ، ١٩٥

ج

جابر بن عبد الله ٨٦ ، ٩٣ ، ٩٤ ،

١٦٢ ، ١٨٤ ، ٢٦٢

الجاحظ ١١٢ ، ٢٨٩

جبريل عليه السلام ٨١ ، ١٠٨ ،

١٠٩ ، ١١٤ ، ٢١٢ ، ٢٣٨ ، ٢٣٨ ،

٢٧٣ ، ٢٨١ ، ٢٩٤ ، ٣٠٥ ، ٣٤٣ ،

٣٤٩ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٨ ، ٤١١ ،

جرادة (زوجة سليمان عليه السلام)

٨٤ ، ٨٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٩٢ ،

جوريج الحلبي ٨٢ ، ٨٢ ، ٢٠٢ ،

ابن جوريج ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٥٩ ،

الخصاص ٢١

الجعد بن درهم ١١٣

جعفر الصادق ٢٧٧

الجلال المحلي ٣٩٦

الجنيد (من أهل التصوف) ٣٤٧

الجهم بن صفوان ١١٣

جواد علي ١٧٢ ، ١٨٧

جورج بوس (عالم لاهوتي) ٧٢٥٩

حزقيال (النبي) ٣٨

حزقيال (الملك) ١٠٦

ابن حزم ٣٧ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٦١
١١٥ ، ١٤٧ ، ١٧٠

الحسن البصري ١٧ ، ١٦٥ ، ٢٦٤
٢٧٢ ، ٣٠٠ ، ٣٢٦

حسن البنا (الامام الشهيد) ٣٥٤
أبو الحسن علي السبكي ٢٩٧

الشيخ حسين الجسر ٣٥١
حسين بن كازري (قيل : إنه الغلام

الذي قتله الخضر) ٢٢٤
حفصة (أم المؤمنين) ٤٠٧ ، ٤٠٨

الحكم بن عتيبة ٢٥٩
حماد بن سلمة ١٨٩

حميد بن عبدالرحمن بن عوف ١٤٤
أبو حنيفة (الامام) ٣٣٩

حواء ٣٣ ، ٣٤ ، ٤٨ ، ٢٠٦ ،
٢٦٧ ، ٢٨٩ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩

أبو حيان « صاحب التفسير » ٢٠ ،
١٢٩ ، ٢١٥ ، ٢٨٠ ، ٢٨٨ ، ٢٩٨

٣٨٩ ، ٤٣٢
خ

الخازن ٢١ ، ٢٤٣ ، ٣١٢ ،
٣١٤ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٩٩

خالد النقشبندي (من أهل
التصوف) ٣٤٧

ابن خراش ١٩٤

الخزرجي ١٩٤

ابن خزيمة ١٤٣

الخضر ٩٩ ، ١١٨ ، ١٢١ ،
٢٢٤ ، ٢٧٠

الخطابي ٧٩

الخطيب البغدادي ٢١٦

الخطيب الشرييني ٣٣٦ ، ٣٣٧ ،
٣٣٨

ابن خلدون ١١٥ ، ١٧٤ ، ٢٨١ ،
٢٨٢ ، ٢٨٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٢

ابن خلكان ١٨٤ ، ١٨٥ ، ٢٤٩ ،
٢٥٠

د

الدارقطني ١٩٤ ، ١٩٦

الدارمي ١٣٤

داود عليه السلام ٣٦ ، ٧٢ ، ١٠٦ ،
٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١

٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ،
٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٥

٣٣١ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ،
٣٧١ ، ٤٢٣

الداوودي ٣٢٨

الدجال ٣٥٧ ، ٣٥٨

أبو الدرداء ١٦٠ ، ١٦٨

دقيوس الجبار (الملك الذي فرمته

فتية الكهف (٢٢٤

الدميري ٣٨٥

الدهلوي ١١٨

ديوث (عالم لاهوتي) ٦٤

ذ

أبو ذر الغفاري ١٧٧

الذهبي ٢١٠ ، ٢٠٢ ، ١٨٧ ، ١٨٣

٢٢٠ ، ٢٣٤ ، ٣٢٢

ذو القرنين ١٢١ ، ١٩٧ ، ٣٠٥

ذوالنون = يونس عليه السلام ٢٠٥ ، ٢٩٤

ر

الرازي (المفسر) ٢٠ ، ٥٣ ، ٥٤

٢١٨ ، ٢٦٦ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٦

٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢ ، ٣١٨ ، ٣٢٩

٣٣٧ ، ٣٣٩

الريبع بن أنس ٢٩٩ ، ٣٣٦

رحمة الله الهندي ٥١ ، ٦١ ، ٦٤

رشيد رضا ٥١ ، ٥٣ ، ٩٦ ، ١١٩

١٦١ ، ١٦٤ ، ١٦٩ ، ١٧٨ ، ١٨٠

١٨٢ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ٢٠٥

٢١٨ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٢٧٨ ، ٣١٩

٣٢٣ ، ٣٣٠ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦

٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣

٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠

٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٨١

روح بن زنباع ١٦١

ريشارد سيمون (عالم لاهوتي) ٤٠

ز

زرارة بن أوفى ١٦١

أبو زرعة ١٨٧

الزرقاني (محمد عبد العظيم) ٢٣٦

٤٢٦

الزر كشي ٩٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦

زليخا (التي راودت يوسف عن نفسه)

٢٧٤ ، ٢٧٦

الزنجشيري ٢١٧ ، ٢٧٦ ، ٢٨٦

٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤

٢٩٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣٧ ، ٣٧١

٣٩٥

الزهري ٢١٠ ، ٣٢٦

زيد بن أسلم ١٧ ، ١٦٥ ، ٢٤٧

٢٦٤

زيد بن أنيسة ١٩٠

زيد بن ثابت ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩

زيد بن حارثة ١٣٠ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦

٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠

زيد بن خالد الجني ٩٤

ابن زيد ٣٠٥

الزيلعي ٢١٨ ، ٤٣٩

زين العابدين (علي بن الحسين) ٣٩٩

زينب بنت جحش (أم المؤمنين)

٢٥٣، ٢٥٣، ٢٤٨، ٢٤٧، ٢٤٦
 ٢٩٦، ٢٩٣، ٢٩٣، ٢٨٥، ٢٨٢
 ٣١٧، ٣١٦، ٣١٥، ٣١٢، ٣١١
 ٣٣٢، ٣٣١، ٣٢٠، ٣١٩، ٣١٨
 ٣٤٦، ٣٤٤، ٣٣٩، ٣٣٨، ٣٣٧
 ٤٣٦، ٤٢٣، ٣٧١، ٣٧٠

سهل بن سعد ١٤٠

ابن سيرين ١٦١

سيف بن عمر ٢١٠

السيوطي ٢٢، ٨٤، ٢٠٢، ٢١٥

٢٤٧، ٢٥٠، ٢٩٨، ٣٢٧، ٣٢٨

٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٤٩، ٣٥٥

ش

شافط بن حري (أحد اليهود الذين
 أرسلهم موسى للتعرف على فلسطين)

٢٤٥

الشافعي (الإمام) ٩٢ ، ٩٥

١٣٤ ، ١٣٢ ، ٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢٢١

٢٢٤

شامون بن زكون (أحد اليهود

الذين أرسلهم موسى للتعرف على فلسطين)

٢٤٥

ابن الشحنة ٣٢٢

شداد وشديد (ابنا حماد صاحب

الدرم) ٣٠١

شعبة بن الحجاج ١٩٠ ، ١٩١

٣٩٦ ، ٣٩٥ ، ٢٣٣ ، ٢١٣ ، ١٣٠
 ٤٠٠ ، ٢٩٩ ، ٣٩٨ ، ٣٩٧

س

سام بن نوح ٥٠ ، ٢١٢ ، ٢٦٠

٣٧٥

السامري (الذي صنع العجل الذهبي

للإهود) ٤٩ ، ٢٦٥

السبكي (التاج السبكي) ٢٦٣

السدي ١١١ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ٢٤٨

٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٣ ، ٣٠٥ ، ٣٢٦

السري بن يحيى ٢١٠

ابن سعد (محمد بن سعد) ١٨٥

سعد بن أبي وقاص ١٥٩

أبو السعود (صاحب التفسير) ٢٩

سعيد بن جبير ١٧ ، ١٦٥ ، ٢٧٢

أبو سعيد الخدري ٨٢ ، ١٠٤

١٠٥ ، ١٤٠ ، ١٨٤

أبو سعيد الخوارزمي ٢٦٤

سعيد بن سلمة ٧٧

سعيد بن المسيب ١٤٤ ، ٢٤٧

سفيان بن عيينة ١٩

سامان الفارسي ١٦٠

أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ١٤٤

سلمة بن الفضل الرازي ٢٠٩

سليمان عليه السلام ٣٦ ، ٨١ ، ٨٢

٨٣ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٩ ، ٢٢٩

ط

طالوت (الملك الذي اختاره الله
لبنى اسرائيل) ٣٤٥
طالوت (ابن أخت لبيد بن أعصم)
١١٣

طه حسين ، ٤٢٠ ، ٤٢٥
طاووس بن كيسان ١٧ ، ١٦٥
الطبراني ٢٣٦
الطبري (محمد بن جرير) ٢٢ ، ١٩
١١٣ ، ١٢٨ ، ١٧١ ، ٢٠٩ ، ٢١٠
٢١١ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢٢٣ ، ٢٣٤
٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٢
٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٣٢٣
٣٤٩ ، ٤٠٤

الطوفي « سليمان بن عبد القوي »
١٦٤ ، ٤٣١ ، ٤٣٢
طيّطس (القائد الروماني) ١٠٦

ع

عائشة (أم المؤمنين) ١٤ ، ١٤٤
١٤٨ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٨ ، ٢١١
٢٣٨ ، ٣٤١ ، ٣٩٨
عاج (رجل من الجبارين) ٢٤٤
عاد بن عرس ٣٠١ ، ٣٠٣
أبو العالية ٢٦٤ ، ٣٢٦
عامر الشعبي ١٧
العباس بن عبد المطلب ١٦٨ ، ٢٧٠

أبو الشعثاء ١٧

شعيب عليه السلام ٧٤ ، ٣٥٠
شعيب بن ابراهيم ٢١٠
شعيب الجبائي ٧٧
شكيب أرسلان ٣٥٣
شهاب الدين بن حجي ٣٢٢
شمعون بن يعقوب ٢٥٤
شمعون (من أحبار النصارى) ٣٧
شهر بن حوشب ١٦١
الشهرستاني ١١٤
شنويزا (عالم لاهوتي) ٤٠
أبو شبة (قاضي واسط) ١٩١
شيث بن آدم ٢٥٩
شيرنجور (مستشرق) ١٣٤

ص

صافر (من أتباع أيوب عليه السلام)
٢٤٤
صخر (الشيطان صاحب قصة خاتم
سليمان) ٢٩٢

ابن الصلاح ١٨٣ ، ٣٩١
صهيب الرومي ١٦٨ ، ١٩٩

ض

الضي ٢٨٦
الضحاك ١١١ ، ١٦٥ ، ١٩٣
٢٤٨ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٣٠٥

٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧
 ٣٢٦ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٨ ، ٣٤٦
 ٣٥٧ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٨١ ، ٣٨٨
 ٣٩٦ ، ٤١١
 عبد الله بن عمر ٧٧ ، ٧٩ ، ١٥٤
 ١٦٨ ، ١٨٤ ، ٢٠٢ ، ٢٥٨ ، ٣٠٧
 عبد الله بن عمرو ٧٦ ، ٩٠ ، ٩١
 ٩٢ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١١١
 ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٤٣
 ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩
 ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤
 ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩
 ١٦١ ، ١٨٠ ، ٢٠٧
 عبد الله بن قلابة ٣٠١
 عبد الله محمود شحاتة ٢٢١ ، ٣٥٣
 عبد الله بن مسعود ١٣ ، ١٦ ، ١٧
 ٧٩ ، ٨٨ ، ٩١ ، ٩٦ ، ١١٩ ، ١٦٠
 ٢٢٦ ، ٢٣٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٨ ، ٢٩١
 ٢٩٩
 عبد الله بن وهب ١٧ ، ١٦١
 عبد الرحمن باجهجي ٥١
 عبد الرحمن الجمجوني ١١٩
 عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ١٧
 عبد الرحمن المعلمي الياني ١٣٤
 عبد الرحمن بن مهدي ١٩١
 عبد الرزاق بن همام الصنعاني ٢٢
 عبد العزيز الدوري ١٨٧ ، ١٩٠

عباس محمود العقاد ٤٢ ، ٤٨ ، ٦٩
 ٣٥٣
 العباس بن مصعب ٢٢٠
 عبد الحسين شرف الدين العاملي ١٣٤
 عبد الله بن أحمد بن حنبل ١٩٧
 عبد الله بن الزبير ١٥٤ ، ١٦٨ ،
 ٢٦٥
 عبد الله بن سبأ (اليهودي) ١١٥
 ١٧١
 عبد الله بن سلام ٧٦ ، ٨٠ ، ٨٨
 ٩٠ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١٦ ، ١٢٠
 ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٥٥
 ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٧٠ ، ١٨٠ ، ١٨٥
 ١٨٧ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢٤٩
 عبد الله بن سوريا (الحبر اليهودي)
 ١٠٧
 عبد الله بن عباس ١٥ ، ١٦ ، ١٧
 ١٨ ، ٢٣ ، ٥١ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٧
 ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩
 ١١٠ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢
 ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧
 ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٥
 ١٣٩ ، ١٥٤ ، ١٦١ ، ١٦٨ ، ١٧٣
 ١٨٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨
 ٢٢٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧
 ٢٥٠ ، ٢٥٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧
 ٢٦٨ ، ٢٧٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٩٩

عقمة بن قيس ١٧٨
 علي بن الجنيد ١٩٦
 علي بن أبي طالب ٧٨ ، ٣٧٠ ، ١٥٠
 ٢٠٤ ، ١٤٩ ، ١٢٤ ، ١١٥ ، ١١٤
 ٢٥٧ ، ٢٥٣ ، ٢٥٢ ، ٢٣٣ ، ٢١٧
 ٢٩٠ ، ٢٨٠ ، ٢٦٦ ، ٢٦٥ ، ٢٥٩
 ٤٠٢ ، ٣٣٠ ، ٣١٨ ، ٣١٢
 علي عبد الواحد وافي ٤٨
 علي القاري ٢١٦
 عمر بن الخطاب ١٥ ، ١٦٤ ، ٨٦
 ١٠٧ ، ٩٦ ، ٩٥ ، ٩٤ ، ٩٣ ، ٨٧
 ١٥٨ ، ١٤٤ ، ١٣٧ ، ١٣٠ ، ١٢٤
 ١٦٨ ، ١٦٧ ، ١٦٣ ، ١٦٢ ، ١٦١
 ١٨١ ، ١٨٠ ، ١٧٢ ، ١٧١ ، ١٦٩
 ٤٠٣ ، ٤٠٢ ، ٢٥٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٢
 ٤١٠ ، ٤٠٧ ، ٤٠٤
 عمرو بن عبد العزيز ١٨٣ ، ٣١٢
 عمرو بن دينار ٢٤٢
 عمرو بن شعيب ١٤٩
 عمرو بن العاص ١٤٦ ، ١٤٩
 ١٥٠ ، ١٦٤
 عمان بن يلصر ١٤٩
 عمي (أبو العمونيين) ٤٩
 عروج بن علق ٣٠٨ ، ٣٠٣ ، ٣٠٢
 ٣٧٥ ، ٣٧٤ ، ٣٤٤ ، ٣٤٣ ، ٣٠٨
 عوف بن مالك ١٥٦
 عيسى عليه السلام = المسيح ٢٥

عبد العزيز الطبري ٣٣٤
 عبد القادر الجيلاني ٣٤٧
 عبد الكريم الجيلي ٣٤٧
 عبد المغيث بن آدم ٣٦٧
 عبد الملك بن مروان ٤٢٩
 عبد الوهاب بن كثير ٣٢٢
 عبد الوهاب النجار ٦٧
 عثمان بن عفان ١٤٩ ، ٢٦٧ ، ١٨٣
 ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤
 ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩
 العجلي ١٨٧ ، ١٩٤
 عدي بن حاتم ١٣ ، ١٤
 ابن عدي ٢١٠
 العراقي (الشهاب العراقي) ٢٥٧
 عروة بن الزبير ١٤٤ ، ١٤٥
 عزرا (عليه السلام) ٣٦ ، ٥٣
 ابن عساكر ٣٠٨ ، ٣٣٢
 عطية بن أبي رباح ١٧ ، ١٢٤
 ١٦٥ ، ٢٤٢ ، ٢٦٤ ، ٣٠٥
 عطاء بن يسار ١٥٥ ، ١٦٠
 عطاء بن يزيد ١٦١
 ابن عطية (صاحب التفسير) ٢٨٠
 ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥
 عتبة بن أبي معيط ١٠٨
 عكرمة (مولى ابن عباس) ١٣
 ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٩٣
 ٢٦٤ ، ٢٦٣ ، ٣٠٥

ق

قاييل بن آدم ٢٦٧

قارون ٢٨٤

أبو القاسم الرافعي ١٠٥

قاسم القيسي (مفتي بغداد) ٣٤١

القاسمي (صاحب التفسير) ١٠١

٣٠٦ ، ١٨٣

القاضي بكر بن العلاء المالكي ٣٨٩

القاضي حسين ٢٦٢

ابن قاضي شبة ٣٦٣

القاضي عياض ١٧٤ ، ٢٥٧ ، ٣٢٠

٣٨٩ ، ٣٩٣

قتادة السندوسي ١٧ ، ١٦١ ، ١٦٥

٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٤ ، ٢٧٢ ، ٣٢٦

ابن قتيبة ١١٣ ، ١٣٤ ، ١٧١

١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥

٣٧٠

القوافي ٥١ ، ٦١

القرطبي ٢٨١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦

٣٣٦ ، ٣٣١ ، ٣٣٠ ، ٣٣٠ ، ٣٣٠ ، ٣٣٠

٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٦ ، ٣٧٦ ، ٣٧٦

٤٠٧

قنيس بن خرشة ٣٤٨

ابن القيم ٥١ ، ٦١ ، ١٧٨ ، ٣٤٣

٣٥١

ك

كاراده فو (مستشرق) ٤٦٣

٣٨ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٥٦ ، ٥٨

٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤

٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ١١٢

١٢٩ ، ٣٥٨ ، ٣٨٣ ، ٣٩٤ ، ٤١٥

٤٣٦

العيص بن إسحاق ٢٧٠

العيني ٣٢٢

ابن عينة ١٩١

غ

الغزالي ٣٤٧

غوستاف لوبون (مستشرق) ٦٩

غيلان الدمشقي ٤٢٩

غيلان بن قزوة الأندلسي ١٢٦

ف

فاطمة بنت قيس ٨٢ ، ٨٩ ، ١٦٢

فؤاد حسنين ٣٨ ، ٥١

ابن فرحون ٣٠٤

فروع ١٨٦ ، ٢٤٤ ، ٢٦٥

٢٨٣ ، ٢٨٩ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣

الفيلاس (عمرو بن علي) ١٨٦

١٨٧ ، ١٨٩

فوط بن حام ٢١٢

الفيروز آبادي ١٢٤

فيو (من فلاسفة اليونان) ٥٦

٢٦٩ ، ٢٨٦ ، ٣٠١ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩
 ٣١٥ ، ٣٢٦ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٥
 ٣٥٨ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٧٣ ، ٣٨٠
 الكلبي ١١١ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ٢٠٩
 ٢١٦ ، ٢٣٥ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٠٥
 الكمال بن الهمام ٣٢٧
 الكوثري (محمد زاهد الكوثري)
 ٤٠١ ، ٤٠٣ ، ٤٣١

كيسر (عالم لاهوتي) ٦٤
 كير (أحد أهل الكهف) ٢٥٢

ل

لاوي بن يعقوب ٣٥
 لبودا بنت آدم ٢٦٧
 لبيد بن الأعصم (اليهودي) ١١٣
 لقمان الحكيم ٧٤
 اللكنوي ٢١٦
 الليث بن أبي سليم ١٩٥
 لوط عليه السلام ٤٩
 لوقا (صاحب الإنجيل) ٥٦ ، ٥٧
 ٥٨ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦

م

ماتوس (من قضاة دقيوس الجبار)
 ٢٢٤
 ابن ماجه ١٩
 مالك بن أنس (الإمام) ١٧ ،
 ١٩١ ، ٣٨٥

كاشع (قيل إنه والد الغلام
 الذي قتله الخضر) ٢٧٠
 الكتاني (صاحب الرسالة المستطرفة)
 ٢٥٠ ، ٢٦٣ ، ٢٧٩

ابن كثير ٢٢ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٠
 ١٠٤ ، ١٢١ ، ١٥٨ ، ١٧٠ ، ١٧٤
 ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٨
 ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥
 ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٦
 ٢٧٨ ، ٢٨٥ ، ٢٩٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٧
 ٣٠٩ ، ٣١٥ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤
 ٣٤٦ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٤٣ ، ٣٤٩
 ٣٥٦ ، ٣٧٩ ، ٤٠٠ ، ٤٣٢ ، ٤٣٧

الكسائي ١٧١

كسرى أنوشروان ١٨٣

كعب الأخبار ١٨ ، ٧٦ ، ٧٧
 ٨٨ ، ٩١ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١١٠
 ١١٢ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١
 ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠
 ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩
 ١٤٠ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٨
 ١٦٠ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩
 ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤
 ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١
 ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٨٨
 ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨
 ٢١١ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨

محمد عجاج الخطيب ١٣٥
 محمد عزة دروزة ١١٠
 محمد فريد وجدي ٤٢٢
 محمد بن كعب القرظي ٢٥٩ ،
 ٢٦٤ ، ٣٨٠
 محمد محمد أبو شهبه ١٣٤
 محمد يوسف موسى ٤١٢
 محمود أبو رية ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٣٤
 ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٥٥ ، ١٥٧
 ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٨٧ ، ١٩٢
 ١٩٤
 محمود شاكر ٢٣٥ ، ٢٣٧
 محمود شلتوت ٣٦٦ ، ٤٣٨
 محي الدين بن العربي ٣٤٧
 ابن المديني ١٩٠ ، ١٩٧ ، ٢٠٩
 مروطوش (أحد أهل الكهف)
 ٢٥٢
 مرة الهمداني ٣٠٥
 مرقس (صاحب الإنجيل) ٥٨
 مرونتال (مستشرق) ١٨٥
 المريسي ١٣٤
 مريم بنت عمران ٦٠ ، ٢١٣
 المزي (الحافظ المزي) ٧١ ، ٣٢٢
 مسروق بن الأجدع الهمداني ١٦
 ١٧ ، ١٤٤ ، ١٦٥
 المسعودي ١٨٥
 مسلم (صاحب الجامع الصحيح)

مالك بن معاوية ١١٣
 ابن المبارك ١٩١ ، ٢٢٢
 متى (صاحب الإنجيل) ٥٧ ، ٦٤
 ٦٥ ، ٦٦
 منى بن الصباح ١٨٨
 مجاهد بن جبر ١٧ ، ٤٣ ، ١٢٤
 ١٦٥ ، ٢٤٧ ، ٢٦٤ ، ٢٧٢ ، ٣٢٦
 ٣٤١
 محب الدين الخطيب ٢٣٧
 محمد أبو زهرة ٦٦ ، ٦٧
 محمد أبو زهر ١٣٤
 محمد أحمد خلف الله ٤٢٠
 محمد أحمد عرفة ٤٢٦
 محمد بهجت البيطار ٣٥٤
 محمد حسين الذهبي ٢٣٦ ، ٣٥٣
 محمد حسين هيكل ٤٠٧
 محمد بن حميد الرازي ٢٠٩
 محمد الحضر حسين ٤٢٢
 محمد السماحي ١٣٤
 محمد بن سعيد (المصلوب) ٢٢٠
 محمد بن عبد الله بن سلام ١٥٦
 محمد عبده (الشيخ محمد عبده) ٤٤
 ٥١ ، ٢١٨ ، ٢٥٦ ، ٣٠٢ ، ٣٥١
 ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٧ ، ٣٦٣ ، ٣٨١
 ٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٤١٩ ، ٤٢٤
 ٤٣٥
 محمد عبد الرزاق حمزة ١٣٥

المنذر بن عمرو ٨١
 المهدي المنتظر ١١٤ ، ١١٥ ، ٢٢٠
 ٣٤٦
 ابن مهدي ١٩٥
 المهلب ٩٣
 موآب (أبو الموأيين) ٤٩
 موسى عليه السلام ٢٥ ، ٣١ ، ٣٢
 ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٤
 ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٩٤ ، ٩٦
 ٩٩ ، ١٠١ ، ١٢١ ، ١٣٩ ، ١٨٦
 ٢٠٨ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٤
 ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٧٠ ، ٢٧٨ ، ٢٨٣
 ٢٩١ ، ٣٠٠ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٢٧
 ٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠
 ٣٥٦ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٥
 ٣٦٦ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٩٤
 ٤٢٢
 موسى بن سرجس ٧٧
 موسى بن عقبة ٢١٠

ن

النسائي ١٨٧ ، ١٩٦ ، ١٩٧
 ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٢٠ ، ٢٣٤
 النسفي (صاحب التفسير) ٢٣٣
 ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣٩٦
 النضر بن الحارث ١٠٨
 النظام ١١١ ، ١٣٤ ، ١٩٣ ، ٢٨٩

١٧٠ ، ٣٩٠
 المسور بن مخزومة ١٨٠
 المسيح الدجال ٨٢ ، ٨٩
 المسيح المنتظر ١١٤
 مسيلمة الكذاب ١٦٢ ، ١٦٣
 مصطفى السباعي ١٣٤
 مصطفى صادق الرافعي ٤٢٢
 معاذ بن جبل ٩٤ ، ١٦٠
 معاوية بن أبي سفيان ١١٠ ، ١٢١
 ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٥٩
 ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ٢١٣
 ٣٠١
 معاوية بن حرملة ١٦٢ ، ١٦٣
 معبد الجهنني ٤٢٩
 معروف الكرخي ٣٣٩
 مقاتل بن بشير ٢٣٥
 مقاتل بن حيان ٢٢٢ ، ٢٦٤ ، ٣٢٦
 مقاتل بن سليمان ٨١ ، ١١١ ، ١٩٢
 ١٩٣ ، ٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١
 ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩
 ٢٦٤ ، ٢٦٩ ، ٣٠٥ ، ٣٣٢ ، ٣٧٠
 ٣٨٢
 مكسليمنا (أحد أهل الكهف)
 ٢٥٢
 مكشيننا (أحد أهل الكهف) ٢٥٢
 الملطي ٢٢٣
 ابن الملقن ٥٢

٢٤٨ ، ٢٠٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٦ ، ١٩٩

٣٦٠ ، ٣٢٠ ، ٢٧٠

هشام بن حكيم ٤١٠

هنري لاوست (مستشرق) ٣٥٣

هود عليه السلام ٣٥٦

هورن (عالم لاهوتي) ٥٩ ، ٥٨

هيس (عالم لاهوتي) ٦٤

و

الواحيدي (أبو الحسن) ٢١٧ ،

٣٤٥ ، ٢٥٠ ، ٢٤٩

الواقدي (محمد بن عمر) ٢١٠ ، ٢٠٩

٣٠٦ ، ٢٢٠

وسططونوس (أحد أهل الكهف)

٢٥٢

ولديورانت (صاحب قصة الحضارة)

٥٠ ، ٤١

الوليد بن الريان ١٧٢

وليم موير (مستشرق) ٤٠٨

وهب بن منبه ١٨ ، ٩٩ ، ١١٠

١٦٦ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٣٨ ، ١٦٠

١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١

١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥

١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠

١٩٢ ، ١٩٧ ، ٢٠٧ ، ٢١٢ ، ٢٢٣

٢٤٩ ، ٢٨٦ ، ٣٠٥ ، ٣١٥ ، ٣٤٩

غمرود الجبار ٨٤ ، ١٦٦ ، ٢٢٥

٢٢٧

نوافي (أحد أهل الكهف) ٢٥٢

نوح عليه السلام ٢٥ ، ٣٤ ، ٤٩

٥٠ ، ٩٩ ، ٢١١ ، ٢٢٦ ، ٢٦٠

٢٨٤ ، ٢٩٤ ، ٣٠٨ ، ٣٤٣ ، ٣٧٥

٣٧٦

نورتن (عالم لاهوتي) ٦٦

نوف البكالي ١٢١ ، ١٥١ ، ٢٤٥

النسوي ٧٩ ، ١٦٨ ، ١٧١

٢٣٥ ، ٢٣٤

نيرون (الملك الروماني) ٥٩

هـ

هاينيل بن آدم ٢٦٧ ، ٣٣١

هاروت وماروت ٧٧ ، ٢٥٧ ،

٢٢٦ ، ٢٥٨

هارون عليه السلام ٣٢ ، ٣٥ ، ٤٩

٢٤٢ ، ٢٦٥ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣

هدد بن بدد (الملك) ٢٧٠

أبو هريرة ٢٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٩

٩١ ، ٩٥ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١٩ ،

١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٣٢

١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧

١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٣

١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٤

١٥٦ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٨ ، ١٨٣

٣٧٠ ، ٣٦١ ، ٣٥٦ ، ٣٥٥

ووتر (عالم لاهوتي) ٦٤

ويلز (المؤرخ) ٥٦

ي

يافت بن نوح عليه السلام ٥٠

١٩٧ ، ٢١٢ ، ٢٦٠ ، ٣٧٥

ياقوت الحموي ١٨٤ ، ١٨٥ ، ٣٠٤

يوآب (ابن أخت داود عليه السلام)

٣٦٩ ، ٣٦٨

يحيى بن سعيد القطان ١٩١ ، ١٩٤

يحيى بن معين ١٩٥ ، ٢٠٣ ، ٢٢٠

٣٣٠

يزيد بن معاوية ١٥١

يزيد بن هارون السامي ١٩ ، ١٩٥

يعرب بن قحطان ٣٣١

يعقوب عليه السلام ٢٥ ، ٣٥ ، ٧١

٧٢ ، ٨٠ ، ٢٤٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢

٢٥٤ ، ٢٧٢ ، ٢٩٤ ، ٣٤٥

٣٨٠ ، ٣٨١

يهوذا بن يعقوب عليه السلام ٢٥٤

أبو اليقظان ٣٠٦

يوحنا (صاحب الانجيل) ٥٧ ،

٥٩ ، ٦٥ ، ٦٦

يوحنا الدمشقي ١٣٠ ، ٣٩٥ ، ٤٢٩

يوحنا اللاهوتي (من رسل العهد

الجديد) ٣٨٢

يوسف شاخت (مستشرق) ٣٨٧

يوسف بن عبد الله بن سلام ١٦٠

يوسف عليه السلام ١٥٩ ، ١٦٠ ،

١٧٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٣

٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٧٢

٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧

٢٧٨ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٣٢٠



فهرس الآيات القرآنية (٠)

وما أنزل على الملكين ببابل هاروت
وماروت (١٠٢) ٣٤٧ ، ٢٥٦
وما يعلمان من أحد حتى يقولاً إنا
نحن فتنة (١٠٢) ٣٤١
واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك
سليمان (١٠٢) ٣٢٥
وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن
(١٢٤) ٣٥٦ ، ٢٤٠
وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت
(١٢٧) ٣٤٢ ، ٢٥٥ ، ٢٤١ ، ٢٢٦
إن آية ملكه أن يأتكم التابوت
(٢٤٨) ٣٤٥ ، ٢٩٠ ، ٢٥٩
وسع كرسيه السموات والأرض
(٢٥٥) ٢٢٣
ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه
(٢٥٨) ٢٢٥

سورة البقرة

وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل
في الأرض خليفة (٣٠) ٢٢٥
ولا تقربا هذه الشجرة (٣٥) ٢٩٩
وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم
وأغرقنا آل فرعون (٥٠) ٣٦٢
وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم
اتخذتم العجل (٥١) ٢٦٥
وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية (٥٨)
٣٦٠
فقلنا اضرب بعصاك الحجر (٦٠)
٣٤٩
وإذ قال موسى لقومه إن الله
يأمركم أن تدبجوا بقرة (٦٧) ٣٦٣
فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي
الله الموتى (٧٣) ٢٣٩

(٠) ائبعت في هذا الفهرس ترتيب سور القرآن الكريم ، وجعلت رقم الآية في
سورتها المذكورة بين قوسين ، بينا جعلت الرقم الأخير للصحيحة التي وردت فيها الآية .
وليعلم القارئ الكريم أني أوردت في هذا الفهرس الآيات التي روي في تفسيرها آثار
إسرائيلية فقط؛ لأن هذا الأمر هو الذي يهم القارئ . ومعظم هذه الآيات وردت في الباب
الثالث من هذا الكتاب .

سورة آل عمران

كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل
إلا ما حرم إسرائيل على نفسه (٩٣)
٨٠

سورة المائدة

ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل
وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً (١٢)
٣٤٣ ، ٢٤٤
قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين
(٢٢) ٣٠٧
واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ
قربا قرباناً (٢٧) ٢٦٧
فطوعت له نفسه قتل أخيه (٣٠)
٣٣٠

سورة الأنعام

وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ
أصناماً آلهة (٧٤) ٢٢٧

سورة الأعراف

فألقي عصاه فإذا هي ثعبان مبين
(١٠٧) ٢٤٤ ، ١٨٦
فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد
والقمل (١٣٣) ٣٦١
فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً
(١٤٣) ٢٢٦
قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل
فإن استقر مكانه (١٤٣) ٣٤٣
وكتبنا له في الألواح من كل شيء

موعظة (١٤٥) ٣٥٥ ، ٣٤٨

وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً
(١٦٠) ٢٩١
أن اضرب بعصاك الحجر (١٦٠)
٣٥٦

سورة يونس

إلا قوم يونس لما آمنوا (٩٨) ٣٤٦

سورة هود

ويضع الفلك وكلما مر عليه ملأ
من قومه سخروا منه (٣٨) ٢٨٤
٣٤٤
قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين
(٤٠) ٢٥٩

سورة يوسف

إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني
رأيت (٤) ٢٦٢
وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين
(١٧) ٢٥١
قالوا يا بشرى هذا غلام وأسروه
بضاعة (١٩) ٢٦٠
وشروه بثمان نجس دراهم معدودة
(٢٠) ٢٣٩
ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى
برهان ربه (٢٤) ٢٧٢ ، ٢٤٠ ،
٢٩٣ ، ٣٢٠ ، ٣٤٥

فلما استياسوا منه خلصوا نجياً (٨٠)
٢٥٣

سورة الرعد

الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى
لهم وحسن مآب (٢٩) ٢٢٨

سورة الاسراء

وجعلنا الليل والنهار آيتين فحونا
آية الليل ... (١٢) ٢٦٠

سورة الكهف

أم حسبت أن أصحاب الكهف
والرقيم ... (٩) ٢٢٤

إذ أوى الفتية إلى الكهف (١٠)
٢٥٢

وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد (١٨)
٣١٥

وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم (٥٠)
٣٢٥

فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة
من عندنا ... (٦٥) ٢٦٩

قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا
ترهقني من أمري عسراً (٧٣) ٢٢٤

عين حمئة (٨٦) ١١٠

حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها
تطلع على قوم (٩٠) ٢٨٩

إن يأجوج ومأجوج مفسدون في
الأرض (٩٤) ٢٦٩ ، ٣٣٥

سورة مريم

إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت
تقياً (١٨) ٢٨٢

ورفعناه مكاناً علياً (٥٧) ٣٠٩
سورة طه

فألقاها فإذا هي حية تسعى (٢٠)
٣٢٦

وقتل نفساً فنجيناك من الغم (٤٠)
٣٢٦

سورة الانبياء

ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل
(٥١) ٣٢٥

فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم (٥٨)
٢٢٧

وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر (٨٣)
٣١٧ ، ٢٤٣

سورة الشعراء

فألقي عصاه فإذا هي ثعبان مبين
(٣٢) ٢٨٩

وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي
(٥٢) ٢٨٣

فأخذهم عذاب يوم الظلة (١٨٩)
٢٨٤

سورة النمل

وورث سليمان داود وقال يا أيها
الناس علمنا منطق الطير (١٦) ٣٣٧
وحشر لسليمان جنوده من الجن
والانس والطير (١٧) ٣١١
حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت
نملة (١٨) ٣١٥
وإني مرسله إليهم بهدية (٣٥)
٣٣٨ ، ٣١١ ، ٢٨٥
قالت ربي إني ظلمت نفسي وأسلمت
مع سليمان (٤٤) ٣٢١
وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم
دابة (٨١) ٢٦٥

سورة القصص

وآتيناه من الكوز ما إن مفاتحه
لتنوء بالعصبة (٧٦) ٢٨٤

سورة الأحزاب

وتخفي في نفسك ما الله مبديه (٣٧)
١٣٠
يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين
آذوا موسى (٦٩) ٢٤١

سورة سبأ

فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على

موته إلا دابة الأرض (١٤) ٣١٦

سورة فاطر

يزيد في الخلق ما يشاء (١)
٢٢٨

سورة الصافات

وإن إلياس لمن المرسلين (١٢٣)
٣٣٨

سورة ص

وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا
الحراب (٢١) ٢٢٩ ، ٢٩٨ ،
٣١١ ، ٣١٤ ، ٣٣١ ، ٣٣٩
فقال إني أحببت حب الخير عن
ذكر ربي (٣٢) ٣١٧
ولقد فتنا سليمان وألقيناه على كرسیه
جسداً (٣٤) ٨٤ ، ٢٤٦ ، ٢٩٢
٣١٢ ، ٣٢٠ ، ٣٣٢
واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه
(٤١) ٣٣٢

سورة ق

ق والقرآن المجيد (١)
٣٠٥ ، ٣٢٤

سورة الحديد

وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد (٢٥)
٣٠٦

سورة الفجر

ن والقلم وما يسطرون (١) ٣٠٥

سورة البروج

ألم تر كيف فعل ربك بعاد . إرم

٣٠١

ذات الحماد (٦ - ٧)

بل هو قرآن مجيد . في لوح محفوظ



فهرس الأمارب الشرفف

١٧٨	فلفغمسه كله
١٥٠	أطع أبالك مادام حياً ولا تعصه
٤١١	أقرأني جبرفل على حرف فراجعه
٤١١	فلم أزل أستزفده
٣٠٨	إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً
١٤٤	إن الله لا فنتزع العلم من الناس انترعاً
١٣	إن المغضوب عليهم هم اليهود وإن الضالفل هم النصارى
٢١٩	إن المنبب لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى
٨٩	إن ثلاثة فف بنف إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى . . .
١٣٩	إن فف الجنة لشجرة فسرالراكب فف ظلها مائة عام
٢٨	إن مثلف ومثل الأنفباء من قبلف كمثلف رجل بنف بفناً
١٥٠	إن هذا الأمر فف قرفش
١٤	إن وسادك إذا لعرفض
٢٠٧	إن فأكوج وماكوج لفحفرون السدكل فوم

٩٤	همزة الوصل
٩٠	أعرف وكاءها
١٤٥	أقرأ هذا لفة وهذا لفة
٣٤٩	أكتب فوالذف نفسف بفده ما أخرج منه إلا حق
٤١١	الألواح الفف أنزلت على موسى كانت من سدر الجنة
٤١١	الله فأمرك أن تقرأ أمك على سبعة أحرف
٤٥	اللهم فف أول من أفا أمرك فذ أمانوه
٢٩٩ ، ١٤٦	اللهم فقهه فف الفف وعلمه التأوفل
١٠٧	المسلم من سلم المسلمون من لسانه وفده
	انطلقوا إلى ففود

همزة التقطع

٢٤٨	أففكم غداً
١٢٠ ، ٩٩ ، ٩٢	إذا ففكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم
	إذا وقع الذباب فف شراب أحدكم

١٠١ ، ١٠٥ ، ١١٧ ، ١٧٥

حرف الخاء

خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة
١٣٧

حرف الفاء

فأنشدكم بالله الذي أنزل التوراة ٨٠
في نار الله الحامية لولا ما يزعمها ٩١
٢٠٧
فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم ١٢١
فيها ما لا عين رأت ١٤٢

حرف القاف

قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة
٣٢٠ ٢٤٨ ، ٨٤
قل لبني إسرائيل ادخلوا الباب
سجداً ٣٦٠

حرف الكاف

كذلك أنزلت ، إن هذا القرآن
أنزل ٤١١
كيف تفعلون بمن زنى منكم؟ ٧٩

حرف اللام

لا ، بل هو سواد الليل وبياض
النهار ١٤
لا تجدون في التوراة الرجم ؟ ٧٩

إنه عاشر عشرة في الجنة ١٦٠
إنه ليس الذي تعنون ، ألم تسمعوا
ما قال العبد الصالح . . . ١٣
إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر
الله في اليوم مائة مرة ٢٣٢

إنك لعريض القفا إن أبصرت
الخطين ١٤
إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا
لرهبة ٨٢ ، ٨٩

أنزل القرآن على سبعة أحرف ٤١٠
أنشدك الله الذي أنزل التوراة ٤٥

حرف الباء

بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني
إسرائيل ٩٠ ، ٩١ ، ٩٨
١٠٠ ، ١٠٢ ، ١١١ ، ١٥٣
بعثت إلى أمة أمية ١٠٩
بيننا أيوب إذ يغتسل ٣٣٥

حرف التاء

تقتله الفئة الباغية ١٥٠
تقرأ الكتابين: التوراة والفرقان ١٤٦
تكون الأرض يوم القيامة
خبزة ٨٢ ، ١٠٤
تلك السكينة تنزلت لقراءتك ٢٩١

حرف الحاء

حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج

من صلى وجلس ينتظر الصلاة ١٣٨
من كذب علي متعمداً ١٤٨، ١٣٩
من نوقش الحساب عذب ١٤

حرف النون

نحن أمة أمية ١٠٩

حرف الهاء

هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟
٤٥

حرف الواو

وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج
١٥٧ ، ٣٢٤ ، ٤٣٢
وحدثني حديثاً وافق الذي كنت
أحدثكم ١٦٤
وكان مثل بلعم بن باعوراء ٢٠٨

حرف الياء

يا أبا ذر هل تدري أين تذهب هذه؟
١٧٧
يا جوج أمة وما جوج أمة ٣٣٦

لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء
فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا ٨٦ ، ٩٣

٩٥

لا تصدقوا أهل الكتاب ولا
تكذبوهم ٢٣ ، ٨٦ ، ٩٥ ، ١٠٥ ،
١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٣٦ ، ١٨٢

٤٣٤

لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد

١٣٧

لا تقتل نفس ظالماً إلا ٢٦٨

لتتبعن سنن من كان قبلكم ١١٥

لما قالها يوسف؛ قال له جبريل ٢٧٥

لو أخاكم ٨٨

ليس ذلك بالحساب ولكن ذلك
العرض ١٤

حرف الميم

مالكم أمسكنم ٨٨

ما من مولود إلا يولد على الفطرة ٧٢

من رده الطيرة عن حاجة فقد

أشرك ١٥٤

من سعى في دم مسلم ولو بخطر كلمة ٢٩٩



ملاحظة : قام بوضع فهرس الأعلام والآيات والأحاديث

محمد علي دولة

المراجع

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - أبو حنيفة : لفظة الأستاذ محمد أبو زهرة ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ط ٣ ، سنة ١٩٦٠ م .
- ٣ - الاتقان في علوم القرآن للسيوطي : الطبعة الثالثة سنة ١٣٧٠ هـ ١٩٥١ م ، طبع مصطفى الباوي الحلبي .
- ٤ - الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة : للقرافي (بهامش كتاب « الفارق بين المخلوق والخالق ») ، مطبعة الموسوعات بصر .
- ٥ - أحكام القرآن : لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية
- ٦ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : لأبي السعود ، المطبعة المصرية ، الطبعة الأولى سنة ١٣٤٧ هـ .
- ٧ - إرشاد الساري شرح البخاري : للقسطلاني ، المطبعة الأميرية ، سنة ١٣٢٥ هـ .
- ٨ - الاساطير العربية قبل الاسلام : لمحمد عبد المعيد خان ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٧ م .
- ٩ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب : لابن عبد البر ، مطبعة نهضة مصر .
- ١٠ - أسد الغابة في معرفة الصحابة : لابن الأثير الجزري ، المطبعة الوهية سنة ١٢٨٠ هـ .

- ١١ - الاسرائيليات في التفسير والحديث : لفضيلة الأستاذ محمد حسين الذهبي
مطبعة الأزهر سنة ١٩٦٨ م .
- ١٢ - الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام : لعلي عبد الواحد وافي ،
الطبعة الأولى سنة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م ، مطبعة لجنة البيان العربي .
- ١٣ - الاسلام : لألفريد جيوم ، ترجمة محمد هدارة وشوقي الياني السكري ،
الطبعة الأولى سنة ١٩٥٨ م ، مكتبة النهضة المصرية .
- ١٤ - أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد : لابن حزم
الأندلسي (مخطوطة بدار الكتب المصرية) .
- ١٥ - الاصابة في تمييز الصحابة : لابن حجر ، مطبعة السعادة بمصر سنة
١٣٢٣ هـ . والمطبعة الشرقية سنة ١٣٢٥ هـ ١٩٠٧ م .
- ١٦ - أضواء على السنة المحمدية : لمحمود أبو رية ، الطبعة الأولى ، مطبعة
دار التأليف بمصر سنة ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م .
- ١٧ - إظهار الحق : لرحمة الله الهندي ، ط المطبعة العلمية سنة ١٣١٥ هـ بمصر .
- ١٨ - الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ : للسخاوي ، مطبعة الترقى بدمشق ،
سنة ١٣٤٩ هـ .
- ١٩ - الأقوال القوية في حكم النقل من الكتب القديمة : للبقاعي (مخطوطة
بدار الكتب المصرية) .
- ٢٠ - الاكسير في قواعد علم التفسير : لنجم الدين سليمان بن عبد القوي الطوفي
(مخطوطة مصورة بالمكتبة الأزهرية) .
- ٢١ - الله : لعباس محمود العقاد ، الطبعة الخامسة ، مطبعة دار
المعارف بمصر .
- ٢٢ - الآلوسي مفسراً : لمحسن عبد الحميد (رسالة مخطوطة بجامعة القاهرة)
- ٢٣ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل : للبيضاوي ، الطبعة الأولى ، مطبعة
البابي الحلبي سنة ١٣٥٨ هـ ١٩٣٩ م .

٢٤ - الأنوار الكاشفة لما في كتاب (أضواء على السنة) من الزلل والتضليل
والمجازفة : لعبد الرحمن بن يحيى المعلمي الياني ، المطبعة السلفية
بالقاهرة ، سنة ١٣٧٨ هـ .

٢٥ - البداية والنهاية : لابن كثير ، الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨ هـ ، مطبعة
كردستان العلمية ، وطبعة مطبعة السعادة طبعة أولى سنة ١٣٥١ هـ
١٩٣٢ م .

٢٦ - البارع الفصيح في شرح الجامع الصحيح : لأبي البقاء محمد بن خلف
الأحمدي (مخطوطة بدار الكتب المصرية) .

٢٧ - الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث (للحافظ ابن كثير) :
لأحمد محمد شاكر ، طبع صبيح بالقاهرة سنة ١٣٧٠ هـ ١٩٥١ م .

٢٨ - البحر المحيط : لأبي حيان ، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨ هـ ، مطبعة السعادة

٢٩ - بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب : لعبد العزيز الدوري ، المطبعة
الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩٦٠ .

٣٠ - بدع التفاسير : لعبد الله محمد الصديق الغماري ، الطبعة الأولى سنة
١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م ، دار الطباعة المحمدية .

٣١ - البرهان في علوم القرآن : للزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،
طبعة أولى سنة ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م ، دار إحياء الكتب العربية .

٣٢ - تاريخ العرب قبل الاسلام : لجواد علي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي
سنة ١٣٧٥ هـ ١٩٥٦ م .

٣٣ - تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام : لاسرائيل
ولفنسون ، مطبعة الاعتماد سنة ١٩٢٧ .

٣٤ - تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم : لمحمد عزة دروزة ، مطابع شركة
الاعلانات الشرقية .

- ٣٥ - تاريخ عمرو بن العاص : حسن إبراهيم حسن ، طبعة أولى ، مطبعة السعادة سنة ١٣٤٠ هـ ١٩٢٢ م .
- ٣٦ - تاريخ الاسلام : للذهبي ، طبع المقدسي بالقاهرة ، سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧ م .
- ٣٧ - تأويل مختلف الحديث : لابن قتيبة ، الدار القومية للطباعة والنشر سنة ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦ م .
- ٣٨ - تاريخ الرسل والملوك : للطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية ، مطبعة دار المعارف سنة ١٩٦٧ م .
- ٣٩ - تدريب الراوي : للسيوطي ، تحقيق فضيلة الأستاذ عبد الوهاب عبد اللطيف الطبعة الأولى سنة ١٣٧٩ هـ ١٩٥٩ م .
- ٤٠ - تذكرة الحفاظ : للذهبي ، طبع الهند .
- ٤١ - التفسير والمفسرون : لفضيلة الأستاذ محمد حسين الذهبي ، طبع دار الكتب الحديثة سنة ١٣٨١ هـ ١٩٦١ م .
- ٤٢ - تفسير المراغي : لأحمد مصطفى المراغي ، الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٢ هـ ١٩٦٢ م ، طبع مصطفى الباني الحلبي .
- ٤٣ - تحت راية القرآن : لمصطفى صادق الرافعي ، الطبعة الخامسة ، سنة ١٣٨٣ هـ ١٩٦٣ م ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة .
- ٤٤ - تراث الاسلام : لألفرد جيوم ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، سنة ١٩٣٦ .
- ٤٥ - تفسير الجلالين : للجلال الحلي والجلال السيوطي ، المطبعة السعيدية .
- ٤٦ - تفسير سورة الفاتحة مع ثلاث مقالات تفسيرية : للشيخ محمد عبده ، مطبعة الموسوعات بصر سنة ١٣١٩ هـ .
- ٤٧ - تفسير القرآن الكريم : لمحمود شلتوت ، الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٦ م ، طبع دار القلم بالقاهرة .

- ٤٨ - التفسير - معالم حياته ، منهجه اليوم : لأمين الحولي ، مطبعة دار المعلمين للطبع والنشر سنة ١٩٤٤ .
- ٤٩ - تفسير جزء عم : للأستاذ الامام محمد عبده ، الطبعة السادسة ، طبع مطابع الشعب .
- ٥٠ - تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار : لمحمد رشيد رضا ، الطبعة الرابعة ، سنة ١٣٧٩ هـ ١٩٦٠ م .
- ٥١ - تفسير القرآن العظيم : لابن كثير ، طبع دار إحياء الكتب العربية .
- ٥٢ - التفسير الكبير : لمقاتل بن سليمان ، تحقيق الدكتور عبد الله محمود شحاتة (مخطوطة بمكتبة كلية دار العلوم - جامعة القاهرة) .
- ٥٣ - تفسير سورة يوسف : للشيخ رشيد رضا ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م ، مطبعة المنار بمصر .
- ٥٤ - التلمود شريعة إسرائيل : تأليف لجنة من الأساتذة ، طبع دار القاهرة للطباعة ، سنة ١٩٥٧ م .
- ٥٥ - تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة : لابن عراق ، تحقيق الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف ، طبع مكتبة القاهرة سنة ١٣٧٨ هـ .
- ٥٦ - تنوير المقباس من تفسير ابن عباس : على هامش تفسير الدر المنثور للسيوطي .
- ٥٧ - التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع : للملطي ، تحقيق محمد زاهد الكوثري ، نشر الثقافة الاسلامية سنة ١٣٦٩ هـ ١٩٤٩ م .
- ٥٨ - تهذيب الكمال في أسماء الرجال : لأبي الحجاج يوسف المزي (مخطوطة بدار الكتب المصرية) .
- ٥٩ - تقريب التهذيب : لابن حجر ، تحقيق وتعليق الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف ، مطابع دار الكتاب العربي بمصر سنة ١٣٨٠ هـ .

٦٠ - تهذيب التهذيب : لابن حجر ، مطبعة دائرة المعارف النظامية بالهند ،
سنة ١٣٢٧ هـ .

٦١ - التوراة - عرض وتحليل : لفؤاد حسنين علي ، مطبعة دار المستقبل سنة
١٩٤٦ .

٦٢ - الجامع الصحيح : للبخاري ، طبع مطابع الشعب ، سنة ١٣٧٨ هـ .

٦٣ - الجامع الصحيح : لمسلم ، بشرح النووي ، مطبعة دار إحياء الكتب
العربية ، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٧٥ هـ
١٩٥٥ .

٦٤ - الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي ، الطبعة الأولى والطبعة الثانية سنة
١٣٥١ هـ ، ١٣٨٠ هـ ، مطبعة دار الكتب المصرية .

٦٥ - الجامع الصحيح (سنن الترمذي) تحقيق أحمد محمد شاكر ، ومحمد فؤاد
عبد الباقي ، القاهرة ، مطبعة الباقي الحلبي ، سنة ١٩٣٧ م .

٦٦ - جامع البيان في تفسير القرآن : لمحمد بن جرير الطبري ، طبعة دار
المعارف سنة ١٩٥٧ ، والمطبعة الأميرية سنة ١٣٢٨ هـ .

٦٧ - الحديث والمحدثون : لفضيلة الأستاذ محمد أبو زهو ، الطبعة الأولى سنة
١٣٧٨ هـ - سنة ١٩٥٨ م ، مطبعة مصر .

٦٨ - حلية الأولياء : لأبي نعيم ، مطبعة السعادة سنة ١٣٥١ هـ .

٦٩ - حياة محمد : لمحمد حسين هيكل ، الطبعة التاسعة ، طبع مكتبة النهضة
المصرية ، سنة ١٩٦٥ م .

٧٠ - الحيوان ، للجاحظ ، بتحقيق عبد السلام هارون ، طبع مصطفى الباوي
الحلبي بصر سنة ١٣٥٩ هـ ١٩٤٠ م .

٧١ - خطط المقرئ « المواعظ والاعتبار » : لأحمد بن علي المقرئ ، طبع
مصر ، سنة ١٢٧٠ هـ .

- ٧٢ - خلاصة تاريخ المسيحية في مصر (تاريخ الأمة القبطية) : تأليف لجنة التاريخ القبطي ، مطبعة التوفيق ، سنة ١٩٢٢ م .
- ٧٣ - دائرة معارف القرن العشرين : لمحمد فريد وجدي ، مطبعة دائرة معارف القرن العشرين ، سنة ١٣٤١ هـ - ١٩٢٣ م .
- ٧٤ - دائرة المعارف الاسلامية : ترجمة أحمد الشنتاوي وآخرون .
- ٧٥ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور : للسيوطي ، المطبعة الاسلامية بطهران ، سنة ١٣٧٧ هـ .
- ٧٦ - الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : لابن حجر ، طبع الهند سنة ١٣٤٨ هـ .
- ٧٧ - دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين : لفضيلة الأستاذ محمد محمد أبو شبة ، مطبعة الأزهر ، سنة ١٩٦٧ م .
- ٧٨ - الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب : لابن فرحون ، مطبعة السعادة سنة ١٣٢٩ هـ .
- ٧٩ - رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار) : طبع المطبعة الأهلية بباريس .
- ٨٠ - الرد على الجهمية (رد الدارمي على بشر المريسي) : لعثمان بن سعيد الدارمي ، مطبعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة ، سنة ١٣٥٨ هـ .
- ٨١ - رشيد رضا الامام المجاهد : لابراهيم أحمد العدوي ، مطبعة مصر .
- ٨٢ - رشيد رضا - صاحب المنار - عصره ، وحياته ، وجهوده الأدبية واللغوية : للشيخ أحمد الشرباصي (رسالة دكتوراة مخطوطة بكلية الدراسات العربية - بجامعة الأزهر) .
- ٨٣ - رسالة في جمع القرآن والرد على ما يثار حوله من مطاعن : لمحمد فريد العبادي (رسالة دكتوراة مخطوطة بمكتبة كلية أصول الدين) .

- ٨٤ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : للآلوسي ، طبعة
إدارة الطباعة المنيرية .
- ٨٥ - زاد المعاد في هدي خير العباد : لابن القيم (شمس الدين أبو عبد الله محمد
ابن أبي بكر) : طبع الحلبي .
- ٨٦ - السراج المنير في الاغاثة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم
الخير : للخطيب الشربيني ، المطبعة الأميرية ، سنة ١٢٩٩ هـ .
- ٨٧ - السنة قبل التدوين : للدكتور محمد عجاج الخطيب ، الطبعة الأولى ،
سنة ١٣٨٣ هـ ١٩٦٣ م ، مطبعة أحمد نخيمر بالقاهرة .
- ٨٨ - سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي:
المطبعة المصرية بالأزهر ، الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨ هـ ١٩٣٠ م .
- ٨٩ - السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي : للأستاذ الدكتور
مصطفى السباعي ، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٠ هـ ١٩٦١ م ، مطبعة المدني .
- ٩٠ - سير أعلام النبلاء : للذهبي ، طبع دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٥٥ م ،
(الأجزاء ١ ، ٢ ، ٣) ، وبقية الأجزاء مخطوطة بدار الكتب المصرية .
- ٩١ - سيرة النبي ﷺ : لعبد الملك بن هشام ، بتحقيق محمد محي الدين عبد
الحمد ، المكتبة التجارية سنة ١٣٥٦ هـ ١٩٣٧ م .
- ٩٢ - سنن الدارمي : لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، شركة
الطباعة الفنية المتحدة سنة ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦ م .
- ٩٣ - السيادة العربية والشيعية والاسرائيليات في عهد بني أمية : لفان فلوتن ،
ترجمة وتعليق حسن ابراهيم حسن ، ومحمد زكي ابراهيم ، الطبعة الثانية ،
مطبعة السنة المحمدية .
- ٩٤ - شرح القاري على شفاء القاضى عياض (مع نسيم الرياض في شرح شفاء
القاضى عياض للشهاب الحفاجي) .

- ٩٥ - الشفاء بتعريف حقوق المصطفى : للقاضي عياض ، طبع الأستانة سنة ١٣١٢ هـ .
- ٩٦ - سدرات الذهب في أخبار من ذهب : لابن العماد الحنبلي ، مطبعة الصدق الخيرية ، نشر المقدسي سنة ١٣٥٠ هـ .
- ٩٧ - الصديق أبو بكر : لمحمد حسين هيكل ، الطبعة الرابعة سنة ١٣٧٧ هـ ، ١٩٥٨ م ، مطبعة مصر .
- ٩٨ - ضحى الاسلام : لأحمد أمين ؛ الطبعة السابعة سنة ١٩٦٤ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .
- ٩٩ - طبقات الحفاظ : للذهبي ، طبع الهند سنة ١٣١٥ هـ .
- ١٠٠ - طبقات ابن سعد : طبع بيروت سنة ١٣٧٧ هـ ١٩٥٧ م ، وطبع مطبعة بريل بليدن سنة ١٣٢٢ هـ .
- ١٠١ - طبقات المفسرين للسيوطي : طبع لندن سنة ١٨٣٩ م .
- ١٠٢ - طبقات الشافعية الكبرى : للسبكي ، المطبعة المصرية ، الطبعة الأولى .
- ١٠٣ - طبقات المفسرين : للداودي ، مخطوطة بدار الكتب المصرية .
- ١٠٤ - ظلام من الغرب : لفضيلة الأستاذ محمد الغزالي ، نشر دار الكتب الحديثة ، مطبعة السعادة .
- ١٠٥ - عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير : اختصار وتحقيق الشيخ أحمد شاكر ، طبع دار المعارف سنة ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ م .
- ١٠٦ - العقيدة والشرعة في الاسلام : لأجناس جولد تسيهر : ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون ، طبعة ثانية ، مطبعة دار الكتاب العربي .
- ١٠٧ - عيون الأنباء في طبقات الأطباء : لابن أبي أصيبعة ، المطبعة الوهية ، سنة ١٢٩٩ هـ ١٨٨٢ م ، الطبعة الأولى .
- ١٠٨ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري : لابن حجر ، طبعة الحلبي سنة ١٣٧٨ هـ وطبعة المطبعة البهية المصرية .

- ١٠٩ - الفارق بين المخلوق والخالق : لعبد الرحمن باجيه جي زادة ، مطبعة الموسوعات بمصر سنة ١٣٢٢ هـ .
- ١١٠ - الفتاوى : للشيخ محمود شلتوت ، الطبعة الثالثة ، مطبعة دار القلم .
- ١١١ - فتاوى ابن تيمية : مطبعة كردستان العلمية سنة ١٣٢٩ هـ .
- ١١٢ - فجر الاسلام : لأحمد أمين ، الطبعة التاسعة سنة ١٩٦٤ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .
- ١١٣ - الفصل في الملل والأهواء والنحل : لابن حزم ، الطبعة الأولى ، المطبعة الأدبية ، سنة ١٣١٧ هـ .
- ١١٤ - الفوز الكبير في أصول التفسير : لولي الله الدهلوي ، طبع إدارة الطباعة المنيرية ، سنة ١٣٤٦ هـ .
- ١١٥ - الفوائد البهية في تراجم الحنفية : لمحمد الكنوي ، مطبعة السعادة ، سنة ١٣٢٤ هـ .
- ١١٦ - الفن القصصي في القرآن الكريم : لمحمد أحمد خلف الله ، الطبعة السادسة الناشر مكتبة الأنجلو المصرية .
- ١١٧ - قاموس الكتاب المقدس : لجورج بوست ، طبع بيروت ، المطبعة الأمريكية ، سنة ١٨٩٤ م .
- ١١٨ - قصة الحضارة : لول ديورانت ، ترجمة محمد بدران ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٦١ م ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .
- ١١٩ - قصص الأنبياء : لعبد الوهاب النجار ، مطبعة المدني سنة ١٣٨٦ هـ .
- ١٩٦٦ م بالقاهرة .
- ١٢٠ - القصص الهادف كما نراه في سورة الكهف : للشيخ محمد محمد المدني ، مطابع شركة الاعلانات الشرقية ، سنة ١٣٨٤ هـ .

- ١٢١ - الكامل في التاريخ : لابن الأثير ، إدارة الطباعة المنيرية سنة ١٣٤٨ هـ
- ١٢٢ - الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) : طبع القاهرة .
- ١٢٣ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : لحاجي خليفة ، طبعة وكالة المعارف الجليلة باستنبول سنة ١٣٦٠ هـ ١٩٤١ م .
- ١٢٤ - الكشف : للزمخشري ، الطبعة الثانية ، المطبعة الأميرية سنة ١٣١٨ هـ
- ١٢٥ - الكشف والبيان عن تفسير القرآن : للثعلبي (مخطوطة بمكتبة الأزهر)
- ١٢٦ - الكفاية في علم الرواية : للخطيب البغدادي ، طبع الهند سنة ١٣٥٧ هـ
- ١٢٧ - الكنز المرصود في قواعد التلمود : للدكتور روهنج ، ترجمة يوسف نصر الله .
- ١٢٨ - لباب التأويل في معاني التنزيل : للخازن ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ١٣٨١ هـ .
- ١٢٩ - الآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة : للسيوطي ، طبع مصر .
- ١٣٠ - لسان الميزان : لابن حجر ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٢٩ هـ ، طبع الهند
- ١٣١ - لسان العرب : لابن منظور ، الطبعة الأولى سنة ١٣٠٠ هـ ، المطبعة الأميرية .
- ١٣٢ - محاضرات في النصرانية : للأستاذ محمد أبو زهرة ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٣٨١ هـ ١٩٦١ ، مطبعة دار الكتاب العربي .
- ١٣٣ - محاسن التأويل : للقاسمي ، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٦ هـ ١٩٥٧ م طبع دار إحياء الكتب العربية .
- ١٣٤ - المفسرون والمستشرقون في موقفهم من الاسلام : لمحمد البهي ، مطبعة الأزهر .
- ١٣٥ - مدارك التنزيل وحقائق التأويل : للنسفي ، طبع الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية بالقاهرة ، سنة ١٣٨١ هـ ١٩٦٢ م .

- ١٣٦ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : لابن عطية (مخطوطة بدار الكتب المصرية) .
- ١٣٧ - مرآة الجنان ، وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان : لليافعي ، طبع الهند ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٣٩ هـ .
- ١٣٨ - مذاهب التفسير الاسلامي : لجولد زهير ، ترجمة عبد الحليم النجار ، مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٧٤ هـ ، وترجمة علي حسن عبد القادر ، مطبعة العلوم ، سنة ١٩٤٤ م .
- ١٣٩ - مروج الذهب : للمسعودي ، المطبعة البهية . سنة ١٣٤٦ هـ .
- ١٤٠ - المصباح على مقدمة ابن الصلاح : لمحمد راغب الطباخ ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٥٠ هـ ١٩٣١ م ، المطبعة العالمية بحلب .
- ١٤١ - المسند : للإمام أحمد بن حنبل ، بشرح أحمد شاكر ، طبع دار المعارف بمصر سنة ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م .
- ١٤٢ - المسيحية : لأحمد شلبي ، الطبعة الثانية سنة ١٩٦٥ م ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .
- ١٤٣ - معالم التنزيل : للبغوي (على هامش تفسير الخازن) ، مطبعة الاستقامة بمصر ، سنة ١٣٨١ هـ .
- ١٤٤ - معجم الأدباء : لياقوت ، مطبعة عيسى الحلبي سنة ١٩٣٦ م .
- ١٤٥ - مفتاح السعادة ومصباح السيادة : لطاش كبرى زادة ، طبع الهند ، الطبعة الأولى .
- ١٤٦ - مفاتيح الغيب : للفخر الرازي ، طبع عبد الرحمن محمد ، المطبعة البهية المصرية ، سنة ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨ م .
- ١٤٧ : مقاتل بن سليمان ومنهجه في التفسير مع تحقيق تفسيره الكبير : للدكتور عبد الله محمود شحاتة (رسالة دكتوراة مخطوطة بمكتبة كلية دار العلوم - جامعة القاهرة) .

- ١٤٨ - مقدمة ابن الصلاح : طبع الهند سنة ١٣٥٧ هـ .
- ١٤٩ - مقدمة التمهيد : لابن عبد البر (مخطوطة مصورة بمعهد المخطوطات في الجامعة العربية) .
- ١٥٠ - مقالات الكوثري : لمحمد زاهد الكوثري ، مطبعة الأنوار بالقاهرة .
- ١٥١ - مقدمة ابن خلدون ، تحقيق وتعليق الدكتور وافي : طبع لجنة البيان العربي ، طبعة أولى سنة ١٣٧٩ هـ ، وطبعة المطبعة الأزهرية ، ١٩٣٠ .
- ١٥٢ - مقدمة في أصول التفسير : لابن تيمية ، المطبعة السلفية ، سنة ١٣٧٠ هـ وطبعة مطبعة الترقى بدمشق سنة ١٩٣٦ م .
- ١٥٣ - المعارف : لابن قتيبة ، الطبعة الأولى ، المطبعة الاسلامية بمصر ، سنة ١٣٥٣ هـ ١٩٣٥ م .
- ١٥٤ - المنتخب الجليل من تحجيل من حرف الإنجيل : لأبي الفضل المالكي ، طبع مطبعة التمدن بالقاهرة سنة ١٣٢٢ هـ .
- ١٥٥ - من التلمود : طبع مطابع شركة الاعلانات الشرقية سنة ١٣٨٧ هـ .
- ١٥٦ - مناهل العرفان في علوم القرآن : للزرقاني ، الطبعة الثالثة ، طبع دار إحياء الكتب العربية .
- ١٥٧ - الموافقات : للشاطبي ، طبع تونس سنة ١٣٠٢ هـ .
- ١٥٨ - نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن : للسيد أحمد خليل ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٧٣ هـ ١٩٥٤ م .
- ١٥٩ - نظم الدرر في تناسب الآي والسور : للبقاعي (مخطوطة بدار الكتب المصرية) .
- ١٦٠ - نقض مطاعن في القرآن الكريم : للشيخ محمد أحمد عرفة ، الطبعة الأولى ، مطبعة المنار سنة ١٣٥٠ هـ .
- ١٦١ - النجوم الزاهرة : لابن تغري بردي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، سنة ١٣٤٨ هـ ١٩٢٩ م .

- ١٦٢ - وفيات الأعيان : لابن خلكان ، المطبعة الأميرية سنة ١٢٩٩ هـ ،
ومطبعة السعادة سنة ١٩٤٨ م .
- ١٦٣ - الوافي بالوفيات : للصفدي (صلاح الدين خليل بن أبيك) المطبعة
الهاشمية في دمشق ، سنة ١٩٥٩ م .
- ١٦٤ - وحي القلم : لمصطفى صادق الرافعي ، مطبعة دار الاتحاد العربي
للطباعة ، نشر المكتبة التجارية .
- ١٦٥ - هداية الحيارى من اليهود والنصارى : لابن القيم (بهامش كتاب
« الفارق بين المخلوق والخالق ») ، مطبعة الموسوعات بمصر .
- ١٦٦ - اليهودية : لأحمد شلبي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٦ م .

دوريات

- | | |
|----------------------------------|-------------|
| ١٦٧ - مجلة الأزهر | (القاهرة) |
| ١٦٨ - مجلة الرسالة | (القاهرة) |
| ١٦٩ - مجلة المنار | (القاهرة) |
| ١٧٠ - مجلة لواء الإسلام | (القاهرة) |
| ١٧١ - مجلة المجمع العلمي العراقي | (بغداد) |
| ١٧٢ - مجلة الوعي الإسلامي | (الكويت) |

★ ★ ★

أخطاء رجو نصيحتها

الصواب	الخطأ	السطر	الصحيفة
الهم	الهم	١	٥٤
وحاشا لله	وحاشا الله	١٣	١٠١
محمد السماحي	محمد محمد السماحي	٢٤	١٣٤
تجلى	تجلي	١٧	٢٢٦
الآية ٢٢	الآية ٢٤	٢٢	٣٠٧
خراسان	خرسان	٨	٣٣٦
يعلمان	يعلمان	١٤	٣٤١
٥١٤	٤٥١	٢٤	٣٧٨
زين العابدين	زيد العابدين	١٥	٣٩٩

كما ونرجو القارئ الكريم أن يضع في أعلى الصحيفة ١٢٣ كلمة « ثانياً »
إلى جانب العنوان ، فيصبح العنوان :

ثانياً : من اشتهر برواية الاسرائيليات من الصحابة

ونرجو أن توضع في أعلى الصحيفة ١٩٨ كلمة « الفصل الثاني »

تمت طباعة هذا الكتاب

في

دار المعارف للطباعة

دمشق - ساحة المولوية : ٢٢٩١٨٣

بتاريخ ٢٦ / ١٠ / ١٣٩٠ هـ

الموافق ٢٤ / ١٢ / ١٩٧٠ م